

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الموصل

# الأدب العربي

في عصر العباسي

تأليف

الدكتور ناظم رشيد

مكتبة الآداب - جامعة الموصل

١٤١٠ هجرية - ١٩٨٩ ميلادية



# الأدب العربي

في العصر العباسي

تأليف  
الدكتور ناظم رشيد  
كلية الآداب - جامعة الموصل

حقوق الطبع © محفوظة ( ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م )  
لمديرية دار الكتب للطباعة والنشر  
جامعة الموصل

لا يجوز تصوير أو نقل أو إعادة مادة الكتاب  
وبأي شكل من الأشكال إلا بعد موافقة الناشر

---

نشر وطبع وتوزيع :  
مديرية دار الكتب للطباعة والنشر  
شارع ابن الأثير - الموصل  
الجمهورية العراقية  
هاتف ٧٦٣٢٣١  
٧٦٣٢٣٥  
تلكس ٨٠٩٢

# بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

اللهم منك نستلهم الهداية والرشاد . والتوفيق والسداد . ونستمدُّ منك العصمة من الزلل . والصون من الخطل . إنك على ما تشاء قدير . وبالإجابة جدير . وبعد :

فإنَّ الحقبة التي حكم فيها ينو العباس من ابهى العصور والأيام في تاريخ امتنا المجيدة . زهت فيها المدنية . وارتقت الحضارة . وعمت الغضارة . وسمت العلوم . ونمت الآداب . وبلغ العطاء الفكري منزلة منيعة . ووصل الانفتاح العقلي مكانة رفيعة . وكانت الثمرة جنيئة طيبة غزيرة . وحسبنا دليلاً ما وصل إلينا من أسماء العلماء والادباء الابرار . والذخيرة الكبيرة من الكتب والاسفار .

أنَّ الأدب العباسي واسع وكبير . ولا يمكن للمرء أن يستقصيه في دروس قليلة . وساعات محدودة . ولكن ما لا يدرك جلُّه لا يتركُّ كلُّه ؛ لذلك تناول هذا الكتاب المتواضع خلاصة هذا الادب وزبدته من خلال الفنون الأدبية وسير أعلام الشعراء والكتاب الذين ارتأت المناهج الجامعية اقرارها وتدريسها لأبنائنا الطلبة .

يقوم الكتاب على قسمين كبيرين . الأول يتناول الأدب - شعراً ونثراً - من قيام الدولة العباسية سنة ثنتين وثلاثين ومئة للهجرة الى سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة للهجرة . وهي السنة التي جاء فيها البويهيون الى بغداد وقضوا على هيئة الخليفة وجردوه من سلطته الدنيوية . والقسم الثاني ينتهي بانتهاء الدولة العباسية سنة ست وخمسين وست مئة للهجرة . وهي السنة التي احتلَّ فيها الغزاة من جيش هولاكو بغداد .

لقد حاولنا جهدنا أن نُقدِّم المادة بأسلوبٍ مكثفٍ ومفيد . مستعنيين باختيارات أدبية رفيعة تجتمع حولها القلوب . وتطمئن لها النفوس . ومبعدين كلَّ ما هو مزرر . ومكثِّر للخواطر .

وإني لأجد في نفسي من واجب الوفاء أن أقدم أجمل الشكر وأجزله الى عمادة كلية الآداب . وإلى قسم اللغة العربية - رئاسة وأساتذة - لما أبدوه من تشجيع وحفاوة في تأليف هذا الكتاب .



وَقُتِّقَ اللهُ الطَّيِّبِينَ ، وَعَزُّزَ مَكَانَةَ الْمُخْلِصِينَ ، وَسَدَّدَ خَطَاهُمْ لِمَا فِيهِ خَيْرُ الْبِلَادِ ،  
أَنَّهُ نَعِمَ الْمَوْلَى وَنَعِمَ النَّصِيرُ .

الدكتور

ناظم رشيد

كلية الآداب - جامعة الموصل .

ضعفت الدولة الأموية في أعوامها الأخيرة ، وأصبحت لا تقوى على الوقوف أمام القوى المناوئة لها ، وكان لفريق من العرب الحائقين على بني أمية ، ومن الكارهين لحكمهم من غير العرب ، الدور الكبير في انهيارها ، وزوال سلطتها ، وانقضاء عهدها ، الى جانب الاضطراب السياسي والاجتماعي والاقتصادي في عهد آخر خلفائها مروان بن محمد .

كان بنو العباس ، وهم فرع من بني هاشم ، يرون أن الخلافة حقهم المسلوب ، وتراثهم المنهوب . فأخذوا يطالبون بها ، واستطاعوا بذكائهم وفطنة رجالهم أن يستغلوا الكراهية على بني أمية للوصول الى هدفهم المنشود وتمكنوا بدهائهم وكياستهم أن يستميلوا العلويين الذين كانوا يطالبون بالخلافة أيضاً ويرون أنفسهم أحق من غيرهم بالحكم ، وقدرُوا أن يقنعوا كبار رجالهم بأن دعوتهم تهدف الى احقاق الحق وتسليم الأمر الى « الرضا من آل بيت محمد » ، وكلمة الرضا ليست محددة .

وكان في خراسان اثنا عشر داعياً يعملون على هدم كيان بني أمية ، واقامة سلطان هاشمي . وهم على اتصال بالمركز في الكوفة ، وكان الموجة للدعوة في بادئ الأمر أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الذي اضطر أن يلجأ الى بني عمه من آل العباس الذين يقيمون في « الحميمة » من أرض فلسطين جنوب البحر الميت . وكان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس اكبر رجال آل العباس آنذاك . فالتقيا . واتفقا على العمل سوية لازالة حكم الأمويين وتسلم السلطة منهم . واقامة دولة جديدة . ولما احس أبو هاشم بدنو أجله ولم يكن له عقب أوصى لمحمد بن علي بن عبد الله بالامامة من بعده ، وأعلم خاصته بهذا الأمر ، وكان هذا في سنة ٨٧ أو ٩٨ للهجرة . وهكذا أصبح محمد بن علي الشخصية الأولى من بني العباس تتولى زعامة الحركة المضادة لبني أمية وتشرف على ادارة الفئة المعارضة للحكم في دمشق ، وأثر أن تبقى الدعوة سرية ، واختار سبعين رجلاً يأترون بأمر الدعاة الاثني عشر (١) . يعملون في الخفاء على نشر الدعوة العباسية . وكانوا

(١) لهم اختاروا هذا العدد ليضفوا الفرعية على دعوتهم ، فقد جاء في قوله تعالى ( واختار موسى لومه سبعين رجلاً لميقاتنا ) ثم قال في آية أخرى ( وبمئنا منهم اثني عشر نقيباً ) ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم واثاه ليلة القبة سبعون رجلاً من الأوس والخزرج لهاهموه ، فجعل منهم اثني عشر نقيباً ( أخبار الدولة العباسية ص ٣٦٥ ) .

يجوبون البلاد متظاهرين بالاتجار . أو طلب العلم . أو التطبيب . أو السياحة . وهم يَشُون أفكارهم بين الناس . ويكثرون مآزريهم ومؤيديهم في الثورة على بني أمية وازاحتهم عن الحكم وابعادهم عن السلطة .

اتخذ محمد بن علي ( وهو والد ابراهيم الإمام . وأبي العباس السفاح . وأبي جعفر المنصور ) مكانين لنشر الدعوة . أحدهما في الكوفة . والثاني في خراسان . وزاد الإقبال على هذه الدعوة ولا سيما في خراسان التي أصبحت آنذاك مركزاً بارزاً لقيادة المعارضة والتمرد على سلطة بني أمية .

ولما توفي محمد بن علي سنة ١٢٥ للهجرة تولّى الأمر من بعده ابنه ابراهيم وصار هو الامام . وسار على درب ابيه في العمل السري تحضيراً للاجهاز على الدولة الأموية . واعتمد على رجل ذكي هو أبو سلمة الخَلَل . وجعله كبيراً للدعاة في الكوفة . أما خراسان فجعل عليها أبا مُسلم الخُرَاساني الذي أصبح فيما بعد القائد للجيوش الزاحفة على معاقل الامويين . وكان أبو مسلم « شديد الاخلاص للعباسيين . مسرفاً في خدمتهم . كثير الدهاء . واسع الحيلة . خبيراً بما يقتضي عمله من الحزم والقسوة . فلا تعرف الرحمة قلبه . ولا يتناول الأمور الا بالحزم والبأس الشديد » (٢)

ولما اشتدّ أزر العباسيين . وأصبحت دعوتهم ذات قاعدة قويّة قادرة على تحمل أعباء الثورة . طلب ابراهيم الامام من داعيه أبي مسلم الخراساني أن يعلن الدعوة صراحةً وجهراً بين الخلائق . فاستجاب له . وكان ذلك سنة ١٢٨ للهجرة . وليس السواد الذي اتخذ العباسيون شعاراً لهم تيمناً برسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الذي دخل مكة فاتحاً تحت راية سوداء .

وقد أحسّ نصر بن سيار عامل الأمويين في خراسان بالخطر . واستصرخ الخليفة . وصوّر في أبيات من نظمه الحالة المأساوية التي تنتظر الأمويين اذا لم يهتؤا لإخماد الجنوة المتقدّمة التي ستحرّقهم وتحيلهم الى هباء منثور (٣) :

(٢) عصر المأمون ٨٤١ .

(٣) ديوان نصر بن سيار الكناني ص ٤٠ . عيون الاخبار ١١ ١٢٨ . مروج الذهب ٢ ٢٤٠ . الفهرج ص ١٤٤ .

أرى خلل الرُمادِ وميضَ جمرٍ . ويوشك أن يكونَ له ضرامٌ  
فإنَّ النارَ بالعُديينَ تُذكى . وإنَّ الحربَ أولُها الكلامُ  
فإنَّ لم يُطْفِئها عقلاءُ قومٍ . أيكونَ وقودها جُشْتُ وهامٌ  
فقلتُ من التعجبِ ، ليت شعري . أليقاطُ أُميَّةٌ أم نيامٌ ؟ !

لم تنفع هذه الصرخة . فإنَّ نار الحرب اتَّقدت وامتدَّت أوارها إلى أماكن كثيرة وواسعة . حيث استولى أبو مُسلم على مُدن خراسان وقتل نصر بن سيار وهو شيخ كبير ابن خمس وثمانين . سنة ١٣١ للهجرة (١)

ولما شعر الخليفة مروان بن محمد بالخطر الذي ينتظره بعث جنداً ليقبضوا على إبراهيم الامام . حيث أدركوه وهو بالخميمة واستقدموه الى الخليفة . ولما علم أن مصيره الى الهلاك كتب الى أبي مسلم الخراساني رسالة قال فيها : « أما بعد . فإن رأيتُموني قتيلاً أو ميتاً فلا يثنيكنم ذلك . عن القيام بالحق . فوالذي آمن به المؤمنون . وكفر به الكافرون ليتمنَّ الله أمركم . وليعزَّن دعوتكم . وليظهرنَّ حقكم . وليقتلنَّ جبابرة بني أُميَّة بأسيافكم . وليقومنَّ رجلٌ من إخوتي خليفة مطاعاً وإماماً متبوعاً » . (٢)

حُبس إبراهيم الامام . وتُوفي في السجن . وقيل إن الخليفة مروان بن محمد دسَّ إليه السمَّ في إزاء لبن . وكانت وفاته سنة ١٣٢ للهجرة ورثاه الشاعر إبراهيم بن هرمة بعدة قصائد (٣) . وقد كتب قبل وفاته الى اخيه أبي العباس عبد الله السفاح أن يتولَّى قيادة الحركة . وأن يتوجَّه الى الكوفة .

سار أبو العباس واخوته وأهله الى الكوفة . وكان أبو سلَمة الخلَّال الذي لقَّبه « وزير آل محمد » يُديرُ الأمور في هذه المدينة ويتولَّى تنظيم شؤون الثورة . وورد أمرٌ من أبي العباس السفاح الى أبي مسلم الخراساني بالتحرك نحو العراق . وحينما سمع الخليفة مروان بهذا النبأ طلب من عامله على العراق ابن هُبيرة ملاقة الجيش الزاحف . ولكن هذا الطلب جاء بعد فوات الأوان . فإنَّ جيش العباسيين اتَّجه الى الكوفة ودخلها . وفيها أعلن عن خلع مروان .

(٤) تاريخ الطبري ١٧ : ٤٠٤ .

(٥) أخبار الدولة العباسية ص ٣٩٢ .

(٦) أخبار الدولة العباسية ص ٤٠٥ - ٤٠٩ .

وأتجهت الجيوش العباسية لمتابعة حرب الخليفة مروان بن محمد بقيادة عبد الله بن علي عم السفاح ، فالتقت به على نهر الزاب شمالي العراق ، وهزمته وجيشه هزيمة ساحقة . وفر مروان الى مصر ، ولقي حتفه في بؤصير من مدن الصعيد على يد الجنود التي بقيت تلاحقه أواخر سنة ١٣٢ للهجرة .

ولم يطمئن أبو العباس السفاح الى مقامه في الكوفة ، دار العلويين من قديم ، فتحول عنها الى معسكر الخراسانيين ، ثم فارقه الى الحيرة ، وأخذ في بناء الهاشمية لتكون مقر سلطانه ، وأغرى أبا مسلم بأبي سلمة الخلّال ، فدس إليه من قتله ؛ لأن أبا سلمة كانت نيّته معقودة على استبعاد العباسيين ، حتى إنه أخفى أمر أبي العباس السفاح وأهله حين قدموا الى الكوفة ، بل عزلهم عزلاً تاماً عن جند خراسان (٧) .

ظفر العباسيون واتباعهم بالحكم بعد فتكهم بالبيت الأموي . وقد شارك فريق من الشعراء في حرب بني أمية وتآليب الناس عليهم واستئصال شأفتهم . منهم سديف بن ميمون . قال ابن الطقطقا عن الخليفة أبي العباس السفاح : « كان في بعض أيامه جالساً في مجلس الخلافة وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك . وقد أكرمه السفاح ، فدخل عليه سديف الشاعر ، فأنشده :

لا يغرّنك ما ترى من رجالٍ      إنّ تحت الضلوع داءً ذويّاً  
فضع السيف وارفح السوط حتى      لا ترى فوق ظهرها أمويّاً  
فالتفت سليمان وقال : قتلتنى يا شيخ ! ودخل السفاح ، وأخذ سليمان فقتل « (٨) »  
وبالغ بنو العباس في تعقب الأمويين وقتلهم واستصفاء أموالهم . سخطاً عليهم ، وانتقاماً منهم . وكان هذا العمل الصارم دافعاً لعبد الرحمن الداخل حفيد هشام بن عبد الملك الى الهرب واللجوء الى الأندلس وإقامة دولة أموية جديدة هناك .

ولابدّ من الإشارة هنا الى مسألة هوية الدولة العباسية . أهى عربية أم أعجمية ؟ قال الجاحظ : « إن دولة بني العباس أعجمية خراسانية ، ودولة بني مروان أموية عربية (٩) » . وقال المسعودي في معرض حديثه عن قيام الدولة العباسية وزوال

(٧) ينظر تاريخ الطبري ٧ : ٤٢٩ .

(٨) الفهرست ص ١٥١ .

(٩) البيان والتبيين ٣ : ٣٦٦ .

الدولة الأموية : « سقطت قيادات العرب ، وزالت رياستها ، وذهبت مراتبها (١٠) » . إن هذين القولين وأمثالهما فيهما شيء من التهويل ، وترك الجواب عليهما للدكتور عبد العزيز الدوري في حديثه عن نشأة الدولة العباسية بعد عرضه لأقوال السابقين ، ولعل هذه الأقوال صحيحة في أساسها ، لكنها متطرفة على ما أرى . فمن المبالغة أن نقول بأن سلطان العرب ينتهي بسقوط الأمويين . فالخلفاء العباسيون كانوا عرباً هاشميين ، وكانوا يعتزون بنسبهم ، ويعتبرونه أكبر مناقبهم . ومع أنهم قَرَّبوا الفرس ، إلا أنهم سيطروا عليهم فنكّلوا بهم حين شعروا بتعاضد نفوذهم . كما فعل أبو العباس السفاح بأبي سلمة الخلّال ، والمنصور بأبي مسلم الخراساني ، والرشيد بالبرامكة ، والمأمون بالفضل بن سهل . وقد أعطيت بعض المناصب الهامة كالوزارة الى الفرس ، ولكن عدداً كبيراً من الولاة والقواد كانوا عرباً في العصر العباسي الأول ، وإن كثيراً من اصحاب المناصب في الدولة الجديدة كانوا عرباً (١١) .

### نظام الادارة :

لم يتخلّ العباسيون كلياً عن الأنظمة الادارية المعمول بها في دولة بني أمية بل أخذوها وطوّروها وزادوا عليها بعد اختلاطهم بأمم أخرى ، وتمازجهم مع أجناس كثيرة غير عربية . فمن الأمور البارزة التي أوجدوها وجعلوها ركيزة قوية في ادارة الدولة هو نظام الوزارة ، وأعطوا الوزير صلاحيات واسعة في الاشراف على الشؤون العامة في الجهاز الاداري . وكان أول وزير لهم حفص بن سليمان الذي عرف بأبي سلمة الخلّال .

وهناك وظائف أخرى عُنوا بها ، منها وظيفة الحاجب التي تتولّى أمر الدخول على الخليفة . ووظيفة الكاتب الذي يتولّى أمور الكتابة عن الخليفة . وكانت لهذه الوظيفة تقاليد وآداب يتقنها العاملون فيها . أما القضاة فكانوا عدولاً . يمتازون بالأمانة والنزاهة والصدق . ينظرون في أمور الناس ومشكلاتهم الدينية والدنيوية . وكانت كلمتهم مسموعة عند الخلفاء وأولي الشأن في الدولة . وأعطى الخلفاء الأوائل

( ١٠ ) مروج الذهب ( طبعة باريس ) ١ ، ٨ ، ٢٩٢

( ١١ ) العصر العباسي الأول ص ٤٢



عناية فائقة بالجيش ، وعينوا له قواداً ماهرين في التدريب والتعبئة والقتال ، فهو الوسيلة الوحيدة لحماية الدولة وحفظ كيانها ومحاربة المتمردين أو الخارجين عليها ، وقد أطنب الطبري في وصف جيش أبي جعفر المنصور وحسن تنظيمه واختيار قواده .

ونظّم العباسيون سجلات الدواوين ، ورَتَّبوا ترتيباً دقيقاً ، ووَزَّعوها حسب الاختصاصات ، ووَكَّلوا عليها موظفين ماهرين ، عَرَفوا بأصحاب الدواوين ، مثل الخراج والخاتم والنفقات والصدقات والبريد والجند والاقطاع والمصادرة والشكاوى والضرائب وأشركوا غير العرب في هذه الوظائف واستفادوا من خبراتهم وإمكاناتهم في الأعمال الادارية والفنية .

ورَتَّب العباسيون أيضاً الأمور المالية كي يجابها متطلبات الدولة الجديدة ، فأحدثوا ضرائب جديدة تُضاف الى الضرائب السابقة التي كان الأمويون يتقاضونها مثل ضريبة المصائد والسفن ، وضريبة أخماس المعادن ، وضرائب الموارث والتركات :

### بناء بغداد :

تركَزَت قواعد الدولة العباسية ، وثَبَّتت أركانها ، بعد تولي أبي جعفر المنصور الخلافة سنة ١٣٦ للهجرة ، وهو يُعد المؤسس الحقيقي لهذه الدولة التي أصبحت بعد فترة قصيرة ذات شأن خطير ودور كبير في ادارة رقعة شاسعة من العالم الاسلامي ترفرف عليها راية القوة والعظمة ، وتطلُّها معالم الحضارة والمدنية . وفي عهد هذا الخليفة أنشئت بغداد بعد اختيار دقيق ، واستشارة موفقة بالمهندسين والعارفين بالاماكن الجيدة والمواقع الرصينة الصالحة للاتصال بأطراف الدولة المترامية الأطراف من كل الجهات .

وضع الخليفة المنصور أول لَبَنَة للمدينة الجديدة بيده سنة ١٤٥ للهجرة قائلاً : « بسم الله ، والحمد لله . الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (١) » . وظلَّ البناء قائماً بها حتى سنة ١٤٩ للهجرة ، وجعلها مدورة ، وبني

قصره في وسطها . وأخذت تنمو يوماً بعد آخر حتى « أصبحت أهم مدينة في العالم العربي . إذ بُنيت بها مئات المساجد وعشرات القصور الفخمة ، وتكاثر بها التجار والصناع . وكان لكل طائفة منهم شارع خاص أو سوق خاصة . فهذا سوق العطارين ، وذاك سوق البزازين ، وهذا سوق الصيارفة مستبدلي النقود . وذاك سوق الوراقين ، وهذا سوق بائعي الخلي والطرف المعدنية ، وذاك سوق الرقيق المكتظ بالجواري من كل جنس . وأما المغنون والمغنيات ، ونزلها الأدباء والعلماء من كل صنف وعلى كل لون . فزخرت بالحياة ، تزينها البساتين الملحقة بالدور والقصور والمتنزهات وميادين اللعب بالصلوجان وغيره ، كما تزينها القوارب التي كانت تتلأل على صفحات دجلة بأشكالها المتنوعة (١٣) »

وكانت بغداد في بادئ أمرها تضم الجانب الغربي الذي يُعرف بالكرخ ، ولما ضاقت بسكانها تطلّع المنصور الى الجانب الشرقي لنهر دجلة ، وبنى فيها قصراً لابنه المهدي . وثكنات للجيش تتخللها الأشجار والبساتين . وأخذت تنمو وتتسع حتى أصبحت لا تقل جمالاً وتسيقاً عن الجانب الآخر وسميت بالرصافة . ووصل المنصور بين الشطرين بعده جسر (١٤) . يذكّرنا بواحد منها علي بن الجهم في قوله (١٥) :

عيونُ المها بين الرصافة والجسر جليلُ الهوى من حيث أدري ولا أدري  
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن سلوت ولكن زدن جمرأ على جمر  
وقد أشاد الكثيرون بجمال بغداد . وبهاء مناظرها . وروعة مبانيها . قال الجاحظ : « لم أر مدينة قط أرفع سمكاً ، ولا أجود استدارةً ، ولا أوسع أبواباً . ولا أبهى عقوداً . ولا أحكم سوراً وفصيلاً من مدينة المنصور ... وأنشد :

يا حبذا بغداد من بلدة	ياليتمني أوطنت بغدادا
لم ترعني من مثلها بلدة	أطيب إصداراً وإيرادا
إن ردني الله إلى أهلها	لم أتزوّد للنوى زاداً (١٦)

(١٣) تاريخ الأدب العربي . العصر العباسي الأول ص ١٧

(١٤) بغداد مدينة السلام ص ٥٥ ، تاريخ بغداد ١ ، ١١٥ .

(١٥) ديوان علي بن الجهم ص ٢٥٢ .

(١٦) بغداد مدينة السلام ص ٦٤ .

ونالت بغداد ثناءً عطراً من المؤرخين . والرحالة . والبلدانيين . وكتاب التراجم . وأجمعوا على القول : « إنها أُمُّ الدنيا ، وسيِّدة البلاد ، وجَنَّةُ الأرض ، ومجمعُ المحاسن والطيبات ، ومعدنُ الظرائفِ واللطائفِ . ليس لها نظيرٌ في مشارقِ الأرضِ ومغاربها سعةً وكبراً وعمارةً ، وكثرةً مياهٍ ، وصحةً هواءٍ . ولأنه سكنها من أصنافِ الناسِ وأهلِ الأمصارِ والكُورِ . وانتقل إليها من جميعِ البلدانِ القاصيةِ والدانيةِ . وآثرها جميعُ أهلِ الآفاقِ على أوطانهم . فليس من أهلِ بلدٍ إلاَّ ولهم فيها محلَّةٌ ومُتَجَرٌ . فاجتمعَ بها ما ليس في مدينةٍ في الدنيا . ثم يجري في حافتيها النهران الأعظمان ، دجلةُ والفرات ، فتأتيها التجارات والمير برأ وبحراً بأيسر السعي . حتى تكامل بها كلُّ مُتَجَرٍ يحمل من المشرق والمغرب . حتى كأنما سيقَتْ إليها خيرات الأرض . وجمعت فيها ذخائرُ الدنيا ، وتكاملت بها بركاتُ العالمِ (١٧) » .

وقد أجاد أحد الشعراء في ذكر فضائلها من قصيدة (١٨) :

فالقومُ منها في روضةٍ أنفٍ	أشرفَ غِبُّ القطارِ زاهرها
من غرةِ العيشِ في بُلَهْنِيَّةٍ	لو أن دنيا يدومَ غابرها
دارُ ملوكٍ قرَّتْ أسرَّتْها	فيها وقرَّتْ بهم منابرُها
أهلُ البقري والسندى ، وأندية	لمجدٍ إذا عُدَّتْ مفاخرُها

ومن طريف ما يروى أن الرشيد كان بالرقَّة . وكان يستحسنها ويستطيبها ، فيقيم بها ، وطال المقام بها مرةً ، فقالت زبيدةٌ للشعراء : مَنْ وصف مدينةَ السلام وطيبها في أبياتٍ يشوقُ أميرَ المؤمنين إليها أغنيته . فقال في ذلك جماعةً ، منهم منصور النمرى قال أبياتاً أولها :

ماذا ببغداد من طيبِ الأفانين ومن منازهِ للدنيا وللدِّين  
تُحيي الرِّياحُ بها المرضى إذا نَسَمَتْ وجوشتُ بين أغصانِ الرِّياحين (١٩)

( ١٧ ) صور مَهْرَلَة من حضارة بغداد في العصر العباسي ص ٥ .

( ١٨ ) بغداد مدينة السلام ص ٩٠ .

( ١٩ ) جوهرة ، سارت .

فوقعت أبيات النمري من بين جميع ما قالوا في قلب الرشيد بحيث أسرع في الانحدار الى بغداد ، فوهبت زبيدة للنمري جوهرة ، ثم دسّت اليه من اشتراها بثلاث مئة ألف درهم (٢٠) .

ان بغداد ، حاضرة الخلفاء العباسيين ، بقيت أغنيّة في فَم الشعراء ، وقد أحسن أبو سعد محمد بن علي بن محمد بن خلف النيرمانى في قوله (٢١) :

فقد طفتُ في شرقِ البلادِ وغربها وسيرتُ رخلي بينها وركايبها  
فلم أرَ فيها مثلَ بغدادَ منزلاً ولم أرَ فيها مثلَ دجلةَ واديا  
ولا مثلَ أهلها أرقَّ شمائلًا وأعذبَ ألفاظاً وأحلى معانيسا

### ثقافة العصر :

ان تقارب الامم واختلاطها وامتزاجها تؤدي دائماً الى تبادل الآراء والأنكار والخبرات ، وتساعد على تطوير الحياة الفكرية وروقيها وتقدمها ، وقد فتحت الدولة العباسية منذ أيامها الأولى الأبواب لجميع الأقوم والأجناس بالاشتراك في عملية تطوير الفكر وتنشيطه ، متخذة اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والتراث العربي القديم ، أساساً في التعبير والتدوين ونقل المعرفة . ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أهم الروافد التي اتحدت وانصهرت في كيان عربي إسلامي موحد بلغ القمة في العصر العباسي الأول الذي عُرف عند الدارسين بالعصر الذهبي .

استقى العباسيون الثقافة من عدّة أوعية ، وطلبوها من منافذ كثيرة ، أضافوها إلى الثقافة الإسلامية . فإنهم أخذوا من الثقافة اليونانية شيئاً كثيراً ، وكان ذلك عن طريق المدن التي كثر فيها عنصر الروم ، أمثال جُنْدِسَابُور القريبة من البصرة ، وحرّان والرّها ونصيبين وأنطاكية والإسكندرية . ويعد الخليفة المنصور الرائد الأول في طلب العلوم والمعارف ، وهو أول خليفة تُرجمت له الكتب من اللغات الأخرى ، وممن لمع اسمه في عهده بترجمة كتب الطب اليوناني أبو يحيى البطريق ( ت ١٠٠ هـ ) إذ غني بنقل طائفة من كتب أبقراط وجالينوس (٢٢) . واقتفى أثر أبي

( ٢٠ ) ينظر طبقات العمراء لابن المعتز ص ٢٤٦ ، وتاريخ بغداد ١ ، ص ٥٠١ .

( ٢١ ) تاريخ بغداد ١ ، ص ٥٢١ ، لوات الوفيات ٢ ، ص ٧٥٠ .

( ٢٢ ) هيون الألباء ٢ ، ص ١٧٤ .

جعفر المنصور الخليفة المشهور هارون الرشيد الذي أنشأ دار الحكمة وجعل فيها طائفة من المترجمين . ومن أشهرهم يوحنا بن ماسويه . وجبريل بن بختيشوع . ( ٢٣ )

وبلغت خلافة المأمون القمة في البحث عن المعرفة واجتذاب المترجمين وایوائهم والانفاق عليهم قال عنه صاعد بن أحمد الأندلسي (٢٤) : « لما أفضت الخلافة الى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور تَمَّ مابداً به جدُّه المنصور . فأقبل على طلب العلم في مواضعه . واستخرجه من معادنه . بفضل همته الشريفة . وقوة نفسه الفاضلة فداخل ملوك الروم . وأتحفهم بالهدايا الخطيرة . وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة . فبعثوا اليه بما حضرم من كتب أفلاطون . وأرسطو طاليس . وأبقراط . وجالينوس . وأقليدس . وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة فاستخار مهرة الترجمة . وكلفهم إحكام ترجمتها . فترجمت له على غاية ما أمكن . ثم خض الناس على قراءتها . ورغبهم في تعليمها . فنفتت سوق العلم في زمانه . وقامت دولة الحكمة في عصره . وتنافس أولو النباهة في العلوم لما كانوا يرون من احضائه لمنتحليها واختصاصه لمقلديها . فكان يخلو بهم . ويأنس بضائرتهم . ويلتذُّ بمذاكرتهم . فينالون عنده المنزلة الرفيعة والمراتب السنية . وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسب . فاتقن جماعة من ذوي الفنون والتعلم في أيامه كثيراً من أجزاء الفلسفة . وسئوا لمن بعدهم منهاج الطب ومهدوا أصول الأدب حتى كادت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومية أيام اكتمالها وزمان اجتماع شملها » . وهكذا كان المأمون جاداً في معرفة ما عند اليونان من علوم . وقد أفلح في مسعاه حينما أرسل رجلاً للبحث عن الذخائر القيمة وقد « جاؤوه بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثما طيقي والطب » (٢٥)

إن الخلفاء العباسيين اتجهوا الى الناحية العلمية وكرسوا جهودهم لها . لأنها تغذي العقل . أما الناحية الأدبية التي تغذي العاطفة فهي مرتبطة بالبيئة التي تنبت فيها . فإن الأدب ظل المجتمع . ولكل بيئة تقاليدها وأدواقها . ولذلك لانجد كتاباً في الأدب نقل الى العربية من اليونانية على وفرة ما كان لليونانيين من ذلك (٢٦)

( ٢٣ ) عيون الأنباء ٢ ، ٤٢ ، ١٢٢ .

( ٢٤ ) طبقات الأمم ص ٦٤ .

( ٢٥ ) الفهرست ص ٢٤٠ . الارثماطيقي : الحساب .

( ٢٦ ) معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول ص ٣١ .

وشاركت الأمم غير العربية التي دخلت الاسلام وتعلّمت اللغة العربية ، في الحركة الثقافية . وقام فريقٌ ممن أصولهم غير عربية بترجمة الكتب ، ذكر ابن النديم مجموعةً منهم أمثال عبدالله بن المقفع ، والحسن بن سهل ، وأحمد بن يحيى البلاذري ، وجبله بن سالم ، وإسحاق بن يزيد ، وموسى بن عيسى (٢٧) . وأقبل فريق آخر على التأليف والتصنيف ونظم الشعر ، واكتسب بعضهم شهرةً كبيرةً في العلم والأدب والغناء أمثال حماد الراوية ، وبشار بن برد ، وأبي نواس ، وسيبويه ، والكسائي ، والفراء ، وابن درستويه ، وإبراهيم الموصلي ، وابنه إسحاق (٢٨) .

واتصل العرب بالثقافة الهندية ونقلوا منها ولاسيما في الرياضيات والفلك والطب ، وقد ذكر ابنُ النديم اثنين من الذين نقلوا العلوم مباشرة من الهندية الى العربية ، وهما منكة الهندي وابنُ دهن الهندي (٢٩) . ومن الكتب التي تُرجمت على يديهما كتاب علاجات الحُبالى ، وكتاب أسماء عقاقير الهند ، وكتاب أجناس الحيات وسمومها ، وكتاب التوهم في الامراض والعلل (٣٠) . وعرفَ الهنود علم العروض ، ووضعوا للشعر بحوراً وأوزاناً ، وكانت لهم في البلاغة نظرات صائبة ، كما كانت لهم جهودٌ مثمرة في مجال الفلسفة ، عكف البيروني على دراستها في كتابه ( تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مردولة ) . وتذوّق العرب قصص الهنود ، فقاموا بترجمة روائعه ، مثل كليلة ودمنة الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية ، وهو هندي الأصل ألفه الفيلسوف بُيُذبا للملك دِشليم . وترجموا ألف ليلة وليلة وأصله هندي (٣١) وان كان للعرب فيه زيادات كثيرة عن أصله ، وكذلك قصة السندباد الكبير والصغير ، وقصة هبوط آدم ، وملك الهند القتال . ونقلوا أيضاً بعض الحكم والأمثال وتقبلوها بقبول حسن وحرصوا على الافادة منها .

( ٢٧ ) الفهرست ص ٢٤١ .

( ٢٨ ) ينظر ضحى الاسلام ١٩٠١ .

( ٢٩ ) الفهرست ص ٢٤٢ .

( ٣٠ ) الفهرست ص ٤٢١ .

( ٣١ ) يرى المسعودي أن للكتاب أكثر من اصل فيقول ، ومن الكتب المنقولة إلينا والمترجمة عن الفارسية والهندية والرومية كتاب هزار أفسانه ... والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة ( مروج الذهب ٢ ، ٢٥١ ) وينظر كتاب الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة ص ٢٠ .



وتجدر الإشارة هنا الى أن المؤرخ ابن خلدون جعل جلّ العلماء من الأعاجم . وقال : « لم يبق بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم » (٣٢) . وذهب الدكتور شوقي صنيف الى القول إن جمهور العلماء والكتاب والشعراء منهم « (٣٣) » . ونحن لاننكر جهود الأعاجم في الترجمة والتأليف ولكن هذا لايعنى أنهم الوحيدون الذين قاموا بحفظ العلم وتدوينه وإن جمهور المفكرين منهم . وإذا كان هذا الأمر سيديداً فإين نضع الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وأبا عمرو بن العلاء ، والأصمعي ، والمفضل الصنبي وهشام بن محمد الكلبي ، والإمام مالك بن أنس ، وأبا العباس المبرد ، وأبا تمام ، والبحري وابن نباتة السعدي ، والعباس بن الأحنف ، وابن المعتز ، والمنتبي ، وأبا فراس الحمداني وأبا العلاء المعري لقد عاش الجميع عرباً وغير عرب تحت مظلة الاسلام وحركته القوية وسيادة الروح العربية الاسلامية ، فتفجرت طاقاتهم العلمية والأدبية بها .

### عوامل ازدهار الشعر :

الشعر فن جميل من فنون الأدب ، ترتاح له النفوس وتبهج وقد لقيت صناعته عناية فائقة ورعاية بالغة منذ عصر ما قبل الإسلام ، وبقيت تنمو وتزدهر الى أن وصلت إلى صورة مثلى متألفة تجذب الناظر وتبهره في العصر العباسي . وقد ساعدت عوامل كثيرة في هذا النمو والازدهار . ولعل من أهمها حب الخلفاء للشعر . وتقديرهم للشعراء ، وتشجيعهم للنظم والإنشاد . واغداق الاموال بسخاء على القادمين عليهم . والمتصلين بهم والمنتسبين إليهم . والمنشدين بين أيديهم . ويجب ان لانسى أن أغلب الخلفاء العباسيين كانوا مثقفين ثقافة عالية . ولبعضهم مشاركة طيبة في نظم الشعر وتدبيج النثر . وكثير منهم آراء سديدة . ومناقشات ذكية . ومناقشات دقيقة . ومحاورات ظريفة . ومناظرات لطيفة روتها كتب التراجم والسير والآداب .

إن عيون الشعر العربي وغرره أنشئت في مجالس الخلفاء والوزراء والولاة والقواد . وكانت العطايا تنهل على الشعراء المجيدين . والشواهد على ذلك كثيرة . فهذا ابراهيم بن علي بن هرمة يدخل على المنصور وينشده قصيدة مدحية ينال بها منه عشرة آلاف درهم . (٣٤) وقال المؤمل بن أميل ، قدمت على المهدي . وهو إذ ذاك

(٣٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٤ .

(٣٣) تاريخ الادب العربي ، العصر العباسي الاول ص ٩١ .

(٣٤) جمع الجواهر ص ١٠٣ .

ولي عهد أبيه . فامتدحتَه فأمر لي بعشرين ألف درهم . (٢٥) وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنَّ الخليفة الهادي طلب منه أن يُنشِده شعراً يطربُّ له . فأنشده :

وإني لتعروني لذكراكِ نَفْضَةٌ      كما انتفضَ العصفورُ بِلَلَّةِ القَطْرِ  
فياحبُّها زمني جوى كلِّ ليلةٍ      ويأسلوهُ الأيامُ موعداً الحشرُ  
هجرتكِ حتى قيل لا يعرفُ الهوى      وزرتكِ حتى قيل ليس به صبرُ

فاستطابه جداً وأعطاه سبع بدير (٣٦) . وقال الأصمعيُّ : « كنت عند الرشيد ، فدخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فقال : أنشدني من شعرك ، فأنشده :

وأمره بالبخل قلتُ لها اقصري      فليس إلى ما تأمرين سبيلُ  
أرى الناسَ خلانَ الجوادِ ولا أرى      بخيلاً له في العالمين خليلُ  
ومن خيرِ حالاتِ الفتى لو علمته      إذا نال شيئاً أن يكون منيلُ  
فعالي فعالُ الكثيرين تحملاً      ومالي كما تعلمين قليلُ  
وكيف أخافُ الفقرَ أو أحرِمُ الغنى      ورأيي أمير المؤمنين جميلُ ؟

فقال الرشيد : يا فضلُ ، أعطه عشرين ألف درهم . ثم قال : لله أبيات تأتينا بها يا إسحاق ما أتقن أصولها ، وأبين فضولها . وأقل فضولها : فقال : والله : يا أمير المؤمنين ، لا قبلتُ منها درهماً واحداً قال ، ولم ؟ قال : لأنَّ كلامك ، والله ، خيرٌ من شعري : فقال : يا فضلُ ، ادفعْ إليه أربعين ألفاً . قال الأصمعيُّ : فعلمتُ أنه أُصيدَ لدراهم الملوك مني (٣٧) . »

لقد أصبحت مجالس الخلفاء مُنتدى الأدباء . وملتقى الظرفاء . يأتونها من كل مكان طلباً للمال والجاه ، أو التمتع بملذات الحياة أو المشاهدة ورؤية معالم الحضارة في ظل الدولة الجديدة .

( ٢٥ ) جمع الجواهر ص ١٠٤ .

( ٣٦ ) مختصر التاريخ ص ١٢١ . والأبيات الشعرية لأبي صخر الهذلي ( الاغانى ٢٤ ، ١٢٢ ) .

البذر ، جمع بكرة . وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم .

( ٣٧ ) زهر الادب ٢ ، ١٠١٤ .

إن الحضارة دخلت كل جانب من جوانب الحياة آنذاك ، في النظم والتقاليد ، وفي مجالس الطرب والغناء ، وفي بناء الدور والقصور ، وفي استخدام وسائل جديدة في الأطعمة والألبسة والفرش والأثاث وأدوات الزينة والترف ، كل هذه الأمور قادت الشعراء الى النظم في موضوعات جديدة لم تكن مألوفة أو معروفة من قبل ، اضافة الى مظاهر الطبيعة الخلابة من أنهار وأشجار وأزهار وأثمار وأطياف ... فإنها فسحت للشعراء ، ولا سيما شعراء الوصف ، المجال الرحب لتقديم قصائد ومقطوعات رائعة ، مصاغة بأسلوب جذاب ، متدفق من خيال خصب وقريحة معطاءة

ومن عوامل ازدهار الأدب الحرية الواسعة التي وجدها الشعراء في ساحة النظم ، فإنهم أطلقوا عنان خيالهم في كل شيء دون خوف أو وجل أو استحياء ، معبرين عن عواطفهم ومشاعرهم بما يملئ عليهم الجو الذي كانوا يعيشون فيه .

وهذه الحرية - وان دفعت الشعراء الى الاكثار من النظم - أدت الى ظهور تيارات شعرية بعيدة عن الخلق العربي الأصيل والتربية الاسلامية النقية . ومن يرجع الى المصادر الأدبية يجد شعراً جماً في المجون والدعوة الى التحلل والانسياق وراء اللذة والمتعة والقصف في مجالس الجواني والغلمان ، اضافة الى تيار الشعوبية الذي كاد يعبث بالمجتمع العباسي لولا وقوف الخلفاء وشرفاء القوم بوجهها جميعاً ومحاربتها وابطال دعواتها .

ان العصر العباسي زاخر بمعطائه الفكري ، وسوف نحاول أن نظهر جوانبه المشرقة التي تعد مفخرةً للأجيال السابقة واللاحقة .

كل أحد جديد

خطاً سدير

## العصر العباسي الأول

١٢٢ - ٢٢٤ هـ

شهدت الحياة الأدبية في العصر العباسي تقدماً ملحوظاً ، ولاسيما بعد التوسع الحضاري وانتشار الثقافة الاسلامية في أوساط واسعة من المجتمع ، وانفتاح الخلق على عوالم جديدة من المعرفة .

وكان الشعر - وهو ديوان العرب - العصب النابض في قلب المجتمع العباسي ، والمرأة الصادقة التي انعكست عليها صور الحياة وأحداثها ، والدفتر الأمين الذي قُيدت فيه أفكار الناس وأخيلتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم .

وقد كثر نظم الشعر في هذا العصر وازداد عدد الشعراء زيادةً لانجد لها نظيراً في أي عصر آخر (٢٨) . أما الفنون الشعرية فتكاد تكون نفسها ، وإن دخلها التطوير بحكم الحياة الجديدة ، فنلقى المديح والفخر والهجاء والثناء ، كما نلقى الغزل والخمریات والوصف والطرده والشكوى والعتاب والاستغفاف ... وقد استجدت جوانب جديدة لها صلة بالموضوعات السابقة ، أو أنها توليد لها وتجديد .

١ التجديد في الموضوعات الشعرية

### الموضوعات الشعرية :

المديح :

يعد المديح من أبرز الفنون الشعرية منذ عصر ما قبل الإسلام ، وهو يشكل القسم الأوفى في نتاج الشعراء ، وقد نشأ في بادئ الأمر إعجاباً بالفضائل العربية مثل ، السماحة ، والكرم ، والحلم ، والمروءة ، والعفة ، والاباء ، والشمس ، والعدل ، والقوة ، والشجاعة ، وما الى ذلك من الصفات الحميدة . ثم أضيف اليها صفات أخرى مستمدة من القيم والمثل الاسلامية ، مثل : التقوى ، والورع ، والتواضع ، والوقار ، وخفض الجناح .. وظلّت هذه الفضائل والمحامد ترد في شعر المديح في عصر بني امية ، وأن تحول فريق من الشعراء في مديحهم لخدمة أغراضهم الخاصة وفريق آخر لخدمة أحزابهم السياسية وترويج ماعند هذه الأحزاب من مبادئ وأفكار .

( ٢٨ ) ينظر في الادب العباسي للدكتور علي الزبيدي ص ٢٢ - ٢٢ .

ولما جاء العباسيون فتحوا الأبواب على مصاريعها للشعراء المتأحين ليدخلوها .  
 مدافعين عنهم . ورأى الخوصم . فجاءوا مسرعين زرافات ووحدانا . يتغنّون بعظمتهم  
 وقوة سلطانهم . ويُضِفون عليهم تلك الفضائل التي توارثوها عن السلف . وقد طرب  
 الخلفاء لهم . واستأنسوا بهم وخلعوا عليهم . وحضوهم بالأموال . من ذلك ما يروى  
 أن « الربيع حاجب المنصور قال : قلت يوماً للمنصور : أن الشعراء بيباك وهم  
 كثيرون طالبت أيامهم . ونفدت نفثهم . قال : اخرج إليهم فاقراً عليهم السلام .  
 وقل لهم . من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد . فانما هو كلب من الكلاب . ولا  
 بالحية . فانما هي ذؤيبة تأكل التراب . ولا بالجبل فانما هو حجر أصم . ولا  
 بالبحر فانما هو غطاميط (٢٩) لجب . ومن ليس في شعره هذا فليدخل ومن كان في  
 شعره فليصرف . فانصرفوا كلهم إلا ابراهيم بن هرمة . فأنه قال له : أنا (٣٠)

ياربيع . فأدخلني . فأدخله . فلما مثل بين يديه . قال المنصور ياربيع . قد علمت أنه  
 لا يجيبك أحد غيره . هات يا ابن هرمة . فأنشده قصيدته التي يقول فيها .

له لحظات عن حفاقي سريره	إذا كُرّها فسيها عذاب ونائل
لهم طينة بيضاء من آل هاشم	إذا اسودّ من كوم التراب القبائل
إذا ما أبى شيئاً مضى كالذي أبى	وإن قال إنّي فاعلٌ فهو فاعلٌ

فقال . حسبك . هاهنا بلغت . هذا عين الشعر . قد أمرت لك بخمسة آلاف  
 درهم . (٣١) . ومما يروى أيضاً أن حماد عجرد دخل على أبي جعفر المنصور بعد  
 موت أبي العباس أخيه فأنشده .

أتوك بعد أبي العباس إذ بانا يا أكرم الناس أعراقاً وعـيـدانا  
 لو مَجَّ عودٌ على قومٍ عَصَارَتِهِ لَمَجَّ عودُكَ فينا الشَّهْدُ والبانـا

فأمر له بخمسة آلاف درهم (٣٢) . ويكمل الشاعر الحسين بن مطير الأسدي الفضائل  
 والمحامد للخليفة المهدي ويجعله عظيماً ماجداً أديباً قائداً بطلاً . فيقول (٣٣) .

( ٢٩ ) غطاميط ، عظيم الامواج

( ٤٠ ) العقد الفرید ١ ، ٢٢٠ . وبنظر دهوان ابراهيم بن هرمة ص ١٦٦

( ٤١ ) العقد الفرید ١ ، ٢٦٦ .

( ٤٢ ) شعر الحسين بن مطير الاسدي ص ٣٢ .

فتى هو من غير التخلق ماجد  
علا خلقه خلق الرجال وخلقه  
إذا شاهد القواد سار أمامهم  
وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابة  
ومن غير تأديب الرجال أديب  
إذا ضاق أخلاق الرجال رحيب  
جری على ما يستقون وثوب  
بها يقهر الأعداد حين يغيب

يعف ويستحي إذا كان خالياً كما عف واستحيا بحيث رقيب  
وهكذا تقبل الخلفاء هذه النموت، واستحسنوها، وعلوها جزءاً من مآثرهم التي  
ورثوها عن آبائهم، وحبدوا أن تشيع بين الناس، وأن تدون في بطون الكتب. وإذا  
رجعنا الى القصائد المدحية في هذا العصر، ودققنا النظر في شكلها نجد بعضاً منها  
لازال يمتد بالمرور القديم في الوقوف على الأطلال، وذكر عهد الهوى، ووصف  
معاناة الرحلة. ومثال على ذلك قصيدة علي بن الجهم في مدح الخليفة المعتمد، منها  
قوله (١٣):

قفوا خيوا الديار فإن خلقاً علينا أن نحیی بالسلام  
حرآم أن تخطأها المطايا ولم نذرف من الدمع السجام

وبعد وصف متاعب السفر، ومكابدة الناقة لمشفة الطريق، يتخلص الى المدح،  
مبيناً شجاعة الخليفة وشهامته وقدرته على توفير الأمن وتثبيت عرى الإسلام.

وأنت خليفة الله المعلى على الخلفاء بالنعم المعظام  
ليهنك يا أبا اسحاق ملك يجل عن المفاجر والمسامي (١٤)  
لسيفك دانت الدنيا وشدت عرى الإسلام من بعد انقسام

ومما يلاحظ أن هذا النظام في بناء القصيدة ولاسيما المقدمة الطللية قد أصابه  
شيء من التجديد « سواء من الناحية الموضوعية أم من الناحية الفنية، فهي من  
الناحية الموضوعية لم تعد أوعية تسكب فيها الدموع حسرة على المنازل الدائرة وعهود  
الحب الضائعة فحسب. بل تحولت أيضاً عند بعضهم الى منابر يعلنون من فوقها

(١٣) ديوان علي بن الجهم ص ٤٠.

(١٤) أهر اسحاق، كنية المعتمد.



أراءهم في الحياة ، سائرين في نفس الطريق التي مهّدها بعض الشعراء الأمويين قبلهم من أمثال ذي الرمة والقطامي والعجاج ، فما يُصيبها من الاقفار والتغير يصيب الكائنات كلها ، فلا داعي للحزن ، ولا مجال للأسف ، لأنّ كلّ شيء مصيره الى بلى وفناء . غير أنها لم تتحول على كل حال الى قالب فلسفي ، إنما هي نظرات جزئية توصلا إليها وبشوها فيها . ونجتزئ بهذه الأبيات التي استهل بها بشار أرجوزته البائية في مدح عقبة بن سلم ، فانه ضمنها فنونا من هذه المعاني التي أشرنا إليها . يقول (١٥)

يادارُ بين الفرع والجَنابِ      عفا عليها عُقْبُ الأحقابِ  
قد ذهبَت والعيشُ للذهابِ      لما عرفناها على الخرابِ  
ناديتُ هل أسمع من جوابِ      وما بدار الحي من كُرَابِ (١٦)  
إلا مطايا المِرْجَلِ الصَّخَابِ      وملعبُ الأحبابِ والأحبابِ (١٧)  
فانقلبَت والدهرُ ذو انقلابِ      ما أقربَ العامر من الخرابِ

فهو لا يكتفي بتجديد موقع المنزل ، ولا بتعداد بعض بقاياها ، ولا بسؤاله له واستعجابه عليه . بل يذهب أيضاً الى أن ما أفناه هو تعاقب الأيام والليالي عليه ، كما يخرج الحديث عن دثوره وتغير آثاره بالحديث عن الدهر والحياة ، فاذا كان قد بلى فإن الحياة نفسها مصيرها الى الفناء والزوال ، واذا كان قد تغير فالأيام لاتدوم على حال بل تتبدل من حال الى حال « (١٨) »

وهناك شعراء أهملوا وصف الاطلال والناقة والرحلة . واستعاضوا عنها بالفزل كما نرى في مديح مروان بن أبي حفصة لمعن بن زائدة ، والخليفة المهدي الذي يقول فيه القصيدة التي مطلعها : (١٩) :

طرقَتِكَ زائرةٌ فحَيَّ خيالها      بيضاء تَخْلِطُ بالحياء دلالها  
قادتُ فؤادك فاستَفَادَ ومِثْلُها      قادَ القلوب الى الصبا فأمالها

( ١٥ ) ديوان بشار بن برد ١٠١ ، ١٤٠

( ١٦ ) من كراب ، من أحد .

( ١٧ ) الصخاب ، كثير الغليان .

( ١٨ ) مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ص ٢٢ .

( ١٩ ) ديوان مروان بن أبي حفصة ص ٩٦ .

ومنهم من لم يلتفت الى الطلول ولا الى جمال الحبيبة والتغزل بها ، بل جعل  
 الخمرة فاتحةً لقصيدته المدحية ، وهذا اللون من الافتتاحية نجده عند شعراء  
 كثيرين أمثال علي بن جبلة الملقب بالعمكوك (٥٠) ، وأشجع السلمي (٥١) ، وعبد الله  
 بن عبد الحميد اللاحقي (٥٢) ، ومحمد بن وهيب الحميري (٥٣) ، ومسلم بن الوليد  
 الذي يقول في احدى قصائده في مدح الخليفة هارون الرشيد: (٥٤)

هات اسقني طال به الحبس من قهوة بائعها وكُن  
 زقية الدار رصافيةً أغلى بها الشَّماسُ والسُّقْسُ  
 كأنها في الكأس يا قوتة وهي إذا ما مُزِحَتْ وزُن  
 في مجلس للقصف ريحانة عينُ المها والبقر اللفس

ومنهم من تحدث عن حالته أو عن وضعه النفسي ، أو عن شيء يُقلقه ويزعجه ،  
 من ذلك مثلاً قول منصور النمرى في مطلع قصيدة يمدح بها الخليفة هارون  
 الرشيد: (٥٥)

يا زائرنا من الخيام يا زائرنا من الخيام  
 لم تطرقانسي وبسي خراك لم تطرقانسي وبسي خراك  
 هيئات للهو والتصابي هيئات للهو والتصابي  
 أقصر جهلي وثاب حلمي أقصر جهلي وثاب حلمي  
 لله حبسي وترب حببي لله حبسي وترب حببي  
 حسيأكما الله بالسلام الى حلال ولا حرام  
 وللفوانسي وللسمدام ونهنه الشيب من غرامي  
 ليلة أعياهما مرامي ليلة أعياهما مرامي

(٥٠) شعر علي بن جبلة الملقب بالعمكوك ص ١١٢ .

(٥١) أخبار الشعراء المحدثين ص ١١٢ . ونظير أشجع السلمي ، حياته وشعره ص ٢٥٥ .

(٥٢) أخبار الشعراء المحدثين ص ٦٦ .

(٥٣) الاغانى ١٩ ، ٧٤ - ٩٦ .

(٥٤) شرح ديوان صريح الفواهي ص ٢٧٩ .

(٥٥) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٧ .

إنَّ التَّأْلَمَ والشَّكَايَةَ مِنَ الضَّعْفِ والهَزَالِ ، وَهَجُومِ الْكِبَرِ ، وَاشْتِعَالِ الرَّأْسِ بِالشَّيْبِ ، وَالْجَزَعِ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَلَوْمِ الدَّهْرِ يَرِدُ بِكَثْرَةٍ فِي مَقَدِّمَاتِ الْقَصَائِدِ كَمَا نَلَاظُهُ مِثْلًا عِنْدَ مِرْوَانَ أَبِي حَفْصَةَ ، وَابِي الشَّيْصِ ، وَالْحُسَيْنِ بْنِ مَطِيرٍ ، وَابْنِ مَنَازِدٍ ، وَالْعُكُوكِ ، وَمَنْصُورِ النَّمِرِيِّ (٥٦) ، وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي هَذَا اللَّوْنِ قَوْلُ أَشْجَعِ السَّلْمِيِّ ، وَهُوَ يَصِفُ آلَامَهُ الَّتِي أَضْحَتْ تَرَاثُفَهُ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ مَاءُ شَبَابِهِ ، وَخَارَتْ قُوَاهُ وَاعْتَلَى الشَّيْبُ مَفْرَقَهُ ، فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ (٥٧)

غَلَبَ الرَّقَادُ عَلَى جَفُونِ الْمُسْعِدِ      وَغَرِقَتْ فِي سَهَرٍ وَلَيْلِ سَرْمَدٍ  
قَدْ جَدَّ بِي سَهْرٌ فَلَمْ أَرْقُدْ لَهُ      وَالنَّوْمُ يَلْعَبُ فِي جَفُونِ الرَّقْدِ  
وَلَطَالَمَا سَهَرْتُ بِحَبِّبِي أَعْيَنَ      أَهْدِي السُّهَادَ لَهَا وَلِمَا تُنْهَدِ  
أَيَّامَ أَرَعَى فِي رِيَاضِ بَطَالَةٍ      وَرَدَ الصَّبَا مِنْهَا الَّذِي لَمْ يُورِدْ  
لَهُوَ يَسَاعِدُهُ الشُّبَابُ وَلَمْ أَجِدْ      بَعْدَ الشُّبُوبَةِ فِي الْهَوَى مِنْ مُسْعِدِ  
مَا لِدَهْرِ إِلَّا النَّاشِئَانِ تَوَالِبَا      يَوْمٌ يَرُوحُ لَنَا وَيَوْمٌ يَفْتَدِي  
فَالْأَمْسَ لَيْسَ بِرَاجِعٍ لَكَ عَهْدُهُ      وَالْيَوْمُ لَيْسَ بِمَدْرِكٍ مَا فِي الْغَدِ

وَمِنَ الْمَقَدِّمَاتِ الَّتِي اسْتَهْوَتْ عِدَدًا مِنَ الشُّعْرَاءِ الْعَبَاسِيِّينَ ، وَصَفَ الطَّبِيعَةَ وَمَا فِيهَا مِنْ مَبَاهِجٍ سِوَاكَ كَانَتْ صَامِتَةً أَوْ مُتَحَرِّكَةً ، وَيَكَادُ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِي يَكُونُ مِنَ الْمُبْرِزِينَ الْاَوَّلِ فِيهِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ الرَّبِيعِ فِي مَقَدِّمَةِ قَصِيدَةٍ مَدَحَ بِهَا الْخَلِيفَةَ الْمَعْتَصِمَ (٥٨)

يَا صَاحِبِي تَقْصُصْ لِي نَظْرِيكَمَا      تَرِيَا وَجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تُصَوِّرُ  
تَرِيَا نَهَارًا مَشْمَسًا قَدْ شَابَهُ      زَهْرُ الرَّبْرِ فَكَانَمَا هُوَ مَقْمَرُ  
دُنْيَا مَعَاشٍ لِلْوَرَى حَتَّى إِذَا      جَلَى الرَّبِيعُ فَانَمَا هِيَ مَنْظَرُ  
أَضْحَتْ تَصَوَّرُ بِطَوْنَهَا لَظْهُورَهَا      نَوْرًا تَكَادُ لَهُ الْقُلُوبُ تَنْوُرُ

بِهَذَا الْأَسْلُوبِ الرَّائِعِ الْمَمْتَعِ يَسْتَرْسِلُ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الرَّبِيعِ ، وَيَقْدِّمُ لَوْحَةً جَمِيلَةً لِلطَّبِيعَةِ الزَّاهِيَةِ الضَّاحِكَةِ الَّتِي تَمَلُّ الْقُلُوبَ بِهَجَّةٍ وَمِسْرَةٍ ، وَيَزَاجُ بَيْنَ هَذَا الْبَهَاءِ وَالصَّفَاءِ وَالْعَطَاءِ لِلطَّبِيعَةِ وَبَيْنَ كَرَمِ الْخَلِيفَةِ وَجُودِهِ .

(٥٦) طبقات الشعراء لابن المعتز ، الصفحات ٤٩ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٧٤ ، ٢٤٨ .

(٥٧) أخبار الشعراء المحدثين ص ٩٥ .

(٥٨) ديوان أبي تمام ٢ ، ١٩٤ .

نستشف من الشواهد السابقة أن الأسلوب في القصيدة المدحية أصبح يتراوح بين الجزالة والسهولة، والقوة والليونة، يضاف الى ذلك أن الأوزان أصبحت طويلة وقصيرةا - قوالب لهذا الفن « مع ان قصائد المديح بالذات كان أساسها في العصر الجاهلي والإسلامي أيضاً الجزالة والفخامة وقوة أسر الألفاظ وطول البحر الشعري، ليتلاءم مع جزالة الألفاظ وفخامة التعبير، حتى إننا لو نظرنا في قصائد المديح قبل القرن الثاني لوجدنا غالبيتها في بحري الطويل والبسيط لانهما يحققان الغاية المتبغاة من شعر المديح» (١٠)

ومما يلاحظ في موضوع المديح في العصر العباسي المبالغة المفرطة التي تصل أحياناً الى حد مُستهجن، مثل قول الحسين بن مطير الأسدي، فقد رفع المهدي فيه عن البشر، وكاد ينزله بمنزلة الخالق، فهو أطهر الناس، وأولاهم بالتقديس وأوسعهم كرمًا، بل من نوره تتغير الألوان، ومن تلالؤ وجهه يتألق وجه الأرض ومن يده تدب الحياة في الأعواد اليابسة: (١١)

لو يُعبدُ الناسُ يامهديّ أفضلهم ماكان في الناس إلا أنت معبودُ  
أضحتَ يمينك من جود مصورة لابل يمينك منها صوّر الجود  
لو أن من نوره مثقال خردلة في السود طراً إذن لايبضت السود  
من حسن وجهك تضحى الأرض مشرقاً ومن بنائك يجزي الماء في العود (١١)

ومن المبالغة أيضاً قول أبي نواس في هارون الرشيد: (١٢)

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق  
وقوله: (١٢)  
كيف لايدنيك من أمل من رسول الله من نُسفرة

(١٠) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٣٧٢.

(١١) شعر الحسين بن مطير الاسدي ص ٤٨ وينظر الشعراء من مخضر من الدولتين الاموية والعباسية ص ٢٩٧.

(١٢) في البيت إلقاء.

(١٣) ديوان أبي نواس ص ٤٠١.

(١٤) ديوان أبي نواس ص ٤٢٠.

وقد علّق المبردُ على هذا البيت بقوله : « وهو لعمرى كلامٌ مستهجنٌ موضوع في غير موضعه ، لأنَّ حقَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أن يُضافَ إليه ولا يُضاف إلى غيره » (٦١) وثمة ألوانٌ جديدةٌ في المديح ، استحسِن الشعراءُ النظمَ فيها ، منها مدح المدن ، وبيان محاسنها ، وتعداد فضائلها ومآثرها ، وما فيها من ساحات وأبنية وجوامع ورُبى وأنهار وبساتين ... وقد حظيت الكوفةُ وبغدادُ والبصرةُ بكثيرٍ من هذا الشعر ، ولاسيما بغداد ، لأنها أُمُّ الدنيا ، وموطنُ الملِكِ ، ومحطُ الأنظارِ ، ومأوى الشعراء والأدباء ، ولا عجبَ إذا قال عمارَةُ بن عَقِيل في مدحها : (٦٢)

أعابنتَ في طولٍ مِنَ الأرضِ والعَرْضِ كِبغدادَ داراً إِنَّها جَنَّةُ الأرضِ  
صفا العيشِ في بَغدادَ واخضرُ عودُهُ وعيشُ سِواها غيرُ صافٍ ولا غَضٍ  
وشاعَ بين العبادِ والزهادِ والمتصوفةِ مديحُ الله سبحانه وتعالى ، مستغنين به عن مدح العباد (٦٣) ، فإنهم وجدوه خيرَ ناصرٍ لهم ومعينٍ على حوادث الدهر وصروفه ، وأنه يغنيهم من الوقوفِ على أبواب الخلفاء ، وارقةِ ماء الوجه على موائد الأغنياء ، مثل قول عبد الخالق بن عبد الواحد الانصاري : (٦٤)

امتدحتُ الغنيَّ عن مدحِ النَّا سِ بِصَدَقِ المَدِيحِ والإحْكامِ  
بِكلامِ أشادَ إعظامه النَّا سِ وقالوا : قُلْ يا صَدوقَ الكلامِ  
فرجوتُ النجاةَ من كِبوةِ النَّا سِ وفوزاً بالدارِ دارِ المِـــقامِ  
رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي فَأُفْرِطُ تِ وَأَنْتَ الْغَفُورُ لِلظُّلَمِ  
فَاعْفُ عَنِّي يا مالِكَ العَفْوِ واغْفِرْ لِي رَكوبِي هَوْلَ الذُّنُوبِ العِظامِ  
كَذَبَ العاذِلُونَ بِاللَّهِ ، ما لِلـ بِه نَدٌّ وَمالُهُ مِنْ مُسامِ

أما المديح النبوي في هذا العصر فكان نادراً جداً ، وقد وقفتُ على قصيدة طويلة للامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ( ت ١٥٠ هـ ) مطلعها : (٦٥)

(٦٤) الكامل ٢ : ١٧ .

(٦٥) تاريخ بغداد ٦ : ٦٨ ، بغداد مدينة السلام ص ٩٠ .

(٦٦) بنظر التيار الاسلامي في عصر العصر العباسي الأول ص ٤٨٢ - ٥١٢ .

(٦٧) الورلة ص ٩٠ .

(٦٨) السمو الروحي في الأدب الصوفي ص ٤٢٦ .

ياسيد السَّيَادَاتِ جئْتُكَ قاصداً أرجو رضاك واحتمى بحماكا  
ذكر فيها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته ومعجزاته ، ويبدو واضحاً ان  
المتأخرين قد تأثروا بها ، خاصة الإمام البوصيري الذي اشتهر بنظم المدايح النبوية  
في القرن السابع للهجرة .

وتجدر الإشارة إلى ان شعر المديح حوى حكماً وأمثالاً كثيرة ، أطلقها الشعراء  
ترسيخاً لأقوالهم وتوطيداً لتعليلاتهم ، وقد اشتهر بها أبو تمام ، وبلغت القمة عند  
أبي الطيب المتنبى من بعد . من ذلك قول أبي تمام من قصيدة مدح بها أحمد بن  
أبي دؤاد : (٦٩)

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويّت أتاخ لها لسان حوسد  
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عزف العود

وقال في قصيدة مدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني :  
وليس يجلي الكرب رُمح مُسدّد إذا هو لم يؤنس برأي مُسدّد

### الهجاء :

الهجاء فن أدبي قديم رافق المديح منذ عصر ما قبل الإسلام ، وكان أول أمره  
يدور على التعبير بوضاعة النسب ، والبخل ، والفقر ، والقعود عن الغزو ، والتقصير في  
حماية الجار ، والمعجز عن أخذ الثأر ، والانحزام في الحرب ، والاستسلام للأعداء ،  
واستساعة الظلم (٧٠) . ولما أطل الإسلام وأشرق نوره على الناس قُبِحَ الهجاء ، وعُدَّ  
إثماً ، فقد زوي عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : « من قال في الإسلام هجاء  
مقذعاً فلسانه هذّر » (٧١) . ولذلك قُتِرَ هذا الفن في عصر صدر الإسلام ، ولكنه نما  
وزاد شرره في العصر الأموي ، وأخذ يتناول المثالب والمعايب ، واحترفه شعراء

(٦٩) ديوان أبي تمام ١ ، ٢٩٧ .

(٧٠) الهجاء والهجاءون في الجاهلية ص ٨٢ .

(٧١) المصدا ١٧ ، ٢ لم أجد الحديث في الكتب الستة ولا في غيرها من الكتب ، ينظر : المعجم

المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لولسلك



النقائض احترافاً، وأصبحت القبائل « تحتشد في المزبد وفي الكناسة حول الشعراء يستمعون منهم إلى ما ينشدونه في الهجاء، وكأنهم وجدوا في ذلك لهواً لهم وتسلية ». (٣١) وقل الإقبال عليها. أي النقائض. في العصر العباسي الأول، وأصبحت مقتصرة على شعراء قلائل مثل ابن ميادة، والحكم الخصري، وعبدالرحمن بن جهم الأسدي. (٣٢)

إن حجم الهجاء في العصر العباسي الأول كبير، وقد تنوعت موضوعاته، واختلفت اتجاهاته، والكثير منه كان شخصياً يدفعه الحقد والغضب والحسد والانتقام. من ذلك مثلاً أن بشار بن برد هجا العباس بن محمد بن العباس، والي الجريرة لأخيه المنصور، لأنه بخل عليه ولم يسعفه بالمال، (٣٣)

ظَلَّ اليسارَ على العباسِ ممدودٌ      وقلبه أبداً بالبخلِ معقودٌ  
إنَّ الكريمَ ليخفي عنكَ عسرتَهُ      حتى تراه غنياً وهو مجهودٌ  
وللبخيلِ على أموالِهِ عِلَلٌ      زرقُ العيونِ عليها أوجهُ سودٌ  
إذا تكرهتَ أنْ تعطِيَ القليلَ ولم      تقدِرْ على سعةٍ لم يظهرِ الجودُ  
بثَّ النوالِ ولا تمنعكَ قلتهُ      فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمودٌ

فهو لم يكتفِ بتعنيفه على الشح وحجب المال عن المقبلين عليه، بل ينصحه بإعانة الفقراء والمحتاجين وإن كانت الإعانة قليلة، فهي تكسبه حمداً وشكراً.

ويلاحظ أحياناً في الهجاء الشخصي روح الاستخفاف والتهوين والتحقير، فالتقاريء لشعر حماد عجرد في بشار بن برد يلمس ذلك، يقول مثلاً، (٣٤)

وأعمى يشبه القِرْدَ      إذا ما عمى القِرْدُ  
دنيءٌ      لم يُرَخَّ يوماً  
ولم يحضرْ مع الخُضَا      ر في خيرٍ ولم يَبْدُ  
ولم يُخَشَّ له ذمٌ      ولم يُرَخَّ له حمدٌ  
هو الكلْبُ إذا ما ما      ت لم يوجدْ له فقدُ

(٣٢) التطور والتجديد في الشعر الأموي ص ١٧٨.

(٣٣) الأغاني ٢، ٢٦٢، ٢٢٢.

(٣٤) ديوانه ٢، ١٢٧.

(٣٥) الأغاني ١٤، ٣٢٩.

فلما سمع بشار هذا الشعر بكى ، فقال له قائل ، أتبكي من هجاء حمّاد ؟ فقال ، والله ما أبكي من هجائه ، ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه ، فيصفني ولا أصفه .

إنّ روح السخرية المريرة المتأتية من الكراهية المقيتة ، والحسد ، وهو داء قاتل كما يقال تؤذي كثيراً ، وتؤدي إلى عواقب وخيمة ، ولعل أصدق مثال على ذلك قصيدة أبان الألاحقي في هجاء جار له اسمه محمد بن خالد بن عمار الثقفي تزوج من فتاة اسمها عمارة بنت عبدالرحمن الثقفي طمعاً ، وكانت كثيرة المال ، قال :

لما رأيتُ البَرْ والشارَ والفَرْشَ قد ضاقت به الحازة  
واللُّوزَ والسكرَ يرمى به من فوق ذي الدار وذي الدارة  
وأحضروا الملهين لم يتركوا طَبلاً ولا صاحبَ زَمارة  
قلتُ : لماذا؟ قيلَ : أعجوبة محمد زُوجَ عَمارة  
لا غمّر الله بها بيتَ ولا رأتَه مُدركاً ثارة

وثمة أبيات يحرض فيها على التخلي عنه والنجاة منه بالهرب . وقد أفلح - كما يبدو - بهذه الفتنة . يقول الصولي ، فلما سمعتُ عمارة هذه بشعره هربتُ » . (٧١) وشبيه بهذا - وإن اختلفت صورة المرأة - ما جرى لحماة عجرد ، فإن مطيع بن إياس هجاه بهذه الأبيات مُستنقراً خليلته « ظبية الوادي » على تركه .

ألا ياظبية الوادي وذات الجسد الراد  
وزين المصير والدار وزين الحسي والنادي  
وذات الميسم السعدب وذات الميسم البادي  
أما بالله تستحيين من من خُسله حماد  
فحماد فتنى ليس بذي عز فتننقادي  
فستوبسي واتسقي الله وبتي خبل جراد

قيل أخذها حكم الوادي فغنى بها ، فلم يبق بالكوفة سقاء ولا طحان ولا مكار  
إلا غنى فيها ... وحينما علم حماد بالخبر قال له : قتلتنى قتلك الله . (٧١)

ويأخذ الهجاء أحياناً طابع المزاج والظرف ، من ذلك بيتان قالهما الحسين بن  
الضحاك في مغنية كان قد عبث بها مرة ، فصاحت عليه واستخفت به ، فأراد أن  
يضحك الجالسين عليها ، ويجعلها موضع سخريتهم فقال : (٧٢)

لها في وجهها عُكْنٌ      وُلِّثا وجهها ذَقْنٌ  
وأسنانٌ كريش البط      بين أصولها عُفْنٌ

وبكت الجارية لذلك بكاء مرأ ، وشاع البيتان ، فكسدت من أجلهما ، وكانت  
إذا حضرت في موضع أنشدوا البيتين فُتَجْنُ ، ثم هربت من سر من رأى فما عُرِفَ لها  
بعد ذلك خبر . والواقع أن في هذين البيتين هجاء قاسياً ، ولا سيما أنها جارية مغنية  
جُلَّ عملها في مجالس الطرب واللهو .

ومن العجب أن بعض الشعراء سلطوا هجاءهم على أنفسهم ، وعلى الناس من  
حولهم ، أقارب كانوا ، أو زوجات ، أو بنات ، أو آباء ، أو أصدقاء ، أو قضاة ، أو  
علماء ، أو وزراء ، أو خلفاء ، أو مُتَدِينِينَ ، أو مُقِنِينَ ، إما تعابثاً وتظرفاً جرياً وراء  
النادرة المسلية ، والنكتة البارعة ، أو انتقاماً لأنفسهم ، وإيلاً لمنافسيهم . (٧٣) فهذا أبو  
ذلامة يهجو نفسه ليضحك المهدي بقوله : (٨٠)

ألا أبلغ إليك أبا ذلامة      فليس من الكرام ولا كرامة  
إذا ليس العمامة كان قرداً      وخنزيراً إذا نزع العمامة  
جمعت دمامة وجمعت لؤماً      كذاك اللؤم تتبعه الدمامة

(٧٧) الأغاني ١٣ ، ٢٨٢ .

(٧٨) الأغاني ١٧ ، ٢٢٤ ، الحسين بن الضحاك ، حياته وشعره ص ١٩٧ .

(٧٩) بنظر الشعراء من مظهرى الدولتين الأموية والعباسية ص ٣٣٨ - ٣٥٢ .

(٨٠) طبقات الشعراء ص ٥٧ ، الأغاني ١٠ ، ٢٥٨ ، جمع الجواهر ص ١١١ .

ونلاحظ ابن أبي الزوائد يهجو زوجته لأنه ملها وأبغضها. (٨١) ونرى مطيع بن إياس هاجياً أباه، متهملاً به، ومحترماً له. (٨٢) ونجد بشاراً بن برد يهجو يعقوب بن داود وزير المهدي متهماً إياه بالغرور والكبر. (٨٣) ويجتريء على الخليفة نفسه،

ولا يتورع عن هجائه بأقذع الألفاظ وأشنع السياب متهماً له بالفجور والغفلة (٨٤). وكان أبو نعامه محمد بن الدقيقي خبيث اللسان، استفرغ شعره في الهجاء. وله قصيدة مزدوجة باسم « السنيّة » ذكر فيها جميع رؤساء الدولة في أيام المتوكل من أهل سُرّ من رأى وبغداد ورماهم بالقبائح. (٨٥) وقد أخفى عدد من الشعراء الذين هجوا الخلفاء أسماءهم خشية العقاب والبطش. ومثال على ذلك الأبيات الآتية التي نظمها أحد الشعراء المجهولين في هجاء الأمين؛ لأنه بايع لابنه الصغير موسى: (٨٦)

أضاع السخافة غشّ الوزير	وفسّق الإمام وجهل المشير
ففضل وزير، وبكر مشير	يريدان ما فيه حتف الأمير
وما ذاك إلا طريق غرور	وشر المسالك طرُق الغرور
وأعجب من ذا وذا أننا	نبايع للطفل فينا الصغير

إن سهولة الألفاظ وبساطة التعبير والميل إلى الشعبية يغلب على فن الهجاء في هذا العصر، إضافة إلى أنه انماز بمقطوعات أو قصائد ليست طويلة منظومة في بحور قصيرة أو مجزوءة.

وكان للنشاط الشعبي في العصر العباسي الأول دور كبير في بروز نوع من الهجاء عند عدد من الشعراء، تعصبوا على العرب، وتناولوا عليهم، وتغنوا بمجدهم الساساني، وكان على رأسهم الشاعر الأعمى بشار بن برد بن يرجوخ الذي تنكّر لنعمة العرب وغض من شأنهم وحنّ من قدرهم بأسلوب ساخر حتى عدّ أخطر شاعر.

(٨١) الأذهاني ١٤، ١٢٨.

(٨٢) الأذهاني ١٢، ٣٢٢.

(٨٣) ديوانه ٢، ٩٢.

(٨٤) الأذهاني ٢، ٢٤٢.

(٨٥) معجم الشعراء ص ٣٩٥.

(٨٦) تاريخ الطبري ١٠، ١٤٢.

أوقد نار الشعوبية . وهناك شعراء آخرون شاركوا في هذا الهجاء الخبيث ، منهم أبو نواس ، وأبان اللاحقي ، وأبو عبدالرحمن الهيثم بن عدي ، وعلى بن خليل ، وإبراهيم بن ممشاذ ، وسنتحدث عن شعرهم في فقرة لاحقة .

## الرثاء :

الرثاء فن أدبي يُعَبَّرُ عن الألم والتوجع والتأسف ، وهو باصطلاح أهل اللغة بكاء الميت ، وتعدادُ حسناته ، وتمجيدُ صفاته ومناقبه بالشعر والنثر ، وقد عُرِفَ الرثاء منذ عصر ما قبل الإسلام « إذ كان النساء والرجال جميعاً يندبون الموتى ، كما كانوا يقفون على قبورهم مؤبنين لهم مثنين على خصالهم ، وقد يخلطون ذلك بالتفكير في مأساة الحياة وبيان عجز الإنسان وضعفه أمام الموت ، وإن ذلك مصيرٌ محتوم » . ( ٨٧ )

والرثاء من الموضوعات القرية إلى النفس ، وهو يُشكِّلُ ديواناً كبيراً في أدبنا العربي ، وكان للشعراء العباسيين نصيبٌ وافرٌ فيه ، إذ نجدهم قد رثوا خلفاءهم وولاتهم ووزراءهم وقوادهم ، ورثوا مدنهم التي نزلت بها الكوارث ، ورثوا حيواناتهم المستأنسة ، وطيورهم الصادحة ، حتى رثى بعضهم شبابه ونفسه وعضواً ذهب من جسده ... إنهم جادوا بدموع غزيرة على كل شيء عزيز عندهم وأثير لديهم بمقطوعات وقصائد مستقلة قائمة بذاتها .

لقد حظي الخلفاء بقسط من شعر الرثاء ، وأول خليفة بكاه الشعراء هو أبو العباس السفاح ، وكان أبو ذلامة نديمه المحبوب ؛ لذلك كثر نحيبه عليه ، وأُثِنَ بقصائد كثيرة ، أثنى فيها على سياسته وأخلاقه وصفاته ، وذكر خسارة الأمة برحيله . من ذلك قوله : ( ٨٨ )

( ٨٧ ) الرثاء للدكتور شوقي ضيف ص ٧ .

( ٨٨ ) جمع الجواهر ص ١٠٨ .

ويلي عليك وويل أهلي كلهم      ويلاً وهولاً في الحياة طويلاً  
 فلتبكين لك النساء بعبرة      وليبكين لك الرجال عويلاً  
 مات الندى إذ ميت يا ابن محمد      فجعلته لك في التراب عديلاً  
 إن أجملوا في الصبر عنك فلم يكن      صبري ولا جلدي عليك جميلاً  
 يجدون منك خلائقاً وأنا امرؤ      لو عشتُ دهري ما وجدت بديلاً  
 وهذا سلّم الخاسر يذرف الدموع      الساخفة على الخليفة المهدي ويشيد بمساعيه  
 الحميدة إبان حكمه: (٨٩)

وباكية على المهدي عبرى      كأن بها وما جئت جنوناً  
 لأن بلبي الخليفة بعد عشر      لقد أبقى مساعي ما بليناً<sup>(٩٠)</sup>  
 سلام الله غداة كـل يوم      على المهدي حين ثوى رهيناً  
 وكان أبو نواس وفياً للخليفة محمد الأمين؛ لأنه تنعم في أيامه، وحظي بلطفه  
 وإحسانه، وحينما قضى نحبه رثاء بشعر صادق منبعث من قلب حزين مرزوء،  
 مثل قوله: (٩١)

ظوى الموت ما بيني وبين محمد      وليس لما تطوي المنية ناشراً  
 وكنت عليه أحذر الموت وحده      فلم يبق لي شيء عليه أحاذراً  
 لأن عمزت دور بمن لا أودّه      فقد عمزت ممن أحب المقابر  
 طواه الموت وأبعده عنه، وكان حذراً عليه، وقد احتفلت به المقابر لأنه عظيم  
 وكريم ومن أسرة نبيلة، وهذه صورة لطيفة صاغتها مخيلة هذا الشاعر الذي كان  
 صاحباً وسميراً للخليفة الأمين.

ومن الشعر الجيد في رثاء القواد قصيدة الحسين بن مطير الأسدي في من بن  
 زائدة الذي اشتهر بجوده وشجاعته، منها قوله: (٩٢)

(٨٩) الرثاء للدكتور شوقي خيف ص ٥٩.

(٩٠) بعد عشر: يشير إلى أنه ولي الخلافة مدة عشر سنوات.

(٩١) ديوانه ص ٨٨١.

(٩٢) شعر الحسين بن مطير الأسدي ص ٦٠.

فيا قبر مَغْنَزٍ. أَنْتِ أَوَّلُ خُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْمَكَارِمِ مُضْجَعًا  
وَيَا قَبْرَ مَغْنَزٍ. كَيْفَ وَارَيْتِ جَوْدَهُ ؟ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبَحْرُ مُنْزَعًا  
بَلَى قَدْ وَسَعَتِ الْجُودُ وَالْجُودُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضُفَّتْ حَتَّى تَصُدَّعَا

قال أبو هلال العسكري مُعَلِّقًا عَلَى هَذِهِ الْقَصِيدَةِ : « إِنَّهَا أُرْثِي مَا قِيلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ  
وَالْإِسْلَامِ » (١٢) . وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ إِنَّهَا « أَعْجَبُ مَا سَمِعْتُ فِي هَذَا الْبَابِ » (١٣) . وَوَصَفَهَا  
ابْنُ خَلِّكَانَ بِأَنَّهَا « مِنْ الْمَرَاثِمِ النَّادِرَةِ » (١٤) . وَمَنْ يُمَعِّنُ النَّظَرَ فِيهَا لَا يَجِدُ شَيْئًا  
جَدِيدًا « يَخْرُجُ عَنْ سَنَنِ الشُّعْرَاءِ الْعَرَبِ فِي الرَّثَاءِ مِنَ الدُّعَاءِ لِلْمَيِّتِ وَقَبْرِهِ بِالسُّقْيَا  
وَالْعَجَبِ لِلْحُفْرَةِ الَّتِي ضُمَّتْ الْمَيِّتُ وَقَدْ كَانَ كَالْبَحْرِ جُودًا وَالْجَبَلِ حِلْمًا وَإِنَّ الْكَرَمَ  
مَاتَ بِمَوْتِهِ وَانْقَطَعَ الْخَيْرُ عَنِ النَّاسِ بَعْدَ ذَهَابِهِ » (١٥) . وَشَارَكَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي  
حَفْصَةَ فِي رِثَاءِ مَغْنَزِ بْنِ زَائِدَةَ . وَتَعَدَّى قَصِيدَتَهُ اللَّامِيَّةَ مِنَ الْقَصَائِدِ الْجَيِّدَةِ فِي بَابِ  
الرِّثَاءِ . إِذْ صَوَّرَ فِيهَا حَزْنَهُ عَلَيْهِ . وَوَجَدَ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَنَجَدَ بِهِ . فَقَدْ خَسِرُوا  
بِمَوْتِهِ الْبَطُولَةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالْبَأْسَ وَالْجُودَ وَالتَّقْوَى وَالْإِخْلَاصَ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ .  
مُطْلَعُهَا : (١٦)

مَضَى لِسَبِيلِهِ مَغْنَزٌ وَأَبْقَى مَكَارِمَ لَنْ تَبِيدَ وَلَنْ تُنَالَا وَمِنْهَا :

وَأُظْلِمَتِ الْعِرَاقُ وَأُورِثَتْهَا وَأُظْلِمَتِ الشَّامُ يَرْجِفُ جَانِبَاهُ  
وَكَادَتْ مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ أَرْضٍ فَمَا شَهِدَ الْوَقَائِعُ مِنْكَ أَمْضَى  
سَيَذْكُرُكَ الْخَلِيفَةُ غَيْرَ قَالٍ لَرَكْنِ الْعِزِّ حِينَ وَهَى فَمَا لَا  
وَمَنْ نَجِدَ تَزُولُ غَدَاةُ زَالَا وَأَكْرَمُ مَحْتَدًا وَأَشَدُّ بَالَا  
إِذَا هُوَ فِي الْأُمُورِ بَلَا الرُّجَالَا

وَلَا يَنْبِي وَقَائِمُكَ الْهَوَاتِي وَمَعْتَرَكًا شَهِدَتْ بِهِ حِفَافًا  
عَلَى أَعْدَائِهِ جُمِلَتْ وَبَالَا وَقَدْ كَرِهَتْ فَوَارِسَةَ الْبِزَالَا

( ١٢ ) ديوان المصطفى ، ٢ ، ١٧٦ .

( ١٣ ) الجامع الكبير ، ص ٩٥ .

( ١٤ ) وفيات الأعيان ، ٥ ، ٢٥٤ .

( ١٥ ) شعر الحسين بن مطير الأسدي ، ص ١٤ .

( ١٦ ) شعر مروان بن أبي حفصة ، ص ٧٩ .

ومن القواد الذين رثاهم الشعراء بقصائد عامرة . محمد بن حُميد الطائي الذي قاتل بابك الخرمي في خلافة المأمون . واستشهد في إحدى المعارك بعد أن أُخِن الجراح في الأعداء ونال منهم كثيراً بسيفه البتار . وكانت قصائد أبي تمام الطائي في رثائه من أجود القصائد وأوفقها في بيان فروسيّة هذا القائد وشهامته وجلده على مصاولة الخصوم . ونضاله وصموده في محاربة الخارجيين على دولة بني العباس . من ذلك قصيدته التي يقول في مطلعها<sup>(٩٨)</sup> :

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدح الأمرُ فليس لعينٍ لم يفضْ مأوها عذراً  
ومنها :  
فتى مات بين الضرب والطعن ميتةً تقوم مقام النصر إذ فاته النصرُ

وما مات حتى مات مضرب سيقه من الضرب واعتلت عليه القنا السُّمُورُ  
ونفسُ تعاف العار حتى كأنه هو الكفر يوم الزرع أو دونه الكفرُ  
فأثبت في مستنقع الموت رجلاً وقال لها من تحت أخمصك الحشرُ<sup>(٩٩)</sup>  
غدا غدوةً والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفأه الأجرُ  
تردّي ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضرُ

هذا البطل المغوار والمقاتل الجسور لم تفتر عزيمة ولم يفر من الحرب . بل بقي يضارب ويجالد بكفاءة عالية ومقدرة فائقة الى ان وقع شهيداً وأمسى من أهل الجنة الذين « يلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق »<sup>(١٠٠)</sup>

وللشعراء العباسيين شعر شجي مؤثر في أبنائهم وأخوانهم وزوجاتهم وأقربائهم . فمن الذين بكوا أبناءهم بشار بن برد . إذ فُجع بموت ابنه الصغير محمد الذي كان كالفضن البانع يتكامل فيه الخير والعون في حياته<sup>(١٠١)</sup> .

( ٩٨ ) ديوانه ١ ، ٧٩ .

( ٩٩ ) الأخص ، باطن القدم .

( ١٠٠ ) سورة الكهف ، الآية ٩١ .

( ١٠١ ) ديوانه ١ ، ٢٥٤ .



أَجَارَتْنا لَا تَجْزَعِي وَأَنْسِيْبِي      أَتَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمَطْلُ نَصِيْبِي  
 بُنِيْ عَلَى رَغْمِي وَسَخْطِي رَزَتْهُ      وَبَدَّلَ أَحْجَاراً وَجَالَ قَلِيْبِ (١٠٣)  
 وَكَانَ كَرِيْحَانِ الْغَصْصِ تَخَالُهُ      دَوَى بَعْدَ إِشْرَاقِ يَسْرُ وَطِيْبِ  
 دَعَتْهُ الْمَنَآيَا فَاسْتَجَابَ لَصَوْتِهَا      فَلِلَّهِ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَمَجِيْبِ !  
 وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ      لَنَا كَافِئاً مِنْ فَارِسٍ وَخَطِيْبِ

ومن جيد الشعر في رثاء الزوجات ، وأشجاء . وأشده تأثيراً وإثارةً ، قول محمد بن عبد الملك الزيات في زوجته التي ماتت وتركت ولداً صغيراً لا يبصر على فراغها (١٠٣) :

أَلَا مَنْ رَأَى الْوَفْدَ الْمَفَارِقَ أُمَةً      بُعَيْدَ الْكَرَى عَيْنَاهُ تَبْتَدِرَانِ  
 رَأَى كُلَّ أُمٍّ وَابْنَهَا غَيْرَ أُمٍّ      يَبْتَائِي تَحْتَ اللَّيْلِ يَنْتَجِيَانِ  
 وَبَاتَ وَحِيداً فِي الْفَرَّاشِ تُجْنُهُ      بَلَابِلُ قَلْبٍ دَائِمِ الْخَفَقَانِ  
 فَلَا تَلْحَانِي إِنْ بَكَيْتُ فَإِنَّمَا      أَدَاوِي بِهَذَا الدَّمْعِ مَاتِرِيَانِ

ومن الشعراء الذين اشتهروا بهذا اللون من الرثاء الحزين ، ذلك الجن الذي قتل زوجته إثر وشاية كاذبة ، وبقي يبكي عليها بشعر صادق يُعَبِّرُ فيه عن مأساته فيها وندمه على الضحية التي ذهبت غدراً وظلماً . قال فيها بعد الندم (١٠٤) :

أَشْفَقْتُ أَنْ يُذَلِّي الزَّمَانُ بَغْدِرِهِ      أَوْ أُبْتَلَى بَعْدَ الْوَصَالِ بِهَجْرِهِ  
 قَمَرٌ أَنَا اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ دَجْنِهِ      لِبَلِيَّتِي وَجَلَوْتُهُ مِنْ خَدْرِهِ  
 فَكُتِلْتُ وَبِهِ عَلَيَّ كَرَامَةٌ      مَلَأَ الْحُشَا وَلَهُ الْفَوَازُ بِأَسْرِهِ  
 عَهْدِي بِهِ مَيِّتًا كَأَحْسَنِ نَائِمٍ      وَالْحَزَنُ يَسْفَحُ عِبْرَتِي فِي نَحْوِهِ  
 لَوْ كَانَ يَدْرِي الْمَيِّتُ مَاذَا بَعْدَهُ      بِالْحَيِّ حُلَّ مَكَانُهُ فِي قَبْرِهِ  
 غُصَصٌ تَكَادُ تَفِيْظُ مِنْهَا نَفْسُهُ      وَتَكَادُ تُخْرِجُ قَلْبَهُ مِنْ صَدْرِهِ

وكذلك . اشتهر أبو حية النميري في بكاء زوجته والنواح عليها حتى استفزع جزءاً كبيراً من شعره في رثائها ، قال ابن المعتز : « وكان أبو حية تزوج ابنة عم له ، فتوفيت عنه ، وكاد يخرج عليها من الدنيا ، وأشعاره الجياد كلها فيها وفي وصفها في

( ١٠٢ ) الجال ، الجالب . القليب في الاصل ، البشر ، والمراد هنا القبر .

( ١٠٣ ) ديوانه ص ٦٧ .

( ١٠٤ ) ديوانه ص ٩٢ .

حياتها ، ومراثيها بعد مماتها ، وما رأيت ذكياً ولا عاقلاً ولا كاتباً ظريفاً إلا وهو يتمثل من شعر النميري بشي «(١٠٠) وللأصدقاء نصيب طيب من الرثاء . يفرض بالوفاء ، ومن بديع ما قيل في هذا اللون قصيدة لابي العتاهية في رثاء صديق له يدعى علياً : (١٠١)

أخ ، طالما سرّنتني ذكره      فقد صرت أشجي لدى فكره  
وقد كنت أغدو الى قصره      فقد صرت أغدو الى قبره  
وبذل بالبسط فرش الثرى      وريح ثرى الأرض من عطره  
أخو سافر ماله أوبة      غريب ، وإن كان في مصره

ومن الضروب الجديدة في فن الرثاء في العصر العباسي بكاء المدن التي أصابها الدمار والخراب ، وذهب سكانها الأبرياء ضحايا . ومن أجود ما قيل في هذا اللون قصائد ومقطوعات عمرو بن عبد الملك الوراق الغنزي (١٠٢) وقصيدة أبي يعقوب اسحاق بن حسان الخريمي في رثاء بغداد بعد الفتنة بين الأمين والمأمون ، وقصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة بعد ثورة الزنج . ان قصيدة الخريمي التي تصور كارثة بغداد بلغت ١٣٥ بيتاً ، وهي سجل حافل لحادثة دامية مروعة ، منها قوله (١٠٣) ،

فإنها أصبحت خلايا من ال      انسان قد أدميت محاجرها  
قفرأ خلاء تعوي الكلاب بها      ينكر منها الرسوم زائرُها  
وأصبح البؤس ما يفارقها      إلها لها والسُرور هاجرُها

أما ابن الرومي فإنه صوّر مأساة البصرة في قصيدة تجاوزت ثمانين بيتاً (١٠٤) ، وهي أيضاً سجل لفاجعة كبيرة حلّت بهذه المدينة العريقة وسنذكرها في ترجمته .

ومن الألوان الجديدة التي ظهرت في العصر العباسي مراثي الطيور الصالحة والحيوانات الأليفة التي اقتناها الناس آنذاك واعتنوا بتربيتها في بيوتهم أو في

( ١٠٥ ) طبقات الشعراء ص ١٤٩ .

( ١٠٦ ) ديوانه ص ٢٠٦ .

( ١٠٧ ) ينظر تاريخ الطبري ٨ ، ٤٥٩ - ٤٧٠ .

( ١٠٨ ) ديوانه ص ٢٧ .

( ١٠٩ ) تنظر دراسات في النص الشعري ، العصر العباسي ص ١٥٢ - ١٦٩ .

محلات خاصة بها(١٣٠) فأبو نواس - مثلاً - رثى كلب صيد لسعته حيّة فمات في أرجورة يَبِينُ فيها حزنه وأساه لفقد سيد الكلاب الذي أغناه عن وسائل الصيد .  
مطلعها(١٣١) :

يابؤس كلبى سيّد الكلابِ قد كان أغناني عن العقابِ  
وبرز القاسم بن يوسف بهذا النمط من الرثاء . يقول أبو الفرج الأصبهاني :

«إنه شاعر مليح الشعر. قد جعل وكذّه في مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أكثر شعره في ذلك» (١٣٢) . وأورد له الصولي قصائد كثيرة في هذا الغرض ، منها قصيدة طويلة في رثاء قُمري أولها(١٣٣) :

هل لامريء من أمانٍ من ريب هذا الزمانِ  
ومنها ،

فالقلب فيه كلومٍ من لاءج الأحزانِ  
وفي الحشا لاذعاتٍ كمشعل النيرانِ  
والمقلتان سجومٍ دمعاهما تكفانِ  
كان المسطوق أنسا للأهل والجيرانِ

ولابن العلاف قصيدة مشهورة متداولة في رثاء هرّ تناقلتها كتب الأدب والتاريخ(١٣٤) . وهي من روائع الشعر في هذا الغرض ، مطلعها(١٣٥) :

ياهرُّ فارقتنا ولم تعد  
وكيف تنفك عن هواك وقد  
وكنت منّا بمنزل الولد  
كنت لنا عُدّة من العُدَدِ

---

( ١١٠ ) ينظر « ملامح من رثاء الحيوان في الشعر العربي » بحث للدكتور طه محسن في مجلة أدب الراشد ، العدد السابع ١٩٧٦ .

( ١١١ ) ديوانه ص ٦٤٣

( ١١٢ ) الأهالي ٢٣ ، ١١٨ .

( ١١٣ ) أخبار الشعراء المحدثين ص ١٩٢ .

( ١١٤ ) وصل إلينا منها ٧ بيتاً . وهي في الأصل ٦٥ بيتاً كما ذكر ابن تفرج بردي ( النجوم

الزاهرة ٢ ، ٢٢٠ )

( ١١٥ ) شعر ابن العلاف ص ٣٢ .

بهذا الأسلوب السهل المأنوس يسترسل في رثائه لهذا الحيوان الذي ألفه وأحبه. وقد اختلف الدراسون فيها . فمنهم من قال : انها في هرة حقيقّة . وقيل : انه أراد بها رثاء عبدالله ابن المعتز . وقد كُنّي عنه بالهر خوفاً من الخليفة المقتدر الذي قَتَلَ ابن المعتز . كما قيل : انه كُنّي بالهر عن المحسن بن أبي الحسن بن الفرات الوزير أيام محنته لأنه لم يستطع أن يرثيه علانية خشية من الخليفة المقتدر . الى غير ذلك من الأقوال ... وقد عُنّي " ندى على هذه القصيدة بعد أن أورد جزءاً كبيراً منها بقوله : «وأنا شديد التعجب ممن يزعم أن هذه القصيدة رثي بها غير هر» (١٣٦)

وهناك مراثٍ تبدو لنا غريبة . وهي من مستجدات العصر العباسي . فمثلاً نجد لمحمد بن يسير مرثيةً في بستانٍ عاثت فيه شاةً أفلتت لأحد جيرانه (١٣٧) . ولأحمد بن أبي كريمة قصيدة في رثاء قميصٍ أغار عليه فأر فقرضه (١٣٨) . ولإسحاق الموصلي مرثية في خُمارة . ولعبد الصمد بن المَعْدِل قصيدة في رثاء طُفيلي مات على المائدة بعد أن بلغ لقمة حازة جداً . ولحمود بن الحسين المعروف بكشاجم قصيدة في رثاء قدحٍ انكسر له (١٣٩) .

ان شعراء العصر العباسي لم يتحرّجوا من رثاء أي شيء . مهما كان قدره أو منزلته . مادام هو وثيق الصلة بنفوسهم . وكانوا صريحين في تصوير أحاسيسهم ومشاعرهم . وصادقين في تعابيرهم . قلما تشوبها الصنعة أو التكلّف .

### الغزل :

الغزل من الفنون الشعرية الجميلة المحببة الى النفس . يُصوّر أشواق المحبين ولواعجهم . وهو شبيه بالنسيب والتشبيب من غير كثير تمييز أو عظيم اختلاف . ومن يتصفّح ديوان الغزل العربي يجده كبيراً وواسعاً . تغنى الشعراء من خلاله بالمرأة منذ عصر ما قبل الاسلام . وقد جعله فريق منهم استهلالاً لمدايحهم وأهاجيبهم وحماسياتهم . وخصّص له فريق آخر قصائد ومقطوعات .

( ١١٦ ) نكت الهيمان ص ١٢٩ - ١٤٢ .

( ١١٧ ) الأهالي ١٤ : ٢٠ .

( ١١٨ ) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٤٤٢ .

( ١١٩ ) ديوانه ص ٢٠١ .

( ١٢٠ ) شعره ص ١٦٥ .

( ١٢١ ) ديوانه ص ١٢٠ .

وارتقى الغزل في عصر بني أمية ، وزاد الاقبال عليه ، ولحق الشعراء المرأة .  
 ووصفوا معاناتهم في حبها ، وقد اختص بعضهم بواحدة عاش لها وقضى وهو يحبها .  
 فسموا بالغزلين العذريين ، أو شعراء مدرسة « الغزل العفيف » وعلى رأسهم جميل بن  
 مَعْمَر . وعاش بعضهم الآخر يتصيد الجمال في كل مكان ، ويتبع الحسن أينما حلَّ  
 وارتحل للعبث واللذة ، فسموا بالغزلين الماجنين ، أو شعراء مدرسة « الغزل الحسي »  
 وعلى رأسهم عمر بن أبي ربيعة . وبقي التياران يسيران في العصر العباسي جنباً  
 إلى جنب مع اختلاف في الكمية والنوعية .

ويمثل التيار الأول ، أي العفيف ، مجموعة من الشعراء ، من أشهرهم ابن  
 ميادة (١٣٣) ، وأبو حية النميري (١٣٣) ، والحسين بن مطير الأسدي (١٣٤) ، وابن  
 ربيعة (١٣٥) . وهؤلاء الأربعة من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ومما يستحسن  
 لابن ميادة قوله (١٣٦) :

سَلِ اللَّهَ صَبْرًا واعترفِ بفراقِ عسى بعدَ بين أن يكونَ تلاقٍ  
 ألا ليتني قبلَ الفراقِ وبعدهُ سقاني بكأسِ المنيةِ ساقٍ

ويَعُدُّ العباس بن الأحنف أبرز شعراء الغزل العفيف والعشق الشريف في العصر  
 العباسي ، وقد قصر جلُّ شعره على صاحبتِه « فوز » ، ولاحظ أبو الفرج الاصبهاني  
 هذه الظاهرة فقال : « كان العباس شاعراً غزلاً ظريفاً مطبوعاً ، من شعراء الدولة  
 العباسية ، وله مذهب حسنٌ ، ولدبباجة شعره رونقٌ ، ولعانيه عذوبةٌ ولطفٌ . ولم  
 يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ، ولا يتصرف في شيء من هذه  
 المعاني » (١٣٧) . ان شعر العباس بن الأحنف يمتاز بالعفة والودِّ والصفاء والنقاء ،  
 وهو رقيق مؤثر يتجاوب مع النفس الإنسانية في كل زمان وإن قال فيه الدكتور طه  
 حسين : « لم يبلغ إتقان الغزلين من شعراء بني أمية ، ولم يبلغ إجاده العابثين من

( ١٣٢ ) طبقات الشعراء ص ١٠٦ ، الأذهاني ٢ ، ٢٦١ .

( ١٣٣ ) طبقات الشعراء ص ١٤٢ ، الأذهاني ١٦ ، ٢٠٧ .

( ١٣٤ ) طبقات الشعراء ص ١١٤ ، الأذهاني ١٦ ، ١٧ .

( ١٣٥ ) الأذهاني ١٤ ، ٤٠٥ .

( ١٣٦ ) طبقات الشعراء ص ١٠٩ .

( ١٣٧ ) الأذهاني ٨ ، ٢٥٢ .

شعراء بني العباس ، وإنما جاء فاتراً قلماً يترك في النفس أثراً قوياً ، لأن الفن الذي أراد أن يختص به كان قد انقضى عصره ، وانتهت الأسباب التي أوجدته ومكنت الناس من اتقانه والاجادة فيه « (١٣٨) » ، وتابعه في هذا الرأي الدكتور عزالدين اسماعيل فقال : « ومهما يكن من أمر ، فإن هذا الشاعر العباسي قد انقطع للغزل . شأنه شأن الغزيريين وشأن عمر بن أبي ربيعة . وأن نفسه الشعري كان أقرب اليهم . وإن كنا - فيما طالعنا له من شعر - لانجد فيه حرارة الغزيريين وصدقهم ، ولا خفة ظل عمر بن أبي ربيعة . بنفس الدرجة » (١٣٩) .

كان العباس بن الأحنف مخلصاً في رسم صوره الجميلة للحب العفيف ، وحسبك ما قالته الدكتورة عائكة الخزرجي : « ولست أكاत्मك الحقيقة من أنني مؤمنة كل الايمان بأن الشاعر يملئ علينا من تجربة حقيقة عاشها ، ولعل أروع لوحة عرض لنا العباس فيها حكاية هواء المعذب تلك التي يحلو له أن يعرضها علينا بين الحين والحين لنراه فيها الظمان القريب من النبع المحروم من الورد » (١٤٠) . ومن جميل شعره مناجاته للقطا التي وجدت صداها في كل أذن ووقعها في كل قلب : (١٤١)

بكيتُ إلى سرب القطا حين مرُّ بي فقلتُ ومثلي بالبكاء جدير ؛  
أسرب القطا هل من مُعير جناحه لعلِّي إلى مَنْ قد هويتُ أطيرُ

إن روحه معلقة بفوز ، لا يحيّد عنها ، فهي الوحيدة التي ملكت فؤاده دون  
الفتيات : (١٤٢)

ما أسمع الناس في عيني وأقبّهم إذا نظرتُ فلم أبصرُك في الناس  
حتى متى كيدي حرى مُعطشة ولا يلينُ لشيء قلبك القاسي

ويلاحظ أنه بالغ في البيت الاول . وهذا من طبائع المحبين وأساليبهم حين يصفون جمال المحبوبة ومفاتنها ، وهاهو ذا يقول : (١٤٣)

( ١٣٨ ) حديث الأربعاء ، ١ ، ٢٩٤ .

( ١٣٩ ) في الأدب العباسي ، الرؤية والفن ، ص ٢٩٤ .

( ١٤٠ ) العباس بن الأحنف ص ٢٢ .

( ١٤١ ) الديوان ص ١٦٨ .

( ١٤٢ ) الديوان ص ١٨١ .

( ١٤٣ ) الديوان ص ٢٥٧ .

تَمُتْ وَتَمْ الحَسَنُ فِي وَجْهَهَا      فَكُلُّ حَسَنٍ مَا خَلَاها مُحَالٌ  
لِلنَّاسِ فِي الشَّهْرِ هَلَالٌ وَلِي      فِي وَجْهَهَا كُلِّ صَبَاحٍ هِلَالٌ

ومن الشعراء الذين عرفوا بالغزل العفيف عُكَّاشَةُ بن عبد الصمد البصري الذي أحب فتاة تدعى « نعيم » ، وهي جارية لبعض الهاشمين ، وشاء الصدوق أن شخصاً اشتراها من مولاتها ورحل بها الى بغداد « فعظم أسفه وحزنه عليها ، واستهيم بها طول عمره ، فاستحالت صورته وطبعه وخلقه الى أن فرَّق الدهر بينهما ، فكان أكثر وكده وشغله أن يقول فيها الشعر وينوح به عليها ويكيى (٣٤) » . وقد وصل به الحال الى التمني في الموت ليستريح من الهموم والاحزان التي اتعبته وهذه (٣٥) .

نُعِيمُ هَلْ بَكَيْتَ كَمَا بَكَيْتَ      وَهَلْ بَغَدِي وَفَيْتَ كَمَا وَفَيْتَ ؟  
أَلَا يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ بَعْدِي أَصْ      طَبَارِكُ إِذْ نَأَيْتَ وَإِذْ نَأَيْتَ ؟  
فَكَمْ مِنْ عُبْرَةٍ ذُرِفَتْ فَلَمَّا      خَشِيتُ عَيُونَ أَهْلِي وَاسْتَحِيتُ  
نَهَضْتُ بِهَا مَكَائِمَةً فَلَمَّا      خَلَوْتُ ذَرْفَتَهَا حَتَّى اسْتَفَيْتُ  
وَقَلْتُ لَصَحْبِي لِمَا رَمَانِي      هَوَاكُ بِدَائِهِ حَتَّى انْطَوَيْتُ  
أُرَانِي مِنْ هُمُومِ النَّفْسِ مَيِّتًا      وَلَمْ أَرْ فِي نُعِيمٍ مَا نَوَيْتُ  
فَلَيْتَ الْمَوْتَ عَجُلَ قَبْضِ رُوحِي      جَهَارًا فَاسْتَرَحْتُ وَأَيْنَ لَيْتُ ؟

ومن شعراء الكوفة القلائل في نظم الشعر العفيف علي بن أديم الجعفي . فقد تغزل بفتاة اسمها « منهلة » ، وهام بها ، وشاع أمرهما بين الناس ، حتى وضع أحدهم كتاباً فيهما بعنوان « علي بن أديم ومنهلة (١٣٦) » . وقد أشار أبو الفرج الأصبهاني إلى خبرهما فقال : « كان بالكوفة رجل من بني أسد يقال له علي بن أديم ، فهو جارية لبعض نساء بني عيس ، فباعها لرجل من بني هاشم . فخرج بها عن الكوفة . فمات علي بن أديم جزعاً عليها بعد ثلاثة أيام من خروجها . وبلغها خبره فمات بعده . فعمل أهل الكوفة لهما أخباراً هي مشهورة عندهم ... وقالوا : آخر من مات من العشق علي بن أديم الجعفي (٣٧) ، ومن شعره قوله (١٣٨) »

( ١٣٤ ) الأغانى ٢ ، ٢٦٠ .

( ١٣٥ ) الأغانى ٢ ، ٢٦٢ .

( ١٣٦ ) الفهرست ص ٤٣٦ .

( ١٣٧ ) الأغانى ١٥ ، ٢٦٧ .

( ١٣٨ ) الأغانى ١٥ ، ٢٦٧ ، معجم الشعراء ص ١٢٥ .

قالوا الرُّواحُ فطيرُوا لُبِّي  
والنَّفْسُ مشرفةٌ على نَحْبِ  
يوماً كما لاقيْتُ من كَرْبِ  
فَقَدِ الحبيبِ ولوعةِ الحَبِ

صاحوا الرحيل وحَثْنِي صَحْبِي  
واشْتَقْتُ شَوْقاً كاذِ يَقتلُنِي  
لم يَلَقْ عِنْدَ البينِ ذو كَلَفِ  
لا صَبْرَ لي عِنْدَ الفراقِ على

ويمكن أن نضيف الى مَنْ سبق من الشعراء الغزليين المعروفين بالعمق . المؤمل بن جميل الملقب بقتيل الهوى (١٣٩) ، وأبا العتاهية الذي غلب عليه الشوق والهيام حين وقع في حب عُبَيْة (١٤٠) . وعلي بن الجهم الذي أقام على الوجد والهوى والحنين والشوق وفيأ مخلصاً (١٤١) .

أما اللون الثاني من الغزل فهو الحسبي والمكشوف . وكان شعراؤه أكثر عددا من اللون الاول اي الغزل العفيف او العذري . وقد خرجوا عن كل عرف وخلق وذوق سليم . وانغمسوا في الملذات . وانهمكوا في تصيد الجواري والقيان والاماء الفاجرات . وجاهروا بفسوقهم وانحلالاتهم واثامهم . وراحوا يجوبون في دور اللهو والعبث والقصف والغناء دون رادع من خلق او زاجر من دين . وللزندقة والشعوبية دور كبير في شيوع مثل هذا الغزل . وساعد عليه ايضا تطور الحياة الحضارية وتعذد الملامح وتفطع الروابط الاجتماعية وتفسخها . وذيوخ المذاهب والآراء الاباحية التي نشط قسم من الموالى على نشرها (١٤٢) . ومن شعراء هذا التيار حماد عجرد . ولعل اخف شعر له في هذا المجال قوله في جارية تدعى جوهرأ (١٤٣) .

انـــــــسى لأهوى جوهرأ      ويحبُّ قلبي قلبيها  
واحِبٌ من حبي لها      مَنْ ودَّها وأحِبُّها  
وأحبُّ جاريةً لها      تخفي وتكتم ذنبها

ومن الثلة المتهكة المتحللة مطيع بن اياس . فليس من جارية رآها الا وكلف بها وسعى اليها . ومن شعره . الذي يسمح المقام بذكره قوله في جارية (١٤٤) :

(١٣٩) معجم الشعراء ص ٢٩٩ .

(١٤٠) ستأتي ترجمته مفصلة في هذا الكتاب .

(١٤١) تنظر مقدمة ديوانه ص ٢ - ٤٧ .

(١٤٢) ينظر ، الشعراء من مغربي الدولتين الاموية والعباسية ص ٢٨٢ . واتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٢٠٤ ، ٢٠٢ .

(١٤٣) الاغانى ١٤ ، ٣٤١ .

(١٤٤) الاغانى ١٣ ، ٢٩٢ .



إِنَّ قَلْبِي قَدْ تَصَابَى  
وَرَمَاةَ الْحَبِّ مِنْهُ  
قَدْ دِهَاهُ شَادِنٌ يَلُـ  
فَهُوَ بَدْرٌ فِي نَسَقَابِ  
قَلَّتْ شَمْسٌ يَوْمَ دُجَيْنِ

بِسْــــــــــــــــــــــعَدَمَا كَانَ أَنَا بَا  
بِسْــــــــــــــــــــــهَامُ فَأَصَابَا  
بِسْ فِي الْجِيدِ بِسَخَابَا (١٠٠)  
فَإِذَا الْفَقَى السَّنَقَابَا  
خَسِرَتْ عَنْهَا الشُّحَابَا

وثمة شعراء آخرون نظموا مثل هذا الشعر. منهم اسماعيل بن عمار الاسدي<sup>(١٢٧)</sup>، والمؤمل بن اميل المحاربي<sup>(١٢٨)</sup>، وبشار بن برد<sup>(١٢٩)</sup>، وعمرو الخاركي<sup>(١٣٠)</sup>، والفضل بن عبد الصمد الرقاشي<sup>(١٣١)</sup>، وابن الخياط<sup>(١٣٢)</sup>...

ولم يقف بعض الشعراء في غزلهم عند المرأة، بل تجاوزوها الى الغلمان والغلاميات (وهن فتيات في زي غلمان) وكلاهما بدعة خطيرة، وانحراف مقرف، وخلق شائن. ان الغزل بالمذكر تسرب الى المجتمع العباسي من الفرس كما يرى يوسف حسين بكار في قوله، «ان العامل الاساس في ظهور الميل الى الغلمان هم الفرس الذين نقلوها الى العرب. وساعد عليها عوامل اخرى اادت في مجموعها الى ظهور الغزل بالمذكر كأني فن من فنون الشعر الاخرى» (١٢٢). ويخالفه في الرأي محمد النويهى. فيرى الخطأ والظلم معاً في أن يعزى هذا الانحلال الخلقي الى أمة واحدة هي الفرس وإنما يعزوه الى كل الأمم التي جمعتها الحضارة الاسلامية. لأن الانحطاط إنما نشأ عن اختلاط هذه الأجناس بأديانها المختلفة وعاداتها ومقاييسها ونظمها المتباينة. (١٢٣)

- ( ١٤٥ ) السحاب ، القلادة من القرنفل .  
 ( ١٤٦ ) الأغاني ١١ ، ٣٦٤ .  
 ( ١٤٧ ) نهاية الأرب ٢ ، ٢٦٦ .  
 ( ١٤٨ ) الأغاني ١٣ ، ١٣٥ .  
 ( ١٤٩ ) الورقة ص ٥٩ .  
 ( ١٥٠ ) طبقات البحراء ص ٢٢٦ .  
 ( ١٥١ ) الأغاني ١٠٢٠ - ١٢ .  
 ( ١٥٢ ) اتجاهات الفول في القرن الثاني الهجري ص ١٩٩ .  
 ( ١٥٣ ) نفسية أبي نواس ص ٨٨ .

إن هذا الداء المقيت ، أو المرض الاجتماعي ، الذي انتقل الى المجتمع العباسي سواء أكان من الفرس أم من غيرهم . سرى في فئة كبيرة من الشعراء آنذاك ، ومن أبرزهم أبو نواس (١٠١) ، والحسين بن الضحاك (١٠٠) ، ووالبة بن الحباب (٩٦) الذي يقول فيه الدكتور شوقي حنيف : « إنه هو الذي يتحملُ وِزْرَ إفساد أبي نواس ، بل هو في رأينا الذي يتحملُ وِزْرَ العصر كله وماشاع فيه من هذا الغزل المقيت الذي يخنق كرامة الشباب والرجال خنقاً (١٠٧) » وفي رأينا قبر شعر هؤلاء الخلاء خير من نشره وإشاعته ؛ ولذلك أعرضنا عن إيراد أمثلة من شعرهم ، واكتفينا بالإشارة الى مواضع تراجعهم في كتاب الأغاني الذي يُعدُّ أكبر مصدر لأخبارهم وأشعارهم .

### الوصف :

الشعراء فنانون مبدعون يرسمون بالكلمات مايرون ، ويصوّرون مايشاهدون ، ويصفون مايحبسون به ؛ ومن هنا كثر نتائجهم الشعري في غرض الوصف ، حتى قال ابن رشيق : « الشعر إلا أقله راجع الى باب الوصف ، ولا سبيل الى حصره واستقصائه » (١٠٨) . وقد خضّه الدارسون القدماء والمحدثون بعنايتهم ورعايتهم ، وأفردوا له أبواباً في مؤلفاتهم واختياراتهم .

إن الشعر العربي زاخرٌ بأوصاف كثيرة منتزعة من البيئة ابتداءً من عصر ما قبل الاسلام . وقد أعطتنا دولة بني العباس ألواناً مختلفة من هذه الأوصاف . منها قديمة امتدت اليها يد الحضارة بالتهذيب والتطوير ، ومنها مبتكرة أوجدتها المدينة الجديدة التي تضافرت أمم كثيرة وأجناس مختلفة على خلقها . فإذا وصف - مثلاً - الشاعر الجاهلي رحلة في مضارب الصحراء ، فإنّ بشار بن برد وصف في قصيدة رحلة الخليفة الهادي من البصرة الى بغداد في نهر الفرات (١٠٩) ، وتناول أبو نواس نزهة للخليفة الأمين في سفينة جميلة الصنع تمخرُ عباب الماء في نهر دجلة (١١٠) :

- ( ١٥٤ ) الأغاني ١ ، ٢ ولكل من ابن منظور وأبي هفان كتاب مفرد في أخباره .  
 ( ١٥٥ ) الأغاني ٢ ، ١٤٦ . وراجع كتاب ( الحسين بن الضحاك ) للدكتور شوقي رياض .  
 ( ١٥٦ ) الأغاني ١٨ ، ١٠٠١ .  
 ( ١٥٧ ) العصر العباسي الأول ص ٧٢ .  
 ( ١٥٨ ) الصدة ٢ ، ٢٩٢ .  
 ( ١٥٩ ) ديوانه ٢ ، ٢٨٣ .  
 ( ١٦٠ ) ديوانه ص ٤١٤ .

سَخَّرَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا      لَمْ تُسَخَّرْ لَصَاحِبِ الْمِحْرَابِ (١٣١)  
 فَاذَا مَارَكَابُهُ سَرْنَ بَرًّا      سَارَ فِي الْمَاءِ رَاكِبًا لَيْثٌ غَابَ  
 أَسْدًا بَاسِطًا ذِرَاعِيهِ ، يَعْدُو      أَهَزَّتْ الشَّدَقُ ، كَالْحَجِّ الْأَنْيَابِ (١٣٢)  
 لَا يَمَانِيهِ بِاللِّجَامِ ، وَلَا السُّو      طَ ، وَلَا غَمَزَ رِجْلَهُ فِي الزُّكَابِ  
 عَجَبَ النَّاسُ إِذْ رَأَوْهُ عَلَى صَو      رَةٍ لَيْثٌ يَمُرُّ مَرَّ السُّحَابِ

ولم تكن السفن والقوارب فقط تثير إعجاب الشعراء . بل الجسور المقامة على  
 دجلة أيضاً . يقول على بن الفرج : (١٣٣)

أَيَا حَبِذَا جَسْرٌ عَلَى مَتْنِ دَجَلَةٍ      بِإِتْقَانٍ تَأْسِيسٍ وَحُسْنٍ وَرَوْنِقِ  
 جَمَالٍ وَفَخْرٍ لِلْعِرَاقِ وَنَزْهَةٍ      وَسُلُوءٍ مِنْ أَضْأَةِ فَرْطِ التَّشَوِّقِ

وأقبل الشعراء العباسيون على الطبيعة الجميلة إقبالاً كبيراً . فلم يتركوا شيئاً  
 فيها إلا وصفوه . سواء كان في الأرض أم في السماء . من رياض ومروج وبساتين .  
 وأزهار وأشجار وأثمار . ودور وقصور وقباب . ومأكول ومشارب . وسحب وأمطار .  
 ونجوم وأفلاك ... من ذلك قول مروان بن أبي حفصة يصف حديقة وهبها له المهدي .  
 ويذكر نخلها وشجرها : (١٣٤)

نَوَاضِرٌ غُلْبًا قَدْ تَدَانَتْ رُؤُوسُهَا      مِنْ النَّبْتِ حَتَّى مَا يَطِيرُ غُرَابُهَا (١٣٥)  
 تَرَى الْبَاسِقَاتِ الْعُمَ فِيهَا كَأَنَّهَا      طَعَانَتْ مَضْرُوبٌ عَلَيْهَا قَبَابُهَا (١٣٦)  
 تَرَى بَانِيهَا سَهْلًا لِكُلِّ مُدْفَعٍ      إِذَا أَيْنَعَتْ نَخْلٌ فَأَغْلَقَ بَانِيهَا (١٣٧)  
 يَكُونُ لَنَا مَا نَجْتَنِي مِنْ شَمَارِهَا      رِبْعًا إِذَا الْآفَاقُ قَلَّ سَحَابُهَا

ووصفوا القصور وما فيها من فرش وأثاث . وما يحيط بها من حدائق غناء .  
 تُعْرَدُ فيها الطيور . وتجري فيها الطباء والغزلان مثل قول أبي عيينة بن محمد بن  
 أبي عيينة : في وصف قصر بالبصرة (١٣٨) :

( ١٣٨ ) الطَّيَّا ، أَرَادَ بِهَا السَّفْنَ الَّتِي يَطْلُقُ عَلَيْهَا الْحَرَاقَاتُ ، سَاحِبِ الْمِحْرَابِ ، سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ .

( ١٣٩ ) أَهْرَتِ الْفَدَقِ ، وَاسْمَةٌ .

( ١٤٠ ) تَارِيخُ بَغْدَادَ ، ١ ، ١١٦ .

( ١٤١ ) فَهْرُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ ص ٢٨ .

( ١٤٢ ) النَّوَاضِرُ ، الْخَضِرَاءُ الْفَدِيدَةُ الْخَضِرَاءُ ، الْغُلْبُ ، الطَّبِيعَةُ الْمُتَنَفِّةُ .

( ١٤٣ ) الْعُمُ ، جَمْعُ عُمَيْمَةٍ ، وَهِيَ النَّخْلَةُ الطَّرِيقَةُ .

( ١٤٤ ) الْمَدْفَعُ ، الْفَقِيرُ .

( ١٤٥ ) دِيْوَانُهُ ص ٣٦ . وَيَنْظُرُ الْأَهْلَاءُ ٢٠ ، ٩٠ .

وسرب من الغزلان يرتعن . حوله . كما انسل منظوم من الدُر من سلك  
 وورقاء تحكي الموصلي اذا شذت . بتغريدها أحبب بها وبمن تحكي !  
 فيا طيب ذاك القصر قصراً ونزهةً بأفئح سهل غير وعر ولا ضنك  
 وكان للثمار الموجودة في الحدائق والبساتين نصيب من شعر الوصف . ومن  
 طريف ما جاء في وصف التفاح قول بشار بن برد ( ١٣١ ) :

وتفاحة من خالص الثبر نصفها ومن جُلُنانِ نصفها وشقائق  
 كأن الهوى قد رد بعد تفرق لها خذ معشوق الى خذ عاشق

ومن بديع وصف العنب الرازقي قول ابن الرومي ( ١٣٠ ) :

كأن الرازقي وقد تناهى وباهت بالمناقيد الكروم  
 قوارير بسماء الورد ملأ تشف ولؤلؤ . فيها يعوم  
 وتحسبه من الشهد المصفى اذا اختلفت عليك الطعموم  
 فكل مجمع منه ثرياً وكل مفرق منه نجوم

وكانت قصور الخلفاء والأسر الغنية حافلة . الى جانب الطعموم اللذيذة والفواكه  
 الشهية . بوسائل اللهو واللعب التي كانوا يقضون بها أوقات فراغهم . من ذلك لعبة  
 الشطرنج . وقد أحسن المأمون في وصفها وتشبيهها بمعركة حربية حامية بين  
 عسكريين ( ١٣١ ) :

أرض مربعة حمراء من آدم مابين الفين معروفين بالكرم  
 تذاكرا الحرب فاحتالا لها جيلا من غير أن يأتيا فيها بفك دم  
 هذا يغير على هذا . وذاك على هذا يغير . وعين الحزم لم تتم  
 فانظر الى فطن جالت بمعركة في عسكريين بلا طبل ولا علم

ومن وسائل اللهو التي أخذت جانباً كبيراً من شعر الوصف خارج الدور  
 والقصور . الصيد والطرود . وكان الخليفة المهدي من أشهر الخلفاء عناية بالصقور  
 والبزاة وكلاب الصيد . ومن طريف ما يروى عنه أنه خرج مع ابن عم أبيه علي بن

( ١٦٩ ) نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٢٠٥ . وهذان البيتان ليا في الموجود من الديوان

( ١٧٠ ) نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٢٢٨ . ولم ترد هذه الأبيات في الديوان المطبوع

( ١٧١ ) المستطرق ٢ ، ٢٥٩ . تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٢٨ . وتنسب الابيات الى علي بن

الجهم ينظر ديوانه ص ١٧٩ .

سليمان إلى الصيد فسمح لهما قطيع من طياء . فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل  
فرمى المهدي طيياً بهم فصرعه . ورمى علي بن سليمان فأصاب بعض الكلاب  
فقتله . فقال أبو ذلامه :

قد رمى المهدي طيياً      شك بالئهم فؤادة  
وعلي بن سليمان      رمى كلباً فصادة  
فهنيئاً لهما كد      ل امريء يأكل زادة

فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن سرجه . وقال ، صدق والله أبو ذلامه .  
وأمر له بجائزة سنية (١٣٢) .

ونظر الشعراء الى الأنواء الجوية . ووصفوها بقصائد ومقطوعات . فهذا أبو عبادة  
البحري يجيد بلغة رقيقة عذبة وصف السحاب والبرق . ويرسمها رسماً دقيقاً يدل  
على خيال خصب ينفذ في دقائق الأشياء فيبرزها ويظهرها بأبهى حلّة وأجمل  
منظر (١٣٣)

ذات ارتجاز كحنين الرعد      مجرورة الذيل صدوق الوعد  
مفوحة الذمغ لغير وجد      لها نسيم كنسيم الورد  
ورنة مثل زئير الأسد      ولمع برق كسيوف الهند  
جاءت بها ريخ الضبا من نجد      فانتشرت مثل انتشار البعقد  
فراحت الأرض بعيش رعد      من وشي أنوار الرابي في برد

ونلاحظ ابراهيم بن هرمة يصف في قصيدة رائعة النجوم والكواكب وكأنه عالم  
جليل من علماء الفلك . يتناول فيها هيئاتها الخلابة . وألوانها الجذابة . وحركاتها  
الدقيقة المنتظمة (١٣٤) .

وشارك الشعراء مشاركة كبيرة في وصف الخمرة وأدواتها وسفاتها ومجالها  
وما يتردد في هذه المجالس من أصوات للمغنيين والمغنيات الى جانب الآلات  
الموسيقية . وسنوضح هذا الوصف لاحقاً في حديثنا عن الخمريات .

(١٣٢) الأطلال ١١ ٢٥٨ .

(١٣٣) دهراله ١١ ٥٦٧ .

(١٣٤) ينظر ديوان ابراهيم بن هرمة ص ١١٤ .

أما المارك والحروب فقد تناولها عددٌ من الشعراء بالوصف . فمثلاً نجد بشار بن برد يصوّر معركةً ثار فيها الغبار ولَمَتْ فيها السيوفُ حتى خُيِّلَ إليه أنها نجوم تتساقط في الليل (٣٥) .

كَأَنَّ مَازَ النَّقْعِ فَوْقَ رُقُوسِنَا وَأَيَّانَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ  
واشتهر مسلم بن الوليد بوصفه الحرب وتصوير شجاعة الفرسان وقوتهم وأقدامهم وقد تأثر به المتنبي فيما بعد ، مثل قوله (٣٦) .

يَفْشَى الْوَعْيُ . وَشَهَابُ الْحَرْبِ فِي يَدِهِ يَزِمِي الْفَوَارِسَ وَالْأَبْطَالَ بِالشُّعْلِ  
يَفْتَرُّ عِنْدَ اقْتِرَارِ الْحَرْبِ مُبْتَعِماً إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطْلِ

وبرز أبو تمام في وصف خروب الروم والمسلمين ونظم قصائد جيدة رسم فيها صوراً باهرة للجيش العباسي المظفر وإلى جانبه القتلى والجرحى والأسرى للأعداء . انظر إلى هذه الأبيات التي وصف فيها شجاعة المقاتلين ومهارتهم وهم مُتَحَصِّنُونَ بسيوفهم ودروعهم وَمُنْقَضُونَ عَلَى الْخُصُومِ كَالْأَسُودِ : (٣٧)

تَخِذُوا الْحَدِيدَ مِنَ الْحَدِيدِ مَعَاقِلًا سَكَّانَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْأَجْسَامُ (٣٨)  
مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحَتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ  
أَإِذَا مَوْتُ مُخْذِرَاتٍ مَالِيَهَا إِلَّا الصَّوَارِمُ وَالسَّقْمَا أَجَامُ

إنَّ فنَّ الوصف الذي ذكرنا طرفاً منه متعذد الجوانب إلى حد بعيد . ويمكن للقارئ . إذا أراد التوسع . أن يرى صوراً كثيرة في الدواوين الشعرية والكتب الأدبية مثل كتاب التشبيهات لابن أبي عون الكاتب . وغرائب التشبيهات لعلي بن ظافر الأزدي . والمحِبِّ والمحَبَّوبِ والمُشْمُومِ والمشروبِ للسري الرقاء . والتحف والهدايا للخالدين . وديوان المعاني لأبي هلال العسكري ...

(١٧٥) دهراله ١١ : ٢٠٩ .

(١٧٦) دهراله ٩ : ٩ .

(١٧٧) دهراله ٣ : ١٥٦ .

(١٧٨) أي جعلوا سيوفهم معال من سيفهم غيرهم .

زهد في الشيء وعنه . رغب عنه وتركه . ومنه زهد في الدنيا . أي تخلّى عنها للعبادة . فهو زاهد . وقد أوجز أبو سليمان الداراني ( ت ٢١٥ هـ ) ما قيل في معنى الزهد : « اختلفوا علينا في الزهد بالعراق . فمنهم من قال : الزهد في ترك لقاء الناس ومنهم من قال في ترك الشهوات . ومنهم من قال في ترك الشّيع . وكلائهم قريب بعضه من بعض . وأنا أذهب إلى أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله » ( ٣٩ )

إن ظاهرة الزهد ليست جديدة أو طارئة على العصر العباسي . فإن الصحابة والتابعين كانوا زهاداً . وكان كثير من القصاص والوعاظ ينشدون في العصر الأموي أشعاراً فيها بواذر للزهد وقطع الأسباب المتصلة بالقلوب عن متاع الدنيا الفاني . مثل مالك بن دينار والحنن البصري ( ٣٠ ) . وحينما جاء عهد بني العباس أخذ الزهد مساراً مستقلاً . وأصبح الشعر الذي يُنظم فيه فناً قائماً بذاته . يواجه تيار الزندقة والإباحية والفساد والعيب والمجون . ويسعى لإصلاح النفوس المريضة وملئها بنور الهدى واليقين .

وإذا كان الزهد اتجاهاً سلوكياً مضمونه التقشف والإعراض عن الدنيا بالتزام العبادات وأدائها كاملة . لبلوغ الجنة والنجاة من النار . فإن التصوف نزعة تتخذ المجاهدة والرياضة الروحية . وتتجاوز الظاهر الشرعي بالتعمق في الباطن والوصول إلى الكشف ( ٣١ ) . ولا نخوض في هذا المكان - كما فعل كثير من الدارسين - في حقيقة التصوف ونشأته . أهو إسلامي خالص أم متأثر بالهندية كما يرى جولدزيهر ( ٣٢ ) . أو المسيحية كما يرى فون كرىمر ( ٣٣ ) . وغيره من المستشرقين أمثال بروكلمان ( ٣٤ ) . ونيكلسون ( ٣٥ ) . ولكن حسبنا ما قاله ألفرد جيوم ،

( ١٧٩ ) حلية الأولياء ١٩ : ٢٥٨ .

( ١٨٠ ) يرى نيكلسون أن الحنن البصري مؤسس مدرسة الزهد والتصوف في البصرة . وأنه يعد في نظر الصوفية واحداً منهم . لأنه ينزع إلى حياة روحية خالصة في عبادته غير قانع بمجرد الصور الفكرية في أدائها ( ينظر كتابه : في التصوف الإسلامي وقاريهه ص ٢ ) .

( ١٨١ ) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ص ١٦٩ .

( ١٨٢ ) العقيدة والفرقة ص ١٤١ .

( ١٨٣ ) الحضارة الإسلامية ص ١٢٠ .

( ١٨٤ ) تاريخ الأدب العربي ١٢ : ٢٥٠ .

( ١٨٥ ) في التصوف الإسلامي وقاريهه ص ٢ .

« وتساؤلنا الى أي حد كان المتصوفة متأثرين بعوامل ودوافع خارجة عن الاسلام أمر لا أهمية له ، فالؤكد أن الاسلام نفسه بمقيدته وصومه وذكره كان أساس حياتهم » (١٨٦)

إن شعراء الزهد والتصوف كثيرون ومن يرجع الى الكتب التي اهتمت بأخبارهم يجد عشرات الأسماء ، وسنكتفي بذكر البارزين منهم . مثل عبدالله بن المبارك الذي نصح العباد بالتزام الخلق القويم والطريق المستقيم ، ودعاهم الى نبذ الآثام واجتنابها ، والتزود ب زاد التقوى والاتجاء الى الله الحي القيوم كقوله (١٨٧) ،

يا طالب العلم بادر الوزعا      وهاجر النوم وهاجر البسبا  
يا أيها الناس أنتم عشب      يحصد الموت كلما طلعا  
لا يحصد المرء عند فاقسته      إلا الذي في حياته زرعاً

ولمحمد بن كنانة شعر في الزهد ، سلك فيه مسلك الوعظ والنصح الدين والدعوة الى القيم الخلقية الرفيعة التي أوصى بها الدي الحنيف ، وسار على هديها السلف الصالح . وكان مترفعاً عن الدنيا ، بعيداً عن كل ما يخزي ويشين ، وقد صرح بذلك في شعره (١٨٨) ،

سألني الناي ، لم أخالط دنيئة      ولم تشرب بي الى المخزيات قلو

ومن المتواضعين الزهاد محمود الوراق الذي أكثر من النظم في الزهد ، دعا فيه الى طاعة الله ولزوم أوامره ونواهيه ، والنوكل عليه ، والثقة به ، والرضا بقضائه ، والتحصن بالصبر والقناعة ، مثل قوله (١٨٩) ،

من كان ذا مال كثير ولم      يقنع فذاك الموسر المعسر  
وكل من كان قنوعاً وإن      كان مقللاً فهو المكثر  
الفقر في غنى النفس وفيها الغنى      وفي غنى النفس الغنى الأكبر

(١٨٦) اتجاهات الفكر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٢٨٥ .

(١٨٧) شعره ، المقتطعة ٢٢ .

(١٨٨) الأغاني ١٢ ، ٣٤٠ ، وينظر : محمد بن كنانة الأسدي ، حياته وشعره ، مجلة آداب الرازيين ، العدد ٦ لسنة ١٩٧٥ ، المقتطعة ١٩ .

(١٨٩) ديوانه ص ٥٧ .



واشتهر الامام أبو عبدالله محمد بن ادریس الشافعي بشعر الزهد والوعظ . وقد روت له المصادر أقوالاً وأشعاراً تدعو الى التربية الإسلامية . والتمسك بحبل الله المتين . والسير في درب البر والتقوى والعمل الصالح مثل قوله ( ١٨٠ ) .

يَا مَنْ تَعَزَّزَ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا      الدُّهْرُ يَأْتِي عَلَى الْمُنِيِّ وَالْبَانِي  
وَمَنْ يَكُنْ عِزُّهُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا      فَعِزُّهُ عَنْ قَلِيلٍ زَائِلٌ فَانِي  
وَعَلِمَ أَنَّ كُنُوزَ الْأَرْضِ مِنْ ذَهَبٍ      فَاجْعَلْ كُنُوزَكَ مِنْ بَرٍّ وَإِيمَانٍ

ومن النساء المشهورات بالعبادة والصوم والاستغراق في الذات العلية . رابعة العدوية . وهي لا تقل شهرة عن كبار الزهاد . والمتصوفة آنذاك أمثال ابراهيم بن أدهم . وسفيان الثوري . وشفيق البلخي . ومعروف الكرخي . وبشر بن الحارث الحافي . والحارث المحاسبي . ومن شعر رابعة العدوية الذي يتجلى فيه الحب الإلهي الأبيات الآتية ( ١٨١ ) .

أَحَبُّكَ خَبِيرٌ ، خَبَّ الْهَوَى      وَخَبَا لَأَنْتَ أَهْلٌ لَذَاكَ  
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ خَبَّ الْهَوَى      فَشَغَلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ  
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ      فَكَشَفَكَ لِلْخَجْبِ حَتَّى أَرَاكَ  
فَلَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي      وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ

وهناك شعراء تيقضوا من غفلتهم . وثابوا إلى رشدهم . وتابوا . وأتابوا إلى الله ونظموا شعراً زهدياً . أمثال آدم بن عبد العزيز . ومحمد بن يسير . وصالح بن عبد القدوس . ويوسف بن القاسم . ولقيط بن بكير . المحاربي . وأبي نواس . وسعيد بن وهب . وأبي العتاهية ... ولعل هذا الأخير أكثرهم نظماً في الزهد . حتى ليؤلف وحده ديواناً كاملاً . وسنتحدث بالتفصيل عن حقيقته في ترجمته . ولا بأس من إيراد هذا الشاهد من شعره ( ١٨٢ ) .

( ١٨٠ ) شعره ص ٢٠٢ .

( ١٨١ ) لوت القلوب ص ٢٨١ ، أحياء العلوم ٤ ، ٢٦٧ . وينظم الشعر الصوفي حتى أقول مدرسة بغداد

وهو الفزالي ص ١٢٨ .

( ١٨٢ ) ديوانه ص ٢١٥ .

إلى الله فارغب لا إلى ذا ولا ذاكا فإنك عبد الله . والله مولانا  
وإن شئت أن تحيا سليماً من الأذى فكن لشرار الناس ماعشت تراكا

ونلاحظ أبا نواس . ذلك العايب الماخن . يندم في أخريات حياته على ما اقترف  
من إثم . وينظم شعراً زهدياً يرجو فيه عفو الله وغفرانه . مثل قوله وهو  
يتضرع (١٣) :

يا رب : إن عظممت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم  
إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ . ويستجير المجرم  
أعدوك - رب - كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم  
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إنى مسلة

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك مجموعة من الشعراء عرفوا بفقلاء المجانين .  
أشال عليان وبهلول وعباس وسعدون ... تميّز شعرهم بصدق العواطف وحرارة  
المشاعر تجاه المحبوب . وهو الله سبحانه وتعالى . يلهجون بذكره ويأتسون بمناجاته .  
مثل قول عباس (١١) :

يا حبيب القلوب من أبي سواكا ؟ أرحم اليوم مذنباً قد أتاك  
أنت سؤلي ومنيتي وسروري قد أبى القلب أن يجيب سواكا  
يا أناني وبيدي واعتماذي طال شوقي متى يكون لقاءكا ؟  
ليس سؤلي من الجنان نعيماً غيّر أنسي أريدها لأراكا

## المجنون :

جاء في اللغة : أن الماخن هو « الذي يرتكب المقابح المردية والفضائح المخزية .  
ولا يمتنع عن عذله ولا تقريع من يُقرّعه » (١٠) . إن الماخن يخلع ثوب الحياء  
ويفعل ما يشاء من الأعمال المنكرة التي لا تبيحها الأديان السماوية ولا تقبل بها  
المجتمعات الفاضلة .

(١٣) ديوانه ص ٦١٨

(١٤) عقلاء المجانين ص ١٣٥ . حلية الأولياء ١٠ ، ١٤٥ .

(١٥) لسان العرب ١٣ ، ٤ .

لقد اُتسم جانب من المجتمع العباسي بالمجون والاستهتار بالقيم الخلقية النبيلة ، وكان وراء انتشاره الزنادقة ، والشعوبيون الحاقدون ، والمتحللون من الدين والعرف والتقاليد . وساعد على شيوعه أيضاً كثرة الجواري المتهتكات اللواتي اشتهرن .. بأفعالهن الرديئة ، وأخلاقهن السيئة « (١٩١) . وكذلك الغلمان الذين عُرفوا بالفساد وانحطاط الأخلاق . وقد عزا الدكتور طه حسين انتشار العبث والمجون إلى الفرس وحضارتهم (١٩٢) . ورأى الدكتور محمد مصطفى هدارة ان الفرس مدوا تيار المجون بأسباب القوة ، وان الحياة التي عاشوها قد أنتجت أنواعاً من الأدب المكشوف ، تداولتها أيدي المترجمين العرب فكان لها تأثير خطير في إشاعة الإباحة والمجون في المجتمع الاسلامي . (١٩٣) أما الدكتور محمد نبيه حجاب فيعزو الخلاعة والمجون إلى انتشار الحانات ومجالس الشراب التي تضم الفجار والمجان من الزنادقة المارقين وأكثرهم من فسقة الموالي الذين خلعوا حشمة الوقار .

ونحن لاننكر ما ذكره الباحثون في أمر المجون وانتشاره ، ولكننا نرى السبب الأقوى هو الحرية المطلقة التي رآها الناس آنذاك ، وخاصة الناقمين على مبادئ السماء ، والكارهين للشرائع التي أرادت أن يكون الانسان سامياً في أخلاقه وطبائعه وتصرفاته . ونؤيد ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف ان الدولة العباسية كانت مسؤولة عن انتشار موجة المجون ، لأنها لم تقف بوجه الفساد ولم تتخذ للماجنين ديواناً لمحاسبتهم كما فعلت مع الزنادقة (٢٠٠) .

جاهر الكثيرون بالمجون وارتكاب المحارم ، ولا يمكن حصرهم وإحصاؤهم في هذا المكان ، ومن يرجع إلى الدراسات والمصادر ولاسيما الأغاني يجد أسماءهم وتفصيلاً عن سيرهم ، ويقف على أدبهم الذي يعكس صورة صادقة عن حياتهم الداعرة الفاسدة الشاذة ، ولعل من أكثرهم شهرة في هذا المجال أبا ذلامه ، وأبا نواس ، ومطيع بن إياس والحسين بن الضحاك ، والحمادين الثلاثة ، ومسلم بن الوليد ، ويحيى بن زياد ، ووالبة بن الحباب ، وأبان اللاحقي ، والفضل بن عبدالصمد الرقاشي ،

( ١٩٦ ) الموشى ص ١١٧ ، وينظر ، الجواري والفرس في العصر العباسي الأول ص ١٠٤ .

( ١٩٧ ) حديث الاربعاء ٤ : ٨٢ .

( ١٩٨ ) اتجاهات الفرع العربي في القرن الثاني الهجري ص ٢٠٥ .

( ١٩٩ ) معالم الفرع وأعلامه في العصر العباسي الأول ص ٦٩ .

( ٢٠٠ ) العصر العباسي الأول ص ٢٨٢ .

والخازكي الذي أفسد جيلاً برمته كما يقول أبو نواس : « ما مجنتُ ، ولا خلعتُ العنارَ ، حتى عاشرتُ الخازكي ، فجاهر بذلك ولم يحتشم ، فامتثلنا نحن على ما أتى به وسلكننا مسلكه . ونحن ومن يذهب معنا عيالٌ عليه » (٢٠١)

إنَّ القصة الماجنة اتخذت في أديها أسلوب التصريح لا التلميح ، يقول أحدهم وهو مطيع بن إياس (٢٠٢)

اخْلُغْ عِزَارَكَ فِي الْهَوَى      واشربْ مِمِّتَةً الدُّنَانِ  
وَصِلِ الْقَبِيحَ مُجَاهِراً      فَالْعَيْشُ فِي وَصْلِ الْقِيَانِ  
لَا يُلْهِيَنَّكَ غَيْرُ مَا      تَهْوَى فَإِنَّ الْمَعْمَرَ فَإِنْ

وكانت مجالس المجان في غاية الخلاعة والتهتك والرذيلة ، وقد روى حمزة الأصباهاني شعراً لعشرة من أولئك الماجنين . كان يستضيف كل منهم الآخرين عنده ، ويُغريهم بلون أو أكثر من ألوان المجون ليقبلوا ضيافته (٢٠٣) . وكان الرقاشي من دعائهم البارزين ، قال عنه أبو الفرج الأصباهاني : « وكان مع تقدُّمه في الشعر ماجناً خليعاً ، متهاوناً في مروءته ودينه ، وقصيدته التي يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة ، سائرة في الناس ، متبذلة في أيدي الخاصة والعامة » (٢٠٤) .

إنَّ المجانَّة والخلاعة والتهتك وركوب المعاصي حالة طبيعة لأناس تمرّدوا على دينهم واستخفوا بكلِّ القيم والتقاليد ، وباعوا أنفسهم للشيطان كما قال والبّه بن العباب (٢٠٥)

حتى إذا ما انستشينا      وهزناً إبليس  
رأيتُ أعجب شيء      منّا ونحنُ جلوسُ  
هذا يُقْبَلُ هذا      وذاك هذا يَبُوسُ

(٢٠١) طبقات الشعراء ص ٢٠٦ .

(٢٠٢) شعراء عباسيون ص ٧٦ .

(٢٠٣) ينظر ديوان أبي نواس بتحقيق إيفالد فاجنر ص ٤٣ . واتجاهات الشعر العربي في

القرن الثاني الهجري ص ٢١١ .

(٢٠٤) الأغانى ١٦ ، ٢٤٦ .

(٢٠٥) طبقات الشعراء ص ٨٩ .

إن هذا اللون من الأدب في غاية الكثرة . ولكن لانبیج لأنفسنا الانشغال به ؛ لأنه بعيد عن التربية الصحيحة التي تتوخاها لأبنائنا السائرين نحو العلى والمجد . ويكفي ما ذكرناه في الصفحات السابقة للاستدلال على تلك الفئة الضالة التي كانت تعمل على هدم مثلنا وقيمنا السامية .

### الشعبوية والزندقة

عاش الفرس بجوار العرب من الجانب الشرقي ولاسيما العراق منذ أزمان بعيدة . ولكنهم - حسبما تذكر الكتب التاريخية - كانوا يناصرون العرب العداء . ويشمخون عليهم . ويدعون أنهم أرفع منهم مقاماً . وأعلى مكاناً . وأقوى سلطاناً . وأرسى بنياناً . واتهمهم بأنهم غلاظ الأكباد . قساة القلوب . وليس رد النعمان بن المنذر ملك الحيرة على كسرى حين أراد النيل من العرب ومكانتهم بخاف على الدارسين . (٢٠٦) لقد حاول كسرى - غير مرة - أن ينكل بالعرب . ويستبيح ديارهم . ويثلم عزتهم . ويهين كرامتهم . وما قصيدة لقيط بن يعمر الايادي العينية المشهورة التي حذر فيها قومه من غدر هذا الملك إلا دليل على ذلك (٢٠٧) . إن العرب لم يقبلوا الإهانة ولم يناموا على ضيم وقد عبّر الأعشى بقصيدة رائعة في يوم ذي قار عن ذلك (٢٠٨) .

وحينما قامت دولة الراشدين العادلة . وهوت دولة الأكاسرة . جمع الأشرار حطب حقدهم ولؤمهم - ولاسيما فريق من الفرس - ليشعلوه بوجه المسلمين وأئمتهم . منهم أبو لؤلؤة الفارسي الذي طعن الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب بسكين أودت بحياته . وزازويه الفارسي الذي اشترك مع ابن سبأ في مقتل الخليفة عثمان بن عفان . والتأمر على مقتل الخليفة على ابن أبي طالب وإن ظهر ذلك على يد الخوارج .

(٢٠٦) المقد الفريد ١٠٢ .

(٢٠٧) ديوان لقيط بن يعمر ص ٢٠ - ٥١ .

(٢٠٨) ديوان الأعشى ص ٢٠٨ - ٣١١ .

وما كادت تقوم دولة بني أمية في الشام حتى بدأ الغادرون بمحاربتها وعرقلة نشاطها والتآمر عليها وعلى العرب الذين كان لهم الفضل في حمل لغة القرآن إلى آفاق بعيدة وهداية الضالين وتخليص الشعوب المضطهدة من العبودية والقهر والاستغلال . وعمد عددٌ من الشعراء إلى التغني بمجد الفرس القديم ، والتعصب على العرب ، والتطاول عليهم ، والنيل منهم ، كاسماعيل بن يسار وابنه ابراهيم ، وموسى شهوات (٢٩) .

وشارك الفرس بني هاشم في إزالة الدولة الأموية واقامة الدولة العباسية . وعاونوهم في ارساء قواعدها وتثبيت أسسها ، ولم يكتفوا بالنعمة التي صاروا عليها ، بل أخذهم الغرور وتطاولوا على العرب ، وكان بشار بن برد من أبرز رجالهم في عصبية للفرس واذكاء نار الشعوبية (٣٠) ، والمتصفح لديوانه يلمح ذلك ولاسيما في قصيدته التي يقول في أولها (٣١) :

خليلي ، لا أنام على اقتسار ولا أبى على مولى وجار  
سأخبر فاجز الأعراب عني وعنه حين تأذن بالفخار  
أحين كُتبت بعد الغري خزا ونادمست الكرام على الفغار  
تُفاخز يابن راعية وراع بني الأحرار حبك من خسار

إن التعريض بالعرب ، والتجني عليهم ، والتقليل من شأنهم ، والاستهزاء بهم ، لم يكن اعتباطاً ، وإنما هو جزء من مخطط تأمري تعاهد الشعوبيون وموقف مضاد من العرب في غابره وما ضيهم ، وكان بشار بن برد ابنهم البار ، وربيهم المخلص ، وداعتهم الأول ، وجنديهم المتمرس بين شعرائهم في العصر العباسي الأول ، وكان مصرعه جزاء بذاته ومجوسيته واستخفافه بأقدار الناس .

(٢٩) الأغانى ٢ ، ٢٥١ .

(٣٠) نسبة غير قياسية إلى الشعوب ، وهم فريق من الناس لا يرون للعرب فضلاً عليهم ، بل يبالغون في ذلك فيذهبون إلى تنقصهم والحط من قدرهم (البيان والتبيين ٢ ، ٥ حاشية ٤) .

(٣١) ديوانه ٢ ، ٢٢٩ . وينظر ، تاريخ العصر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٢٣٦ .

ومن الشعراء الذين صَبُّوا جام غضبهم على العرب ، وعلقوه بألسنة حداد الشاعر المشهور أبو نواس الذي استطاع بذكائه ولباقته وبديعته -حصرة ان ينفذ إلى البلاط العباسي ويبيث سموم شعوبيته في مجالس الخلفاء والوزراء وسراة القوم الذين اصطفوه وجعلوه نديمهم .

لقد تغنى أبو نواس بأمجاد الفرس وحضارتهم . وتياهى بمقام الأكرسة وتراثهم ، واتخذ من هذا التغني منفذاً لطعن العرب والزراية بهم ومسح صورة آبائهم المشرقة المتمثلة في البطولة والشهامة والإباء والسخاء ، مثل قوله (٢١٢) :

أَرْضُ تَبْنَى بِهَا كَسْرَى دَسَاكِرِهِ فَمَا بِهَا مِنْ بَنِي الرُّعْنَاءِ إِنْسَانٍ  
وَمَا بِهَا مِنْ هَشِيمِ الْغُرَبِ عَرْفَجَةٌ وَلَا بِهَا مِنْ غَدَاءِ الْعَرَبِ خُطْبَانُ (٢١٣)  
لَكِنْ بِهَا جَلَنَارٌ قَدْ تَفَرَّغَتْ أَسْ وَكُلُّهُ وَزْدٌ وَسَوَانُ

ولم يكن تهكم أبي نواس المرير بالواقفين على الأطلال - كما قال الدكتور طه حسين - مذهباً شعوبياً فحسب ، وإنما هو مذهب سياسي أيضاً ، يذم القديم - لا لأنه قديم - بل لأنه قديم ولأنه عربي . ويمدح الحديث - لا لأنه حديث - بل لأنه حديث ولأنه فارسي . فهو إذن مذهب تفضيل الفرس على العرب ، مذهب الشعوبية المشهور (٢١٤) .

وثمة شعراء آخرون رفعوا لواء الشعوبية في المجتمع العباسي وتحمَّسوا لها مثل أبان اللاحقي وأبي عبد الرحمن الهيثم بن عدي ، وعلى بن خليل ، وإبراهيم بن ممشاذ المعروف بالمتوكلّي .

إن الصيحات العدائية للعرب ، والتشهير بهم ، والطعن بمآثرهم رُدَّتْ على أعقابها بأقلام الفيارى من الكتاب والشعراء مثل أبي عثمان الجاحظ الذي استنكر « العصبية التي هلك بها عالم بعد عالم ، والحمية التي لا تبقى ديناً إلا أفسدته . ولا دُنياً إلا أهلكتها . وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية » (٢١٥) . وفند

(٢١٢) ديوانه ص ١٣٧

(٢١٣) المرفعة ، واحدة المرفج وهو حجر ينبت في البادية . الخطبان ، حبات الحنظل .

(٢١٤) حديث الأزهري ٩٠ ، ١ . وينظر ، حياة الفخر في البصرة للدكتور أحمد كمال زكي ص

٢١٤ مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول ص ٩٩ - ١١٦ .

(٢١٥) رسائل الجاحظ ٢٠١ ، ٢ . وينظر البيان والتبيين ١٠٢ ، هامش ٤ .

الجاحظ مزاعم الشعوبية في كتابه البيان والتبيين وتعقبهم في البخلاء والحيوان والمحاسن والأضداد كما تعقبهم في غير ذلك من الكتب الكثيرة التي ضاعت ولم يبق منها سوى أسماؤها تنطق بمضمونها. مثل كتاب الضحراء والهجناء . والعرب والموالي . والعرب والعجم .. وثمة علماء كثيرون وشعراء من غير العرب كانوا يفضلون العرب على العجم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم منهم . أي من العرب . مثل البخارزي (ت ٤٦٧ هـ) . (٢١٦)

وكان لفريق من الفرس - إلى جانب الشعر الذي قرضوه في الفخر بأصولهم والإزراء بالعرب - دور بارز في تشويه موروثنا الحضاري والفكري والعبث بهما وإفسادهما . ونسج الروايات وانتحالها . أمثال حماد الراوية . وجناد بن واصل الكوفي . وخلف الأحمر (٢١٣) . وذهب فريق ثانٍ إلى أبعد من ذلك . فألف الكتب في معائب العرب ومثالبهم أمثال يونس بن أبي فروة . وعلان بن الحسن الشعبي الوراق . وأبي عبيدة مقمر بن المثني . والهيثم بن عدي (٢١٨) ... واندفع فريق ثالث لتلفيق الأحاديث في فضل الفرس ودورهم في الاسلام . ناسبين إياها إلى الصحابة والتابعين . ذكر الطبري أن عبدالكريم بن أبي العوجاء لما أيقن انه مقتول قال ، « أما والله لئن قتلتهموني . لقد وضعت أربعة آلاف حديث . أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام . والله لقد فطرتكم في يوم صومكم . وصومتكم في يوم فطرتكم » (٢١٩) . إن الشعوبيين والحاقدين أخذوا لهم مواقع خطيرة في مختلف سبل المعرفة . وكان طريق دراسة الحديث الذي ولجوه مجالاً للدس على الرسول الكريم يمثلهم أحمد بن بشير الذي يقول عنه الخطيب البغدادي إنه « كان رأساً في الشعوبية . استأذاً يخاصم فيها » (٢٢٠) .

إن هذه الأفعال المريية كان القصد منها «تفسخ الدولة العربية الاسلامية . وتصديق كيانها . وتدمير كل أخلاقها ومثلها وقيمها . ونسف الاسلام . وهو عمادها وقوامها . وبفسفه تحطم قواعدا ودعائما . وتهدم قلاعها وحصونها . وتهيأ لهم ان يحيوا تراثهم الثقافي والديني . ويعيدوا مجدهم السياسي على أنقاضها » (٢٢١) .

( ٢١٦ ) ينظر : الصراع الأدبي بين العرب والعجم ص ١١٩ - ١٢٢ .

( ٢١٧ ) انظر اخبارهم في : الحيوان ٤ : ٤٤٧ . مجمع الأدباء ٢ : ٤٢٥ ، ٤ : ١٧٩ .

( ٢١٨ ) ينظر : الحيوان ٤ : ٤٤٨ أمالي المرقضى ١ : ١٢٢ . مروج الذهب ٤ : ٣٦ . الفهرست ص ١٥٣ ، ١٥٥ .

( ٢١٩ ) تاريخ الطبري ٩ : ٢٨٦ .

( ٢٢٠ ) تاريخ بغداد ٤ : ٤٨ .

( ٢٢١ ) الفراء من مضمري الدولتين الأموية والعباسية ص ٢٢٠ .



وكانت الزندقة تعمل إلى جانب الشعوبية على هدم المجتمع وتشويه قيمة ومثله . وقد اتهم الكثيرون بترويجها . منهم مَنْ سلم من العقاب والقتل أمثال مطيع بن اياس . ووالبة بن الحباب . ويحيى بن زياد الحارثي ... ومنهم من قتل أمثال : ابن المقفع . وبنار بن برد . وصالح بن عبد القدوس . وعبد الكريم بن أبي العوجاء . وحماد عجرد .... وقد أورد الشريف المرتضى في فصل خاص شيئاً كثيراً عن أخبارهم وأشعارهم . (٢٢٢) فالزندقة موقف مضاد من العرب في حاضرهم بعد حملهم رسالة الاسلام ورفعهم راية الجهاد في سبيله

### الخمريات :

فإن أدبى ليس بجديد على الشعر العربي في العصر العباسي . وإنما هو قديم ابتدأ به شعراء ما قبل الإسلام . ويُعدُّ الأعشى أبرزهم وأكثرهم إطالة في وصف الخمرة . (٢٢٣) ولما جاء الإسلام أمر بتحريمها وحدَّ شاربها ، لذلك قُلَّتْ معارفُها إلا من نفر قليل جداً مثل أبي محجن الثقفي الذي لم يسلم من الحدِّ عدة مرات . (٢٢٤) وفي عصر بني أمية قرع كؤوسها عددٌ من الشعراء أمثال النابغة الشيباني (٢٢٥) . والقطامي (٢٢٦) . والأخطل (٢٢٧) . والوليد بن يزيد (٢٢٨) ...

ولما أقبل العصر العباسي بترفه ولهوه ومجونِه وانفتاحِه على أقوام كثيرة ولاسيما الفرس والروم . شاعت الخمرة . وتوسَّعت مجالسها ، وكثرت حاناتها وأنديتها . وزاد الأقبال عليها . وتوفَّر الشعراء على وصفها بصورة لم تحدث من قبل . ويبدو أنَّ الحرية والتساهل كانتا وراء هذا الإقبال . ولم يكن الخلفاء بمعزل عنها . فإن أكثرهم شربها . ويقال إن المنصور تناول النبيذ مرَّة واحدة بعد أن زَيَّنَها له أحد

( ٢٢٢ ) أمالي المرتضى ١ : ١٢٧ - ١٤١ .

( ٢٢٣ ) ينظر : تطور الخمريات في الشعر العربي ص ٦٤ ، وأساليب الصناعة في شعر العصر والنالة ص ١٥ .

( ٢٢٤ ) الأغانى ١٩ : ١ .

( ٢٢٥ ) ديوانه ص ٨٢ .

( ٢٢٦ ) ديوانه ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٢٥١ ، ٢٩١ .

( ٢٢٧ ) الأخطل الكبير ، حياته وشخصيته وقبته الفنية ص ١١٤ - ١٢٠ .

( ٢٢٨ ) الأغانى ١٧ : ١٩ .

الأطباء « فشربه في اليوم الأول فاستطابه . فعادَ له في اليوم الثاني ، وزادَ منه فخره . ثم عاوده في اليوم الثالث فأبطأ عن صلاة الظهر والعصر والعشاء . فلما كان من غدٍ دعا بما عنده من الشراب فهراقه . ثم قال : ما ينبغي لثلي أن يشرب شيئاً يشغله » ( ٢٢٩ ) .

إنَّ أولَ شاعر خُصَّ شعره لوصف الخمرة هو أبو الهندي غالب بن عبدالقدوس . قال عنه أبو الفرج الأصبهاني : « وقد أدركَ الدولتين . دولة بني أمية . ودولة ولد العباس . وكان جزلَ الشعر . حسنَ الألفاظ . لطيفَ المعاني ... واستفرغَ شعره بصفة الخمر . وهو أولُ من وصفها من شعراء الإسلام . فجعل وصفها وَكْذَهُ وَقُصَّذَهُ » ( ٢٣٠ ) . وكان يحب الخمرة . ويكي لفراقها . ويحنُّ إليها حين الفطيم إلى الرضاع . فما هو ذا يقول بعد أن أبطأ عن شربها مدة : ( ٢٣١ )

أديرا عليَّ الكأسَ إِنِّي فقدتُها      كما فقدَ المفظومُ ذرَّ المراضع  
حليفٌ مدامَ فارقَ الراخَ روحه      فظُلَّ عليها مُستَهْلُ المدامع  
وإذا قال أبو الهندي ( ٢٣٢ ) :

اجعلوا . إنَّ مِتَّ يوماً كفني      ورقَّ السُّكَّرُ وقبري مَفْصَرَة  
وادفنوني وادفنوا الراخَ معي      واجعلوا الأقداحَ حولَ المقبرة  
فقد سبقه إليه أبو محجن الثقفي ( ٢٣٣ ) :

إذا مِتَّ فادفني إلى أصل كزبة      تُروِّي عِظامي بعد موتي عروقها  
ولا تَدفني في القلاة فإنتي      أخافُ إذا مامتُ أن لا أدوقها ( ٢٣٤ )

٢ ( ٢٢٩ ) الوزراء والكتاب للجيهياري ص ١٠١ .

( ٢٣٠ ) الأغانى ٢٠ ، ٢٢٩ .

( ٢٣١ ) ديوانه ص ٤٤ ، الأغانى ٢٠ ، ٢٢٢ .

( ٢٣٢ ) ديوانه ص ٢٢ .

( ٢٣٣ ) الأغانى ١٩ ، ٧٠ .

( ٢٣٤ ) أدوقها مرفوعة باعتبار ( أن ) مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن أو ضمير مفعول

محدوف . وجملة أدوقها خبر . تنظر : خزانة الأدب ، ١ : ٢٢٢ ط بولاق .

وقد استقى أبو نواس كثيراً من المعاني في وصف الخمرة من أبي الهندي . حدث فضل اليزيدي : « انه سمع إسحاق الموصلي يوماً يقول . وأنشد شعراً لأبي الهندي في صفة الخمر . فاستحسنه وقرّظه . فذكر عنده أبو نواس ، فقال : ومن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة ؟ وأنا أوجدكم سلخه هذه المعاني كلها من شعره . فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهندي ، ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره » ( ٢٢٠ ) .

ومن شعراء الخمرة المشهورين قبل أبي نواس . علي بن الخليل ( ٢٢١ ) . وغكاشة العمي ( ٢٢٢ ) . وابن ميادة ( ٢٢٣ ) . وابن هرمة ( ٢٢٤ ) . ومهما قيل عن هؤلاء ، فإن شعر الخمرة تطوّر تطوراً كبيراً على يد أبي نواس . حتى غدّ زعيم شعراء الخمرة ( ٢٢٥ ) . وبقي شعره على مرّ العصور في صدر الدراسات التي تحدثت عن الخمرات . لما له من بريق أخاذ . وأريحية غلابة متأتية من قوة الطبع إلى جانب بساطة الأسلوب وحلاوة اللفظ ورشاقة الوزن ( ٢٢٦ ) .

لقد عشق أبو نواس الخمرة عشقاً عنيفاً قوياً . ووصل شعوره نحوها إلى درجة التقديس . وقد أشار إلى هذه الحقيقة الدكتور طه حسين حين توقف أمام مقطوعته ( ٢٢٧ ) :

أثني على الخمر بالأيها	وسمها أحسن اسمائها
لا تجعل الماء لها قاهراً	ولا تسلطها على مائها
كرخيّة قد عُثقت جعبة	حتى مضى أكثر أجزاءها
فلم يكذّ يدرك خمارها	منها سوى آخر حوائها
دارت فأحييت غير مذمومة	نفوس خراها وأنضائها
والخمر قد يشربها معشر	ليسوا — إذا غدوا — بأكفائها

( ٢٢٥ ) الأغانى ٢٠ ، ٢٢٩ .

( ٢٢٦ ) الأغانى ١٤ ، ١٧٥ .

( ٢٢٧ ) الأغانى ٢ ، ٢٥٧ .

( ٢٢٨ ) العيون ٢ ، ٢٢٧ ، البيان والتبيين ٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ .

( ٢٢٩ ) ديوانه ص ٢٢٤ .

( ٢٣٠ ) ينظر : أبو نواس زعيم شعراء الخمرة ص ٢٢ - ٨٥ .

( ٢٣١ ) ينظر : تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٤٢٧ . الشعر وطوائمه

الفعبية ص ٨٥ .

( ٢٤٢ ) حديث الأربعة ٢ ، ٨٧ . وينظر ديوان أبي نواس ص ١٢٠ .

إنَّ شعر الخمرة في العصر العباسي يشكّل ديواناً كبيراً يتناول وصفها وما يتصل بها من ندامى وسقاة وكؤوس ومجون ... وفي هذا الشعر جانب جديد يمكن أن يطلق عليه - كما يقول الدكتور هذارة (٢١٣) - اسم أدب الديارات ، ويقصد به الشعر الذي كان يتردّد حول مجالس الشراب في الأديرة التي كانت منتشرة في العراق والشام ومصر . وقد عُرف جماعة من الشعراء بالذهاب إلى هذه الأديرة أمثال أبي نواس ، والحسين بن الضحّاك ، وعمرو الوراق ، ومطيع بن إيلاس ، وأبي الشبل البرجمي ، ومحمد بن عبدالرحمن الكوفي المعروف بالثرواني ، وبكر بن خازجة الكوفي ، ومحمد بن أبي أمية ، وإسحاق الموصلي ، وخالد الكاتب الذي يقول في دير (سَمالو) الذي يقع بباب الشامية شرقي بغداد : (٢١٤) ،

يَا مَنْزَلَ الْقَضْفِ فِي سَمَالُو      مَالِي عَنْ طَيْبِكَ انْتَقَلُ  
وَاهَا لِأَيَّامِكَ الْخَوَالِي      وَالْمَعِيشُ صَافٍ بِهَا زَلَالُ  
تِلْكَ حَيَاةُ النُّفُوسِ حَقًّا      وَكُلُّ مَا دُونَهَا مُحَالُ

وهكذا أصبحت الأديرة « مقصداً وهدفاً لطلاب اللذة والمتعة ، وأصحاب اللهو والمجون ، وإذا بالشعراء والأدباء وغيرهم من مُغرمي موائد الشراب ومجالسه ، يقطعون المسافات للوصول إلى هذا الدير ، أو ذاك ، لما شُهر به من نبيذ حسن ، وخمرة جيدة ، وطيب معشر سكانه ، والقيمين عليه ، وإذا بهذه الديارات تدخل الأدب العربي عن طريق الشعر خاصة بأبيات ومقاطع وحتى بقصائد كاملة ، تُمجدها ويذكر الشعراء فيها أيامهم الجميلة ، ولياليهم السعيدة الحلوة التي قضوها فيها ، ثم يتمنون العودة إليها ، أو يتواعدون على اللقاء في الدير الفلاني ، وقد تنشأ علاقة صداقة ومودة خالصة بين المُجَان وطلاب المتعة وبين المسؤولين عن هذه الديارات (٢١٥) .

إن رواد الديارات كانوا « يتنافسون فيما يظهرون هنالك من زيههم ، ويباهون بما يعلّثونه لقصفهم » (٢١٦) ، وقد عدّ الدكتور يوسف خليف شعر الديارات لوحة من لوحات مدرسة الأدب المكشوف ، صوّر فيها الشعراء الجانب اللاهي من

(٢١٣) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٤٩٧ .

(٢١٤) ديوان خالد الكاتب ص ٢٢٢ . ونظير : الديارات للشاهشي ص ١٤ .

(٢١٥) الأدبية الأدبية في العصر العباسي ص ١٧٨ .

(٢١٦) الديارات ص ٤٦ .

حياتهم . فوصفوا مجالس الشراب . وتغزلوا بالفتيان والفتيات الذين كانوا يقومون على أمر الأديرة ويقدمون الخمر لروادها(٢١٧) . وقد صدق ما قاله جحظة في دير الرُّند وَرَدَ القريب من بغداد(٢١٨) :

سقياً ورعياً لدير الرُّند ورد وما يحوي ويجمع من راح وريحان  
دير تدور به الأقداح مترعة من كف ساقٍ مريض الطرفِ وسانٍ  
والعودُ يتبعه نايٌ يوافقه والشو يحكمه غصنٌ من البان

### الشعر الفكاهي

الفكاهة : المزاح . والفكاهة : الذي يحدث أصحابه ويضحكهم . وقد وجدت الفكاهة مجالاً رجباً في أوساط المجتمع العباسي . وبعدما أخذ هذا المجتمع بأسباب التحضر والتطور . وأصبحت تطلب كثيراً في المجالس والمحافل . ولاسيما من الخلفاء والوزراء وسراة القوم . إذ جعلوها وسيلة للترفيه والإضحاك والتسلية . أو لترويض الفكر . كما قال الرشيد ، النوادر تشخذ الأذهان . وتفتق الأذان(٢١٩) . وكان طبيعياً في وسط الحياة اللاهية حيناً والساخبة أحياناً أن تنزع النفوس المكدودة إلى أساليب الفكاهة التي تسري الهم . وتشرح الصدر . وتفتح مغاليق القلوب . وهل وراء ذلك بُغية لنفس ؟ لاغروان كانت روح المجالس وزينة المحافل . ولا جرم أن كان الخلفاء يقبلون عليها ويعقدون لها مجالس السحر(٢٢٠) .

والفكاهة عادةً تتطلب الذكاء والنباهة واللباقة وسرعة البديهة . وكان بعض الشعراء قادرين على إثباتها في المكان الملائم والزمان المناسب . وقد رأينا أبيات أبي ذلامة حينما خرج للصيد مع الخليفة المهدي الذي أصاب ظيباً فصاده وعلى بن سليمان أصاب كلباً فقتله .

( ٢١٧ ) حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ص ٦٢٠ .

( ٢١٨ ) جحظة البرمكي الأديب الفاهر ص ٣٧٠ .

( ٢١٩ ) ثمرات الأوراق ص ١٨٧ .

( ٢٢٠ ) ينظر : معالي الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول ص ٩٦ .

وكان البخلاء موضع التندر في المجالس . وقد عقد الجاحظ فصلاً في كتابه « البخلاء » لنواديرهم . وفي دواوين الشعراء شيء كثير عنهم . ولا سيما في ديوان أبي نواس . فله أكثر من مقطوعة في التهكم بهم . مثل قوله في رجل يدعى سعيداً: (٢٠٢)

رَغِيفٌ سَعِيدٌ عِنْدَهُ عَذْلٌ نَفْسُهُ      يُقَسِّلِبُهُ طَوْرًا . وَطَوْرًا يَلَاعِبُهُ  
وَيُخْرِجُهُ مِنْ كُفِّهِ فَيَشْمُهُ      وَيَجْلِسُهُ فِي حَجَرِهِ وَيَخَاطِبُهُ  
وَأَنْ جَاءَهُ الْمُسْكِينُ يَطْلُبُ فَضْلَهُ      فَقَدْ تَكَلَّمَتْ أُمُّهُ وَأَقَارِبُهُ  
يَكْرَهُ عَلَيْهِ السُّوْطُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ      وَتَكْسَرُ رِجْلَاهُ وَيُنْتَفُ شَارِبُهُ  
وقوله في آخر يدعى الفضل (٢٠٣) :

رَأَيْتُ الْفَضْلَ مَكْتُئِبًا      يَتَأَغَى الْخَبِرَ وَالسُّمُكَا  
فَقَطَّبَ حِينَ أَبْصَرَنِي      وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَبَكَى  
فَلَمَّا أَنْ جَلَفْتُ لَهُ      بِأَنْبِي سَائِمٍ ضَحِكَا

وتندر الشعراء كثيراً بأولئك الذين لم يحسنوا تنظيم لحاهم وتنظيفها . من مثل قول مروان بن أبي حفصة في لحية شيخ يسمى رباحاً (٢٠٤) :

لَقَدْ كَانَتْ مَجَالِنَا فَاخًا      فَضِيقَهَا بِلَحِيَّتِهِ رِبَاخُ

مبشرة الأسافل والأعالي      لَهَا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ جَنَاحُ  
ولا بن الرومي باع طويل في هذا اللون من الشعر فله فيه صورٌ مضحكة مثل قوله: (٢٠٥)

وَلَحِيَّةٌ يَحْمِلُهَا مَائِقُ      مِثْلُ الشَّرَاعِينَ إِذَا أُشْرَعَا  
تَقْوَدُ الرِّيحُ بِهَا صَاغِرًا      قَوْدًا عَنِيْفًا يُتَعَبُ الْأَخْدَعَا  
فَانْ عَدَا وَالرِّيحُ فِي وَجْهِهِ      لَمْ يَنْبَعِثْ فِي مَشْيِهِ إِضْبَعَا  
لَوْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ بِهَا غَوْصَةً      صَادَ بِهَا حَيْتَانَهُ أَجْمَعَا

(٢٠١) ينظر : كتاب البخلاء ص ٦٧ - ٦٦٢ .

(٢٠٢) ديوانه ص ٤٦٤ .

(٢٠٣) ديوانه ص ٥٢٥ .

(٢٠٤) شعره ص ٢٨ .

(٢٠٥) ديوانه ص ١٥٥ .

فلحية هذا الرجل الأحق بجانيها المستعرضين كشرعين . ولكنهما لا يساعده  
مع الريح على التنقل كما يساعد الشراعان السفينة . بل هما يتقلانه حين تقابله  
الريح . فلا يستطيع التحرك بل إن هذه اللحية العريضة أشبه ماتكون - في عين  
ابن الرومي - بشبكة كبيرة . وأولى بصاحبها أن لا يعترض بها الناس في الطريق  
بل يسقط بها في البحر ليصيده حيتانه التي يعز على الشباك صيدها (٢٥٦)

والنادر أحياناً تكون لاذعة وساخرة . ومثال على ذلك ما حدث به أحمد بن  
خالد . قال (٢٥٧) « كنا يوماً بدار صالح بن علي من عبد القيس ببغداد . ومعنا  
جماعة من أصحابنا . فسقط على كنيئة (٢٥٨) في سطحه ديك طار من دار دعبل .  
فلما رأيناه قلنا هذا صيدنا . فأخذناه . فقال صالح . مانصنع به ؟ قلنا . نذبخه .  
فذبحناه . وشويناه . وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح .  
فطلبه منا . فجحدهناه . وشربنا يومنا . فلما كان من الغد خرج دعبل فصلّى الغداة .  
ثم جلس على المسجد . وكان ذلك المسجد مجمع الناس . يجتمع فيه جماعة من  
العلماء . ويتناهبهم الناس فجلس دعبل على المسجد وقال :

أسر المؤذن صالح وضيوؤه أسر الكمي هفا خلال الماقط (٢٥٩)  
بعثوا عليه بنيهم وبناتهم مابسين نائسة وآخر سامط  
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا خاقان أو هزموا كئائب ناعط (٢٦٠)  
نهشوه فانتزعته له أسنانهم وتهشمت أقفاؤهم بالحائط

وقال : فكتبها الناس عنه ومضوا فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت : ويحكم .  
ضاقت عليكم المأكّل . فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل ؟ ثم أنشدنا الشعر .  
وقال لي : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته . وبعثت به إلى دعبل  
والأوقعا في لسانه . ففعلت ذلك .

(٢٥٦) الشعر وطوايمه الشعبية ص ١٠٢ .

(٢٥٧) الأغاني ٤٠ ، ١٢٨ . وينظر ديوان دعبل ص ٩٩ .

(٢٥٨) كنيئة : تفسير الكنة ، وهي الحائط ، أو السقيفة تفرع فوق باب الدار .

(٢٥٩) المؤذن ، أراد به الديك هفا ، سقط . الماطط ، المضيق في الحرب .

(٢٦٠) خاقان ، اسم لكل خفنه الترك أي ملكوه عليهم . ناعط ، قبيلة من همدان

ويسلك التعايب أحياناً عند بعض الشعراء طريق الاساءة ، وهو أمر خطير يؤدي الى زرع الفتنة ، وتفكك الروابط وزوال المحبة . وهذا مانجده عند عبد الصمد بن المعذل في كثير من شعره . مثل قوله في أعور عشق عوراء (٢١١)

هي عوراء باليمين وهذا أعور باليسار وافق شئت  
بين شخصيهما ضرير إذا ما قعدت عن شماله تتغنئ

وقوله في أبان اللاحقي (٢١٢)

صحفتُ أمك إذ لم تك بالـمهد أبانا  
قد علمنا ما أرادت لـم ترد إلا أنا  
ضيرتُ بآ مكان التـياء والله عيانا  
قطع الله وشيكاً من مـميك اللسانا

إن هذا الشعر وأمثاله لا يرقى الى المستوى الذي شاهدناه في الأغراض الأخرى . إذ يخلو من الجمال ، وتبدو عليه السطحية والضعف ، لأنه في الغالب منظوم على عجل أو ارتجالاً .

### الشعر التعليمي :

فن أدبي جديد ، اقتحم الشعراء بابَه في العصر العباسي . سهيلاً لحفظ العلوم واستظهار المعارف ولاسيما بعد الاقبال على التعلم والرغبة الشديد في طلب المعرفة . وهو في الغالب يفتقر الى العاطفة والخيال ويخاطب العقل . ويتميز بطول النفس الشعري واعتماده الرجز وتنوع القافية .

ويعدُّ أبان بن عبد الحميد اللاحقي فارس الشعراء في هذا اللون من النظم . فله مزدوجة في خمسة آلاف بيت تقريباً كما يقول ابن المعتز (٢١٣) . استفرغ فيها كتاب كليلة ودمنة . وقد نقل الصولي منها بضعة وسبعين بيتاً . جاء فيها (٢١٤) .

( ٢١١ ) شعره ص ١٩٢ .

( ٢١٢ ) الأغانى ١٢ ، ٢٢٧ .

( ٢١٣ ) طبقات الشعراء ص ٢٤١ .

( ٢١٤ ) أخبار الشعراء المحدثين ص ٤٩ ، وينظر الأغانى ٢٣ ، ١٥٥ .



وربما كان هلاك الشجر في حسن الغصن وطيب الثمر  
 وذنب الطاوس فهو زينته كذلك أحياناً وفيه حينه  
 وباذل النصح لمن لم يشكره كطارج في سبخ ما يبذره  
 لاختير للعاقل في ذي المنظر إن هو لم يحمده عند المخبر  
 وليس في الصديق ذي الصفاء خير إذا لم يك ذا وفاء  
 وله أيضاً مزدوجة طويلة شرح فيها أحكام الصوم والزكاة . أولها : (٢١٥)

هذا كتاب الصوم وهو جامع لكل ما قامت به الشرائع  
 من ذلك المُنزل في القرآن فضلاً على من كان ذا بيان  
 ومنه ما جاء عن النبي من عهده المتبوع المرضي  
 صلى الآله وعليه سلماً كما هدى الله به وعُلماً  
 وسلك ابنه حمدان بن ابان هذا المسلك . ونظم مزدوجة في وصف الحب وأهله .  
 منها (٢١٦)

ياأيها الناس فغوا	وصيتي واستمعوا
ففي صفاتي عجب	وفي كتابي أدب
قصيدتي مقومة	ألفاظها منظممة
فيها هوى العشاق	ومنية المشتاق

وفي علم الحيوان نظم بشر بن المُعْتَمِر قصيدتين فيهما غرائب وفرائد كما قال  
 الجاحظ . (٢١٧) وفي تاريخ الطب نظم اسحاق بن حنين قصيدة (٢١٨) . وفي علم  
 الفلك نظم محمد بن ابراهيم الفزاري مزدوجة طويلة تقع مع تفسيرها في عشرة  
 مجلدات ، كما يقول ياقوت الحموي . أولها (٢١٩)

الحمد لله العَلِيّ الأعظم ذي الفضل والمجد الكبير الأكرم  
 الواحد الفرد الجواد المنعم  
 الخالق السَّبْع العَلَى طباقاً والشمس يجلو ضوؤها الإغصاقا  
 والبدر يملأ نوره الآفاقا

(٢١٥) أخبار الشعراء المحدثين ص ٥١ .

(٢١٦) أخبار الشعراء المحدثين ص ٥٨ .

(٢١٧) الحيوان ٦ ، ٢٨٤ .

(٢١٨) شعراء النصرانية بعد الاسلام ص ٢٤٩ .

وشارك الشعراء في تدوين التاريخ شعراً . ولعل أحداً لم يسبق علي بن الجهم ، فهو الذي فتح هذا الباب ونظم مزدوجة في أكثر من ثلاثمئة بيت . تناول فيها بدء الخليقة وتاريخ الانبياء . كما حكى تاريخ الاسلام منذ بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حتى خلافة المستعين . منها قوله ( ٣٠ )

ثم أزال الظلمة الضياء      وعاودت جذتها الاشياء  
ودانت الشعوب والأحياء      وجاء ماليس به خفاء  
أناهم المنتجب الأواء      محمد صلى عليه الله

وبعد علي بن الجهم جاء ابن المعتز في نظم تاريخ الخلفاء . إذ نجد له مزدوجة طويلة في سيرة الخليفة المعتضد وأحداث عصره تقع في أربعمئة وتسعة عشر بيتاً . أولها : ( ٣١ )

باسم إله الملك الرحمن      ذي العز والقدرة والسلطان  
الحمد لله على آلائه      أحمده والحمد من نعمائه  
أبدع خلقاً لم يكن فكاناً      وأظهر الخجة والبيان  
وأرسل الرسل بحق ساطع      قاهر كل باطل وقامع

ويعلق الدكتور طه حنين على هذه المزدوجة . ومزدوجة أخرى لابن المعتز امتدت نحو مائة وعشرين بيتاً في ذم الصبوح وحمد الغبوق ( ٣٢ ) . فيقول : « لن أبالغ ولن أغلو . حين أوصي بقراءة هاتين القصيدتين . لا لأن واحدة منهما تدم الصبوح وتحمد الغبوق . ولا لأن الأخرى تتناول حوادث تاريخية قد نجدها في سهولة في الكتب التاريخية بل لأن في قراءة هذا النوع ماقد يبعث شعراءنا على محاكاة هذا الشعر . وأؤكد لكم أن هذه المحاكاة تعود بشيء كثير على الشعر في هذا العصر . فأجمل ما فيه أنه بريء كل البراءة من التكلف . لم يبحث عن لفظ غريب . ولم يتكلف معنى غريباً . إنما هو يأخذ الأشياء التي حوله . فيعبر عنها

( ٢٦٩ ) معجم الأدباء ٦ : ٢٦٨

( ٢٧٠ ) ديوانه ص ٢٤٢ .

( ٢٧١ ) ديوانه ١ : ٥١٩ .

( ٢٧٢ ) الغبوق ، الهرب آخر النهار مقابل الصبوح . تنظر المزدوجة في ديوان ابن المعتز ٢ .

٢٥٨ وأخبار أولاد الخلفاء ٢٥١ .

بالالفاظ التي تدور على ألسنة الناس جميعاً» (٢٣). أما الدكتور عز الدين اسماعيل فيقول، «وقد كان من الممكن ان يتطور هذا اللون من الفن الشعري الى نوع من الشعر المحمى، ففيه نفس غير يسير منه، ولكن ما يؤسف له أنه تطور في اتجاه آخر لا ينتمي في كثير أو قليل الى الفن الأدبي، وذلك عندما راح المشتغلون بفروع العلم المختلفة ينظمون المادة العلمية في أراجيز مزدوجة من هذا الطراز، تكون بمثابة متون يحفظها الآخذون في تحصيل هذه العلوم». (٢٤). لقد كان التعلم آنذاك يعتمد كثيراً على الحفظ والشرح، حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والمتون اللغوية، والقوائد الشعرية الجيدة، وكل المعارف المتصلة بعلوم اللغة العربية وآدابها... ولذلك كثر هذا اللون من النظم بأسلوب سهل ميسور، ولم يتجاوز الغاية التعليمية، ولم يتطور في اتجاه آخر. وتناول الشعر التعليمي الوعظ والارشاد والتهديب، وكذلك الحكم والأمثال كما تلاحظ في أرجوزة أبي العتاهية المعروفة بـ ( ذات الأمثال ) التي نيفت على أربعة آلاف مثل كما يقول أبو الفرج الأصبهاني (٢٥) منها قوله :

لِكُلِّ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قُلْ أَلَمْ      مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْمِ  
مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ      وَخَيْرُ دُخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِئْلِهِ  
إِنْ الْفَسَادُ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ      وَرُبَّ جِدِّ جِرَّةِ الْبُغَاةِ  
إِنَّ الشُّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْجَدَّ      مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ

وظل الشعر التعليمي قائماً، وزاد الاقبال على نظمته بمرور الايام، حتى أصبحنا نرى في العصور اللاحقة كثيراً من المنظومات في الفقه والطب والمنطق والحساب والتاريخ والنحو والصرف والبلاغة والخط..

( ٢٣ ) من حديث الشعر والنثر ص ١٧٨ .

( ٢٤ ) في الأدب العباسي ، الرؤية والفن ص ٤٠٨ .

( ٢٥ ) الأصبهاني ٤ ، ٣٦ . وقد وصل إلينا من هذه الأرجوزة ثلاث مئة وعشرون بيتاً ( ينظر أبو

العتاهية أشعاره وأخباره ص ٤٤٤ - ٤٦٥ ) .

## التجديد في المعاني والأفكار

اتسمت الثقافة في العصر العباسي ، وكثرت منافذها ، وتمعددت ألوانها ، وقد ظهر أثر ذلك جلياً في الحياة الفكرية ، والشعر جانب من هذه الحياة ، اذ نراه يزدهج بالمعاني والأفكار ، والصور والأخيلة . ومن يراجع دواوين الشعراء والمجاميع الأدبية يجد تلك الحقيقة واضحة للعيان .

بعد غاص الشعراء في بحر الأفكار ، وتعمقوا في أغواره ، واستنبطوا لآلي جديدة ، ودرراً ثمينة تعجب الناظر وتبهر السامع ، لما فيها من دقة وروعة وبهاء ...

إن الصور الشعرية التي نلمس فيها الجدة والطرافة كثيرة في رياض الأدب العباسي . فمن أزهير تلك الرياض الأبيات الآتية لبشار بن برد التي أعجب بها أبو عمرو بن العلاء وعدُّ بشاراً من أفضل الشعراء لتجديده وابداعه فيها . قال (٣١) :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم      ونفى عني الكرى طيف ألم  
وإذا قلت لها جودي لنا      خزجت بالصمت عن لا ونعم  
نفسى ياعبد عني واعلمي      أنسى ياعبد من لحم ودم  
إن في بردي جسماً ناحلاً      لو توكأت عليه لانهدم  
ختم الحب لها في عنقي      موضع الخاتم من أهل الذم

ولعل أبا عمرو بن العلاء استساغ البيت الأخير ، لأنه حقاً صورة فريدة وتشبيه نادر اضافة الى أن لغة الأبيات سهلة وأسلوبها مأنوس يتعاطف مع القلب .

ومن الشعر الجميل المتناهي في الرقة والسلاسة قول دعبل الخزاعي (٣٢) :

أين الثياب ، وأية سلكا ؟      لا ، أين يطلب ؟ ضل ، بل هلكا  
لا تعجبي ياسلم من رجل      ضحك الشيب برأسه فبكى  
ياسلم ما بالشيب منقصة      لاسوة يُبقي ولا مِلِكَا  
ياليث شعري كيف نومكما      ياصاحبى اذا دمي سُفِكَا  
لاتأخذا بظلامتسي أحداً      قلبي وطرفي في دمي اشركا

(٣١) الأملاني ١٢ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣٢) ديوانه ص ١١٧ .

والبيت الثاني هو الذي أوصل دعبلاً بالرشيد . فقد غنى ابنُ جامع المقطوعة التي تضمُّ هذا البيت بين يدي الرشيد « فطرب » . وسأل عن قائل الشعر . فقيل له . دِعبل بن علي . وهو غلامٌ نشأ من خُزاعة . فأمرَ باحضار عشرة آلاف درهم وخِلعة من ثيابه . فأحضّر ذلك . فدفعه مع مركب من مراكيبه الى خادم من خاصّته . وقال له . اذهب بهذا الى خُزاعة فاسأل عن دِعبل بن علي . فاذا دُللت عليه فاعطه هذا . وقل له . ليحضّر ان شاء . وان لم يُحب ذلك فدعه . وأمر للمغني بجائزة . فسار الغلام الى دِعبل . وأعطاه الجائزة . وأشار عليه بالمسير اليه . فلما دخل عليه وسلّم أمره بالجلوس فجلس . واستنشد الشعر فأنشده اياه . فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنياً « ( ٢٧٨ ) »

وبرز مسلم بن الوليد في ابتداع المعاني . وكثيراً ماذكره المأمون في مجالسه وفضله على غيره من الشعراء . ومن شعره الذي أعجب به النقاد والقراء البيت الآتي : ( ٢٧٩ )  
تجوّد بالنفس اذ ضنّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود  
وكذلك اشتهر أبو تمام بفتق أكمام الفكرة وتزيينها باللفظ الجميل والجرس .

لرقيق . مثل قوله في فضل الحاسد على المحسود ( ٢٨٠ ) .  
واذا أراد الله نشر فضيلة طويّت أتاح لها لسان حُود  
لولا اشتعال النار فيما جاوزت ماكان يعرف طيب عَرَف العود  
وبلغ ابن الرومي مرتبة عالية في التجويد باللفظ والعبارة . والتعمق في المعاني . وابتداع الصور الجديدة . مثل قوله في الغزل ( ٢٨١ )

نظرت فأقصدت الفؤاد بسهمها ثم انتثت نحوي فكدت أهيّم  
ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهنّ أليّم

ومما يستحسن في هذا المجال بيتان لعبد الله بن محمد بن سالم المعروف بابن الخياط . قال أبو الفرج الأصبهاني : ( ٢٨٢ ) « دخل على المهدي فمدحه . فأمر له بخمسين ألف درهم . فقال يمدحه

( ٢٧٨ ) الأغاني ٢٠ : ١٧٩ .

( ٢٧٩ ) ديوانه ص ١٦٤ .

( ٢٨٠ ) ديوانه ١ : ٢٩٧ .

( ٢٨١ ) ديوانه ٦ : ٢٢٩٧ .

( ٢٨٢ ) الأغاني ٢٠ : ١١٠ .

أخذت بكفّي كفّذ ابتغي الغنى ولم أدر أنّ الجود من كفّه يعدي  
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

فبلغ المهدي خبره . فأضعف جائزته . وأمر بحملها اليه في منزلة .

ان خيال الشاعر في العصر العباسي خلق في آفاق بعيدة . بعدما شاهد ماضيته  
يد الحضارة . وما أوجدته الحياة الجديدة من ألوان الترف والنعيم لم تكن معروفة  
سابقاً . الى جانب الطبيعة الجميلة المكتسبة بالألوان الزاهية . كما نرى مثلاً في قول  
أبي تمام يمدح أبا سعيد الثوري ويذكر بعض حملاته على الأعداء ( ٢٨٢ )

غادرت أرضهم بخيلك في الوغى وكان أمّنعها لها مضمار  
وأقمت فيها وادعاً مُتمهلاً حتى ظننا أنها لك دار  
وأرى الرياض حواملاً ومطافلاً مذ كنت فيها والسحاب عشار  
أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أحار  
تندى عذائك للعفاة وتغتدي رفقاً الى زوارك الزوار  
هممي معلقة عليك رقابها مغفولة إن الوفاء إسار  
وانظر الى صورة الخمرة عند العكوك ( ٢٨١ )

كان يد النديم تدوير منها شعاعاً لايحيط عليه كاس  
وقريب من هذا المعنى قول ابن المعتز ( ٢٨٥ ) .  
تخفي الزجاجة لونها وكأنها في الكف قائمة بغير إناء

ولاحظ هذه اللوحة الشعرية الملونة المتحركة التي قدّمها ديك الجن في أبياته  
الجميلة الرقيقة لوصف الديك : ( ٢٨٦ ) .

أما ترى راهب الأسحار قد هتفاً وحث تغريده لما علا الشّفا  
أوفى بصيغ أبي قابوس مفرقة كدرة التّاج لما أن علا شرفا ( ٢٨٧ ) .  
مشنف بعقيق فوق مذبحه هل كنت في غير أذن تعرف الشّفا

( ٢٨٢ ) ديوانه ٢ ، ١٨١ .

( ٢٨٤ ) شعره ص ٧٢ .

( ١٨٥ ) شعره ٢ ، ١٨ .

( ٢٨٦ ) ديوانه ص ١٧٧ .

( ٢٨٧ ) جاء في ديوان المعاني ٢ ، ١٢٧ ( وقوله صيغ أبي قابوس ، يعني شقائق النعمان ) .

لما أراحت رعاة الليل عازبة من الكواكب كانت ترتعي السدفا  
هز اللواء على ماكان من سبة فارتج. ثم علا. واهتز. ثم هفا  
ثم استمر. كما غنى من طرب مزيج شرب على تغريده وضا(٢٨٨)  
إذا استهل استهل فوقه خصل كالحي صبح صباحا فيه فاختلفا

ومن صور ابن الرومي البديعة الزاهية قوله في وصف قوس السحاب(٢٨٩) :

يطرزها قوس السحاب بحمرة على أخضر في أصفر وسط مبيض  
كاذيال خوذ أقلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض

ومن الشعراء من أضفى على شعره أدلة منطقية. اكتسبها من الثقافة التي  
تلقاها. أو من مشاهداته وتجاربه الخاصة. يريد بها اقناع السامعين بما جادت به  
قريحته. مثل قول أبي تمام في الهرم(٢٩٠)

لا تنكري منه تخديدا تجللة فالسيف لا يزدرى إن كان ذا شطب

ومن ابتدعات ابن الرومي التي لم يثبت اليها قوله(٢٩١)

كل امرئ مدح امرأ لنواله فأطال فيه فقد أراد هجاء  
لو لم يكثر فيه بعد المشتقى عــــند ورود لما أطال رشاء

واستعان الشعراء في هذا العصر بالتجسيد والتضخيم. والمبالغة والتهويل. وهذه  
الأمر. وإن لم تكن من مستحدثات هذا العصر. أصبحت سمة بارزة اتكأ عليها  
الشعراء في كثير من الأحيان. ولا سيما في المديح والغزل. ويبدو أن المتلقين كانوا  
يرتاحون لها ويهشون لسماعها. مثل قول منصور النمري في الخليفة هارون  
الرشيد(٢٩٢)

إن المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تنسج  
إذا رفعت امرأ فالله يرفعه ومن وضعت من الأقوام متضع

(٢٨٨) المريح ، الحديد المرح ، الحرب ، القوم الغابون . ضفا ، استطال مستعرا .

(٢٨٩) ديوانه ٤ ، ١٤١٩ .

(٢٩٠) ديوانه ١ ، ١١١ .

(٢٩١) ديوان ١ ، ١١١ .

(٢٩٢) الألهامي ١٣ ، ١٤٧ .

وقول بشار بن برد في الفخر (٢٢٣)

إذا ما غضبنا غضباً مضرئاً هتكنا حجاب الشمس أو تُمطر الدُما  
وقوله في الغزل (٢٢٤) :

سلبت عظامي لحمها فتركتها عواري في أجلاذها تستكسز  
وأخليت منها مَخْها فتركتها أنايب في أجوافها الريح تصفر  
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري ضنى جسدي لكُنِي أُتسّر

وإلى جانب المبالغة يلاحظ القاري حرص كثير من الشعراء على المحسنات اللفظية والمعنوية . إذ عدوها من مراتب التجديد والابداع . وقد جاءت في شعرهم أحياناً مقبولة . لها وقع حسن في النفس . وأحياناً مردولة لا جمال فيها ولا بهاء وبعيدة عن الذوق السليم . فمن الصور اللطيفة التي تبدو فيها الصنعة محببة قول الحسين بن مطير الأسدي (٢٢٥) :

بيضاء تسحب من قيام فزعها وتغيب فيه وهو جفد أسحم  
فكأنها منه نهاراً مشرقاً وكأنه ليل عليها مظلم

وقول بشار بن برد في عذوبة صوت الحبيبة : (٢٢٦)

وكان رجع حديثها قطع الرياض كمين زهرا

وهذه أبيات لأبي تمام تتداعى فيها المعاني وتتزاحم الصور يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ويذكر خروجه للقاء العدو (٢٢٧)

لقد أنعمت والشتاة له وج طاعنا منخر الشمال متيحا  
هـ براءة الكمأة جهما قطوبا في ليل تكاد تبقي بخد الشمس  
بلاد العدو موتا جنوبا (٢٢٨)  
من ريحها الليل شحوبا

( ٢٢٢ ) ديوان شعر بشار بن برد ص ١٩٩ .

( ٢٢٤ ) نفسه ص ١١٤ .

( ٢٢٥ ) شعره ص ٧٢ .

( ٢٢٦ ) ديوان شعر بشار بن برد ص ١١٨ .

( ٢٢٧ ) ديوانه ١ ، ١٦٥ .

( ٢٢٨ ) المعنى أنه يغزو بلاد العدو وهم في ناحية الشمال فيجئهم بموت من ناحية الجنوب .



فَضْرِبَتْ الشِّتَاءَ فِي أَخْذَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ غَوْدًا رَكُوبًا (٢٩٩)  
لَوْ أَصْخْنَا مِنْ بَعْدِهَا لَسَمَعْنَا لِقُلُوبِ الْأَيَّامِ مِنْكَ وَجِيبًا (٣٠٠)

إنَّ غالبية الشعراء العباسيين كانوا مولعين بالتجديد إلى جانب الاعتماد على الموروث . وهذا التجديد يعود إلى التطور الاجتماعي الكبير الذي شمل جوانب الحياة المختلفة آنذاك . وكذلك التطور الفكري الذي أدى إلى ثراء العقل وفتح الأبواب الكثيرة للخلق والابداع .

### الألفاظ والأساليب

قطع العلم والأدب في العصر العباسي شوطاً كبيراً في ساحة الرقي والتقدم والازدهار . وازداد عدد الدارسين والناهلين من معين المعرفة . تلك المعرفة النابعة من أصول قديمة أو آتية من منافذ جديدة . ومن يلاحظ في ألفاظ هؤلاء الدارسين وأساليبهم يجدها تتراوح بين القوة والجزالة من جهة والسهولة والليونة من جهة أخرى .

كانت صلة كثير من الشعراء قوية بالشعر القديم . فبشار بن برد مثلاً كان يجاري امرئ القيس (٣٠١) . ويتعمد محاكاة الأساليب القديمة . ولا عجب حين قال الأصمعي : « بشار خاتمة الشعراء . والله لولا أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم » . وأبو نواس قال عن نفسه : « ما ظنكم برجل لم يقل الشعر حتى روى دواوين ستين امرأة من العرب . منهم الخنساء وليلى . فما ظنكم بالرجال ؟ » (٣٠٢) . وكان محمد بن مُنَازِر « ينحونحوغدي بن زيد في شعره . ويميل إليه . ويقدمه » . وعُرف عن أبي تمام بروايته للقديم من الأشعار . حتى أن الحسن بن رجاء قال : « ما رأيت أحداً قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام » (٣٠٣) .

---

( ٢٩٩ ) الأخدعان ، عرقان في العنق . عوداً ، جملاً مسناً . ركوباً ، مذللاً .

( ٣٠٠ ) الاصاغة ، إمالة الأذن للسمع . الوجيب ، صوت حركة القلب

( ٣٠١ ) الأغاني ٢ ، ١٩٦ .

( ٣٠٢ ) الأغاني ٢ ، ١٤٢ .

( ٣٠٣ ) أخبار أبي تمام ص ١١٨ .

إن فئة كبيرة من شعراء العصر العباسي الأول كان شعرهم يجاري الأقدمين تارةً . والمحدثين تارةً أخرى . ومن أشهرهم بشار بن برد . وأبو نواس . ومروان بن أبي حفصة . ومسلم بن الوليد . وأبو الشيص . ودعبل الخزاعي . والحسين بن مطير الأسدي . وعمارة بن عقيل . وكلثوم بن عمرو العتّابي . وأبو تمام . وعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ... فمن النماذج الرصينة القوية قول أبي نواس من قصيدة يمدح بها الخليفة هارون الرشيد (٢٠١)

انا اليك من الصلّيت فداسم      طلع النّجاذ بنا وجيف الأنيق (٢٠٥)  
يتبعن مائرة الملائط . كأنما      ترنو بعيني مقلت لم تفرق (٢٠٦)  
خساء ترعى جؤذراً بخميلاً      وبها اليه صابة كالأولق (٢٠٧)  
حتى اذا وجدته لم تر عنده      الأ مجرّ إهابه المتزق

في هذه الأبيات يصف الشاعر حنين الابل واشتياقها الى أعطانها . ويشبها ببقرة وحشية ترنو الى ابنها في خميلة . وليس لها سواه . لأن كل أولادها تموت أو لأنها ولدته ولم تلد بعده . فلما ذهب اليه وجدته قتيلاً فأوعلت عليه . وأرزمت له فهو يشبه هذا بهذا . وهذه الصورة التي رسمها النواصي تشبه أختاً لها عند الخساء في رثاء أخيها صخر في رائيها المشهورة . ومن النماذج السهلة الميسورة الخفيفة على الأسماع قول مروان بن أبي حفصة في مقدمة قصيدة يمدح بها الخليفة المهدي (٢٠٨)

طرقتك زائرة فحيّ خيالها      بيضاء تخلط بالحياء دلالتها  
قادت فؤاذك فاستقاد ومثلها      قاد القلوب الى الصبا فأمالها

( ٢٠٤ ) ديوانه ص ٤٠٠

( ٢٠٥ ) الصلّيت وداسم ، اسما موضعين . النجاذ ، مفردة النجد ، وهو ما اشرف من الأرض .

الوجيف ، نوع من السير السريع .

( ٢٠٦ ) المائرة ، المضطربة الملائط ، جانباً السنام . المقلت المرأة لا يمشي لها ولد .

( ٢٠٧ ) الأولق ، المجنون .

( ٢٠٨ ) شعره ص ٩٦ .

ومنها في المديح ،

أحيا أمير المؤمنين محمد      سنن النبي حرامها وحلالها  
ملكك تفرع نبعة من هاشم      مد الإله على الأنام ظلالها  
جبل لأمته تلود بركنه      راذي جبال عدوها فأزالها

وهناك فئة أخرى من الشعراء سلكت طريقاً سهلاً ميسوراً ، يسميهم نجيب محمد البهيتي أنصار المدرسة الشعبية (٢٤) ، وهم كثيرون وعلى رأسهم أبو العتاهية ، والعباس بن الأحنف ، وربيعة الرقي . وقد سار شعرهم بين محبي الأدب « ووجد الناس فيه مراحاً من كد القريحة ، وإعمال الذهن ، ومهرباً من النصب الذي يلتقونه في قراءة غيرهم من الشعراء »<sup>(٢٥)</sup> . وحسبنا من شعر هذه المدرسة قول ربيعة الرقي متغزلاً بفتاة تدعى غنمة (٢٦)

حمامة بلقي عني بلاما      حبيباً لأطيق له كلاما  
وقولي للتي غضبت علينا      علام ، وفيمن ياكني علاما  
ومنها ،

وإن جميع أهلك غنوني      ولا موني ، ولم أطق الملا  
كرام الناس قبلي قد أحبا      كرائمهم وأحببن الكراما  
جميل والكثير قد أحبا      وعروة من هوئى لاقى حماما  
هم سنوا الهوى والحب قبلي      وما ألقى لهم في الناس ذاما  
فيا « غنام » يا بصري وسمعي      رسيئ هواك أورتني سقاما  
لقد أقصدت - حين رميت - قلبي      بسهم الحب ، إن له سهاماً

بهذه الرقة والعذوبة يسترسل الشاعر في قصيدة طويلة ، طالباً من الحبيبة أن يلين قلبها ، وتعطف عليه ، وتميل إليه ، وتنجيه من لوعة الغرام ودواعي الشوق والهيام .

إن أغلب الشعراء ، سواء كانوا من أنصار الأوائل أم من أنصار المدرسة الشعبية ، تأثروا بالعصر الجديد ومعطياته ، ومن هنا تعصب اللغويون لأدب ما قبل الإسلام

( ٢٠٩ ) ينظر تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٢٨٢ .

( ٢١٠ ) نفسه ص ٤٠٦ .

( ٢١١ ) شعره ص ٨٨ .

والعصر الإسلامي والأموي ، وقد تساهل الأصمعي حين ختم الشعر بأبن هرمة وابن ميادة وأضرابهما من شعراء نجد والحجاز الذين أدركوا الدولة العباسية (٢١٢)

لقد ترسبت كثير من الالفاظ والافكار الى الساحة الأدبية من الاقوام الذين امتزجوا بالعرب وتظاهروا مع الكثيرين منهم . ومن يراجع الكتب التي عنت بالألفاظ الدخيلة مثل « المعرب » لأبي منصور الجواليقي . و « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجي يجد ألفاظاً كثيرة أصبحت مألوقة الاستعمال في الشعر والنثر ، مثل ، الفالوذج . والديباح . والطيلسان . والخوان . والطشت . والابريق . والمهرجان . والنيروز . والمارستان . والدسكرة . والقولنج . والترياق . والهيمولي . والاسطرلاب . والقيراط ... ومن أكثر الشعراء استخداماً للألفاظ غير العربية أصلاً أبو نواس ، وكان أحياناً يأتي بها على وجه التظرف والتملح كما يقول الجاحظ (٢١٣) . كذلك وقدت الى العربية بعض ألفاظ التبجيل مثل الحضرة والجناب . والادارية مثل صاحب الشرطة وصاحب الستار ...

وشاع استعمال الألفاظ المركبة مع لا النافية في حالة التعريف كاللانهاية . واللاضرورة . واللاارادة ... وكذلك صياغة الأسماء من الحروف والضمائر مثل الكمية والكيفية والماهية والهوية ... كما أدخلت الألف والنون قبل ياء المتكلم مثل نفساني وروحاني ... وهذه وتلك من خواص اللغة الآرية كما يقولون (٢١٤)

وضمن بعض الشعراء ألفاظ المتكلمين والفلاسفة في شعرهم مثل ، الحركة والسكون والروح والجسد والكل والبعض والجوهر والعرض والجزء والقليل والأقل ... وقد استشهد الجاحظ في هذا المجال بشعر أبي نواس في جنان جارية آل عبد الوهاب الثقفي : (٢١٥)

---

( ٢١٢ ) الأغاني ٤ : ٣٧٣ .

( ٢١٣ ) البيان والتبيين ١ : ١٤١ ، وننظر الأبيات الشعرية التي فيها ألفاظ أعجمية في كتاب الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٢٢ - ١٢٤ .

( ٢١٤ ) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٤١ .

( ٢١٥ ) البيان والتبيين ١ : ١٤١ ، وننظر ديوان أبي نواس ص ٢٢٢ .

وَذَاتٍ خَيْدٍ . مَوْرَدٍ  
نَأْمُلُ الْعَيْنَ مِنْهَا  
فَبِمَعْضُهَا قَدْ تَنَاهَى  
وَالْحَسَنُ فِي كُلِّ عَضْوٍ

فِتْنَانَةٍ . الْمَتَجَرَّدُ (٣١١)  
مَحَاسِنًا لَيْسَ تَنْفُذُ  
وَبِمَعْضُهَا يَتَوَلَّدُ  
مِنْهَا مَعَادٌ مَرْدُدٌ

وَلَأَبَى نَوَاسٍ أَيْضًا (٣١٢)

يَا عَاقِدَ الْقَلْبِ مَنِّي :  
تَرَكْتُ مَنِّي قَلِيلًا  
يَكَاذُ لَا يَتَجَزَّأُ  
هَلَّا . تَذَكَّرْتُ . حَلًّا  
مِنْ الْقَلِيلِ أَقْلًا  
أَقْلٌ فِي اللَّفْظِ مِنْ « لَا »

وهكذا تجاوز الشعراء على المعجم الشعري الأصيل . واستخدموا الفاظاً وتراكيب أعجمية فضلاً على المصطلحات العلمية والفقهية والفلسفية والصوفية وسواها . وقد ابتعد بعض الشعراء عن السليقة مما هباً لظهور اللحن والخروج أحياناً عن القياس الصرفي (٣١٨) . وكان علماء اللغة لهم بالمرصاد . كلما انحرفوا دلّوهم على انحرافهم . ويفيض كتاب الموشح للمرzbاني في مأخذ هؤلاء العلماء عليهم .

(٣١٦) المتجرد ، أي بضعة عند التجرد .

(٣١٧) البيان والتبيين ، ١ ، ١٤١ ، والنظر ، ابن نواس لابن منظور ص ١٩ حيث تجد فيه أفعاراً أخرى فيها دليل على معرفته بالفاظ المتكلمين .

(٣١٨) ينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٧٤ .

## الأوزان والقوافي

الشعر فنٌ جميل تستهويه النفوس « مثله مثل التصوير والموسيقى والنحت . وهو في أغلب أحواله يخاطبُ العاطفة . ويستثيرُ المشاعر والوجدان . وهو جميلٌ في تخييرِ ألفاظه ، جميلٌ في تركيب كلماته ، جميلٌ في توالي مقاطعه وانجامها ، بحيث تتردّد ويتكرّر بعضها فتسمعه الآذان موسيقى ونغمًا منتظمًا » (٢١٩)

ان للشعر خصائص موسيقية ، تأتيه - في الغالب - من الوزن والقافية . وقد اهتم بهما الدارسون القدامى . فقال ابن رشيقي : « الوزن أعظم أركان خد الشعر ، وأولاها به خصوصية . وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة ، إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن . وقد لا يكون عيباً نحو الخمسات وما شاكلها » (٢٢٠)

كان الخليل بن أحمد الفراهيدي الرائد الأول في تسجيل أوزان الشعر ، اذ نظر في التراث الشعري فعرف منه خمسة عشر وزناً على نحو ما هو معروف في علم العروض . ثم جاء أبو الحسن الأخفش فاستدرك عليه وزناً نادراً أسماه المتدارك . وقد أَلَمَ الشعراء العباسيون بهذه الأوزان ونظموا على تفعيلاتها ، التي تمثل الوحدات الصوتية . وكان الميل في كثير من الأحيان الى الأوزان القصيرة والمجزوءة ، ولا سيما الذي يُغْنى به . اذ يستدعي الرشاقة والعدوبة والنعومة والخفة ويلئم حياة القصور والحانات والخمائل وما فيها من نعيم ولهو وطربٍ وألحانٍ ... والشيء الذي نقف عنده قليلاً هو بحر المجتث الذي نظر اليه النقاد القدامى نظرة استصغار . قال حازم القرطاجني : « أما المجتث والمقتضب فالحلاوة فيهما قليلة على طيش فيهما » (٢٢١) . فاننا نخالف هذا الرأي . فهو - وإن كان قليلاً في أشعار المتقدمين كما يقول أبو العلاء المعري (٢٢٢) - محبوب الى النفوس ، وأكثر استجابة للغناء وطواعية للموسيقى . لذلك نظم فيه الشعراء في العصر العباسي . أمثال بشار بن برد (٢٢٣) . ومطيع

( ٢١٩ ) موسيقى الشعر ص ٧ .

( ٢٢٠ ) المدة ١ : ١٢٤ .

( ٢٢١ ) منهاج البلاغ ص ٢٩٦ .

( ٢٢٢ ) الفصول والفايات ١ : ١٢٢ .

( ٢٢٣ ) ديوان بشار ١ : ١٥٧ .

ابن اياس (٣١١) . والعباس بن الأحنف (٣١٠) ومن جاء بعدهم . واليك هذه الأبيات من بحر المجتث من قصيدة لمطيع بن اياس :

ويلي مئن جفاني وحبُّهُ قد برانسي  
وطيفهُ يلقاني وشخصهُ غير دان  
أغرُّ كالسدرِ يُعشى بحسنه المينان  
جازي لاتسعدلاني في حبِّه ودعاني

ومن المقتضب قول أبي نواس (٣٣١) :

حامل الهوى ثعبان يستخفُّه الطرب  
إن بكى يحقُّ له ليس ما به لئيب  
تضحكين لاهية والمحبُّ ينتحب  
تعجبين من سُقمي صغتي هي العجب  
كلما انقضى سبب منك عاذ لي سبب

تصرَّف بعض الشعراء بالأوزان المعروفة . كما استحدثوا أوزاناً أخرى تلاثم الأذواق آنذاك وتنجم مع روح العصر . وكان عبدالله بن هرون بن السُمَيْدَع البصري أول من أقدم على ذلك . قال عنه أبو الفرج الأصبهاني : « أخذ العروض من الخليل بن أحمد . فكان مقدماً فيه . وانقطع الى آل سليمان بن علي وأدب أولادهم . وكان يمدحهم كثيراً . فأكثر شعره فيهم . وهو مقلِّ جداً . وكان يقول أوزاناً من العروض غريبة في شعره . ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رزين العروضي . فأتى فيه ببدائع جمّة . وجعل أكثر شعره من هذا الجنس » (٣٣٧) . ومن شعر رزين العروضي الأبيات الآتية من قصيدة يمدح بها الحسن بن سهل وزير المأمون : (٣٣٨)

( ٣٣٤ ) الأغانى ١٢ ، ٢٩٢

( ٣٣٥ ) ديوانه ص ٧٢ ، ٢٤٤

( ٣٣٦ ) ديوانه ص ٢٢٧ .

( ٣٣٧ ) الأغانى ٦ ، ١٦٠ .

( ٣٣٨ ) معجم الأدباء ٦ ، ١٦٠ .

مَنْ مَبْلَغُ الْأَمِيرِ أَخِي الْمَكْرَمَاتِ      مِدْحَةُ مَحْبِرَةٍ فِي أَلُوكِ؟ (٣٢٩)  
تَزْدَهِي كَوَاسِطُهُ فِي النَّظَامِ      فَوْقَ نَخْرٍ جَارِيَةٍ تَسْتَبِيكُ  
يَابُنَّ سَادَةَ زَهْرٍ كَالنُّجُومِ      أَفْلَحَ الَّذِينَ هُمْ أَنْجَبُوكُ

وإذا دققنا في وزن هذه الأبيات وجدناه عكس المنسرح ، وهذا ليس بغريب ، إذ لجأ عدد من الشعراء إلى أوزان مهملة ولدها الخليل بن أحمد الفراهيدي من عكس دوائر البحور ، من ذلك ، (٣٣٠)

بحر المستطيل : وهو عكس الطويل ، وأجزاؤه (مفاعيلن ، فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ) .

بحر الممتد : وهو عكس المديد ، وأجزاؤه (فاعلن ، فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلاتن ) .

بحر المتوافر ، وهو محرف الرمل ، وأجزاؤه (فاعلاتك ، فاعلاتك ، فاعلن )

بحر المتمد : وهو مقلوب المجتث ، وأجزاؤه (فاعلاتن ، فاعلاتن ، مستفع لن ) .

بحر المطرد : وهو مقلوب التفعيلتين الأوليين من بحر المضارع ، وأجزاؤه (فاعلاتن ، مفاعيلن ، مفاعيلن ) .

بحر المنسرد : وهو مقلوب التفعيلتين الأخيرتين من بحر المضارع أيضاً ، وأجزاؤه (مفاعيلن ، مفاعيلن ، فاعلاتن ) .

وكان أبو العتاهية من أكثر الشعراء الذين أطلقوا أنفسهم على سجيتهما لتخلق وتبتكر الأوزان التي تليق بما يقولون من الشعر . قال عنه أبو الفرج الأصبهاني « وله أوزان لاتدخل في العروض » (٣٣١) ، وقال ابن قتيبة ، « وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب » (٣٣٢) واستشهد بهذه الأبيات من شعره ،

عُثِبَ ، مَالِ الْخِيَالِ      خَبِيرِنِي وَمَا لِي ؟  
لَأَرَاهُ أَتَانِي      زَائِرًا مَذْلِيَالِي  
لَوْ رَأَيْتَنِي صَدِيقِي      رَقُّ لِي أَوْ رُشِي لِي  
أَوْ يَرَانِي عَدُوِي      لَأَنَّ مَن سَوِّ حَالِي

( ٣٢٩ ) الألوک ، الرسالة .

( ٣٣٠ ) معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول ص ١٢٢ .

( ٣٣١ ) الأغانى ١٢٠٤ .

( ٣٣٢ ) الشعر والشعراء ص ٦٦٦ .



والقافية كما هو معروف شريك الوزن في الاختصاص بالشعر ، فهو القرار الذي ينتهي اليه كل بيت . فتحدث مع الوزن وحدة موسيقية في القصيدة (٣٣) . وقد جدد الشعراء العباسيون في القافية كما جددوا في الأوزان . فاستحدثوا ماسموه باسم المزدوج والمسط والخمس ... أما المزدوج فالقافية فيه لا تنطرد في الابيات . بل تختلف من بيت الى بيت . في حين تتحد في الشطرين المتقابلين . كما شاهدنا في النماذج التي أوردناها في الشعر التعليمي . أما المسط فهو قصائد تتألف من أدوار . تعتمد على قطب واحد يسمى عمود المسط . وكل دور يتركب من أربعة أشطر تتفق في قافية واحدة ماعدا الشطر الأخير فانه يستقل بقافية تشابه قافية العمود التي بدأ بها الشاعر . ومن أمثلته مسطرة لأبي نواس في وصف الخمرة (٣٤)

سُـلَافٌ                      ذَنْ                      كَشْـمَسٌ                      دُجْنِ  
كدمع                      جَفْنِ                      كـخـمـر                      غـنِ

فاحتُ بـريـح                      كـريـح                      شـيـح                      ح  
يوم صـبـوح                      بـوج                      وـغـيـم                      دـجـنِ

يـقـيـك ساقِ                      عـلـى اشـتـتـيـاقِ  
الـبـى تـلـاقِ                      بـمـاء مـزِنِ  
يـمـن لـحـانـي                      عـلـى زـمـانـي  
الـلـهـو شـانـي                      فـلا تـلـمـنـي

والمخمس شبيه بالمسط ، فهو يعتمد على الأدوار ، كل دور يتكون من خمسة أشطر . الاربعة الأولى متحدة القافية . والخامس قافيته ثابتة وهو بمثابة اللازمة . واليك هذا الدور من خمسة لأبي نواس : (٣٥)

ماروض رـيـحـانـكـم الزاهر                      وما شذى نـشـركـم العاطرُ  
وحقَّ وجدي . والهوى قاهرُ                      لم يبق لي ناظرُ  
والقلب لاسالٍ ولا صابرُ

[ ٣٣٣ ] أبو فراس الحمداني ، حياته وشعره ص ٢٩٢ .

[ ٣٣٤ ] ديوان أبي نواس ص ٢٤٦ .

[ ٣٣٥ ] حياة الحيوان للدميري ١ ، ٩٦ .

ويطالعنا أبو العتاهية بأبيات شعرية لم نألفها من قبل . فهي لا تقرأ إلا قطعة واحدة متصلة . على الرغم من تقفية صدور الأبيات وأعجازها : ( ٣١ )

يا ذا الذي في الحب يلحى أما	والله لو كُلفت منه كما
كُلفت من حبٍ رخيـم . لما	لُمت على الحب . فذرني وما
ألقي . فأنـي لست أدري بما	بليت إلا أنـي بينما
أنا بيب القصر - في بعض ما	أطوف في قصرهم - اذ رمى
قلبي غزالاً بسهام . فما	أخطأها قلبي . ولكنما
سهماً عينان له . كلما	أراد قتلي بهما سلماً

## أبو العتاهية

١٣٠ - ٢١١

هو أبو العتاهية اسماعيل بن القاسم بن سُوَيْد بن كَيْسَان . وَكُنِيَّتُهُ أَبُو إِسْحَاق. وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ لِقَبِهِ . رُوي أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَالَ لَهُ يَوْمًا : أَنْتَ إِنْسَانٌ مَتَحَذِّقٌ مُعْتَمَةٌ ، فَاسْتَوَتْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ كُنْيَةٌ غَلِبَتْ عَلَيْهِ دُونَ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ ، وَسَارَتْ لَهُ فِي النَّاسِ .. وَقِيلَ : كُنِيَ بِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الشَّهْرَةَ وَالْمَجُونَ وَالتَّعَتَةَ . (٣٧) أَمَّا نَسَبُهُ فَفِيهِ خِلَافٌ . قَالَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ إِنَّهُ نَبْطِيٌّ مِنْ مَوَالِي بَنِي غَنْزَةَ . وَأَمَّا مِنْ مَوَالِي بَنِي زُهْرَةَ ، وَذَكَرَ آخَرُونَ أَنَّهُ عَرَبِيٌّ وَتَبِعَهُمْ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الْمُسْتَشْرِقِينَ مِثْلَ نَكَلْسُون وَهَوَار .

### مولده وسيرته :

وُلِدَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي بَلَدَةِ عَيْنِ التَّمَرِ غَرْبِي الْكُوفَةِ (٣٨) سَنَةَ ١٣٠ لِلْهِجْرَةِ وَلَا نَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ حَيَاتِهِ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ ، وَأَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّهُ انْتَقَلَ مِنْهَا صَغِيرًا مَعَ أَبِيهِ إِلَى الْكُوفَةِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ حَجَّامًا ..

نَشَأَ فِي الْكُوفَةِ ، وَتَلَقَّى عُلُومَهُ فِيهَا . وَكَانَتْ آنَ ذَاكَ مَرْكَزًا لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ . وَكَانَ لِقِصَّةِ مِنَ الْمَوَالِي الَّذِينَ عَاشُوا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي انْتِشَارِ الْمَجُونِ وَالْخِلَاعَةِ وَالزَّنَدَقَةِ وَالشَّعْوِيَّةِ . وَقَدْ ظَهَرَ فِيهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ سَلَكُوا طَرِيقَ التَّهْتِكِ وَالْغَوَابَةِ أَمْثَالُ : مَطِيْعِ بْنِ إِيَّاسٍ ، وَوَالِيَةِ بْنِ الْحُبَّابِ ، وَحَمَادِ عَجْرَدٍ ... وَكَانَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ نَفْسٌ مِثْلَالَةٌ لِلْمَسِيرِ فِي دَرْبِهِمُ الشَّائِنِ . وَقَدْ حَاولَ أَخُوهُ زَيْدُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ بِالْجَرَّارِ وَالْفَخَّارِ أَنْ يَنْقِذَهُ مِنَ السَّقُوطِ فِي هَاوِيَةِ الضَّلَالَةِ ، فَاشْرَكَهُ فِي حِرْفَتِهِ . وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ذَكِيًّا يَتَرَدَّدُ إِلَى حَلَقَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ وَنَبَغَ فِي نَظْمِ الشُّعْرِ وَهُوَ فِي مَقْتَبِلِ الْعُمُرِ . وَكَانَ الْأَحْدَاثُ وَالْمَتَادِبُونَ يَأْتُونَ إِلَيْهِ فَيَنْشُدُهُمْ أَشْعَارَهُ . وَيَكْتُبُونَهَا عَلَى مَا تَكْسُرُ مِنَ الْخَزَفِ . وَبَعْدَ زَمَنِ قَصِيرٍ رَفِضَ هَذِهِ الْمِهْنَةَ وَتَرَكَهَا . وَكَانَ يَقُولُ : « أَنَا جَدَّارُ الْقَوَافِي ، وَأَخِي جَرَّارُ التَّجَارَةِ » (٣٩)

(٣٧) الْأَغَانِي ٤ ، ٢٠٤ .

(٣٨) يَنْظُرُ مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٤ ، ٢٦٠ .

(٣٩) الْأَغَانِي ٤ ، ٢٠٤ .

نزعَت نفسُ أبي العتاهية الى مخالطة الشعراء المجَّان والترُّد الى محلات المغنين والقيان . واكتسبَ آنذاك صديقاً أخلصَ له الوُدَّ وهو المغنِّي ابراهيم الموصلي . وقد اصطحبه عندما جاء الى بغداد ، ولم يفلح أبو العتاهية من هذا المجيء . ولم تفتح له أبواب البقاء . فعاد الى الكوفة بعد أن عرَّج في طريقه الى الحيرة . ووقع بصره على فتاة ذات حسن وجمال تسمى « سَعْدَى » مولاة عبد الله بن مَعْن بن زائدة . تهلَّه بها . ونظم فيها شعراً غزلياً رقيقاً . ولكنها أعرضت عنه . ولم تأبه به . وحينما علم مولاها بذلك نهأ عنها . ولكنه لم يتمثل للنهي . وهجاء هجاءً موجعاً . فقبض عليه وضربه مئة سوطٍ وأسكته من هذا التغزل .

جرَّ أبو العتاهية أذيال الخيبة والفشل الى الكوفة . ولم يمكث فيها طويلاً . اذ جاءه طلب من صديقه ابراهيم الموصلي بالتوجُّه الى بغداد . فاستجاب له . ونظم قصيدة في مدح الخليفة المهدي نالت رضاه . وبذلك انفتحت له أبواب الشهرة . ونال بعدها جوائز الولاة والقواد . أحدهم عمر بن العلاء الذي وصله على قصيدة واحدة سبعين ألف درهم (٢١٠) .

وفي البلاط العباسي رأى جارية جميلة فتانة تُسمَّى « غُتْبَة » . فتابعها . ولاحقها . ونظم شعراً رقيقاً يحاول به أن ينفذ الى قلبها وينالها . من ذلك قوله (٢١١) :

ياغُتْبُ سَيِّدَتِي ! أَمَا لَكَ دِينُ ؟      حَتَّى مَتَى قَلْبِي لَدَيْكَ رَهِينُ ؟  
وَأَنَا الذَّلُولُ لِكُلِّ مَا حَمَلْتَنِي      وَأَنَا الشَّقِيُّ الْبَائِسُ الْمُسْكِينُ  
وَأَنَا الْغَدَاةُ لِكُلِّ بَاكِ مُنْعَدٌ      وَلِكُلِّ صَبٍّ صَاحِبٍ وَخَدِينُ  
لَا بَأْسَ . إِنَّ لَذَاكَ عِنْدِي رَاحَةً      لِلصَّبِّ أَنْ يَلْقَى الْحَزِينَ حَزِينُ  
يَاغُتْبُ ! أَيْنَ أَفْرُ مِنْكَ . أَمِيرَتِي !      وَعَلَيَّ حِصْنٌ مِنْ هَوَاكِ حَصِينُ

لم تكن غُتْبَة تجيبه . بل كانت تكرهه وتزدريه . وفي أول الأمر همَّ المهديُّ أن يدفع غُتْبَة اليه . فجزعت وقالت : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . أَسْتَجِيرُ فِي مَرَوْتِكَ وَشَرْفِكَ وَمَا يَلْزِمُكَ مِنْ حَقِّ خِدْمَتِي وَصَحْبَتِي أَنْ تَخْرُجَنِي مِنْ دَارِ النِّعْمَةِ إِلَى بَائِعِ جِرَارٍ .

( ٢٤٠ ) زهر الآداب ١ ، ٢٢٤ .

( ٢٤١ ) ديوانه ص ٤٥٨ .

سوقى ، دنيء النفس ، وبعد ، فانما يريد الذكر والشهرة ، وليس بعاشق « (٢٤٢) .  
فأغفاها ، ولم يمثل أبو العتاهية لهذا القرار ، ومضى يتغزل بها ، وضربه المهدي  
مئة سوط لقوله :

ألا إن ظبياً للخليفة صادني ومالي على ظبي الخليفة من غدو  
وقال : أبى يتمرّس ، ولحرمي يتمرّض ، وبنسائي يعبث ؟ ونفاه الى الكوفة .  
وبقى يذكر عتبة ويكني باسمها ، من ذلك قوله (٢٤٣)

قل لمن لست أسقى ، بأبى أنبت وأمسى  
بأبى أنبت لقد أص ، بحث من أكبر همى  
ولقد قلت لأهلى ، إذ أذاب الحبّ لحمى  
وارادوا لى طبيباً ، قاکتفوا منى بعلمى  
من يكن جهل مالقى ، فإن الحبّ سقمى  
إن روحى لببغدا ، ذ فى الكوفة جسمى

وشفع له المهدي ، بواسطة يزيد بن منصور الحميري خال المهدي ، وعاد الى  
بغداد ، وبقي على حبه لعتبة ، وبعد وفاة المهدي ثم الهادي ، تقدّم لطلبها ، وحاول  
الخليفة الرشيد أن يستميلها اليه ، ولكنها أبث وقالت : « أنا أمتك ، وأمرك نافذ  
فى ، ما خلا أمر أبى العتاهية (٢٤٤) ... » وبكت بين يديه ، فرق لها ، ورحمها ،  
وانصرف عنها ، ولما سمع أبو العتاهية الخبر يؤس منها وعلم أنها لاتجيبه ، وقال فى  
ذلك قصيدة أولها : (٢٤٥)

قطعت منك حبال الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالى  
ويئت أن أبقى لشيء نلت مما فىك يادنيا ، وأن يبق لى  
فوجدت برّد اليأس بين جوانحي وأرحت من حلّى ومن ترحالى

وهكذا انتهت المحاولة الأخيرة ، وانسدل الستار عليها . وقد قام الشك حول هذا  
الحب الضائع ، ونحن نرجّح أنه أحب عتبة وإن ذهب فريق من الدارسين الى أنه مثل  
دور المحبّ العاشق المدلّه بالغرام كى يتحدث الناس بأمره .

( ٢٤٢ ) طبقات الشعراء ص ٢٢١ .

( ٢٤٣ ) زهر الآداب ١ ، ٢٢٧ .

( ٢٤٤ ) مروج الذهب ٢ ، ٢٥٧ .

( ٢٤٥ ) ديوانه ص ٢٢٥ .

وبعد انصرافه عن عُتْبَة ، وانقطاعه عن التغزل بها ، بقي ملازماً لدار الخلافة ، وكانت الأموال تأتيه بسخاء ، فإن الخليفة الرشيد كان يُجري عليه كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعادن (٢١٦) ، ومن بعده المأمون كان يُجري عليه عشرين ألف درهم (٢١٧) وكان الى جانب هذا يجري الحسن بن سهل عليه ثلاثة آلاف درهم كل شهر (٢١٨) ... فضلاً عن الهدايا والهبات الأخرى . ومع هذا الثراء والمال الكثير كان بخيلاً غاية البخل . وكان يحاول أن يدفع عن نفسه البخل والشرافة في جمع المال بطرق شتى ، وله نوادر طريفة نجدها في ترجمته في الأغاني وتاريخ بغداد ومروج الذهب .. ومن أطرفها أنه يدعو الى التمتع بالمال وانفاقه في قوله : (٢١٩)

إذا المرء لم يُعْتَقْ من المال رَقَّةً تملكه المال الذي هو مالِكُهُ  
ألا انما مالي الذي أنا مُنْفَقٌ وليس لي المال الذي أنا تَارِكُهُ  
إذا كنت ذا مالٍ ، فبادِرْ به الذي يحقُّ ، وآلا استهلكْتَهُ هُوَالِكُهُ

لقد حدث تحول كبير فجأة في حياة أبي العتاهية ، إذ نراه ينقطع عن مجلس الرشيد ، ويضرب عن قول الشعر في الحب ، ويلبس ملابس الصوفية ، في سنة ١٨٠ للهجرة وهو في الخمسين من عمره ، ويدعوه الرشيد الى استئناف خدمته والعودة الى ماكان يصنع له من رقاق الغزل ، فيأبى ، فيأمر بحبسه والتضييق عليه ، فينظم قصيدة مطلعها (٢٢٠)

أما والله إن الظلمَ لو لم يكن المسي هو الظلوم  
وفي ختامها يقول :

ألا يا أيها الملك أُرْجَى عليه نواهض الدنيا تحوم ،  
أقلني زُلَّةً لم أجرم منها الى اوم . وما مثلي ملوم  
وخلصني تخلص يوم بعث اذا للناس بُرِّزَت الجحيم  
رق له الخليفة وأمر باطلاقه . وقضى أخريات حياته بالزهد والتوبة والاستغفار ، والدعوة الى مكارم الأخلاق . الى أن قضى نحبه سنة ٢١١ هـ على أرجح الآراء (٢٢١)

( ٢٤٦ ) الأغاني ١ ، ٤ ، ٦٢ .

( ٢٤٧ ) الأغاني ١ ، ٤ ، ٥٢ .

( ٢٤٨ ) الأغاني ١ ، ٤ ، ٨٩ .

( ٢٤٩ ) ديوانه ص ٢١٧ .

( ٢٥٠ ) ديوانه ص ٢٩٨ .

( ٢٥١ ) ينظر أبو العتاهية حياته وشمعه ص ١٥٨ .

## تهمة الزندقة

ذكرنا سابقاً أن الزندقة كانت حركة كبيرة في العصر العباسي ، لذلك حاربها الخليفة المهدي ومن جاء بعده ، وقد اتهم عددٌ من الشعراء بهذه التهمة ، وكان أبو العتاهية واحداً منهم . ويدّو أن تهمة لعنوا شخصية ، لأن ما قيل عنه لم ينهض دليلاً قاطعاً على زندقته .

ونورد هنا أهم التهم ، قال محمد بن أبي العتاهية : « لما قال أبي في عُتْبة :

كَأَنَّ عَتَابَةَ مِنْ حَنِينِهَا دُمِيَّةٌ قَسِرَ فِتْنَتُ قَسُهَا  
يَارَبِّ لَوْ أُنْسِيْتِنِهَا بِمَا فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ لَمْ أُنْسِهَا  
شَنَعَ عَلَيْهِ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ بِالزَّنْدَقَةِ ، وَقَالَ : يَتَهَاوَنُ بِالْجَنَّةِ وَيَبْتَذُلُ ذِكْرَهَا فِي

شعره بمثل هذا التهاون ، وشَنَعَ عليه أيضاً قوله :

إِنَّ الْمَلِيكَ رَأَى أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ وَرَأَى جَمَالَكَ  
فَحَذَا بِقُدْرَةِ نَفْسِهِ حَوْرَ الْجَنَانِ عَلَى مِثَالِكَ

وقال : أَيْصُورُ الْحَوْرَ عَلَى مِثَالِ امْرَأَةِ آدَمِيَّةٍ ، وَاللَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مِثَالٍ ، وَأَوْقَعَ لَهُ هَذَا عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَامَّةِ ، فَلَقِيَ مِنْهُمْ بَلَاءً « (٢٥٢) »

ان التهمة واضحة ، لأن الأبيات ماهي إلا مبالغات أدبية .

وقال أبو الفرج الأصبهاني في التهمة الثانية : « وكان قوم من أهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث ، ويحتجّون بأن شعره انما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر التشور والمعاد » (٢٥٣) .

ان من يطالع ديوان أبي العتاهية يظهر له بجلاء افتراء هؤلاء القوم لما فيه من ذكر التوحيد وذكر البعث ، والاقرار بالجنة والنار ، والوعد والوعيد .

وفي تهمة ثالثة قال أبو الفرج الأصبهاني (٢٥٤) : « قال محمد بن أحمد بن حرب : « كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد . وأن الله خلق جوهرين متضادين لا

(٢٥٢) الأذهاني ٢٥١ ، ٤ .

(٢٥٣) الأذهاني ٢٤ ، ٤ .

(٢٥٤) الأذهاني ٥١ ، ٤ .

من شيء . ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما ... وكان يزعم أن الله سيرد كل شيء الى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعاً . وهذا القول يوافق ما قاله ابن المعتز عن أبي العتاهية : « والذي يصح لي أنه كان ثنويّاً » (٢٥٥) ، ويبدو أنه نظر الى أرجوزته التي تقول فيها (٢٥٦)

لكل شيء معدنٌ وجوهرٌ      وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرٌ  
وكل شيء لاحقٌ بجوهره      أصغره مُتَّصِلٌ بأكبـره  
الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ      لذا نحتاجُ ولذا نحتاجُ  
لكل إنسانٍ طبيعتانِ      خيرٌ وشرٌّ وهما ضدانِ  
والخيرُ والشرُّ اذا ما عدا      بينهما بونٌ بعيدٌ جداً

إن أبا العتاهية - في ظننا - لم يكن زنديقاً ، وإنما كان في أول أمره محيراً مذنباً ثم استقر بعد ذلك على الايمان بالله وباليوم الآخر ، وهاهو ذا يقسم ، « والله ما ديني إلا التوحيد » (٢٥٧) . وقد أصاب الدكتور محمد مصطفى هدار في قوله (٢٥٨) : « الواقع اننا نؤمن ايماناً وثيقاً بأن أبا العتاهية ليس زنديقاً ولا كافراً ولكنه يؤمن ايماناً لا يتطرق اليه الشك . وكل ما في الأمر أنه رجل عاش وسط تيارات من الفلسفات المختلفة والمذاهب المتباينة ، فتأثر بها لاتأثر الزنديق ولكن تأثر المؤمن ، فهو يستخدم ما في الثنوية من فكرة الخير والشر لتوضيح تيارها في نفس الانسان وفي العالم كله . ولكنه لم يتعد هذه الحدود وبذلك لم يتعد حدود الإسلام » .

زُهدُه :

عاش أبو العتاهية حياةً لاهيةً عابثةً . ثم عاف تلك الحياة بعد تجاوزه الخمسين من العمر . والتجأ الى الزهد وتقوى الله وعبادته . وقد اختلف الدارسون في هذا التحول . فقد رأى محمد خلف الله أن وراء زهد أبي العتاهية وتحوله من تيار اللهو والمجون الى الايمان وتقوى الله عاملين رئيسيين ، أولهما : أحاسه الدفين بضعة أصله . وهذا الاحساس النفسي حمله على أن ينادي بأن التقوى هي العز والكرم كما في قوله :

( ٢٥٥ ) طبقات الشعراء ص ٢٢٨ .

( ٢٥٦ ) ديوانه ص ٤٩٤ .

( ٢٥٧ ) الأهلبي ١ ، ٢٥٠ .

( ٢٥٨ ) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٣٦٩ .



دعني مبن ذكر أب وجد ونسب يُعليك نور المجد  
مالفخر الأفي التقى والزهد وطاعة تعطى جنان الخلد

والعامل الثاني : حبه لعبه الذي صهر مشاعره . وكان بلا أمل فصار بذلك حرماناً جديداً أضيف الى أسباب تنسكه . ويرى خلف الله أن صدمته في حبه لعبه هي نقطة التحول الحقيقية في حياته (٢٠١) . ويضيف الدكتور مصطفى هدارة عاملاً ثالثاً هو اتصاله بالثقافات المختلفة في عصره . ولا سيما حركة الزهد التي بدأت تأخذ طريقها في ذلك الوقت (٢٠٢) . أما محمد بن برائق فقال : « ماكان شعره في الزهد لله ولكنه طريق سلكه في شعره لإظهار الحسرة والأسى على حبيته عتبه (٢٠٣) . وأنكر الدكتور محمد عبدالعزيز الكفراوي زهد أبي العتاهية ورأى أنه ضلل الباحثين والنقاد مايقرب من اثني عشر قرناً . ولايزال شعره في مدارسنا الثانوية بل وجامعاتنا يدرس على أنه منبعث عن زهد أو ما يشبه الزهد مع إنه أبعد الاشياء عن ذلك . وجعل أحد دوافع الزهد عند أبي العتاهية اتفاقية سرية بين الشاعر من جهة والفضل بن الربيع مع زبيدة من جهة أخرى . لإبعاد الرشيد عن مجالس الأنس والطرب والجواري منافسات زبيدة وإبعاد جعفر البرمكي عدو الفضل بن الربيع ونديم الرشيد على الشراب ... لقد كانت زبيدة تريد أن تجعل من الرشيد رجلاً عابداً زاهداً في كل شيء من الدنيا سواها . وأبو العتاهية وشعره وسيلتها الى ذلك (٢٠٤) .

وهكذا حاول الكثيرون اخراج أبي العتاهية من حلبة الزهد ورميه خارجها ، مع انه - في رأينا - قد تزهد في أخريات عمره . وكف عن شهواته وصبواته ، وهاهو ذا يقول مخاطباً الرشيد بعد اعتزال مجلسه وطرح اللهو والشراب والمنادمة جانباً ، « يا أمير المؤمنين ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، كنت أقول الغزل ولبي شباب وجدة ، وبى حراك وقوة ، وأنا اليوم شيخ ضعيف لا يحسن بمثلي تصاب (٢٠٥) . ان زهده جاء بعد ضعفه وكبره وشعره بالندم على ماقدمت يده من معاص وآثام وأعمال منكرة . ويرى الدكتور محمد محمود الدش أنه تزهد حقاً بعد سنة مئتين للهجرة ، أي بعد السبعين من العمر (٢٠٦) .

( ٢٥٩ ) دراسات في الادب العربي الاسلامي ص ٥٥ .

( ٢٦٠ ) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٢٩٢ .

( ٢٦١ ) أبو العتاهية ص ٢١ .

( ٢٦٢ ) الشعر العربي بين الجمود والتطور ص ١٠٢ ، وأسطورة الزهد عند أبي العتاهية ص ٢٩ .

( ٢٦٣ ) زهر الاداب ١ ، ٢٢٩ .

( ٢٦٤ ) أبو العتاهية ، حياته وشعره ص ١٥٩ .

كان أبو العتاهية ذا ثقافة واسعة . أتته من عدة روافد أوسعها الرافد الاسلامي .  
وهذه الثقافة واضحة في شعره . فمثلاً ما ذكره المبرد في قول أبي العتاهية : (٣٠)

وقد يهلك الإنسان من باب أمنه وينجو باذن الله من حيث يحذر

فهو متأثر بقوله تعالى : ( فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ) (٣١) ومن تأثره بالحديث : (٣٧)

إذا كنت في الدنيا بصيراً فإنما بلاغك منها مثل زاد المسافر

فهو مأخوذ من الحديث الشريف : « ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد المسافر » .  
ومن تأثره بمن سبقه من الشعراء في قوله : (٣٨)

يا من رأى قبلي قتيلاً بكى من شدة الوجد على القاتل  
فهو مأخوذ من جميل بن معمر في قوله : (٣٩)

خليلي . فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي ؟

كان ابو العتاهية مبكراً في نظم الشعر ومكثراً . حتى انه قال : « لو شئت ان أجعل كلامي كله شعراً لفعلت » (٣٠) وقد شاهد ابن النديم من ديوانه في الموصل نيفاً وعشرين جزءاً من ثلاثين . (٣١) وقال الخطيب البغدادي : « وهو أحد من سار قوله . وانتشر شعره . وشاع ذكره . يقال : انّ احداً لم يجتمع له ديوانه بكماله . لعظمه » (٣٢) ولكن الذي بين أيدينا الآن من ديوانه مجلد واحد أغلبه في الزهد . ونجهل الاسباب التي حالت بين ذلك الشعر الكثير وبين وصوله الينا .

( ٣٦٥ ) الكامل ١ ، ٢٢٢ .

( ٣٦٦ ) سورة النساء ، الآية ١٩

( ٣٦٧ ) ديوانه ص ١٧٦ .

( ٣٦٨ ) ديوانه ص ٢٨٦

( ٣٦٩ ) ديوان جميل بثينة ص ٧٢ .

( ٣٧٠ ) الاغانى ٤ ، ١٢ .

( ٣٧١ ) الفهرست ص ٢٢٧ .

( ٣٧٢ ) تاريخ بغداد ١٦ ، ٢٥٠ .

استهل أبو العتاهية حياته الشعرية بالغزل . ولعل في قول الدكتور محمد عبدالعزيز الكفراوي شيئاً من المبالغة : « انه أعظم شعراء الحب في عصره » (٣٣) . ان غزله عفيف ورقيق له « من قلوب النساء موقع الزلال البارد من الضمان » (٣٤) . وأغلب ما وصل إلينا منه في عتبة جارية المهدي ووصيفة الخيزران . وقد سحر بها حينما رآها لأول مرة ماضية الى السوق . وأخذ يستعطفها ويتودذ إليها . ويتوسل لها . بشعر سهل لطيف عذب . مثل قوله : (٣٥)

عيني على عتبة منهلة بدمعها المنسكب السائل  
كأنها من حسنها درة أخرجها اليم إلى الساحل  
كأن في فيها وفي طرفها سواحراً أقبلن من بابل  
لم يبق مني حبها ما خلا حشاشة في كسيد ناحل  
وكان صد عتبة وردّها ودلالها يزيد جذوة حبه . ويثير في نفه الالم والحسرة .  
ويدفعه الى نظم الشعر شاكياً : (٣٦)

الله بيني وبين ظالمتي طلبت منها وصالها فأبى  
ماذا عليها لو أنها بعثت منها رسولاً إلى أو كتبت ؟  
رغبت في وصلها . وقد زهدت عتبة في وصلنا وما رغبت

أن بساطة شعره وطريقته في التوجع وفي التعجب وفي النداء والدعاء أشبه بطرق النساء . وهذا مادفع الأقدمين الى القول : انه يحمل زاملة المخشئين . (٣٧) . وقد سئل بشار بن برد : من أشعر أهل زماننا ؟ فقال : مخنث أهل بغداد ( يعني أبا العتاهية ) . (٣٨)

وللمديح نصيب لا بأس به في شعر أبي العتاهية . اذ سخره للوصول الى ابواب الخلفاء والولاة والقواد والحصول على الاموال الكثيرة منهم . وكان يهز أريحيتهم

( ٣٣ ) أسطورة الزهد عند أبي العتاهية ص ١٣٧ .

( ٣٤ ) طبقات الشعراء ص ٢٢٠ .

( ٣٥ ) ديوانه ص ٢٨٦ .

( ٣٦ ) مروج الذهب ٢ ، ٤٥٢ .

( ٣٧ ) الاغانى ١٠٤ ، وينظر أبو العتاهية حياته وشعره ص ٢٠٦ .

( ٣٨ ) الاغانى ١٤ ، ٧٣ .

لأنه يعرف كيف يتخير الافكار القريبة الى نفوسهم بعيون القول . واليك هذه  
الايات في مدح الخليفة المهدي لترى مدى دقته في اصابة هدفه: (٣٨١)

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً      السَّيِّئُ تَجَرُّزُ أَذْيَالِهِ  
وَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ      وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا  
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ      لَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا  
وَلَوْ - لَمْ تُطْعَمْ بَنَاتُ الْقُلُوبِ      لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

وكان الخليفة الرشيد يُقَرِّبُهُ ويرعاه ويصحبه ويملاً يديه مالاً . ولذلك كثرت  
مدائح فيهِ . ومن جيد شعره الذي تتجلى فيه مظاهر القوة في الصياغة قوله: (٣٨١)

جَرَى لَكَ مِنْ هَارُونَ بِالْعَدِ طَائِرُهُ      أَمَامُ اعْتَزَامٍ لَا تَخَافُ بَوَادِرُهُ  
أَمَامَ لَهُ رَأْيٍ حَمِيدٍ ، وَرَحْمَةٍ      مَوَادَةٍ مُحْصَوْدَةٍ وَمُصَادِرُهُ  
هُوَ الْمَلِكُ الْمَجْبُولُ نَفْسًا عَلَى التَّقَى      مُسَلِّمَةٌ مِنْ كُلِّ سَوْءٍ عَسَاكِرُهُ  
لِيُعْمَدَ سَيْفُ الْحَرْبِ ، فَاللَّهُ وَحْدَهُ      وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَاصِرُهُ  
وَهَارُونَ مَاءُ الْمَزْنِ يَشْفِي مِنَ الصَّدَى      إِذَا مَا الصَّدَى بِالرِّيقِ غَضَّتْ حَنَاجِرُهُ  
وَأَوْسَطَ بَيْتٍ فِي قَرِيشٍ لَبِيَّتُهُ      وَأَوَّلَ عَزٍّ فِي قَرِيْبٍ شِشْ وَأَخْرُهُ  
وَزَحَفَ لَهُ تَحْكِي الْبُرُوقِ سَيُوفُهُ      وَتَحْكِي الرُّعُودِ الْقَاصِفَاتِ حَوَافِرُهُ  
إِذَا حَمِيَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَضَاحَكَتْ      إِلَى الشَّمْسِ فِيهِ بَيَضُهُ وَمَغَافِرُهُ  
إِذَا نَكَبَ الْإِسْلَامُ يَوْمًا بَنَكِيَّةٍ      فَهَارُونَ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ نَائِرُهُ  
لَقَدْ بُلِّغْتُ مَا قَالَ      فَمَا بِالْبَيْتِ مَا قَالَ  
وَلَا بِي الْعَتَاهِيَّةِ شَعْرٌ فِي الْهَجَاءِ وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ ، يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْإِفْتِرَاءُ وَالتَّهْكُمُ  
وَالسَّخَرِيَّةُ وَالطَّعْنُ فِي الرَّجُولَةِ ، وَلَا سِيَّمَا هَجَاؤُهُ لِمَنْ بَنَ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِي الَّذِي مَنَعَهُ  
مِنَ التَّشْيِيبِ بِحَارِيَّتِهِ سَعْدِي ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: (٣٨٢)

لَقَدْ بُلِّغْتُ مَا قَالَ      فَمَا بِالْبَيْتِ مَا قَالَ  
فَلَوْ كَانَ مِنَ الْأَسَدِ      لَمَا رَاعَ وَلَا هَالَا  
وَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ      إِذَا لَمْ تَكُ قَتْلَا  
فَصْنَعُ مَا كُنْتَ خَلَيْتَ      بِهِ سَيْفَكَ ، خَلْ خَالَا

( ٣٧٩ ) ديوانه ص ٣٧٧ .

( ٣٨٠ ) بنات القلوب ، الذ ١٠٠١ .

( ٣٨١ ) ديوانه ص ٢١٢ .

( ٣٨٢ ) ديوانه ص ٢٨٠ .

وكان معن بن زائدة يتألم ويتوجع من هذا الهجاء ويقول : « ما لبست سيفي قط فرأيتُ انساناً يلمحني ألا ظننت انه يحفظ قول ابي العتاهية في . فذلك يتألمني فأخجل » ( ٢٨٢ ) .

والباب الواسع في شعره هو الزهد . وقد رأينا كيف انصرف الى نظمه بعد كبره واعتلاء الشيب مفرقه . ورجحنا انه تاب توبة صادقة لاريب فيها . وكان كما قال ابو الفرج الاصبهاني : « يحجُّ في كلِّ سنة » ( ٢٨١ ) . والحجُّ آنذاك لم يكن سهلاً ميسوراً وانما له متاعب جمة لا يتحملها الا المؤمن الصبور الذي أتى الله بقلب سليم .

أدرك ابو العتاهية ان المرء الى فناء . وأن وراءه حساباً عسيراً . لذلك زهد في الدنيا بعد أن سعى فيها الى طلب اللذة والمتعة وعكف على بهرجتها وزينتها . وقد ذكر خلاصة رؤية في الحياة في قوله : ( ٢٨٥ )

طلبتك يادنيا . فأعذرت في الطلب فما نلتُ إلا الهَمَّ والغَمَّ والنصب  
فلما بدا لي أنني لست واصلًا الى لذة إلا بأضعافها تعب  
وأسرعت في ديني . ولم أقضِ بغيتي هربت بديني منك . أن نفع الهرب  
تخليت مما فيك جهدي وطاقتي كما يتخلى القوم من عرة الجرب  
هكذا وجد الحياة . همَّ وتعب . وغمَّ ونصب . لذلك فرُّ منها الى عالم العبادة  
والزهادة ويبدو أن السهام التي رمى بها من المبغضين والحاسدين آذته وزادته نفرة  
وفراراً من الواقع الذي كان يعيش على أرضه . وقد عبّر عن ذلك في قصيدة منها : ( ٢٨٦ )

فيارب . إنَّ الناس لا ينصفونني وإنَّ أنا لم أنصفهم ظلموني  
وإنَّ كان لي شيء تصدوا لأخذه وإن جئت أبغى شيئهم ممنعوني  
وإنَّ نالهم رِفدي فلا شكر عندهم وإنَّ أنا لم أبذل لهم شتموني  
وإنَّ وجدوا عندي رخاء تقرَّبوا وإنَّ نزلت بي شدة خذلوني  
وإنَّ طرقتني نكبة فكِهوا بها وإن صحبتني نعمة حسدوني

( ٢٨٣ ) الاغانى ٤ ، ٢٧

( ٢٨٤ ) الاغانى ٤ ، ٢٧

( ٢٨٥ ) ديوانه ص ٤٩ .

( ٢٨٦ ) ديوانه ص ٤٩

لقد دعا أبو العتاهية في شعره الزهدي إلى محاسن الأخلاق . وحميد الفِعال .  
وصالح الأعمال . وكان آخر ماقاله في مرضه الذي مات فيه : ( ٢٨٧ )

إلهي ، لاتُعذِّبْنِي . فَإِنِّي مَقْرُ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي  
ومالي حيلة . إلا رجائي وعفوك . إن عفوت . وحسن ظني  
فكم من زلة لي في البرايا ولأنت علي ذو فضل ومن  
إذا فكرت في ندمي عليها عضضت أناملِي . وقرعت سني  
يظنُّ الناس بي خيراً . وإني لشرُّ الناس . إن لم تعف عني

إن شعر أبي العتاهية . في كل أغراضه . سهل وواضح وسلس . وبلا تعثر في  
مظاهر الصنعة او الزخرف . قال مصعب بن عبدالله حينما سمع الأبيات الآتية ، من  
شعره

طوالِ أيّ امـالِ	تملّقت بآمالِ
ملحاً أيّ اقبالِ	وأقبلت على الدنيا
فراقِ الأهل والمالِ	أيا هذا ، تجهز لـ
على حالٍ من الحالِ	فلا بدّ من الموتِ

« هنا كلام سهل حق ، لا حشو فيه ولا نقصان . يعرفه العاقل . ويقرُّ به  
الجاهل » ( ٢٨٨ ) لقد تقصد ابو العتاهية هذه الطريقة ، اي طريقة السهولة والوضوح  
والسلاسة ، وأرادها لنفسه ، فالشاعر في رأيه يجب « أن تكون الفاظه مما لا تخفى  
على جمهور الناس » ( ٢٨٩ ) . وهذا الشيء دفع نكلسون الى القول ، « ان أبا العتاهية  
قد برهن لأول مرة في تاريخ الادب العربي ، وربما كان لآخر مرة ايضاً . انه في  
استطاعة المرء ان يستعمل لغة عادية . وواضحة تمام الوضوح . وتظل له رغم ذلك  
مكانته بين الشعراء » ( ٢٩٠ )

والى جانب السهولة والوضوح وسلاسة الاسلوب كان ابو العتاهية « يباشر المعنى  
مباشرة . ويقصد اليه قصداً . لا يختار لذلك واسطة من صورة أو غيرها . مما أُولع  
به شعراء العصر الذي عاش فيه . ألا ان تأتيه عفواً في غير كذ » . ( ٢٩١ ) وهذه الحقيقة

( ٢٨٧ ) ديوانه ص ٤٢٥ .

( ٢٨٨ ) الأغانى ١٠٠٤ . وينظر ديوانه ص ٢٤٦ .

( ٢٨٩ ) الأغانى ٧٠٠٤ .

( ٢٩٠ ) أسطورة الزهد عند أبي العتاهية ص ١٥٤ .

( ٢٩١ ) تاريخ العصر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٣٨٩ .

واضحة للعيان في شعره عموماً . وللتأكد من ذلك نورد هنا الخبر . روى ابو الفرج الاصفهاني أن ابا العتاهية مدح عمر بن العلاء . وهو من اصحاب الخليفة المهدي . « فأمر له بسبعين الف درهم . فأنكر ذلك بعض الشراء وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفي ؟ وأي شيء مقدار شعره ؟ فبلغه ذلك . فأحضر الرجل وقال له : والله إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه . ويتعاطاه فلا يحسنه . حتى يشيب بخمسين بيتاً . ثم يمدحنا ببعضها . وهذا كأن المعاني تجمع له . مدحني فقصر التشيب وقال :

اني أمنتُ من الزمان وريبه لما علقْتُ من الأمير حبالا  
 أن المطايا تشتكك لأنها قطعت اليك سباباً ورمالا  
 فاذا ورذن بنا ورذن مخفة واذا رجعن بنا رجعن ثقالا (٣٢)

لقد عرف ابو العتاهية اختيار الطريق الذي يوصله الى ما يريد . وحسناً قال حينما سُئل : « كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردته قط إلا مثل لي . فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد » (٣٣)

( ٢٩٢ ) الاغانى ٤ : ٢٨ .

( ٢٩٣ ) الاغانى ٤ : ١٣ .

## مسلم بن الوليد

١٤٠ - ٢٠٨ هـ

اسمه وكنيته ولقبه :

هو مسلم بن الوليد ، ويكنى بأبي الوليد ، ويلقب بصريع الغواني . وهذا اللقب كان الرشيد قد أطلقه عليه حين سمع قصيدته الغزلية الخمرية التي يقول فيها :

سَأَنْقَازُ لِلذَّاتِ مَتَّبِعَ الصَّبَا لَأَمْضِيَ هَمِّي أَوْ أَصِيبَ فَتَى مِثْلِي  
هَلْ الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَرَوْحَ مَعَ الصَّبَا وَتَغْدُو صَرِيحَ الْكَاسِ وَالْأَعْيُنِ النُّجْلِ ؟  
قال له : أنت صريع الغواني ، فسمي بذلك حتى صار لا يعرف إلا به (٣١) .  
وفي رواية أخرى : ان رجلاً سأل مسلم بن الوليد : لم تدعى صريع الغواني ؟ فأنشأ يقول (٣٢) :

إِنْ وَرَدَ الْخُدُودَ وَالْأَعْيُنَ النُّجْجَ لِي وَمَا فِي الثُّغُورِ مِنْ أَقْحَوَانٍ  
وَاعْوِجَاجِ الْأَصْدَاغِ فِي ظَاهِرِ الْخُصْبِ ..... وَمَا فِي الصُّدُورِ مِنْ رُمَانٍ  
تَرَكْتَنِي بَيْنَ الْغَوَانِي صَرِيحاً فَلِهَذَا أَدْعَى صَرِيحَ الْغَوَانِي  
إِنْ هَذَا اللَّقَبُ الَّذِي شُهِرَ بِهِ يَنْطَبِقُ عَلَيَّ ، إِذْ كَانَ زِيرَ نَسَاءٍ ، وَيُرَدَّدُ كَثِيراً فِي شَعْرِهِ  
كَلِمَةُ الصَّرِيحِ وَمَا أَشْبَهَهَا ، وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ رَاضِياً مَزْهُواً بِهِ .

سيرته :

ولد مسلم بن الوليد في الكوفة سنة ١٤٠ للهجرة ، من أسرة تُنسب إلى الأنصار . وكان أخوه الأكبر سليمان الأعمى شاعراً جيداً وصديقاً نديماً لبشار بن برد . وكان له أثر كبير في نشأته وتوجيهه إلى درب الأدب .

تعلم مسلم بن الوليد في الكوفة ، واختلف إلى البصرة ، وسمع كبار رجال النحو واللغة والأدب والرواية ، وحفظ القرآن الكريم ، والشعر القديم ، والخطب والأمثال ... حتى أصبح واحداً من أعلام الأدب آنذاك . قال الجاحظ : « من الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعرَ الجيدَ والرسائلَ الفاخرةَ مع البيان الحسن

( ٢٩٤ ) طبقات الشعراء ص ٢٢٥ ، تاريخ بغداد ١٢ ، ٩٧ ، ديوانه ص ٢٢ .

( ٢٩٥ ) ديوانه ص ٢٤٢ .



كلثوم بن عمرو العتّابي ، وكنيته أبو عمرو ، وعلى الفاظِهِ وحَذْوُهُ ومثَالُهُ في البديع يقول جميعٌ من يتكلّف مثل ذلك من شعراء المولّدين ، كنحو منصور النّمري ، ومسلم بن الوليد الأنصاري « (٣١١) ».

جذبت بغداد الكثيرين من الأدباء والعلماء ، وكان مسلم بن الوليد شأنه شأن معاصريه تواقاً الى الترف واللّهو والمال ، فارتحل إليها ، ولم يمض وقت طويل حتى سطع نجمة في سماء الأدب ، ودعته مجالس الخلفاء والوزراء والقواد ، ونال الهدايا والأعطيات ، ويقال ، إنه كان يربح ألف ألف درهم في العام وكان متلاًفاً ينفق ما تجود به أيدي الكرماء على ملذاته وأصحابه الذين يتسامرون معه .

ولم يدم على حياة اللّهو والشرب ، إذ نراه يُغيّرُ هذه الحياة ، ويقطع عن درب الغواية والعبث بعد وفاة زوجته ، يقول أبو الفرج الأصبهاني (٣١٧) ، « كانت لمسلم بن الوليد زوجةٌ من أهلِهِ ، كانت تكفيه أمرَةً وتُسره فيما تليه له منه ، فماتت ، فجزع عليها جزعاً شديداً ، وتنسك مدة طويلة ، وعزم على ملازمة ذلك ، فأقسم عليه بعض إخوانه ذات يوم ان يزوره ، ففعل ، فأكلوا وقدموا الشراب ، فامتنع منه مسلم ، وأنشأ يقول ،

بكاءٌ وكأْسٌ ، كيف يثْفِقانِ ؟ سبيلاهما في القلبِ مختلفانِ  
دعاني وإفراط البكاءِ فإنّني أرى اليوم فيه غيرَ ما تُريانِ  
غَدَتُ والثّرى أولى بها من وليّها إلى منزلٍ ناهٍ لعينيكِ داني  
فلا خزنٌ حتى تذرف العين ماءها وتعترف الأحشاء للخفقانِ  
وكيف بدفع اليأس للوجد بعدها وسهماهما في القلبِ يمتلجانِ »

لقد أحسن في هذه الأبيات وأجاد ، لأن معانيها صادرة من أعماقه ، تنطق صدقاً ، وتتحدث عن ألم كبير ومأساة فادحة أصابته وأوجعته وتركته بلا قرين وأليف .

تولّى مسلم بن الوليد في أخريات أيامه بريدَ جرجان ، وبقي فيها مستقراً على شاطئ بحر الخزر ، وكان يتشوّق الى بغداد ويحنّ لها ، وقد أحسن بالغربة ورأى ذات يوم نخلةً فبعثت شجونةً وذكرته بنخيل العراق كما ذكرت نخلة الأندلس

عبدالرحمن الداخل بوطنه في المشرق في أبيات مشهورة له ، ( ٣٨ ) قال مسلم وكأنه  
يكي على حاله ويرثي نفسه ، ( ٣٩ )

ألا يانخله . بالشـفـح مـن أكـسـنـاف جـرجـان  
ألا إنـسـي وإياك بـجـرجـان غـريـبـان

وقيل : لما احتضر وهو بجرجان نظر إلى نخلة وقال هذين البيتين ، ولبى داعي  
ربه سنة ٢٠٨ للهجرة .

شعر :

نال مسلم بن الوليد إعجاب الدارسين والنقاد ، وجعلوه في منزلة رفيعة ، فهذا  
ابن رشيقي يقول : « سمعت جملة من العلماء يقولون مسلم بن الوليد نظير أبي  
نواس ، وفوقه عند قوم من أهل زمانه في أشياء » ( ١٠٠ ) ، ويُفضله الآمدي على أبي تمام  
« لسلامة شعره ، وحسن سبكه ، وصحة معانيه » ( ١٠١ ) ، وهو في نظر المرزباني  
« شاعر مفلق مستخرج للطيف المعاني بحلول الألفاظ » ( ١٠٢ ) .

طرق مسلم بن الوليد أغلب موضوعات الشعر من مديح وغزل ووصف ورثاء  
وهجاء ... وكان مجوداً فيها ، مُبدعاً في صياغتها ، مُتقناً في تركيبها . وقد بهر مجبي  
الأدب منذ عصره ، ذكر أبو الفرج الأصبهاني ان جملة من الأدباء والنقاد اجتمعوا  
يوماً عند الخليفة المأمون « فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم ، أين  
أنت يا أمير المؤمنين عن مسلم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث  
يقول وقد رثي رجلاً ،

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر  
وحيث مدح رجلاً بالشجاعة فقال :  
يجود بالنفس إذ ضُ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلاً بقبح الوجه والأخلاق فقال :

( ٢٩٨ ) ينظر : دولة الإسلام في الأندلس ص ٢٠١ .

( ٢٩٩ ) ديوانه ص ٢٤٣ .

( ٣٠٠ ) القصيدة ١٩١ ، ١ .

( ٣٠١ ) الموازنة ص ١١ .

( ٣٠٢ ) معجم الشعراء ص ٢٧٧ .

قَبِحتْ مَنَاطِرُهُ فَحِينَ خَبِرْتُهُ حَسُنَتْ مَنَاطِرُهُ لِقُبْحِ الْخَبَرِ  
وَتَفَازَلْ فَقَالَ .

هُوَ يَجِدُ وَحَبِيبٌ يَلْعَبُ أَنْتَ لَقِيتَ بَيْنَهُمَا مُغْذِبٌ  
فَقَالَ الْمَأْمُونُ : هَذَا أَشْعَرُ مِنْ خُضْتُمَ الْيَوْمَ فِي ذِكْرِهِ « (١٤) » .

كان مسلم فارساً مجلياً في المديح ، يصبُّ جُلَّ طاقته وموهبته في إبداعه وإخراجه  
في صورة مثلى ، وكأنه أمام امتحانٍ صعبٍ ، ومثالٌ على ذلك قصيدته اللامية التي  
يبلغ عدد أبياتها تسعة وسبعين بيتاً ، وهي من عيون قصائده في مدح يزيد بن  
مَرْزِد الشيباني ، قائد الرشيد المشهور الذي أثنى الجراح في الاعداء وانتزع النصر منهم  
بجلده وصبره وقوة إرادته وشدة مناجزته ، منها قوله : (١٥) :

يَفْشَى الْوَعْيَ وَشِهَابُ الْمَوْتِ فِي يَدِهِ	يَرْمِي الْفَوَارِسَ وَالْأَبْطَالَ بِالشُّعْلِ
يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الْحَرْبِ مَبْتَسِماً	إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطْلِ
مَوْفٍ عَلَى مَهْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَفْجٍ	كَأَنَّهُ أَجَلَ يَسْمَعُ إِلَى أَمَلٍ
يَنَالُ بِالرَّفْقِ مَا يَبْغَى الرِّجَالُ بِهِ	كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
لَا يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حُجْرَتِهِ	كَالْبَيْتِ يُضْحِي إِلَيْهِ مُلتَقَى السُّبُلِ
يَقْرِي الْمَنِيَّةَ أَرْوَاحَ الْكِمَاةِ كَمَا	يَقْرِي الضِّيَوفَ شَحُومَ الْكُومِ وَالْبَزْلِ
يَكْسُو السِّيَوفَ دِمَاءَ النَّاكِثِينَ بِهِ	وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِجَارَةَ الْقَنَا الدُّبْلِ
يَغْدُو فَتَغْدُو الْمَنَايَا فِي أَسْنَتِهِ	شَوَارِعاً تَتَحَدَّى النَّاسُ بِالْأَجْلِ
قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقَّنَ بِهَا	فَهْنٌ يَتَّبِعُنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحِلٍ
تَرَاهُ فِي الْأَمْنِ فِي دَرَعٍ مُضَاعِفَةٍ	لَا يَأْمَنُ الدَّهْرُ أَنْ يُدْعَى عَلَى عَجَلٍ
لَا يَتَعَبَقُ الطَّيْبُ خَلِيهِ وَمَفْرَقَةٍ	وَلَا يُمْسُخُ عَيْنِيهِ مِنَ الْكُحْلِ

إنها صورة رائعة ، مرسومة بكلمات مجبوكة وعبارات مسبوكة ، تأخذ معانيها  
بعضها برقاب بعض وكأنها سلسلة ذهبية قلدها الشاعر جيد البطل المدوح ، وقد  
تأثَّر بها أبو الطيب المتنبي حين مدح سيف الدولة الحمداني في قصيدة جاء  
فيها : (١٥) :

(١٤) الأذهاني ١٩ ، ٢٤ .

(١٥) ديوانه ص ٩ .

(١٥) شرح ديوان المتنبي ٢ ، ٣٧٣ .

وقفتَ ومما في الموت شكٌ لواقف      كأنك في جفن الردى وهو نائم  
تمرُّ بك الأبطالُ كلمى هزيمةً      ووجهك وضاحٌ وثغرك باسم

وكان مسلم يذوبُ صباةً في جمال النساء الأخاذ ، ويُعَبِّرُ عنه بشعر رقيق ،  
يسيل غذوبة ، ولا سيما في شعره الذي نقل فيه حديث الغواني اللواتي تغزلُ بهن ،  
وهو يذكُرنا فيه بشم عمر بن أبي ربيعة ، مثل قوله من قصيدة : (١٠٦)

وقد قالت لبيّض أنسات	يصدن قلوبَ شبانٍ وشيب
أنا الشمس المضيئة حين تبدو	ولكن لست أعرف بالمغيّب
براني الله زبني إذ براني	مبرأةً سلمت من العيوب
فلو كلمت إنساناً مريضاً	لما احتاج المريض إلى الطبيب
فقلن لها : صدقت فهل عطفتن	على رجلٍ يهيم بكنم كئيب
غريب قد أتاك فأطلقيه	فإن الأجر يُطلب في الغريب
فقلت : قد بدت منه هنات	وقد تبدو الهنات من المريب
وصلناه فكلّمنا « بسخر »	كذلك كلُّ ملأٍ خلوب (١٠٧)
وما ظلمت ولكنّا ظلمنا	فقد ثبنا إليها من قريب
غفرت ذنوبها وصفحنا عنها	فلم تصفح ولم تغفر ذنوبي

لم يكن مسلم بن الوليد مجيداً في المديح والغزل فحسب وإنما كان مجيداً في  
كل الفنون الشعرية ، فله شعر جميل في الوصف ، ولا سيما في وصف الخمرة ،  
ووصف الروض ووصف السفينة التي جعلها وسيلته في الوصول الى الممدوح بدلاً من  
الناقة ، وكذلك كان محسناً في الرثاء والتعبير عن الحزن بحرارة وقد عدّ النقاد بيته  
الذي مرّ بنا في بداية حديثنا عن شعره أروع بيت .

وقصارى القول ، إن مسلم بن الوليد من الشعراء الأذكياء المبدعين الذين جمعوا بين  
جزالة القدامى ورقة المحدثين ، وبصياغة لطيفة وموسيقى محببة ، وإن قيل أنه « أول  
من وسّع البديع وحشابه شعره (١٠٨) » ، فإن صورة التي زينها بالبديع والبيان لم  
تكن قبيحة أو مستكرة كما سنرى عند شعرائنا المتأخرين .

(١٠٦) ديوانه ص ١٩١ .

(١٠٧) كلّمنا بسخر ، أي سألني سخرًا ، وليس اسمي ، وكذلك يفعل كل ملأٍ خلوب  
والخلوب ، الخدوع .

(١٠٨) طبقات الشعراء ص ٢٢٥ .

## أبو تمام الطائي

١٨٨ - ٢٢١ هـ

### اسمه ومولده :

هو أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس ، وتمام ابنه ، ولد بقرية « جاسم » على يمين الطريق الممتد بين دمشق وطبرية . وقد اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها ، ولعل سنة ١٨٨ للهجرة أقرب الى الصحة ، لأن أكثرهم يرجحون هذا التاريخ ومنهم ابنة تمام ، فيقول : « ولد ابي سنة ثمان وثمانين ومئة ، ومات سنة احدى وثلاثين ومئتين » (١٠٩)

### نسبه :

أن الخلاف في نسبه وأصله كبير ايضاً ، فقد ذكر أبو الفرج الاصبهاني ان أبا تمام من نفس طيبي صليئة ، واسمه حبيب بن أوس ، (١١٠) وعُد ابن خلكان جدوده وأوصله الى يعرب بن قحطان ، (١١١) وقيل : ان أباه كان رجلاً نصرانياً يدعى تدوس فخره أبو تمام الى أوس وانتسب الى طيء ، وذهب مرجليوث وطه حسين الى أنه تيودوس ، وهو اسم يوناني ، وكان هذا نصرانياً يبيع الخمر في دمشق وأن ابنه نشأ في حجرة نشأة نصرانية ، ولكنه أسلم وترك دمشق وذهب الى مصر فأقام فيها فترة . (١١٢) وانكر البهيتي نصرانية ابيه وقال : « دعك من نصرانية ابيه ، فما كانت الا افتراء خصوم ابي تمام » . (١١٣)

ان نصرانية ابيه - ان صحَّحت - لاتنفيه من العرب ولا من طيء ، فقد كانت النصرانية شائعة من قديم فيها ، ويشهد لذلك فخره المضطرم بطيء ، وانه اختار منها أكثر ممدوحيه ، ونوّه تنويهاً عظيماً بمن سجلوا لها في عصره امجاداً حربيةً ، مما يدل على أنه طائي وعربي أصيل . (١١٤)

(١٠٩) لزعة الألباء في طبقات الادهاء ص ١٠٨ ، وينظر اخبار ابي تمام للصولي ص ٢٧٢ .

وتذهب القاريخ الكبير لابن حاكم ص ١٨١ ، ٢٦ .

(١١٠) الاطائي ٢٨٢ ، ١٦ صليبة ، اي ليس من مواليها ولا حلفائها

(١١١) وفيات الاعيان ص ١١٠٢ .

(١١٢) من حديث الفهر والنشر ص ٩٢ ، وتنظر مادة ابي تمام في دائرة المعارف الاسلامية

(١١٣) ابو تمام الطائي ص ٦٢ .

(١١٤) ينظر العصر العباسي الاول للدكتور فوقي ص ٣٦٩ .

نشأ أبو تمام في دمشق بعد انتقاله إليها مع أبيه ، واشتغل في مطلع حياته عاملاً صغيراً في حانوت للحياكة ، وفي أثناء ذلك كان يتردد الى حلقات الدرس ويسمع ما يدور على أفواه العلماء والادباء من علوم اسلامية اصيلة او وافدة مثل الفلسفة اليونانية . وتنقل كثيراً في سبيل التعلم ، وكانت رحلته الاولى الى حمص ، حيث أفاد من الشاعرين عتبة بن عبدالكريم الطائي ، وعبدالسلام بن رُغبان المعروف بديك الجن ، وانتفع بما عندهما من معرفة بصناعة الشعر . وبعدها شد رحاله الى مصر ونزل المسجد الجامع في القسطنطينية ليكسب معاشاً وينهل علماً . وأسفقت قدرته على قرض الشعر الجيد منذ الوهلة الاولى وتسخيره للمدح كما يفعل كثير من الشعراء ، فنظم قصيدة في مدح صاحب الشرطة والخراج عيَّاش بن لهيعة الحضرمي ، منها قوله : (١١٥)

وما ضيقُ أقطارِ البلادِ أضافني إليك ولكن مذهبي فيك مذهبي (١١٦)  
وأنت بمصر غاييتي وقرايتي بها وبنو الآباء فيها بنو أبي

وفي رواية للصولي ان أبا تمام قال عن هذه القصيدة انها « أول شعر قلته ... ومدحت به عيَّاش بن لهيعة فأعطاني خمسة آلاف درهم » (١١٧) ولا تتسق هذه الرواية مع عتاب أبي تمام للممدوح فيما بعد ولا مع هجائه له . ومع ذلك قد يحصل أن يمدح شاعر شخصاً ثم ينقلب عليه فيهجوه كما فعل مسلم بن الوليد مع يريد بن مزيد الشيباني (١١٨)

عاد الى موطنه دمشق سنة ٢١٤ للهجرة بعد مكوثه في مصر اكثر من خمسة أعوام . استوعب فيها علوماً كثيرة ، ووقف على كتب جمّة . وكان المأمون آنذاك يتجول في الشام بعد رجوعه من حرب الروم والانتصار عليهم ، وقد مدحه ابو تمام بقصيدة طويلة ، منها قوله : (١١٩)

( ٤١٥ ) دهراله ١ : ١٥٤

( ٤١٦ ) يقول : لم يلجئني شيء البلاد علي ، وكعاد بضائتي عند الناس . ولكن مذهبي إلا أسأل الأكرام .

( ٤١٧ ) أخبار أبي تمام ص ١٢١ .

( ٤١٨ ) الأذهاني ١٩ : ٢٩٩ .

( ٤١٩ ) دهراله ٢ : ١٢٦

يأئبها الملك الهمام وعدله ملك عليه في القضاء همام  
أوريت زند عزائم تحت الذجي أَرْجَبْنَ فَكَرَكَ وَالْبِلَادُ ظِلَامُ  
فنهضت تسحب ذيل جيش ساقه جَسْنَ اليقين وقادة الاقدام  
حتى نقضت الروم منك بوقعة شنعاء ليس لنقضها إبرام  
لم يظفر أبو تمام عنده بما كان يحلم به أو يتأمله . وراح ينظم شعرا في رثاء  
بطل من طيء هو محمد بن حميد الطائي الذي كافح بابك الخرمي كفاحاً مريراً  
وخانه القدر فسقط في ميدان النضال . وأخذ هذا الشعر يحتل مكانة ممتازة في  
الأوساط الادبية ولا سيما قصيدته التي يقول في مطلعها: (١٠٠)

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر  
فليس لعين لم يفيض ماؤها غر

وكان يحب التنقل والتطواف وانتجاع الأقاليم والثغور في العالم الاسلامي الذي  
عنه وطناً واحداً له . وقد صور هذه الحالة أصدق تصوير في ابياته الاولى من  
قصيدته التي مدح بها محمد بن حسان الضبي: (١٠١)

ما اليوم أول توديع ولا الثاني البين أكثر من شوقي وأحزاني  
خليفة الخضر من يزبغ على وطن في بلدة فظهور العيس أوطاني  
بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمطين وبالفسطاط اخواني  
وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تطوخ بي أقصى خراسان (١٠٢)  
انه على سفر دائم . وترحل قائم . على ظهور الابل .  
يطوف البلاد وكأنه خليفة الخضر . فأهله في الشام . وهواه في  
بغداد . وهو بالرقمطين . واخوانه بمصر . وقد يطرح به النوى أقصى خراسان .  
هكذا حقاً كان أبو تمام . فنراه يرتحل الى الموصل ومنها الى ارمينية . وينال عطاء  
وافراً من واليها خالد بن يزيد الشيباني . ثم يقفل راجعاً الى بغداد بعد وفاة  
المأمون سنة ٢١٨ للهجرة ويجد حظوة عند المعتصم وكبار رجال الدولة . منهم محمد  
بن يوسف الثغري القائد الذي هزم بابك الخرمي ثم قصد خراسان واستقبله واليها  
عبدالله بن طاهر استقبلاً حافلاً ومن معه من الكتاب والشعراء . وأنشد أمامه قصيدة  
قوية جزلة المعاني . مطلعها: (١٠٣)

( ٤٢٠ ) ديوانه ١ ، ٤ ، ٧٩

( ٤٢١ ) ديوانه ٢ ، ٢٠٨

( ٤٢٢ ) وهناك رواية ثانية : حتى تشاربي . وثالثة : حتى تغالي بي .

( ٤٢٣ ) الاطاني ١٩ ، ٢٨٩ . وينظر الديوان ١ ، ٢١٩ .

هَنَ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَاجِبَهُ فَعَزَمَا فَقَدِمَا أَدْرَكَ السُّؤْلُ طَالِبُهُ  
فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا نَشَرَ عَلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ .

وقبل عودته الى العراق ، عَزَجَ على همدان ، واستضافه أبو الوفاء بن سلمة أحد  
أدباء البلد وسُرَاتِهَا . وصادف سقوط الثلوج بكثافة في هذا الاقليم ، فأعاقه عن  
السفر . وجلس في مكتبة أبي الوفاء وأكَبَ على الكتب التي تحويها هذه المكتبة  
وصَنَّفَ خمسة مجاميع في الشعر منها الحماسة ، والوحشيات . كما يقول أكثر  
الدارسين . (١١١) ، واننا لا نتفق مع هذا الرأي . لان المرء مهما أوتي من قدرة وقوة لا  
يستطيع ان يقرأ في مدة ثلاثة شهور كل الشعر العربي ويختار منه خمسة كتب ،  
واننا نذهب الى ماذهب اليه الآمدي بأن أبا تمام « كان مشتهراً بالشعر ، مشغولاً  
به ، مشغولاً مدة عمره يتخيرته ودراسته » (١١٢) ، وربما كانت مدة اقامته مكملة لعمله  
السابق الذي خَطَطَهُ لنفسه في جميع الشعر في مختارات . وانه استغلَّ هذا الانقطاع  
للتفرغ لهذا العمل بدلاً من نظم الشعر والوقوف به على أبواب المدوحين . رجع أبو  
تمام الى اصبهان ومنها الى سُرٍّ من رأى ، وأخذ يتفنن بانتصارات القواد على بابك  
الخرمي الذي دَوَّخَ الدولة منذ سنة ٢٠١ للهجرة ، ونازله رجال كثيرون ، وأخيراً قبض  
على الأفشين في اوائل سنة ٢٢٣ للهجرة ، وهو من اكبر قواد المعتصم . وجاء به مقيداً  
الى سُرٍّ من رأى وفيها صُلِبَ جزاء بغيه وخروجه على الدولة ، وأخذ الشعراء وفي  
مقدمتهم ابو تمام يباركون للخليفة بهذا النصر يقول من قصيدة بهذا الظفر : (١١٣)

فَتَوَخَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَفْتَحَتْ لَهْنُ أَزَاهِيرِ الرُّبَا وَالْخَمَائِلِ  
وَعَادَتْ نَصْرَ لَمْ تَزَلْ تَسْتَعِيدُهَا عَصَابَةٌ حَقٌّ فِي عَصَابَةِ بَاطِلِ  
فَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالَمٍ وَهَذَا دَوَاءُ مَنْ كُلِّ جَاهِلِ

وحينما أغار تيوفيل إمبراطور بيزنطة على مدينة « زبطرة » ونكَّلَ بأهلها  
وسبى نساءها ، نهض المعتصم على نداء الهاشمية الأسيرة ، وامعتصمها ! وهتف لببك  
لبيك . وخرج بنفسه يدوس ديار هذا الامبراطور الى أن وصل الى عمورية . وكان  
يحميها تسعون ألفاً من الروم ، فحاصرها . ثم انقضَّ عليها وقتحها ، وكسر أنوف  
المتجبرين المعتدين . وأخذ للتذكار باباً حديدياً عظيماً من أبواب هذه المدينة

( ١١١ ) ينظر بحثنا ( نظرة في حماسة أبي تمام ) مجلة بين النهرين ، العدد ٢٧ لسنة ١٩٧٩ .

( ١١٢ ) الموازنة ص ٥١ .

( ١١٣ ) ديوانه ٢ ، ٨٦ .



وأحضره الى بغداد وقد رآه ابن الطقطقا فقال : « وهو الآن على أحد أبواب دار الخلافة يسمى باب العامة » (١٣٧) ، وسجل أبو تمام وقائع هذه المعركة في قصيدة تُعدُّ من عيون الشعر العربي ، مطلعها : (١٣٨)

السيف أصدق أنباء من الكتب في حذو الحد بين الحد واللعب  
وأصبحت لأبي تمام مكانة لا تفتقر وتمييزة عند الخليفة المعتصم وابنه أحمد ، وقويت علاقته بالوزراء والكتاب والقواد ولا سيما محمد بن عبد الملك الزيات الوزير الشاعر ، وكتابه وكتائب سره الحسن بن وهب ، وحظي عند الجميع تقديراً واکراماً ومهاداة . وعندما خرج الأفشين عن طاعة الدولة وظهرت خيائته أمر المعتصم بضيجه ثم اعدامه ، ووقف أبو تمام فأنشد الخليفة قصيدة في غاية السبك والحبك مطلعها : (١٣٩)

الحق أبلج والسيف عواري فحذار من أسد العرين حذار  
وفي سنة ٢٢٧ للهجرة توفي الخليفة المعتصم ورحل الى بارئه وخلفه ابنه الواثق ونظم أبو تمام بهذه المناسبة قصيدة مطلعها : (١٤٠)

مال لدموع تروم كل مرام والجفن تاكل هجمة ومنام !  
يا خفرة المعصوم تربك مودع ماء الحياة وقاتل الاعدام  
إن الصفائح منك قد نُضِدت على ملقى عظام لو علمت عظام !

وفي أوائل سنة ٢٢٩ للهجرة عُين أبو تمام على بريد الموصل وانتهى تطوافه ومرافقته للخليفة وحاشيته ، ولكنه لم يمكث طويلاً اذ فاجأه الموت سنة ٢٣١ للهجرة على أرجح الآراء ولم يتجاوز الأربعين الأ قليلا ، ودفن في الموصل خارج الميدان على حافة الخندق (١٤١) ، ورثاه محبوه أمثال أبي عبادة البحرى ، وعلى بن الجهم ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، والحسن بن وهب ، وأبو الشيص ، وأحمد بن يحيى البلاذري ...

(١٣٧) الشهرى ص ٢٢٠

(١٣٨) ديوانه ١ ، ٥

(١٣٩) ديوانه ٢ ، ١٩٨

(١٤٠) ديوانه ٢ ، ٢٢٠

(١٤١) ولغات الأهمان ٢ ، ١٧ ، هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام ص ٤٩ .

كان أبو تيمام شخصية مرموقة تلاءم العين ، قال أبو اليركات الأنباري ، « كان موصوفاً بالظرف ، وحسن الأخلاق ، وكرم النفس » (١٣٢) . ومن أميز صفاته الذكاء الحاد والاحساس بالشئ قبل وقوعه ، ذكر الصولي أن أبا تمام « إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه ، كأنه كان على علم بما يقول فأعد جوابه » (١٣٣) . ويروى أنه لما أنشد قصيدته في مدح محمد بن عبد الملك الزيات ومطلعها ،

دِيْمَةٌ سَمَحَةٌ الْقِيَادِ سَكُوبٌ مُسْتَغِيثٌ بِهَا الثَّرَى الْمَكْرُوبُ

سمعها أحد الفلاسفة الجالسين وقال : « إن هذا الفتى يموت شاباً ، فقيل له : ومن أين حكمت ؟ قال : رأيت فيه من الحدة والذكاء والفتنة ، مع لطافة الحس وجودة خاطر . ماعلمت به أن النفس الروحانية تأكل من جسمه كما يأكل المهند من غمده » (١٣٤)

وكان أبو تمام حاضر البديهة ، سريع الإجابة والاقناع . يتخلص من المواقف الحرجة بذكاء ولباقة . من ذلك قصته حينما مدح أحمد بن المعتصم بسينيته المشهورة . وكان الفيلسوف الكندي حاضراً . وانتهى الى قوله :

إِقْدَامٌ عَمْرُو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَحْنَفٍ فِي ذِكَاةٍ إِيَّاسٍ (١٣٥)  
اعترض عليه الكندي وقال : أَلَمْ يَرْفُوقَ مَنْ وَصَفْتَ . فَأَطْرَقَ قَلِيلاً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَنْشَدَ ،

لَا تَنْكُرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شُرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ  
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاءِ وَالنَّبْرَاسِ  
ثم استمر في انشاده حتى أتم القصيدة ولما أخذت من يده لم يجدوا بها البيتين ، فعجبوا من سرعة فطنته واهتز الأمير طرباً . (١٣٦)

(١٣٢) لزجة الابهاء في طبقات الابهاء ص ١٠٨ .

(١٣٣) أخبار أبي تمام ص ٧٢ . وقيل القصيدة في مدح محمد بن الهيثم . ينظر دهواله ١١ ، ٢٩١ .

(١٣٤) هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام ص ٤٠ ، هذرات الذهب ٢ ، ٧٤ .

(١٣٥) حر عمرو بن معدى كرب ، وحاتم الطائي وإيَّاس بن معاوية كان أخصياً في البصرة والاحنف بن الهيثم سيد قبيلة تميم .

(١٣٦) هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام ص ٢٥ ، وفيات الأعيان ٢ ، ١٥ .

ومن صفات أبي تمام حبُّ التجول والمسير بلا ضجر ولا ملل من أجل الوصول الى المكان الذي عقد العزم على الذهاب إليه . وقد صدق في قوله (١٣٧) .  
 ما لي بيبضَّ وجهُ المرءِ في طلبِ العُلَى حتى يسوّدَ وجهُهُ في البِيدِ  
 وإلى جانب حُبِّه للمسفر ، كان كريماً سخياً مسرفاً ، يحبُّ أطاليب الحياة غير أنه لم يكن متهتكاً ، بل كان يأتي ملذاته في ستر (١٣٨)

ثم مزية أخرى لأبي تمام أنه كان كثير النظر في الكتب والحفظ . قال محمد بن قدامة : « دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه فما يكاد يرى . فوقفت ساعة لا يعلم بمكاني لما هو فيه . ثم رفع رأسه فنظر إلى وسلم عليّ فقلت له : يا أبا تمام إنك لتنظر في الكتب كثيراً وتدمن الدرس فما أصبرك عليها ! فقال : والله مالي ألف غيرها ولا لذة سواها . (١٣٩) وإلى جانب هذه القراءة كان يستظهر شعراً كثيراً وقد « قيل : إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للمعرب غير القصائد والمقاطيع » (١٤٠)  
 شعره :

لأنظن دارساً للأدب العربي لا يعرف إلى أي مدى سار أبو تمام بالشعر نحو التطور والتجديد ، وكيف حرّك النقد - قديماً وحديثاً - إلى دراسة شعره وإطلاق الأحكام المتباينة فيه . فهو شاعر امتاز بالثقافة الواسعة ، والذكاء الحاد ، والحفظ الغزير للشعر العربي الموروث ، قال المبرد : سمعت الحسن بن رجاء يقول : « مارأيت أحداً قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام » (١٤١) . وعذّة محمد بن عبد الملك الزيات « أشعر الناس طراً » (١٤٢) . وقال الشاعر عمارة بن عقيل حينما قدم إلى بغداد وسمعه الناس شعراً لأبي تمام وحكمه فيه « لئن كان الشعر بجودة اللفظ ، وحسن المعاني ، وأطراد المراد ، واتساق الكلام ، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس » (١٤٣) . وقال الزمخشري : « وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره

(١٣٧) ديوانه ٨ ، ٥ .

(١٣٨) أحيان القيمة ١٩ ، وما بعدها ، وأبو تمام للدكتور عمر فروخ ص ٣٦

(١٣٩) طبقات الشعراء ص ٢٨٤ .

(١٤٠) وفيات الأعيان ١٢ ، ١٦ .

(١٤١) شرح ديوان الحسانة للمرزوقي ١٦ ، ١٨ .

(١٤٢) الأغاني ١٦ ، ٢٨٤ .

(١٤٣) الأغاني ١٦ ، ٢٨٥ .

في اللغة . فهو من علماء العربية . فأجعل مايقوله بمنزلة مايرويه « (١١١) . وإن أردنا أن نجتمع ما قيل في أبي تمام وشعره ومختاراته ابتداء من الصولي في كتابه « اخبار أبي تمام » ومروراً بمن ترجم له الى وقتنا الحاضر لوجدنا الشيء الكثير المليء بالاطراء والاعجاب والثناء .

تناول أبو تمام معظم موضوعات الشعر المعروفة وبرع فيها إلا الهجاء فقد قَصَرَ بهما وأكثر شعره في فني المديح والثناء . فهما يُشكّلان أكثر من ثلثي الديوان ، وقد اشتهر بها حتى قيل : أبو تمام مذاكرة نواحة .

لقد صَبَّ جُلُّ طاقته الشعرية في اجادة المديح لأنه الموضع الذي يمتحن به الشاعر ثم يُجاز عليه . وما أكثر المواقف التي نجح فيها . وفاز بالجوائز السنية والهدايا الثمينة . وإحدى هذه المواقف أنه حضر مجلس أبي ذلف القاسم بن يحيى العجلي وكان كريماً سرياً جواداً . وأنشده قصيدته :

على مثلها من أربع ملاعب أذيلت مصونات الذموع السواكب  
فلما بلغ الى قوله :

إذا افخرت يوماً تميم بقوسها وازادت على ما وطدت من مناقب  
فأتم بذي قار أمالت سيوفكم عروش الذي استرهنوا قوس حاجب (١١٠)  
محاسن من مجد متى تقررنا بها محاسن أقوام تكن كالمعاييب

فقال أبو ذلف : « يامعشر ربعة . ما مدحتُم بمثل هذا الشعر قط . فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارفهم يرمون بها إليه . فقال أبو ذلف : قد قبلها وأعاركم لبسها . وسأنوب عنكم في ثوابه . تَمَّ القصيدة يا أبا تمام . فتممها فأمر له بخمسين ألف درهم . وقال : والله ما هي بازاء استحقاقك وقدرك . فاعذرنا . فشكره وقام ليقبل يده . فحلف ألا يفعل » (١١٦)

إنَّ أبا تمام يعرف كيف ينفذ الى قلوب الممدوحين ويداعبها عن طريق مايعجبهم . إضافة الى مقدرته العالية في اختيار ألفاظ رصينة منظومة كاللؤلؤ في سلك ذهبي متين جميل كما لاحظنا في القصيدة السابقة وقد بدأها بمقدمة طلبية

( ١١٤ ) الكفال ١١ ، ٢٢٠ .

( ١١٥ ) يوم ذي قار ، هو أول يوم انتصر فيه العرب على المجرم . وتنتظر لصة لوس حاجب

بن زرارة لي شرح التبريري على ديوان أبي تمام ٢٠٨ ، ١١

( ١١٦ ) الأغاني ١٦ ، ٢٨٩ .

وهذا مانجده بكثرة في قصائده المدحية ، وقد يبدأ بوصف صاحبه ومعاناته في هواها ثم يعود الى ذكر ديارها ، وبعدها يخلص الى ممدوحة مثل قصيدته في مدح القاضي أحمد بن أبي دؤاد . يقول في أبياتها الأولى : ( ١١٧ )

أرأيت أي سالفٍ وخدودٍ عنت لنا بين اللوى فزود  
أتراب غافلة الليلي ألفت عقد الهوى في يارق وعقود ( ١١٨ )  
بيضاء يصرعها الصبا من نعمة خوذ كخوط البانة الأملود ( ١١٩ )  
مالي بربيع منهم معهود إلا الأسى وعزيمة المجلود

ويذكر ناقته وماتعاني من تعب ومشقة ، ثم يصف كيف تحط رحالها في رحاب الممدوح فتجد أمناً وراحة وطمأنينة :

هيئات منها روضة محمود حتى تُناخ بأحمد المحمود  
بمعزس القرب الذي وجدت فيه أمن المروءة ونجدة المنجود

إن أبا تمام يعنى عناية فائقة بمقدمته المدحية ، وكثيراً ما يلتفت فيها الى نفسه . فيصف همومه وآلامه ، وقد يودعها حكماً وتأملاً تدل على نظر عميق وفكر دقيق . وهو عندما ينتقل من هذه المقدمة يحكم الربط بينها وبين الموضوع الأساس وهو المديح كي لا يشعر القاري أو السامع بفجوة أو عثرة . حينما يرفع من شأن الممدوح ، ويظهر مناقبه ويظهر مناسبه ... وقد يطيل في استهلاله قبل التخلّص الى المدح . كما نلاحظ - مثلاً - في قصيدته التي مدح بها الخليفة المعتصم وأولها : ( ١٢٠ )

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثرى في حليه يتكسر  
فهو يصف الطبيعة في لوحة جميلة جذابة في أكثر من عشرين بيتاً ، يأتي فيها على مباحج هذه الطبيعة وما فيها من مناظر جذابة . ولا سيما في زمن الربيع الذي تختصر فيه المروج في حلّة بديعة . وتتفع الزهور بألوانها الزاهية ، ثم يربط بين

( ١١٧ ) ديوانه ١ ، ٣٨٤ .

( ١١٨ ) غائلة الليالي ، ناعمة البال ، ألفت عقد الهوى ، جمعت الهوى بما لاح من حسنها

اليارق ، السوار .

( ١١٩ ) الغود ، الحسنه الخلق الشابة الناعمة . الغود ، الفصن . الأملود ، الأملس الناعم .

( ١٢٠ ) ديوانه ٢ ، ١٩١ .

( ١٢١ ) تمرمر ، تموج وتضطرب لينا ونعمة .

هذه المقدمة الظريفة التي تفتح النفوس وتسرها مع خلق الخليفة العظيم الذي عم البرية بعدله ولطفه وكرمه :

خلق أطل من الربيع كأنه خلق الامام وهديته المتيئز  
في الأرض من عدل الإمام وجوده ومن النبات الغص سرج تزهر  
تنسى الرياض وما يروض فعله أبدأ على مر السالي يذكُر

واشتهر أبو تمام بالثناء كاشتهاره في المديح . قال ابن رشي : « هو من  
المعبدودين في إجادة الرثاء » (١٠٢) . وقال الأدي : « هو أشعر الناس في  
المراثي » (١٠٣) . لقد كانت مراثية رائعة وكأنها أناشيد حربية ولا سيما ما قاله في  
القائد محمد بن حميد الطائي الذي استشهد في ساحة الوغى ولم يكن عجباً أن  
يطلب أبو ذلف العجلي من أبي تمام أن ينشده قصيدته الرائية ( كذا فليجل  
الخطب ... ) في رثاء هذا القائد . ومنها :

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر  
وقد كان قوت الموت سهلاً فردة إليه الحفاظ المر والخلق الوعر  
فأثبت في مستنقع الموت رجلة وقال لها من تحت أخمصك الحشر  
غدا غدوة والحمد نسج رداءه فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر  
فقال له : « والله لوددت أنها في » فقال : بل أفدي الأمير وأهلي ، وأكون المقدم .  
فقال : إنه لم يمت من رثي بهذا الشعر » (١٠٤)

إنه كان يحسن إظهار التفجع والتحسر والألم على الفقيد . وخسارة الأمة فيه .  
ويجيد « خلق الجو الحزين المتلائم مع طبيعة الكارثة وظروف المأساة . ثم يلقي  
بثقله وفكره على بحار المعاني فيصيد نفائسها ويصقلها ويطرزها ويقدمها لجمهرة  
الناس أحسن ما تكون صوغاً وأجمل ما تكون ثوباً » . (١٠٥) . ومن جميل مراثيه التي  
أجاد فيها قوله في رثاء القائد جعفر الطائي : (١٠٦)

(١٠٢) الممددة ٢ : ١٥

(١٠٣) خاص الخاص للشعالي ص ١٢١ .

(١٠٤) الأغاني ١٦ : ٣٩ .

(١٠٥) الشعر والقصص للدكتور مصطفى الحكمة ص ٦٧٤

(١٠٦) ديوانه ٤ : ١٣٨ .

رَحِمَ اللَّهُ جَعْفراً، فلقد كان أبياً شهماً وكان رحيماً  
 مثل الموت بين عينيه والدُّلُ . فكلاً رآه خطباً عظيماً  
 ثم سارت به الحمية قدماً فأما العدى ومات كريماً!

أما الأغراض الأخرى فلم يكن مكثرأ فيها . فله شعر رقيق في العتاب ولاسيما في أولئك الذين مدحهم وقد تأخر رفدُهم . مثل قوله يخاطب أبا ذُلف: (١٠٧)

أبا ذُلف لم يبق طالب حاجة من الناس غيري والمحل جديد  
 يسرك أن أثبت عنك مخيأ ولم يَرِخْلَقْ من جدك يخيب ؟ !  
 وأحياناً ينقلب هاجياً . وهو فيه أدنى مرتبة من سائر شعره . إذ تبدو لغته الشعرية  
 في هذا اللون باردة لارواة فيها ولاجمال . ويظهر أنه لم يكن يحسن لغة السباب  
 والشتائم التي درج عليها بعض شعراء العصر العباسي . مثل قوله في هجاء عبدالله  
 بن يزيد الكاتب: (١٠٨)

ما أنبت إلا المشل السائر يعرفه الجاهل والخايز  
 فأكفه ضيغ بستائها فانتابها الوارذ والصادر

وقوله في عيَّاش بن لهيعة: (١٠٩)

سَمَجَتْ بك الدنيا فمالك حامدُ وسمجتْ بالدنيا فمالك حامدُ

ولم يعرف أبو تمام بحبيبة معينة غارلها . وعانى فيها شوقاً وصبابةً . ومع ذلك نجد  
 له غزلاً في مطامع القصائد المدحية . أو مقطوعات مستقلة . مثل قوله الجميل الذي  
 يستهوي المرء سماعه: (١١٠)

نَقْلُ فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول  
 كم منزل في الأرض يألوه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

كان أبو تمام يحسن اختيار أبياته التي تجري مجرى الأمثال والحكم . سواء  
 كان في أثناء المديح والثناء أم في الأغراض الأخرى . مثل قوله: (١١١)

( ٤٥٧ ) ديوانه ٤ : ٤٤٢ .

( ٤٥٨ ) ديوانه ٤ : ٢٥٢ .

( ٤٥٩ ) ديوانه ٤ : ٣٤٧ .

( ٤٦٠ ) ديوانه ٤ : ٢٥٣ .

( ٤٦١ ) ديوانه ١ : ٢٩٧ .





ان النقاد تتبعوا شعره . ونظروا فيه بدقة . وانكروا عليه اموراً جمّة . والشواهد عليها كثيرة . تأخذ منها قوله : ( ١٧٧ )

لاتسقني ماء الملام فإنني صبّ قد استعذبت ماء بكائي

قالوا : « اذا كان ماء الملام هو ماء بكائه فكيف يكون مستغنياً منه ، مستعذباً له » ( ١٧٨ ) وقد ردهم الأمدى بقوله : « ليس قول أبي تمام - لاتسقني ماء الملام - بعيد عندي ، لأنه لما أراد ان يقول - قد استعذبت ماء بكائي - جعل للملام ماءً ليقابل ماءً بماء ، وان لم يكن للملام ماء على الحقيقة ، فان الله جلّ اسمه يقول : ( وجزاء سيئة سيئةً مثلها ) ومعلوم ان الثانية ليست بسيئة وانما هي جزء على السيئة ، وكذلك : ( ان تسخروا منا فانا نسخر منكم ) والفعل الثاني ليس بخرية . ومثل هذا في الشعر والكلام كثير ومستعمل . فلما كان في مجرى العادة ان يقول القائل : أغضتُ لفلان القول ، وجزّته منه كأساً مرةً . أو سقيته منه أمر من العلقم . وكان الملام مما يستعمل فيه التجرّع ، جعل له ماءً على الاستعارة ، وهذا كثير موجود » ( ١٧٩ )

ولم يكتف أبو تمام بالبدیع وصور البیان ، بل كان يعمد أيضاً الى الافكار ، ويتعمق فيها ، ويستبطن منها الواناً يرتاح لها العقل ، وقد أثنى عليه ابو العلاء المعري في هذا الشيء ، فقال : « كان صاحب طريقة مبتدعة ، ومعانٍ كاللؤلؤ متبعة ، يستخرجها من غامض البحار ، ويفضّ عنها المستغلق من المحار » . ( ١٨٠ ) ومن أمثلة هذه الطريقة المبتدعة قوله في مدح الحسن بن رعاء : ( ١٨١ )

لاتنكري عطّل الكريم من الغنى فالسبل حرب للمكان العالي  
وتنظري حَبَب الركاب ينضّها محيي القريض الى مميت المال  
وقوله في مدح أبي ذلف العجلي : ( ١٨٢ )

تكاذ عطاياه يجنّ جنونها اذا لم يعوذها بنعمة طالب  
تكاذ مغانيه تهشّ عراضها فتركب من شوق الى كل راكب

( ٤٦٧ ) ديوانه ١ ، ٢٢١ .

( ٤٦٨ ) سر الفصاحة ص ١٢١ .

( ٤٦٩ ) نفسه ص ١٢٢ .

( ٤٧٠ ) رسال الفران ص ٤٨٨ .

( ٤٧١ ) ديوانه ٢ ، ٣٧٧ .

( ٤٧٢ ) ديوانه ٢ ، ٢٠٤ .

وتتصل بالمزية السابقة مزيةً أخرى هي التعقيد اللفظي والميل الى الغريب من المعاني ، وقد وصف شعره بقوله : (١٧٣)

فكأنما هي في السماع جنادل وكأنما هي في العيون كواكب  
وغرائب تأتيك إلا أنسها لصنيعك الحسن الجميل أقارب

ولس عل بن عبدالعزيز الجرجاني هذه الصفة في شعره فقال انه « تعسف ما أمكن ، وتغلغل في التصعب كيف قدر ، ثم لم يرض بذلك حتى أضاف اليه طلب البديع ، فتحمله من كل وجه ، وتوصل اليه بكل سبب ، ولم يرض بهاتين الخليتين حتى اجتلب المعاني الغامضة ، وقصد الاغراض الخفية ، فاحتمل فيها كل غث ثقل ، وأرصد لها الافكار بكل سبيل ، فصار هذا الجنس من شعره اذا فرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر ، وكذ الخاطر ، والحمل على القريحة » (١٧٤) فمن اغرابه قوله : (١٧٥)

وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقصد لها كف قاطب  
فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى فصارت لها أشباحهم كالغوارب (١٧٦)

لاغرو ان ظهر مثل هذا التصعب في شعره ، فانه كان يقتسر المعنى البعيد او الاستعارة التي يتخيلها . ولا يبالي بما يأتيه من نقد ، فقد سأله ابو العميث اللغوي : لم تقول مالا يفهم ؟ فأجابه على الفور : ولم لا تفهم ما يقال ؟ (١٧٧) .. وهذا الامر دفع الناقد العباسي المشهور علي بن عبدالعزيز الجرجاني الى القول : ان ديوانه مشحون بالغموض والتعقيد. (١٧٨)

ومهما قيل في أبي تمام (١٧٩) ، فانه يبقى ذلك الشاعر العربي الكبير الذي يشنف الاسماع بأقوى الشعر وأجزله . وقد صدق ابن رشيق حين قال : « انما سمي

---

( ٤٧٣ ) ديوانه ١ ، ١٧٦ .

( ٤٧٤ ) الوساطة ص ١٩

( ٤٧٥ ) ديوانه ١ ، ٢٠١ .

( ٤٧٦ ) جعل ابو تمام السير خمرأ صرفاً ، يديرها الركبان بينهم فتورثهم شدة في سيرهم من

غير تفكير بمال ، ثم ان اجهاد النياق بالسير قد اذاب سنامها ، وكان السير الكثير

ايضاً قد جعلهم هم انفسهم فاصبحت اجسامهم النحيطة كأنها هي سنام الابل .

( ٤٧٧ ) اخبار أبي تمام ص ٧٢ .

( ٤٧٨ ) الوساطة ص ٤٨٩ .

( ٤٧٩ ) تنظر ، الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام ١ ، ١٤٤ - ٢٤٨ ، ٢٤٩ - ٥٥٧ .

الشاعر شاعراً ؟ لانه يشعر بما لا يشعر به غيره . فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه . او استطراف لفظ وابتداعه . او زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني . أو نقص مما اطاله سواء من الالفاظ . أو صرف معنى الى وجه عن وجه آخر . كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة . ولم يكن له الا فضل الوزن « ( ١٨٠ ) »

## أبو عبادة البحتري

٢٠٦ - ٢٨٤ هـ

هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى ، وكُنيتُه أبو عبادة ، واشتهر في عالم الأدب بلقبه البحتري . نسبةً الى بَحْتَر أحد أجداده (١٨١) . ينتهي نسبه الى طيء إحدى القبائل القحطانية . وكانت أمه عربية من بني ناهل إحدى القبائل التغلبية ، فهي عربية خالصة النسب أيضاً ، وقد أشاد في شعره بنسبه العربي . فقال ، (١٨٢)

إِنَّ قَوْمِي قَوْمُ الشَّرِيفِ قَدِيمًا      وَحَدِيدٌ ثَمًّا ، أَبْوَةٌ ، وَجُدُودًا  
ذَهَبَتْ طِيءٌ بِسَابِقَةِ الْمَجْدِ      بِدِ عَلَى الْعَالَمِينَ : بَأْسًا وَجُودًا

### سيرته :

ولد البحتري في مدينة تشتهر بالخضرة والمروج تسمى « منبج » ، تقع في الشمال الشرقي من حلب . سنة ٢٠٦ للهجرة ، وأمضى فيها طفولته وشبابه . وأخذ فيها علومه . ولا سيما ما يتصل بالقرآن والحديث واللغة والنحو والفقه .. وكان مولعاً بحفظ الشعر يُنشده في ذهابه وإيابه كما يقول ابن خلكان (١٨٣)

ظهرت مواهبه الشعرية في وقت مبكر . وحينما أنس من نفسه القدرة على مواجهة رجال الأدب ومحاورتهم شدَّ رحاله واتَّجه صوب حمص ليلتقي بالشاعر الكبير أبي تمام الطائي ليعرض عليه نظمه ويأخذ رأيه فيه . وبينما هو في طريقه مرَّ بحلب ، وفيها وقعت عينه على فتاة جميلة تدعى « علوة بنت زُرَيْقة الحلبية » ، ففتِنَ بشكلها وقوامها الرشيق . ونظم فيها شعراً في غاية الرقة والعذوبة . وبقيت صورتها عالقةً في ذهنه بعد رحيله عنها .

( ٤٨١ ) الأغاني ٢١ ، ٣٧ ، معجم الأديباء ٧ ، ٢٢٦ . ( ٤٨٢ ) ديوانه ١ ، ٥٩٢ .

( ٤٨٣ ) وفيات الأعيان ٦ ، ٢٢ .

وصل البحتري الى حمص والتقى بأبي تمام . وأنشده شعره أمام مجموعة من الشعراء الحاضرين آنذاك . فأقبل عليه . وأكرمه . وقال له : أنت أشعر من أنشدني . فكيف حالك ؟ فشكا اليه خلّة . فكتب الى أهل معرة النعمان في شأنه . فاستقبلوه بحفاوة . ولسوا نباهته . وشاعريته الجيدة . ووظفوا له أربعة آلاف درهم . كانت أول مالٍ أصابه بالشعر ( ١٨١ )

وفي رواية أخرى تقول : إنه التقى بأبي تمام في مجلس أبي سعيد الثغري أمير الجزيرة . قال البحتري : « أول ما رأيت أبا تمام أنني دخلت على أبي سعيد محمد ابن يوسف . وقد مدحته بقصيدتي :

أَفَأَقْ صَبَّ مِنْ هَوَى فَأَفِيقَا ؟ أَوْ خَانَ عَهْدًا أَمْ أَطَاعَ شَفِيقًا ؟

فَسَرَّبَهَا أَبُو سَعِيد . وقال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَافَتَى وَأَجَدْتُ ... ودعاني أبو تمام . وَضَمَّنِي إِلَيْهِ . وعانقني . وأقبل يُقَرِّظُنِي . ولزمته بعد ذلك . وأخذت عنه . واقتديت به ( ١٨٢ ) » ويرجح الصولي أن هذه الرواية ربما كانت قبل ذهابه الى معرة النعمان .

قويت علاقته بأبي تمام . وسمع منه وصيةً بليغة في صناعة الشعر أفاد منها في مسيرة حياته الأدبية ( ١٨٣ ) . وبقي وفياً مخلصاً له . حتى انه سُئِلَ : « انَّ الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام . فقال : والله ما ينفعني هذا القول . ولا يضُرُّ أبا تمام . والله ما أكلت الخبز إلا به . ولو ددت أن الأمر كان كما قالوا . ولكني والله تابع له . أخذ منه . لائذ به . نسمي عند هوائيه . وأرضي تنخفُض عند سمائه ( ١٨٤ )

ولما اشتدَّ أزره في نظم الشعر . ولم تتسع دياره لأدبه . أقبل الى العراق . وهي زاهية بجلال الملك . ناعمة بغضارة العيش . فاحتضنته . وخذبت علمه . وكان قدومه

---

( ١٨٤ ) أخبار البحتري ص ٦٦ .

( ١٨٥ ) الأغاني ٢١ ، ٤١ وتنظر الموازنة ص ١٢ . والديوان ١٤٥ : ٢ .

( ١٨٦ ) تنظر الوصية في العمدة ٢ ، ١١٤ . زهر الآداب ١ : ١١٠ .

( ١٨٧ ) الأغاني ٢١ ، ٤٠ .

زمن الخليفة الواثق . ولكن شهرته ظهرت في عهد المتوكل . اذ صار لسان هذا الخليفة . يمدحه . ويمجده . ويسجل أعماله في قصائد عامرة . ويصاحبه في رحلته الى دمشق . ويقول له : ( ١٨ )

يا إمام الهدى الذي إحدى ——— تباطى للذين . واجتهد  
سِرَّ بسعد السُّعود في ——— ضحية الواحد الضُّمْد !  
وابقى في العِزِّ والعُلَى ——— وُلِّدنا آخر الأبد !

وحين يقفل راجعاً الى بغداد ينظم أيضاً قصيدة . منها : ( ١٩ )

فأسفر وجه الشرق حتى كأنما تبلج فيه البدر بعد أفوله  
وقد لبست بغداد أحسن زيتها لإقباله . واستشرفت لعدوله  
لعمرى لقد أب الخليفة جعفر وفي كل نفس حاجة من قفوله

وتوثقت صلته بهذا الخليفة . وأصبح نديمه . كما توثقت علاقته بوزيره الفتح بن خاقان الذي عُرف بتكريم الشعراء والحدب عليهم . وظلّت هذه العلاقة الحميمة زهاء خمسة عشر عاماً . كانت من أنها أيام البحري وأسعدها . حتى قتل الخليفة ووزيره الفتح على مرأى من بصره في مجلس منادمة في قصره سنة ٢٤٧ للهجرة بمؤامرة خطيرة اشترك فيها ابنه المنتصر ( ١٩٠ ) . وهرب البحري متوجعاً متألماً يلاحقه شبح الجريمة . ورثى الخليفة المقتول وعرض بابنه في قصيدة تتوشح بثوب الصدق وتدل على وفاء شديد . مطلعها ( ٢٠ ) :

محل على القاطول أخلق دائرة وعادت صروف الدهر جيشاً تغاوره ( ٢١ )  
ومنها :

( ١٨ ) ديوانه ٢ ، ٧٠٨ .

( ١٩ ) ديوانه ٢ ، ١٦٣٤ .

( ٢٠ ) ينظر البحري في سامراء ص ٢٦٩ - ٢٨٥ .

( ٢١ ) ديوانه ٢ ، ١٠٤٧ .

( ٢٢ ) القاطول ، نبيير من دجلة كان في موضع سامراء كان عليه القصر الجعفري . أخلق ، بله . الدائر ، البالي . صروف الدهر ، نوازه . تغاوره ، تعاربه .

صريع تقاضاه السيوف خشاشة يجود بها . والموت حُمرَ أظافرة  
أدافع عنه باليدين . ولم يكن ليشني الأعادي أعزل الليل حاسرة  
ولو كان سيفي ساعة القتل في يدي درى القاتل العجلان كيف أساوره  
سرام علي الراخ بعدك . أو أرى دماً يدم يجري على الأرض مائرة

توجه البحتري الى مكة وأدى فريضة الحج . ومنها سافر الى منبج حيث أهله  
وذويه . ولكنه لم يستطع البقاء فيها بعد أن رأى النعمة والثراء في بلاط الخلافة .  
فعاد مسرعاً الى سُرّ من رأى وأرضى الخليفة المنتصر بقصيدة أشاد فيها بحلمه  
ورأفته - ولم يدم حكم هذا الخليفة أكثر من ستة أشهر . إذ فاجأه الموت سنة ٢٤٨  
للهجرة . وجاء بعده المستعين . ولم يتعد البحتري عن دار الخلافة . فاتصل بهذا  
الخليفة الجديد وخضعه بعده قصائد . وفي سنة ٢٥١ للهجرة اتصل البحتري بالمعتز  
بعد وفاة المستعين . وحظي بجوائز كثيرة . وتولّى المهدي الخلافة سنة ٢٥٥ للهجرة  
ومدحه بقصائد أشاد فيها بزهده وورعه وعدله وشجاعته في محاربة الروم . وبعد  
سنة خلع هذا الخليفة وولّى مكانه المعتمد . وهو آخر الخلفاء الذين اتصل بهم  
البحتري ومدحهم ونال رفدhem . وهكذا كانت علاقته بالخلفاء . يستقبل خليفة  
ويودّع آخر . وقد أثرى ثراء كبيراً . وأصبح صاحب أموالٍ وضياح كثيرة . حتى  
قيل : « كان ملياً قد فاض كسبه من الشعر . وكان يركب في موكب من  
عبيده » ( ١٩٣ ) .

وبعد وفاة الخليفة المعتمد سنة ٢٧٩ للهجرة عاد البحتري الى موطنه الأصلي .  
ومكث فيه الى أن أدركته المنية سنة ٢٨٤ للهجرة تاركاً وراءه ديواناً ضخماً وكتاب  
« الحماسة » . وآخر بعنوان « معاني الشعر » لم يصل إلينا .

### شعره :

كان البحتري شاعراً فناناً مجيداً مبدعاً . استطاع بموهبته الفذة وطبعه المتدفق  
أن يقدم شعراً جميلاً شبيهاً « بسلاسل الذهب » كما يقول ابن خلكان ( ١١١ )

وصل إلينا شعر البحتري في ديوان كبير . حوى كل أبواب الشعر العربي المعروفة . والمديح هو أكبر باب في هذا الديوان ، فانه احترف هذا الفن وجعله وسيلة لتحسين الحال وجمع المال . فله في مديح الخلفاء والأمراء والوزراء والقواد وأعيان الدولة شعر كثير . وجد في نفوسهم هوئى وقبولاً حسناً . وقد عدّه أبو هلال العسكري من أكبر المذاحين . وذكر له قصيدة في مدح الفتح بن خاقان . منها قوله :

أغرّ له من جوده وسماحه      ظهير عليه ماخيّب وشافع  
ولما جرى للمجد والقوم خلفه      نغول أقصى جهدهم وهو وادع  
وهل يتكافأ الناس شئ خلاهم      وما تتكافأ في اليدين الأصابع  
إذا ارتد صمتاً فالرؤوس نواكس      وإن قال فالأعناق صور خواضع  
ولا يعلم الأعداء من فرط عزمه      متى هو مضبوب عليهم فواقع

وعقب في خاتمة القصيدة بقوله : « لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الأبيات . ولا أعرف أحداً يستوفي مثل هذه المعاني في أكثر مدائحه إلا البحتري » ( ١١٠ ) .

وهو في نظر ابن خلكان محسن كل الإحسان في المديح . وأورد له أبياتاً من قصيدته الرائية المشهورة في الخليفة المتوكل وهو يخرج لأداء صلاة عيد الفطر . وأولها :



أخفي هوى لك في الضلوع وأظهره والآن من كسَمَدِ عليك وأعذر  
ومنها :

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا لما طلعت من الصُفوف وكبروا  
حتى انتهيت الى المصلّى لابساً نور الهدى يبدو عليك ويظهر  
ومشيت مشيةً خاشع متواضع لله لا يزهى ولا يستكبر

وعلق عليها بقوله : « هذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة . والسهل المتنع .  
فله دره ! مأسلى قياده . وأعذب ألفاظه . وأحسن سبكه . وأطف مقاصده . وليس  
فيه من الحشو شيء . بل جميعه نُخب » (١١٦) . وكما أشاد ابن خلكان بهذه  
القصيدة . فقد أشاد بها كثير من الباحثين المعاصرين وعدوها من قصائده الفريدة  
في جودة المبنى وروعة المعنى (١١٧)

لقد تميز شعره المدحي بمثانة الألفاظ . وجودة الأسلوب . وحسن العرض ورقة  
الجرس الموسيقي التي تستهوي السامع . ويبدو أنه عمل بوصية أستاذه أبي تمام  
حين قال له : « اذا أخذت في مديح سيد ذي أياذ فأشهر مناقبه . وأظهر  
مناسبة . وأبّن معالمة . وشرف مقامه . ونصّد المعاني . واحذر المجهول منها . وإياك  
أن تشين شعرك بالألفاظ الرديئة . ولتكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير  
الأجساد » (١١٨) .

وأجاد البحري في الغزل . وقدم شعراً يسيل رقةً وعذوبةً في « علوة » . تلك  
الغادة الحسناء التي تولّع بها وصبا إليها في مطلع شبابه . ولم يحظ بها . اذ  
تزوجت من رجل آخر . ولكنه لم يسل عنها . وظلّ طيفها يعاوده طوال حياته .  
وضرب به المثل بين الأدباء . فأصبحوا يقولون : أرق من طيف البحري . وقد  
كانت أغلب شواهد الشريف المرتضى في كتابه « طيف الخيال » من شعره . اذ ذكره  
في بضعة وسبعين موضعاً (١١٩) . ولا عجب في ذلك : فإن ابن رشيّق قال : « البحري

( ٤٩٦ ) وفيات الأعيان ١٦ : ٣٦٠ .

( ٤٩٧ ) ينظر : حياة البحري وفاته ص ١٥٨ . تاريخ الأدب العربي . العصر العباسي الثاني ص

٣٩٠ . البحري في سامراء ص ١٧١ . الشعراء والشعراء في العصر العباسي ص ٧٠٨ .

البحري بين نقاد عصره ص ١٧٣ .

( ٤٩٨ ) زهر الآداب ١١ : ١١٠ .

( ٤٩٩ ) ينظر : طيف الخيال ( الفهرس ) ص ١٤٨ - ١٥٨ .

أرقُ الناس نسيباً، وأصلحهم طريقة، لاسيما إنْ ذكرَ الطيف . فإنه البابُ الذي شُهرَ به «(٥٠٠)» ومن شعره الشفاف الأسر قوله في فاتنته : (٥٠١)

خيالٌ يعتريني في المنام  
لعلوةٍ إنَّها شجنٌ لنفسي  
إذا سَفَرْتُ رأيتَ الظرفَ بحثاً  
سلامُ الله كلَّ صباحٍ يومٍ  
لقد غادرتَ في قلبي سقاماً  
لئن قلَّ التوصلُ أو تماذى  
فكم من نظرةٍ لي من قريبٍ  
ألتخِذُ السمرقَ هوى وداراً  
لسكرى اللَّحظِ . فاتنة القوام  
وبلبالٍ لقلبي المستهام  
ونار الحُسن ساطعة الضرام  
عليك . ومن يُبلِّغُ لي سلامي ؟  
بما في مقلتيك من السَّهام  
بنا الهجرانُ عاماً بعد عامٍ  
إليك . وزورة لك في المنام !  
ومن أهواءُ في أرضِ الشام ؟

والبحري شاعر وُصف من الدرجة الأولى . له مقدرةٌ فائقةٌ على تصوير مظاهر الحضارة . ومباهج العمران . ونعم الحياة . والطبيعة الخلابة برياضها وأزهارها . وله قدرة فذة في تقديم صور متحركة لموكب الخلافة . والجيش . والأسطول الحربي .. وكذلك وصف حياة البادية ومشاقها وما فيها من حيوان كالناقة والذئب والأسد .. وقد حقَّق في كل ذلك تفوقاً كبيراً ما يضعه ضمن أعظم الوصافين العرب . واليك هذه الأرجوزة اللطيفة بوقعها الموسيقي المحب ولغتها الجميلة السهلة في وصف سحابة ذات رعد وبرق . أَلقت مطرها على الأرض . فرويت وتفتحت أزهار رياضها . وامتَلأت غدранها بالمياه (٥٠٢) :

ذات ارتجازٍ بحنين الرُّعدِ  
مسفوحيةٌ الدَّمع لغير وُجدِ  
ورنةٌ مثَّلَ زئير الأسدِ  
جاءت بها ربيع الصَّبَا من نجدِ  
فراحبت الأرض بعيش زغدِ  
كأنَّما غدرائُها في الوُجدِ  
مَجْرورةٌ الذَّيْل . صدوق الوعدِ  
لها نسيمٌ كنسيم الورْدِ  
ولعُ بَرْقِ كسيوف الهندِ  
فانتشرتْ مثل انتشارِ البَعْدِ  
من وشي أنوار الرُّبى في بردِ  
يلعبن من حبابها بالنُزْدِ

(٥٠٠) الصمدي ٢ : ١١٩ .

(٥٠١) ديوانه ٢ : ١٩٣٢ .

(٥٠٢) ديوانه ١ : ٥٦٧ .

وللبحتري شعر جيد في رثاء مَنْ رُزِيَ به . يفيضُ حزناً وألماً وحسرة . وقد مرّت بنا قصيدته في رثاء المتوكل التي قال فيها أبو العباس ثعلب : « ما قِلْتُ هاشميةً أحسن منها . وقد صرّح فيها تصريح من أذهلته المصائب عن تخوّف العواقب » (٥٠٣) . ومن مراثية القوية أيضاً ما قاله في القائد محمد بن يوسف الثغري وولده يوسف بعد مقتلهما . قال أبو الفرج الأصبهاني : « ومراثيه فيهما أجود من مدائحه . ورؤي أنه قيل له في ذلك . فقال : من تمام الوفاء أن تفضّل المراثي المدائح » (٥٠٤) . وله قصيدة رائعة في رثاء الفرسان الأبطال من بني حميد الطائي الذين استشهدوا في ساحة الحرب دفاعاً عن الكرامة والشرف والوطن . منها قوله (٥٠٥) :

تدانت منايهم بهم . وتباعدت مضاجعهم عن تربك المتنسم  
فكل له قبر غريب ببلدة فمن مُنجد نائي الضريح ومتهم  
قصوراً بأطراف الثُغور كأنما مواقعها منها مواقع أنجم  
مضوا يستلذون المنايا خفيضة وحفظاً لذاك السؤدد المتقدم  
ولما رأوا بعض الحياة مذلةً عليهم وعزّ الموت غير مُحَرَّم  
أبوا أن يذوقوا العيش والذم واقع عليه . وماتوا ميتة لم تدمم

وكان البحتري موفور الحظ في شعر العتاب . فله فيه صور دقيقة . قال ابن رشيق : « وأحسن الناس طريقاً في عتاب الأشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبادة البحتري » (٥٠٦) . أما الهجاء فانه كأستاذ أبي تمام لم يكن موقفاً فيه . أو بالأحرى لم يكن مطبوعاً فيه . وقه نوّه أبو الفرج الأصبهاني بذلك . فقال : « شاعرٌ فاضل . حسن المذهب . نقى الكلام . مطبوع . كان مشايخنا رحمة الله عليهم يهتمون به الشعراء . وله تصرّف حسن فاضل نقى في ضروب الشعر . سوى الهجاء . فإن بضاعته فيه نزرّة . وجيّد منه قليل » (٥٠٧)

(٥٠٣) زهر الآداب ١ : ٢١٦ .

(٥٠٤) الألهاني ٢١ : ٤٢ .

(٥٠٥) ديوانه ٢ : ١٩٤٦ .

(٥٠٦) الصدة ٢ : ١٦٠ .

(٥٠٧) الألهاني ٢١ : ٢٧ .

وله أبيات قليلة في الحكمة استلهمها من صميم تجاربه وتفاعله مع الحياة مثل قوله: (٥٨).

إذا المرء لم تبدهك بالحزم كله قريحته لم تغن عنك تجاربه  
وقوله (٥٩).

إذا ما الجرح رم على فاد تبين فيه تفريط الطبيب

### خصائص شعره :

ان من أميز خصائص شعر البحري الوضوح الذي لاتعقيد فيه ولا ابتدال . الى جانب اللغة الصافية الشفافة التي لاتختنق بجرائر التفلسف والمنطق . والالتزام بالايقاع الجميل في ظل موسيقى هادئة مريحة . والتوسط في استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية في صياغة رائعة وكأنها كما يقول ابن الأثير : « نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلي » (٥١) . وقد أشار البحري بنفسه الى مذهبه الشعري في الايات الآتية : (٥١).

كلفتمونا حدود منطقكم في الشعر يُلقَى عن صدقه كذبة  
ولم يكن ذو القروح يلهج بال منطق : مانوعة . وما سببة (٥١٢)  
والشعر لمح . تكفي اشارته وليس بالهذر . طوَلت خطبة  
لو أن ذاك الشريف وازن ي من اللفظ واختار لم يقل : شجبة (٥١٣).  
واللفظ خلّي المعنى . وليس يُريد لك الصفر حسناً يُريكه ذهب (٥١٤)

(٥٨) ديوانه ١١ ، ٢٢٤ .

(٥٩) ديوانه ١ ، ١٠٠ .

(٥١٠) المثل السائر ١ ، ١٧٨ .

(٥١١) ديوانه ١ ، ٢٠٩ .

(٥١٢) ذو القروح ، امرؤ القيس .

(٥١٣) يرشد بالشريف : عبيد الله بن عبدالله بن طاهر الذي جرت بينه وبين البحري مناقشة

بالفرس تجدها في الديوان .

(٥١٤) الصفر ، النحاس الأصفر .

ولا يعني هذا أن البحري تخلّى عن تراثه القديم . بل العكس . فانه جمع في شعره بين مذهب القدامى ومذهب المحدثين . أخذ عن القديم الجزالة والفصاحة والمتانة . وعن الحديث الرقة والعذوبة والسلاسة . وقد أصاب الأمدي في قوله : « ان شعر الوليد بن عبيد البحري صريح السبك . حسن الديباجة . وليس فيه سفاف ولا رديء ولا مطروح . ولهذا صار مستوياً يشبه بعضه بعضاً ... وما فارق عمود الشعر المعروف . وكان يتجنب التعقيد . ومستكره الألفاظ . ووحشئ الكلام » ( ٥١٥ ) .

لقد نال اعجاب اغلب الدارسين ومحبي الشعر . وعدّوه أطبع المحدثين والمولدين ؛ لأنه « يرسل نفسه على سجيته إرسالاً . ويُعبّر عن عواطفه كما يُعبّر الناس جميعاً حين يحبون أو يبغضون . فليس غريباً أن يجد كل انسان من معاصريه مرآة لهذه العواطف التي يشعر بها في حياته . وفيما يختلف عليها من ظروف » ( ٥١٦ )

---

( ٥١٥ ) الموازنة ص ١٠ .

( ٥١٦ ) من حديث الشعر والنثر ص ١١٧ .

## ابن الرومي

٢٢١ - ٢٨٢ هـ

لم يلق هذا الشاعر الكبير . لسوء حظه . باهتمام مؤلفي كتب الادب والسير والطبقات من القدامى . اذ لانجد له ترجمة في طبقات الشعراء لابن المعتز . ولا في كتاب الأغاني لابي الفرج الاصبهاني . ولا في نزهة الالباء في طبقات الادباء لابن الانباري . ولا في معجم الادباء لياقوت الحموي .... ولعل اكثر من انصعه بترجمة موجزة لا تغني كثيراً الخطيب البغدادي وابن خلكان . وقد حظي في العصر الحاضر بأعمال طيبة من رجال فضلاء . وفي مقدمتهم عباس محمود العقاد في دراسة قيمة . والدكتور حسين نصار في تحقيق ديوانه بستة أجزاء .

### سيرته :

علي بن العباس بن جريج أو جورجيس . المكنى بأبي الحسن . والمعروف بابن الرومي . ولد في بغداد بالجانب الغربي لليلتين خلتا من رجب سنة ٢٢١ للهجرة من أب رومي . وقد أشار الى ذلك في شعره . فقال : (٥٧)

ونحن بنو اليونان من قوم لنا حجى ومجد وعيدان صلاب المعاجم  
وقال في تورية لطيفة وهو يداعب فتاة : (٥٨)

ورومية يوماً دعستني لوصلها ولم أك من وصل الأغاني بمحروم  
فقلت : فذلك النفس ماالأصل ؟ انني أريد وصلاً منك . قلت لها : رومي

وليس غريباً ان يكون هذا الشاعر من أصل رومي : فان كثيراً من الاقوام أسلموا وامتزجوا بالعرب . ولاسيما في العصر العباسي . وكانت أمه اعجمية ايضاً تسمى حسنة بنت عبدالله السجزي كما ذكر المزرباني . (٥٩) وهي امرأة تقيّة صالحة . طيبة المعشر . تطعم الايتام وتجوّد على الجيران بمطاعمها . ومن شعر ابن الرومي فيها بعد مماتها : (٥١٠)

( ٥١٧ ) ديوانه ٦ ، ٢٢٧٢

( ٥١٨ ) الكشكول ١ ، ١٢٤ ، ولم يرد البيتان في ديوانه المطبوع .

( ٥١٩ ) معجم الشعراء ص ١٤٥

( ٥٢٠ ) ديوانه ٦ ، ٢٢٠٠

أقول . وقد قالوا ، أتبكي كفاقد رُضاعاً وأين الكهل : من راضع الحلم ؟  
هي الأم . يالللناس جُرعت ثكلها ومن يبكِ أماً لم تُدْم قط . لا يُدْم

فقد ابن الرومي والده وهو صغير ، وتعهدته أمه وأخوه الأكبر ويسمى محمداً  
كان يعمل في دواوين الدولة . ولم يلبث ان توفي اخوه ولم يبلغ الثلاثين ، وتوالت  
عليه الشدائد . فماتت أمه . ثم تزوج وأنجب أطفالاً . ولكن القدر لم يمهلهم بهم .  
فماتوا جميعاً حتى زوجته . فحزن عليهم أشد الحزن .

أما دراسته وعلمه وثقافته فلم تذكر المصادر شيئاً عنها . ويبدو أن الكتابات قد  
أعطته قسطاً من علوم اللغة العربية وآدابها . وحينما أصبح يافعاً أخذ يختلف الى  
حلقات العلماء في المساجد . ويتابع الكتب ويقرأها ويستخلص المعارف منها . وقد  
أشار أبو العلاء المعري الى أنه « كان يتعاطى علم الفلسفة . واستعار من أبي بكر  
ابن السراج كتاباً » (٥١١) . وهذا الخبر يدل على شغفه بالمطالعة واستنباط العلوم من  
الكتب حتى الفلسفة . التي ساهمت في خلق الكثير من مميزات شعره التي سنها  
فيما بعد

وكان غريب الأطوار . سوادي المزاج . انطوائيّ النفس . كثير التطير والظن  
والقلق . ضعيف الأعصاب . شديد الخوف . لا يستقر على حالة . تراه يمدح شخصاً  
ثم لا يلبث ان يهجو . حتى قال عبيدالله بن سليمان بن وهب وهو يوصي ابنه  
الوزير القاسم : « أرى مايسوءني ولا يسرنني . أرى رجلاً صحيح الشعر . بقيم  
العقل . ومثل هذا لا تؤمن بواذره . وأقل غضبة يغضبها تبقي في اعراضا مالا يغسله  
الدهر . والرأي ابعاده » (٥١٢) . وهكذا جعلته هذه الصفات رجلاً غير محظوظ  
كأقرانه من الشعراء الذين وجدوا قبولاً حسناً عند الخلفاء وأعوان الدولة .

وفي موته رأيان . الاول : انه مات اثر مرض . والثاني : ان الوزير القاسم بن  
عبيدالله دس له السم فمات ليتخلص من لسانه . وهذا ماذهب اليه أكثر المؤرخين .  
وكانت وفاته لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ٢٨٣ للهجرة ودفن بمقبرة باب

البستان في الجانب الشرقي من بغداد ورويت له أشعارٌ قالها في نَزْعِهِ . منها مارواه ابو حيان التوحيدي عن احد الرواة قوله : دخلنا على ابن الرومي في مرضه الذي قضى منه فأنشدنا :

ولقد سئمتُ مَآرِبِي      فكأن طيبتها خبيثُ  
الْأَحْدِيثُ فَإِنَّهُ      مثل اسمه أبداً حديثُ (٥٣٣)

### شعره :

برزت موهبة ابن الرومي في وقت مبكر . فقد صاغ ابياتاً في هجاء غلام عباسي وهو لا يزال في الكتّاب (٥٣٤) ثم استمر في النظم حتى أصبح له ديوان في حجم كبير . حوى أغلب موضوعات الشعر المعروفة من مديح . وهجاء . ورثاء . ووصف . وغزل . وعتاب . وشكوى . وحكم ...

عاصر ابن الرومي عدّة خلفاء . ولكنه لم يمدح منهم احداً مدحاً مباشراً الا الخليفة المعتضد . ويعزو أحد الباحثين ذلك الى « سوء طالعهِ في قصور الملوك . وجبنه عن اقتحام اجوائهم . واستهانتهم به لضآلة شخصه . وميوعة أسلوبه . المتجافى عن القعقعة والجلباب » (٥٣٥) . ولا نظنُّ هذا هو السبب الرئيس . ولعل الواقع السيء الذي كانت عليه الخلافة زمن المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والدسائس الكثيرة في قصورهم نفّرتهم عن اجوائهم وابعדתهم عن ابوابهم . والبيتان الآتيان في مدح المعتضد يدلان على الاستبشار بعهد جديد : (٥٣٦)

هنيئاً بني العباس ان امامكم      امام الهدى والباس والجود . أحمدُ  
كما بأبي العباس أنشيء ملككم      كذا بأبي العباس أيضاً يُجَدُّ

ان لابن الرومي ممدوحين كثيرين . يتجاوزون الاربعين . من وزراء . وكتاب . وحجّاب . وحكّام . وقوّاد . وتجار . واصحاب جاه ونفوذ ... ومع هذه الكثرة فانه لم يحظ بنوال كبير منهم . وربما يتعلّق ذلك بابن الرومي نفسه . فانه لم يكن دقيقاً

( ٥٣٣ ) الامتاع والمواصلة ٢٧ ، وينظر الديوان ١ ، ٢٩٧ .

( ٥٣٤ ) ينظر ديوانه ٢ ، ٥٦٢ .

( ٥٣٥ ) ابن الرومي في الصورة والوجود ص ٢٨٢

( ٥٣٦ ) ديوانه ٢ ، ٦٦٠ .



في الدخول الى نفوس الممدوحين وتشخيص مواطن الفضائل والمناقب التي يرتاحون لها وينتعشون لسماعها كما كان يفعل أكثر شعراء عصره . فلو نظرنا مثلاً في قصيدته البائية في مدح احمد بن ثوبة التي تجاوزت مئة وثمانين بيتاً لما وجدنا فيها إلا ابياتاً قليلة في موضوع المدح الخالص مثل قوله : (٥٧٧)

بوجهك أضحى كل شيء منوراً  
وأبرز وجهاً ضاحكاً غير قاطبٍ

وله شعر كثير في الهجاء . صب فيه حقه وغضبه على كثير من الناس . وجردهم من انسانياتهم بأسلوب ساخر لاذع . وألصق بهم عيوباً ونواقص مثينة . وصوّر بعضهم تصويراً مضحكاً يكاد يكون منفرداً فيها . وقد عدّه العقاد من أشهر هجائي القرن الثالث مع الشاعر دعبل الخزاعي . (٥٧٨) مثل قوله وهو يفضل الكلب على المهجو : (٥٧٩)

والكلب وافي وفيك غدرٌ      ففبك عن قدره سفلٌ  
وقد يحامي عن المواشي      وما تحامي ولا تصلُ  
وأنت من أهل بيت سوء      قصّتهم قصة تطولُ  
وجوههم للورى عظامٌ      لكنّ أقاءهم طبولُ (٥٨٠)

وأوقف ابن الرومي قسطاً من شعره على المرأة . ووصفها وصفاً بديعاً . وأضفى عليها ألوان الطبيعة وظلالها . واحياناً لولا القرينة لما أدركت أنه يصف امرأة . مثل قوله في بستان المغنية . (٥٨١)

بستانٌ : يا حسرتا على زهرٍ      فيك من اللهو بل على ثمر  
بستانٌ : لم يستعر لك اسمك يا      بستان لذاتنا ولم يغفر

واسلوبه في الغزل شفاف ورقيق لا يخدش السمع مثل قوله وهو يرد على اولئك الذين يلومون العاشقين . لأنّ لومهم يغريهم بزيادة الحب والامعان فيه . كما تغري الريح النار بشدة الاحراق : (٥٨٢) .

( ٥٢٧ ) ديوانه ١ : ٢٢٢ .

( ٥٢٨ ) ابن الرومي ، حياته من شعره ص ٢٢٢

( ٥٢٩ ) ديوانه ٥ : ٢٠٤

( ٥٣٠ ) اي القالوم تصلح للضرب والصنع عليها كالضرب على الطبول .

( ٥٣١ ) ديوانه ٢ : ٩١٨

لأكثرَ ملامة السعْشاقِ فكفاهسم بالوجد والأشواق  
 أنَّ البلاءَ يطاقُ غير مضاعفٍ فاذا تضاعفَ كان غيرَ مُطاقٍ  
 لا تُطفئُ جوى بلوم. أنه كالريح تُغرى النارَ بالإحراق  
 ما للمحب إذا تفاقم داؤه غير الحبيب يزوره من راقبي

وكانت له عبقرية فذة في وصف المربيات والمعنويات . بما أتيح له من دقة  
 التصوير وبراعة التشخيص وحسن التعبير . فقد وصف الرياض والأزهار والثمار  
 والأطيوار والحيوان . كما وصف أنواع الطعام ومجالس المدامة والمغنيات . ومظاهر  
 العمران . والطبائع والعادات والعاهات . وأصحاب المهن والحرف ... مثل قوله في  
 وصف الخباز ومهارته في صنع الخبز بسرعة فائقة تشبه للمحة الخاطفة : (٥٣٣)

ما أنس لا أنس خبازاً مررتُ به يدحو الرُقاقة وشكَّ الملح بالبصرِ  
 ما بين رؤيتها في كفهِ كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر  
 ألا بمقدار ماتن داخ دائرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجرِ  
 واليك هذا المشهد الرائع الذي يُصوِّر الشمس ساعة غروبها وتوديعها  
 للطبيعة : (٥٣٤)

إذا زَنَقَتِ شمسُ الأصيل ونَفَضَتْ على الأفقِ الغربي ورأساً مُذدعاً (٥٣٥)  
 وودَّعتِ الدنيا لتتقضى نحبها وشولَ باقي عمرها فتشعشعا (٥٣٦)  
 ولاحظتِ النَّوَارَ وهي مريضَةٌ وقد وضعت خدّاً الى الارض أضرها  
 كما لاحظت عواده عين مُدْبِفٍ توجع من أوصابه ما توجعا

( ٥٣٣ ) ديوانه ٤ ، ١٦٦٢

( ٥٣٣ ) ديوانه ٢ ، ١١١٠

( ٥٣٤ ) ديوانه ٤ ، ١٤٧٥

( ٥٣٥ ) رنقت ، يقال رنق الطائر اذا ولف صافاً جناحيه لا يمضي . وترنق الشمس مستعار  
 من ترنق الطائر وهي ميلها الى المقيب ودنوها من الافق . الورس ، نبات اصفر .  
 مذدع ، محرك ، لعله يريد به اهتزاز الأشعة في بصر الناظر .

( ٥٣٦ ) النحب ، النوم . شول ، نقص ، قل ، وشولت الناقة ، جفت البانها . تشعشع ، يقال  
 تشعشع الشهر اي بقي منه قليل .

وظلّت عيونُ النورِ تخضّلُ بالندى      كما اغرورقت عين الشَّجِيّ لتدمعا  
يراعينها صُوراً اليها روانيا      ويلحظن الحاظاً من الشَّجْوِ خشعاً (٥٠٧)  
وبين اغضاء الفراقِ عليهما      كأنهما خلا صفاء تودّعاً (٥٠٨)

مأجمل هذه اللوحة وأروعها : انها رُسمت بريشةً دقيقةً مظهره شمس  
الأصيل وهي مائلةٌ نحو الأفق استعداداً للرحيل تاركَةً الأرض الخضراء  
بزروعها وورودها حزينةً متوجعةً بعد مودةٍ ومحبةٍ ولقاء .

وكان ابن الرومي ينقلب في ساعاتٍ من حياته الى انسانٍ متفجعٍ ينتزى  
جرحاً ويتفجّرُ ألماً وحزناً بعد أن يرصد الدهر سهامه له في أسرته واحداً بعد  
الآخر . ويُقدّمُ فيهم شعراً حزيناً . ولاسيما في ابنه الأوسط محمد . اذ نراه  
يبكيه بأشجى الحان الابوه المفجوعة في فلذة الكبد ومصيبة الولد . مثل  
قصيدته الدالية التي لاتقل روعةً من قصيدة ابي ذؤيب الهذلي في عينيته  
المشهورة التي رثى فيها ابنائه السبعة الذين ماتوا الأطفلاً . قال ابن الرومي  
من قصيدة تتجاوز اربعين بيتاً : (٥٢٩)

بكاؤكما يشفي وان كان لايجدي      فجودا فقد أودى نظيركما عندي  
بني الذي أهدته كفاي للثرى      فيأعزة المهدي وياحسرة المهدي  
ألا قاتل الله المنايا ورميها      من القوم حبات القلوب على عمدٍ  
توخى حمام الموت أوسط صييتي      فلله كيف اختار واسطة العقيد  
على حين شمت الخير من لمحاته      وأنست من افعاله آية الرشد  
طواة الردى عني فأضحى مزاره      بعيداً على قرب قريباً على بعد (٥٠٠)  
واني . وان مُتعت بابني بعده      لذاكره ماحنت النيب في نجد (٥٠١)

( ٥٢٧ ) يراعينها ، يلاحظها . صورا ، موالل . روانيا ، مديحات نظهرن .

( ٥٢٨ ) بين ، تبين اغضاء الفراق ، دنوه

( ٥٢٩ ) ديوانه ٢ ، ٦٢٤

( ٥٤٠ ) يقول ، ان ابنه صار بعيداً على الرغم من قرب مكان دفنه . قريب المكان ولكنه بعيد  
المنال الا بالذكريات  
( ٥٤١ ) النيب ، جمع ناب وهي الناقة .

وأولادنا مثل الجوارح أيها فقدناه كان الفاجع اليئس الفقد  
لكل مكان لا يسد اختلاله مكان أخيه في جزوع و لا جلد (١١٢)  
هل العين بعد السمع تكفي مكانه " ام السمع بعد العين يهدي كما تهدى ؟

ومن شعره الرثائي المشهور قصيدته الطويلة التي بكى فيها على مدينة البصرة  
الفيحاء التي ضربها الزنج بقساوة وعنف ، وخربوها ، وأذلوا أهلها ، وعصفوا  
بمنجزات الحضارة فيها سنة ٢٥٧ للهجرة في خلافة المعتمد ، وكانت هذه الحادثة من  
أسوأ الحوادث التي وقعت على هذه المدينة ، وجاءت قصيدة ابن الرومي التي  
تردّدت بين الغضب والحزن تشرح هذه المأساة الدامية التي أذهلت الناس آنذاك ،  
منها قوله : (١١٣)

لهف نفسي عليك ايتها البص	رّة لهفأ كمثّل لهب الضرام
لهف نفسي عليك يا فتّة الـ	لام لهفأ يطول منه غرامي
كم أخ قد رأى أخاه صريعاً	ترب الخد بين صرعى كرام
كم أب قد رأى عزيز بنيه	وهو يعمل بصارم صمام
كم رضيع هناك قد فطموه	بشبا السيف قبل حين الفطام
كم فتاة مصونة قد سبوا	بارزاً وجهها بغير لثام
صبحوهم فكابد القوم منهم	طول يوم كأنه ألف عام

ولابن الرومي شعر لطيف في الحنين الى الأوطان ، والشكوى والعتاب ، والشيب  
والشباب ، والحكمة والمثل . لم يكن متخلفاً فيه ولا مقصراً ، بل يبلغ في بعضه  
مرتبة لا نظير لها ، مثل قوله : (١١٤) .

ولي وطن أليث ألا أبيعـه	وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة	كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفت النفس حتى كأنه	لها جسد أن بان غودرت هالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم	مأرب قضأها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم	عدود الصبا فيها فحنوا لذلكا

( ٥٤٢ ) الجزوع : هو الكثير الجزع ، والجلد : هو الصبور على الحوادث .

( ٥٤٣ ) ديوانه ١ ، ٦ ، ٢٣٧٧ .

( ٥٤٤ ) ديوانه ١ ، ٥ ، ١٨٢٥ .

## خصائص شعره :

عُرف عن ابن الرومي بكثرة النظم . وإطالة النفس . حتى يصل في بعض قصائده الى ثلاث مئة بيت تقريباً وقد ضاع جزء من شعره كما يرى المستشرق روفون جست . ويقول في المتبقي منه : « ونستطيع أن نقدره بما لا يقل كثيراً عن ضعف شعر البحتري . وثلاثة أضعاف أو أربعة أضعاف شعر أبي تمام » (١٠٠) .

إن أميز خصائص شعره التعمق في المعاني . والتحليل . والاستقصاء . واستعمال المنطق . قال المرزباني هو « أشعر أهل زمانه بعد البحتري . وأكثرهم شعراً . وأحسنهم أوصافاً . وبلغهم هجاء . وأوسعهم افتناناً في سائر اجناس الشعر وضروبه وقوافيه . ويركب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره . ويلزم نفسه ما لا يلزمه . ويخلط كلامه بالألفاظ منطقية يجعل لها المعاني ثم يفصلها بأحسن وصف وأعذب لفظ » (١٠١) . أنه كان يدخل الى أعماق المعاني بفكره الثاقب ويستخرج منها النواذر والدرر . وقد عرف له هذا ابن خلكان فقال : « صاحب النظم العجيب . والتوليد الغريب . يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة » (١٠٢) .

وكان ابن الرومي صاحب ثروة لغوية كبيرة . يعرف دقائقها وأسرارها . ويحسن اختيار الألفاظ والعبارات منها . أما المحسنات اللفظية فقد استعان بها في تحسين صوره . ولكنه لم يسرف فيها اسراف أبي تمام .

ومع براعته . ودقة . معانيه . وبديع صوره وأخيلته لم يسلم من النقد . فطه حسين يقول : « طول وقوف ابن الرومي عند المعاني يضطره الى أن يطيل النظر فيها . فهو يتصرف فيها ويعبثُ بها أكثر مما كان أبو تمام يتصرف في معانيه » (١٠٣) . أن كل شاعر مهما كان مقتدراً ومتمكناً من ناحية القريض لابد أن تقع في شعره هنات يؤاخذ عليها . وقد أدرك ابن الرومي ذلك . وعرف ان النقد سيوجه اليه . ولذلك شبه شعره بالشجر . ي يرى فيه اللحاء والخشب والشوك والثمر : (١٠٤) .

( ١٠٥ ) ابن الرومي . حياته وشعره ص ٨١ .

( ١٠٦ ) معجم الشعراء ص ١٤٥ .

( ١٠٧ ) وفيات الاعيان ١٢ ٣٥٨ .

( ١٠٨ ) من حديث الشعر والنثر ص ١٢٨ .

( ١٠٩ ) ديوانه ٢ ١٠٢٩ .

قولا لمن عاب شعر مادحه  
رُكِبَ فِيهِ اللُّحَاءُ وَالْخَشْبُ الـ  
وكان أولى بأن يسهذب ما  
فلم يكن ذاك بل سواه من الـ  
والله أدرى بما يدبره  
فليعذر الناس من أساء ومن  
مطلبه كالمغاص في درك اللج  
وليدكروا أنه يكذله الـ  
وفيه ما يأخذ التخير من  
وليس بد لمن يغوص من الـ

أما ترى كيف رُكِبَ الشجر؟  
يا بئس والشوك بينه الثمر  
يخلق ربُّ الأرباب لا البشر  
أمر لشيء جرى به القدر  
منا . وفي كل ما قضى الخير  
قصر في الشعر . إنه بشر  
ة من دون ذرها خطر  
عقل وتنضى في قرصه الفكر  
غال ثمين وفيه ما يذر  
جرف لما يصطفى ويحتقر

## عبدالله بن المعتز

٢٤٧ - ٢٩٦ هـ

ظهر في بني العباس مجموعة من الشعراء الجيدين . كانت لهم منزلة رفيعة في دنيا الأدب . ويكاد عبدالله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ للهجرة . والراضي بالله المتوفى سنة ٣٢٩ للهجرة (٥٠٠) . من أشهر رجال هذه الأسرة في قرض الشعر والاجادة فيه .

### سيرته :

أبو العباس عبدالله بن الخليفة المعتز بالله محمد بن الخليفة المتوكل على الله جعفر . يصل نسبة إلى علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم . وقد افتخر بهذا النسب قائلاً : (٥٠١)

أُبها السائلي عن الحسب الأط      يب ما فوقه لخلق مزيد  
نحن آل الرسول والعترة الح      ق وأهل القربى فماذا تريد  
ولنا ما أضاء صبح عليه      واتته رايات ليل سود  
وملكنا رق الإمامة ميرا      ثا . فمن ذاعنا بفخر جيد  
وأبونا . حامى النبي وقد أد      بر من تعلمون وهو يذود

في مدينة سامراء . مدينة الخليفة المعتصم . وعاصمة الخلفاء العباسيين من بعده . ومركز الاشاع الحضاري في القرن الثالث للهجرة . ولد ابن المعتز سنة ٢٤٧ للهجرة بعد مقتل جده المتوكل بأربعين يوماً على أرجح الآراء والروايات (٥٠٢) .

فرح الأب بهذا المولود . وضرب باسمه الدنانير . وتولّى تربيته وتنشئته في حجر العز والكرامة . ودوحة العلم والمعرفة . ولكن هذا الأمر لم يدم . إذ قتل هذا الأب

---

(٥٠٠) وصل إلينا المختار من ديوانه مرتباً حسب الحروف الهجائية (أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ١٥٤ - ١٨٢) .

(٥٠١) ديوانه ٨٠ : ١ .

(٥٠٢) تاريخ بغداد ٩٥ : ١٠ . وفيات الاعيان ٧٦ : ٣ .

غداً في شعبان سنة ٢٥٥ للهجرة ، ولم يتجاوز عمر ابنه ثمانية أعوام وقد سكنت المصادر عن ذكر أمه . فلم تعطينا شيئاً عنها سوى انها كانت جارية لجدته قبيحة (٥٥٣) .

توجه ابن المعتز نحو الدرس والتعلم منذ الصغر . وكان والده قد اختار له أبا جعفر محمد بن عمران الضبي النحوي الكوفي ليؤدبه . (٥٥٤) وسارت جدته في هذا الاتجاه . فهيأت له مستلزمات الدراسة . واختارت له مجموعة من الأساتذة في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والنحو والأدب ... قال ابن النديم : « كان يقصد فصحاء الأعراب . ويأخذ عنهم . ولقي العلماء من النحويين والخباريين » (٥٥٥) . ومن أشهر العلماء والأدباء الذين درس عليهم : أحمد بن سعيد الدمشقي . وأبو العباس المبرد إمام البصريين في اللغة والأدب ، وأبو العباس ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة . وأحمد بن يحيى البلاذري المؤرخ المشهور . والتقى بكثير من رجال المعرفة . وجالسهم أمثال : قدامة بن جعفر . وأبي بكر الصولي . وابن خلاد البصري . وأبي سعيد محمد بن هبيرة الأسدي . وأحمد بن أبي قنن ...

لم يترك ابن المعتز علماً من علوم عصره إلا قرأه بينهم وأخذ منه . حتى الموسيقى . قال أبو الفرج الأصبهاني : « كان عبدالله حسن العلم بصناعة الموسيقى . والكلام على النغم وعللها » (٥٥٦) . وظهرت ثمرة دراسته في وقت مبكر . إذ نراه وهو في الثالثة عشرة من عمره بنظم أبياتاً يخاطب بها أستاذه ومؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي . منها (٥٥٧) :

سَرَّ بِلْتَنِي حَكْمَةً قَدْ هَذَّبَتْ شِمِي	وَأَجَّجَتْ غَرْبَ ذَهْنِي فَهُوَ مُشْتَعِلٌ
أَكُونُ إِنْ شئتُ قُتاً فِي خُطَابَتِهِ	أَوْ حَارِثاً وَهُوَ فِي يَوْمِ الْفَخْرِ مُرْتَجِلٌ
وَأَنْ أَشَأْ فَكَزِيدٌ فِي فَرَائِضِهِ	أَوْ مِثْلُ نَعْمَانَ لَمَّا ضَاقَتْ الْحَيْلُ
أَوْ الْخَلِيلُ عَرُوضاً أَخَا فِطْنِ	أَوْ الْكَسَائِي نَحْوِيّاً لَهُ عِلَلُ
تَغْلِي بَدَاهَةَ ذَهْنِي فِي مَرَاكِبِهَا	كَمِثْلِ مَا عُرِفَتْ أَبَائِي الْأَوَّلُ

(٥٥٣) ذيل الأملاني والنوادر ص ٩٩ .

(٥٥٤) معجم الأدباء ٥٢ ، ٧ .

(٥٥٥) الهرست ص ١٦٨ .

(٥٥٦) الأغاني ٣٧٦ ، ١٠ .

(٥٥٧) ديوانه ٢ ، ٢٤٦ .



هذا الشعر - كما قال الدكتور طه حسين (٥٥٨) - على خلوه من الجمال الفني . أو على خلوه من الشعر . كثير على فتى في الثالثة عشرة من عمره . ولكنه على كل حال يمثل غرور الصبي . وإعجاب الفتى بنفسه ... يرى انه يكون خطيباً كقس . وشاعراً كالحرث بن حنظلة . وبارعاً في الميراث كزيد بن ثابت . وبارعاً في الفقه وحيله كأبي حنيفة . وماهراً في العروض كالخليل . وماهراً في النحو كالكسائي . ويشكُّ الدكتور سعد شلبي بهذه القدرة على النظم في هذا العمر فيقول : « يغلب على ظني أنَّ هذه الأبيات مما نحل عليه . ويرشح ذلك انها أسمى من ان يقولها غلام في الثالثة عشرة . هذا من حيث هو شعر . ومن حيث مضمونها أيضاً . فيندر ان يلمَّ صبيُّ بهذه المعارف كلها » (٥٥٩) . ومهما قيل في هذه الأبيات الشعرية . فإنَّ أكمّام غرسه تقفحت في أولِّ شبابه وأصبحت تعجب الناظرين . وقد روى له أبو الفرج الأصبهاني شعراً قاله في مجلس عمه أبي عيسى بن المتوكل نال استحسان العارفين بقواعد الشعر وأصوله وهو دون عشرين سنة . (٥٦٠)

توزعت حياة ابن المعتز بين الدرس والقراءة والتأمل والتأليف وبين اللهو واللعب والمناذمة والغناء والموسيقى ومغازلة الحسان وركوب الخيل والصيد والاستمتاع بجمال الطبيعة بعيداً عن الحياة السياسية والصراع على السلطة .

لقد كان عهد شبابه ناضراً بهياً رخياً . عبّر بشعر كثير عن هذا العهد المملوء بالانشراح والانفتاح على عالم اللهو والأنس والطرب . ومع كل هذا الابتعاد عن جو السياسة والسلطة لم يسلم من واقعة وخيمة كان فيها حتفه . فإن القواد الذين كانت بأيديهم مقاليد الأمور تأمروا على الخليفة المقتدر وخلعوه ونصبوا مكانه ابن المعتز . وبايعوه بالخلافة . واستجاب لهذه المبايعة على شرط « ألا يكون في ذلك سفك دم

( ٥٥٨ ) من حديث الشعر والنثر ص ١٥٦ .

( ٥٥٩ ) ابن المعتز العباسي ، صورة لمصره ص ١٠٢ .

( ٥٦٠ ) الأذهاني ١٠ ، ٢٨٢ .

ولا حرب . فأخبروه أَنَّ الأمرَ يَسْلَمُ إليه عفواً . وَأَنَّ جميعَ مَنْ وراءهم من الجند والقوَاد والكَتَّاب قد رضوا به . فبايعهم على ذلك «(٥١١)» . والغريب أَنَّ القوَاد أنفسهم اختلفوا فيما بينهم وأعادوا المقتدر إلى السلطة وخلصوا ابن المعتز بعد يوم وليلة من تنصيبه على كرسى الحكم . وقُبِص عليه . وادّعى السجن . وقتل بعد ان عَذِبَ عذاباً شديداً . وكان ذلك يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٦ للهجرة وله من العمر تسعة وأربعون عاماً ودفن في خربة بازاء داره .(٥١٢) وفُجِعَ فيه رجالُ الأدب والقريض ورثوه بشعر حزين . منهم أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن بسام في قوله : (٥١٣)

للهِ دُرُكٌ من مَيِّتٍ بمضيعة ناهيك في العلم والآداب والحسب  
مافيه لو . ولا ليت . فتنقّصه وإنسما أدركستهُ حِرْفَةُ الأدبِ

بقي ابن المعتز مذكوراً بعد رحيله بكتبه النفيسة التي تركها وراءه . وقد ضاع بعضها ووصل إلينا بعضها الآخر . منها : كتاب طبقات الشعراء . وكتاب البدع . وكتاب أشعار الملوك . وكتاب الآداب . وكتاب فضول التماثيل في تبشير السرور الى جانب ديوانه الكبير ورسائله .

نغ ابن المعتز في نظم الشعر . واشتهر فيه . حتى أصبح احد أعلام الأدب في العصر العباسي . قال ابن رشيق : « ليس في المولدين أشهر اسماً من الحسن أبي نواس . ثم حبيب والبحتري . ويقال : إنهما أخملا في زمانهما خمسمائة شاعر كلهم مجيد . ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز . فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وامريء القيس في القدماء . فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثلاثة لا يكاد يجهلهم أحدٌ من الناس »(٥١٤)

( ٥١١ ) تاريخ الطبري ١٠ ، ١٤ .

( ٥١٢ ) وفيات الأعيان ٣ ، ٧٧ .

( ٥١٣ ) فوات الوفيات ٢ ، ٢٤٠ .

( ٥١٤ ) العمدة ١١ ، ١٠٠ .

إن هذه الشهرة جاءت من إجادته في الشعر ، بل كل أغراض الشعر ، وبلوغه فيه مرتبة رفيعة حتى عُذَّ « أشعر قریش » لأنه قال في الخمر ، والطرْد ، والغزل ، والمديح ، والهجاء ، والمذكر ، والمؤنث ، والمعاتبات ، والزهد ، والأوصاف ، والمراثي ... فأحسن في جميعها » (١١٠) .

لم يتخذ ابن المعتز المديح وسيلة للعيش وسبيلاً لكسب المال ، وإنما نظم فيه وفاء وإخلاصاً لأصدقائه ومحبيه ، أو مجاملة للخلفاء والوزراء ، أو تطميناً للنفس وابتعاداً للشبهات من رجال السلطة الذين أطاحوا برأس جدّه وأبيه ، فمن شعره مثلاً قوله في مدح صديقة يحيى بن علي المنجم أحد رجال الأدب آنذاك (١١١) :

إنّ يحيى - لازال يحيا - صديقي  
زاد وذي له صفاء كما في  
وخليلي من دون هذا الأنام  
كلّ يوم يزداد صفو المدام  
ومن مديحه للخليفة المعتضد قوله (١١٢) :

دعاني الإمام إلى قُربِهِ  
يُوقِقُهُ اللهُ في رأيِهِ  
فأهلاً بذاك وسهلاً بِهِ  
ويوحى الصواب إلى قلبِهِ  
وبالحق ينعمش قوماً بِهِ  
ويَسهرُ والناسُ في غفلة  
وتخضرُ من سلمه أوجهُ الـ  
ولم يَرْقُطْ شَبِيبَةٌ لَهُ  
إذا الدهرُ لاقى لــــه عزمَةً  
يقصُرُ جُهدي عن شكره  
ولست أقصُرُ عن حُبِّهِ  
ولا قيسَ قطْ إمامَ بِهِ  
ونى وتراجعَ عن خطبِهِ  
وأمرَ يَفكرُ في غُيبِهِ  
وبالحق يهلك قوماً بِهِ  
ويوحى الصواب إلى قلبِهِ

إنّ القاريء لهذا الشعر القريب من النثر يلمس أنّ صاحبه قد دفع نفسه دفعاً إلى نظمه ، فلا يجد فيه عمق العبارات وصدقها ، وقوة المعاني وحرارتها كما يجدها مثلاً في مديح إبراهيم بن هرمة للمنصور ، ومسلم بن الوليد للرشد ، وأبي نواس للأمين ، وأبي تمام للمعتصم ، والبحري للمتوكل ... ولا يعني هذا أن ابن المعتز كان مقصراً في فن المديح ، بل العكس ، إذ نجد له قصائد جيدة شكلاً ومضموناً مثل رأيته التي مدح بها المعتضد وعُرِّجَ فيها على تهنئته بقصر « الثريا » الذي أبدع الفنانون في بنائه ، قال في أولها : (١١٣)

( ١١٣ ) قصائد أولاد الخلفاء ص ١١٣ .

( ١١٤ ) ديوانه ١ ، ص ١١١ .

( ١١٥ ) ديوانه ١ ، ص ٢٩٧ .

( ١١٦ ) ديوانه ١ ، ص ٢٩٤ .

سلمت أُمير المؤمنين على الدهر ولا زلت فينا باقياً واسع العمر  
 حللت الثريا خير دارٍ ومنزلٍ فلا زال معموراً وبورك من قصرٍ  
 وقال في خاتمتها :

فكلُّ أناسٍ يشهرونُ أكفَّهُم دعاءُ له بالعزِّ فيهم وبالنصرِ  
 وهو كثيرُ الفخرِ بمآثرِ أسرته وفضائلها . وبنفسه التي جعل منها بطلاً مغواراً وفارساً  
 هماماً في الوغى . مع إنه - على علمنا - لم يشارك في حرب ولم يقاتل في معركة .  
 مثل قوله ( ٥٦٩ ) :

هاشميٌّ إذا نسبت ومخصو ص بيت من هاشم غير عارٍ  
 ولي الصافنات تردى إلى الموت ولا تهدي سبيل الفرارِ  
 وسيوفٍ كأنها حين هزّت ورزق هزة سقوط السقطارِ  
 وسهام تهدي الردى من بعيد واقعات مواقع الأبصارِ  
 أنا جيش إذا غدوت وحيداً ووحيد في الجحفل الجزارِ

انشغل ابن المعتز في جانب من حياته بالحنان والحناوات . وقد استأثرت  
 محبوبته « شرة » بجزء كبير من شعره الغزلي الذي بث فيه لوعته وهيامه وصابته  
 فيها . وهو - في الغالب - لم ينفرد بشيء جديد في هذا الفن الذي اشتهر به الكثيرون  
 في العصر العباسي . مثل قوله ( ٥٧٠ ) :

عصيت في شرٍ فما أنساها وخجبت عني فما أراها  
 وطويت نفسي على جواها وغصة يذب حنني شجاها  
 فذاك من حالي وما أسلاها لست ترى عين الهوى سواها  
 وقوله ( ٥٧١ ) :

يقولون لي والبعد بيني وبينها بانأت نأت عنك شرٍ وانطوى سبب القربِ  
 فقلت لهم والحب يفضحه البكا لئن فارقت عيني لقد سكنت قلبي

وانشغل أيضاً إلى جانب الغزل بالخمرة وتحدث عنها حديثاً مهبطاً . وتوسّع في  
 وصف مجالسها وندمائاتها وسقاتها وأباريقها وفعلها في الشاربين ودبيبها في المنتشين .

( ٥٦٩ ) ديوانه ١٠٢ ، ١

( ٥٧٠ ) ديوانه ١٠٧ ، ١

( ٥٧١ ) ديوانه ١١٧ ، ١

وَصَرَحَ كَثِيرًا بِحُبِّهِ لَهَا وَوَلَعَهُ بِهَا وَمَقَارَعَةً كَوُوسَهَا مَعَ صَحْبِهِ وَسَمَّارَهُ . مِثْلَ قَوْلِهِ وَهُوَ يَدْعُو نَدِيمَةً لِقِيَامِ اللَّيْلِ عَلَى هَدْيِهَا (٥٧٢) .

قد أظلم الليل يا نديمي      فاقدح لنا النار بالمدام  
كأنن في والورى رقود      أقبل الشمس في الظلام

وانظر كيف يدعو إلى شربها جهراً وعلانية في مجلس أنس وطرب وغناء بلا  
اكتراث إلى عتاب أو عقاب . حالة كحال الوليد بن يزيد الذي عُرف بمصاحبة  
الراح والوجوه الملاح ( ٥٧٣ ) :

عَلَّلَانِي بِصَوْتِ نَائِي وَعُودِ  
أَشْرَبُ الرِّاحِ وَهِيَ تَشْرَبُ عَقْلِي  
وَأَقْيَانِي ذِمَّ ابْنِهِ الْعَنْقُودِ  
وَعَلَى ذَاكَ كَانَ قَتْلُ الْوَلِيدِ  
ح وَسَاقِي حَشَشْتُهُ بِمَزِيدِ  
رَبِّ سَكْرِ جَعَلْتَ مَوْعِدَهُ الضُّبِّ

ولم يقتصر ابن المعتز في الوصف على الخمرة . بل وصف كل شيء بديع وجميل وقعت عينه عليه . ولعل الوسط الذي كان يعيش فيه . بما فيه من ثروة وفيرة ووسائل للترفيه كثيرة . أثر في الاقبال على هذا اللون من النظم . وانظر إلى ما يقوله في الأبيات الآتية حينما أقبل الربيع ولبست الأرض شيئاً مطرزاً بالألوان الزاهية وغنت الطيور بأصواتها الشجية ( ص ١٠٦ ) :

جَدُّ رِيحِ الرِّبْعِ وَازْدُوجَ الطَّيْرَ  
وَتَرَى الرُّوضَ لِبَاسًا ثَوْبَ وَشِي  
فَتَجْلِي مُصَفَّرُهُ بِاخْضَارِ  
فَاسْقِنَا بِأَغْلَامٍ إِذْ غَنَّتِ الطَّيْرَ

ان غرام ابن المعتز بالطبيعة دفعة أن يصورها تصويراً بارعاً بلا تكلف أو افتعال بأشكالها والوانها ويقدمها للقارئ في إطار جذاب بهيج . قال الدكتور طه حسين انه « يصور جمال الرياض والبساتين تصويراً هو آية في الابداع الفني . لا أظن أحداً قد استطاع أن يأتي بمثله في تشبيهاته واختراع المعاني البديعة التي تثيرها هذه الرضى » (١٧٧) . انظر الى هذه الأبيات في وصف

الترجس: ( ٥٧٦ )

( ۵۷۲ ) دیوانہ ۲ : ۲۳۵

( ۵۷۲ ) دیوانہ ۲ : ۱۰۱ .

( ۵۷۶ ) دیوانہ ۲ ، ۴۹۲ .

( ٥٧٥ ) من حديث الشعر والنثر ص ١٦٤ .

( ۵۷۶ ) دیوانہ ۲ : ۵۸۸ .

عيون إذا عاينتها فكأنما مدامعها من فوق أجفانها دُرُّ  
محاجرُها بيض وأحداقها صفَرُ وأجسامُها خضرُ وأنفاسُها عطرُ  
لدى روض بستان كأن نباته تقنّع وشياً باكرة القطر

ويأخذ الطرد جانباً كبيراً من ديوانه . فهو وِصاف بارع يضاحبه خيال خصب  
في تصوير رحلة الصيد والحيوانات والطيور التي تُستخدم في القنص . مثل قوله في  
وصف كلاب الصيد : ( ٥٧٣ )

ولما غَدَتْ خيلنا للطراد جعلنا الى الذير ميعادها  
وقاد مَكْلَبِنَا ضُمراً سلوقيّة طالما قاذها  
معلّمة من بنات الريا ح إذا سألست غدوها زادها  
وتُخرج أفواهها السنا كفتق الخناجر أغمادها  
وأمكن صيداً ولم تَذمه كضم الكواكب أولادها

ويمتلك ابن المعتز طاقة شعرية متدفقة في مواقف الأسى والبكاء على الموتى من  
أهله وذويه وأصحابه الذين أخلصوا له الودّ ووقفوا الى جانبه في أيام حياته العسيرة .  
وكثيراً ما يث في هذا اللون من الشعر آلامه ويشير الى العظماء من قومه الذين  
طواهم الزمن . ويُلَمِّح الى عصره المملوء بالفدر والوقعة بالأشراف . مثل قوله في رثاء  
أهله : ( ٥٧٨ )

لله أقوامٌ فقد تُسهم سكنوا بطون الارض والحُفرا  
أين السبيل الى لقاءهم أم من يحدث عنهم خبرا  
أشدّ الوغى وبدور أنديّة اتهمى العيون إليهم النظرا  
هيّاهات لا ألقاهم أبداً سقياً لهم ولعصرهم غصرا  
تركوا الزمان مُرقّعاً خلّقا والناس لا جناً ولا بشرا  
وكانما الأخلاق في خلّق لاعين من كرم ولا أثرا  
كم مُورقٍ بالبشر مبتسم لا أجتني من غصنه ثمرا

ولم تمنع رفعة منزلته . وعلو مكانته . وسمو أسرته من الهجاء والذم والتفريع .  
وهو في غالب هذا اللون من النظم لا ينزلق الى مهاوي الفحش المستكره والسب  
المستبج مثل قوله في هجاء أحد جلسائه : ( ٥٧٩ )

( ٥٧٧ ) ديوانه ٢ ، ٤٢٢ .

( ٥٧٨ ) ديوانه ٢ ، ٢٦٠ .

( ٥٧٩ ) ديوانه ١ ، ٦٥٠ .

اقطع وصالي فلست مني وذم على جفوتي وهجري  
لا أشتي الخُل عند عيني صديق وفري عدو فقري  
وقوله في آخر :

أقول وقد صد عني امرؤ وما كنت بالصد منه جدير  
كما لم أر النفع في وصله كذلك هجرانه لا يضير

ونجد في ديوان ابن المعتز شعرا في الزهد والوعظ والنصح والحكمة ، وهي - كما  
يبدو - منتزعة من تجاربه وتجارب الآخرين الذين سبقوه وقد صبها في قوالب جميلة  
متساعة مثل قوله : ( ٥٨١ ) :

اصبر على حسد السعد وَفَانْ صَبْرَكَ قَاتِلْهُ  
فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا اِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ  
وقوله : ( ٥٨٢ ) :

تجاوز عن جناية كل دهرٍ وصاحب يوم حادثة بـ صبر  
وان نابتك نائبة فشاوِرَ فكم حَمْدُ المشاور غِبْ أَمْرٍ  
وَقَسْمُ هُمْ نَفْسِكَ فِي نَفْسٍ وَلَا تَنفِرْدَنْ بِطُولِ فِكْرٍ

### خصائص شعره

كان ابن المعتز يتدفق شعراً منذ مطلع حياته ينظم في كل شيء يثيره أو  
يلفت نظره ومن هنا كثرت هذا الشعر في كل الأغراض . وقد سلك فيه مسلكاً سهلاً  
ميسوراً لاوعورة فيه ولاتعقيد . ارتفع في بعضه الى مستوى رفيع يضاهي المستوى  
الذي بلغه كبار شعراء الامة العربية قال الدكتور طه حسين : « هو مطبوع ليس  
متكلفاً ولا متمعلاً في شعره . وهو يؤثر السهل على القريب . وهو حريص ما استطاع على  
جزالة اللفظ . وهو يُعنى بهذه المعاني المترفة . التي تلائم حياته وبيئته . وهو  
شغوف بفن خاص من فنون الشعر . يظهر أنه قد تفوق فيه على الشعراء . وهو فن  
الوصف والوصف المادي بنوع خاص ووصف الأشياء المادية الجميلة التي تلائم  
هواه . وهو من أكثر الشعراء تشبيهاً . ومن أبرعهم في هذا التشبيه ... يبحث عن  
طرائف الاشياء . ووجوه تشبيهه قريبة . يفهمها كل انسان في سهولة ويسر . وفي  
غير مشقة ولا عناء » ( ٥٨٣ ) مثل قوله في الهلال والنجوم : ( ٥٨١ )

( ٥٨٠ ) ديوانه ١ ، ١٥٨ .

( ٥٨١ ) ديوانه ٢ ، ١٩٤ .

( ٥٨٢ ) ديوانه ٢ ، ١٦٨ .

( ٥٨٣ ) من حديث القهر والنثر ص ١٥٨ .

( ٥٨٤ ) ديوانه ٢ ، ٦٥٥ .

انظر الى حسن هلال بدا  
كمنجل قد صيغ من فضة  
يهتك من أنواره الهندسا  
يحصد من زهر الدجى نرجسا  
ومثل قوله: (٥٥٠)



## النشر

### المقدمة :

زاد الاهتمام بالنشر منذ انبثاق نور الاسلام وقيام الدولة الجديدة زمن الرسول محمد صلى عليه وسلم . وأخذ ينمو ويتطور ويزداد اتساعاً في عهد الخلفاء الراشدين ثم في دولة بني أمية . ولا سيما بعد الفتوحات الكبيرة وتوسع رقعة الحكم الاسلامي شرقاً وغرباً . وزيادة مصالح مركز الخلافة . وحاجة الخلفاء الى الاتصال بالولاة والعمال والقواد .

وبدأ كثير من الكتاب بتجويد الكتابة واتقانها واطهارها بأسلوب جزل متين . وقد كانت في أول أمرها تميل الى الإيجاز الشديد . واختصار المعاني بأقل العبارات وأقصرها . والتمسك بالأمانة والصدق والصراحة التي درج عليها العرب وأوصى بها الدين الحنيف .

وحينما تقدم العهد بالدولة الأموية . ومضى الجيل الأول . مالت الكتابة الى التنوع والإطناب والتوسع في المعاني والتأنق في صياغة الجمل والعبارات . حتى أصبح لها أصول محددة وقواعد مقننة . وقد ظهرت ثمرتها جلية واضحة عند عبد الحميد بن يحيى ( ت ١٣٢ هـ ) كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في دمشق . وقد أجمع النقاد والمؤرخون على أنه وضع أسس الكتابة الفنية الأول في النشر العربي . قال ابن النديم : « عنه أخذ المترسلون ، ولطريقته لزموا . وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل » ( ٥٨٨ ) . وقال المسعودي : « صاحب الرسائل والبلاغات . وهو أول من أطال الرسائل . واستعمل التحميدات في فصول الكتب . فاستعمل الناس ذلك بعده » ( ٥٨٩ ) .

كان عبد الحميد يعنى في كتاباته بتنسيق العبارات وتوازنها . وأخذ الجمل بعضها برقاب بعض . والتبسط والاطناب . واستخدام السجع والازدواج من غير تكلف . وقد تجلّت طريقته في رسالته الدقيقة المحكمة التي وجهها الى الكتاب ليتخذوها دليلاً لهم في عملهم الكتابي ( ٥٩٠ ) . ومن جميل ماوصل الينا من نشره أيضاً رسالة الى عبدالله

( ٥٨٨ ) الفهرست ص ١٧٠ .

( ٥٨٩ ) مروج الذهب ٢ ، ٢٤٨ .

( ٥٩٠ ) تنظر الرسالة كاملة في صبح الأعشى ، ١١ ، ٨٥ - ٨٩ .

ابن مروان على لسان أبيه الخليفة مروان بن محمد وكان قد أرسله لمحاربة الضحّاك بن قيس الشيباني الخارجي ، وهي طويلة تقع في تسع وثلاثين صفحة (١٠١) . وله رسالة قصيرة بعث بها الى أهله وذويه وهو منهزم مع مروان بن محمد من بطش العباسيين . منها قوله : « كتبت اليكم والأيام تزيّدنا منكم بعداً . واليكم صابّة ووجداً فإن تمّ البلية الى أقصى مدّتها . يَكُنْ آخر العهد بكم وبنا . وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذلّ الاسار والصغار . والذلّ شرّ دار . والأمّ جار . يائسين من روح الطمع وفسحة الرجاء نسأل الله الذي يُعزُّ من يشاء . ونذلّ من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار أمانة . تجمع سلامة الأديان والأبدان . فانه ربّ العالمين وأرحم الراحمين » (١٠٢)

ولما قامت الدولة العباسية عظم شأن الكتابة وزاد الإقبال عليها بعد أن انفتح أمامها مجالات واسعة . وأصبح للكتاب مقام محمود لدى الخلفاء والوزراء والولاة . وكان للموهوبين منهم دور بارز في تسيير شؤون الدولة السياسية والادارية والمالية .

كان الكتاب في العصر العباسي مثقفين ثقافة عالية ومزودين بصنوف المعرفة . تراهم يحفظون القرآن الكريم وشيئاً كبيراً من الحديث النبوي وكلام البلغاء وخطب الصحابة والخلفاء ووصاياهم وقصائد كبار الشعراء اضافة الى تزودهم بشروة لغوية ووقوفهم على علوم الأمم الأخرى مباشرة أو بعد ترجمتها الى اللغة العربية .

لقد توسّعت الآفاق أمام الكتابة بعد أن احتضنت الدولة العباسية الأمة الاسلامية وتولّت رعايتهم وحمايتهم والنظر في شؤونهم السياسية والثقافية والعمرانية .. فنجد هناك كتابات في التفاوض . والتقاليد . والمبايعات . والعهود . والعقود . والتهاني . والتعازي الى جانب التواقيع . والخطب . والرسائل . والمنشورات . والوصايا . وهناك أيضاً كتابات اخوانية كالشفاعة . والعتاب . والشكوى . والاعتذار . واستنجاز الحاجات .. وكتابات في أغراض تأديبية بأسلوب القصص أو السير على ألسنة الحيوان .

وقد سلك الكتاب آنذاك أسلوبين في كتاباتهم . الأول الأسلوب السهل المرسل العذب مع القصد في الألفاظ بقدر ما يتطلبه المعنى من الوضوح والجلاء . ورائد هذا الأسلوب ابن المقفع . وهاهو ذا يوصي أحد الكتاب بقوله : « اياك والتتبع لحوشي

( ١٠١ ) ( صبح الأعشى ١٠ ، ١٩٥ - ٢٢٢ .

( ١٠٢ ) ( الوزراء والكتاب ص ٤٦ .

الكلام طمعاً في نيل البلاغة . فإنَّ ذلك هو العمى الأكبر » وقوله الآخر : « عليك بما سهّل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السّفلة » : وسار على هذا الدرب الكثيرون منهم عمرو بن مسعدة ، وسهل بن هرون وأحمد بن يوسف ...

أما الأسلوب الثاني فهو أسلوب التأنق واستيفاء المعنى باستقصاء أجزائه . وتقطع الكلام الى فقر مرسلة ومسجعة . والاستطراد الى الأخبار والنوادر والتراجم والاكثار من الشواهد الشعرية ومأثور الكلام كما نرى ذلك في أسلوب الجاحظ الذي سنتناوله بالشرح والتوضيح في ترجمته .

### الفنون النثرية : الرسائل :

تطورت الفنون النثرية في العصر العباسي تطوراً ملحوظاً . وقطعت شوطاً بعيداً في مضمار الرقي والتقدّم بعد الانفتاح الكبير على أمم أخرى وتمازج الثقافات . وكما هو معروف فإنَّ الإنشاء رهين بركي الحياة وتطورها . وكانت الرسائل بأشكالها المختلفة في مقدمة هذه الفنون ازدهاراً واتساعاً ، لأنها مرتبطة أشد الارتباط بحياة الناس جميعاً ولا سيما العاملين في مرافق الدولة والقائمين بشؤون السلطة . يقول الدكتور طه حسين : « ليس غريباً إذن أن تتغير طبيعة النثر في آخر القرن الثاني وطول القرن الثالث . وأن تكثر موضوعاته . وأن يزاحم الشعر حتى يسبقه . فقد كان النثر لا يكاد يتجاوز النثر السياسي والتاريخ ... أما في القرن الثاني وطوال القرن الثالث فقد أصبح النثر فناً تؤدي فيه جميع العلوم الشائعة على كثرتها واختلافها ... وهذا طبيعي مفهوم لأنَّ النثر أيسر وأبسط ، وهو أقدر وأوسع للمعاني . فيستطيع الكاتب اذا عرض لفن أو لمسألة أن يتناولها من جميع وجوها دون أن يحول بينه وبين الاتجاه فيما يريد ورن أو قافية . أو شرط من هذه الشروط التي كانت تقيد الشعراء . ونجد هذا واضحاً عندما نقرأ الرسائل الكثيرة التي صدرت عن كتاب القرن الثالث » (١٩٤) .

ويمكن تقسيم الرسائل آنذاك الى نوعين . الأول : الرسائل الديوانية أو مايسمى بال مكاتبات الرسمية . وغالباً تكتب عن الخلفاء والوزراء والولاة والقواد بأقلام المتخصصين بصناعة الكتابة . وهم كما قال الجاحظ : « لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة . والمعاني المنتخبة . وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة . والديباجة

(١٩٢) النضان في أمالي المرحض ، ١١١٣٧ .  
(١٩٤) من حديث الشعر والنثر ص ٥٥ .

الكريمة . وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد . وعلى كل كلام له ماء وروث . وعلى المعاني التي اذا صارت في الصدور غمرت وأصلحتها من الفساد القديم . وفتحت للسان باب البلاغة . ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ . وأشارت الى حسان المعاني (١٠٠) »

وكانت الرسائل اما طويلة تميل الى الشرح والتفصيل . مثل رسالة الخليفة المعتصم الى ملوك المسلمين بعدما قبض على بابك الخرمي وقضى على ثورته التي دامت عشرين عاماً (١٠١) أو قصيرة موجزة نستطيع أن نطلق عليها عبارة « ماقلاً ودلّ » مثل الرسالة التي كتبها يوسف بن صبيح عن عبدالله بن علي الى ابن أخيه السفاح يعزیه عن ابن له : « أما بعد . فإن أحق الناس بالرضا والتسليم لأمر الله جلّ وعزّ مَنْ كان إماماً لخلق الله وخليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتعزّ أمير المؤمنين بفهمك . وارجع في وعد الله جلّ وعزّ من الصابرين الى علمك (١٠٢) » . ومن الرسائل الموجزة جداً ماكتبه طاهر بن الحسين الى الخليفة المأمون بعد مقتل على ابن عيسى بن ماهان : « كتابي الى أمير المؤمنين . ورأس علي بن عيسى بن ماهان بين يدي . وخاتمه في يدي . وعسكره مُصرفٌ تحت أمري . والسلام (١٠٣) »

والنوع الثاني من الرسائل التي شاعت في العصر العباسي . الإخوانية التي يتبادلها الأصدقاء فيما بينهم في مناسبات شتى . وكانوا يتأنقون في صياغتها ويعنون بدبيجاتها . ويسندونها بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال الصحابة والتابعين والأشعار والأمثال والحكم ... وقد اشتهر الكثيرون بها امثال ابن المقفع . ومحمد بن زياد الحارثي . وكثوث بن عمرو العتابي الذي قال عنه ابن قتيبة : « كان شاعراً محسناً . و كاتباً في الرسائل مجيداً . ولم يجتمع هذان لغيره (١٠٤) . فمن رسائله اللطيفة ما كتبه الى أحد أصدقائه يسأله مواصلة مودته بعد جفوة وقطية » . لو اعتصم شوقي اليك بمثل سلوك عني لم أبدل وجه الرغبة إليك . ولم أتجشم مرارة تماديك . ولكن استخفنا صابئنا . فاحتملنا قسوتك . لعظيم قدر مودتك . وأنت أحق من اقتصر لصلتنا من جفائه . ولشوقنا من إبطائه (١٠٥) . »

( ١٠٥ ) البيان والتبيين ١ : ٢٤٠ .

( ١٠٦ ) ينظر صبح الأعشى ١ : ٤٠٠ - ٤٠٤ .

( ١٠٧ ) جمهرة رسائل العرب ١ : ٢٠٩ .

( ١٠٨ ) المثل السائر ٢ : ٢٣٨ . وينظر الوزراء والكتاب ص ٢٤٠ .

( ١٠٩ ) العصر والفصحاء ٢ : ٧٤٠ .

( ١١٠ ) زهر الآداب ٢ : ٩٨٦ .

ودبّج بعض الكتاب رسائل طريفة ومفيدة شبيهة بما يعرف الآن بالخواطر الأدبية. تناولت موضوعات كثيرة تتعلق بالأخلاق والتهديب والتوجيه والنصح والارشاد وشؤون الحياة المختلفة. مثل رسالة عَسان بن عبد الحميد في الأخوة والوفاء وحفظ العهد: «أما بعد. فإن الله جعل العباد أطواراً في أخلاقهم. كما جعلهم أطواراً في صورهم. وجعل بينهم أموراً يتألفون عليها ويعملون أحلامهم فيها: من حَرَم يتجاملون بها. وحقوق يتنازعونها. ومودة يتعاطونها: وأخوة يتداولونها. ترعى بوفاء. وتؤذى بأمانة. وتضع بتقصير. وتنتقص بخيانة. ليس من أذيت إليه فيما يحفظ منها بأسعد من المؤذى لها فيما يأخذ به من الفضل لنفسه. وليس من ضيعت منه بأشقى ممن ضيعها فيما يدخل من التقصير عليه. فإن من أخطأ الوفاء من أخيه فانما يدخل عليه تقصير غيره. ومن ضيع الوفاء لإخوانه فقد أدخل النقص في خاصّة نفسه. والمرء يجد من أخيه إذا خانه بدلاً. ولا يجد عن نفسه إذا قصرت به متحولاً. وليس نقص يستبدل به كنقص لا يستطيع مزايلته (١٠١)»

### الخطابة :

أشتهر العرب منذ عصر ما قبل الاسلام بالخطابة. وعرفوا بفصاحة اللسان. وقوة البيان. وبراعة التعبير. وشدة التأثير. وازدادت الخطابة ازدهاراً في عصر الرسول والخلفاء الراشدين. وبلغت القمة في عصر بنى أمية لتوفر دواعيها الدينية والاجتماعية والسياسية. وظلت رائجة في العصر العباسي الأول. وبقيت المنابر قائمة تدوي بأصواتها الهادرة. تدعو الناس للدولة الجديدة. وتلمهم حولها. وتجمع قلوبهم في حُبّها. وتندّد بالدولة السابقة وتزري برجالها. وقد اشتهر الخليفة الأول أبو العباس السفاح بالقدرة الفائقة على إثارة الناس والهاب مشاعرهم في خطبه. من ذلك قوله حين بوع بالخلافة: «الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه. وكرمه وشرّفه وعظمه. واختاره لنا. وأيده بنا. وجعلنا أهله وكهفه. وحصنه والقوام به والذابين عنه. والناصرين له: وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وآله. وأنبتنا من شجرته. واشتقنا من نبعته. وأنزل بذلك كتاباً يتلى. فقال سبحانه: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) (١٠٢) فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله. قام بالأمر أصحابه (وأمرهم شورى بينهم) (١٠٣) فعدلوا وخرجوا

(١٠١) جمهرة رسائل العرب ١٢، ١١٢.

(١٠٢) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(١٠٣) سورة الشورى، الآية ٢٨.

خمصاناً (٦٠٤). ثم وثب بنو حَرْبٍ وبنو مروان فابترؤوها . واستأثروا بها . وظلموا أهلها . فأملى الله لهم حيناً . فلما أسفوه (٦٠٥) انتقم منهم بإيديننا وردّ علينا حقنا . فأنا السِّفاح المبيح والثائر المبير « (٦٠٦) » .

وبرز عدد من ولاة الدولة العباسية وقوادها بالخطابة . وقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من خطبهم . منهم داود بن علي والي مكة والمدينة لأبي العباس السفاح . قال الجاحظ : « كان أنطق الناس واجودهم ارتجالاً . واقتضاباً للقول . ويقال انه لم يتقدم في تحجير خطبة قط » (٦٠٧) .

وظلت الخطابة السياسية نشطة قرابة قرن من الزمن في البيت العباسي . فكان فيه خطباء بارزون من الخلفاء أمثال المنصور والمهدي والرشيد والمأمون . وكلها تؤكد أحقية العباسيين بالحكم وصلتهم بآل الرسول صلى الله عليه وسلم . وبعد ذلك ضعفت . ولم نعد نجد خليفة يملأ السمع بخطبة . ولا سيما بعد ذهاب هيبة الخلافة وسيطرة الأعاجم على مقاليد السلطة . وتصريف شؤون الدولة بأنفسهم .

ونجد الى جانب الخطب السياسية خطباً دينية وجهادية وحفلية . وكانت الخطب الدينية تفيض بالوعظ والنصح والارشاد . وتلقى في الغالب أيام الجمع والأعياد . وقد شارك فيها عدد من الخلفاء . منهم المأمون في قوله من خطبة له في يوم جمعة : « الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه . ومستوجبه على خلقه . أحمدُهُ واستعينه وأومنَ به وأتوكلُ عليه . وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أرسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده . والعمل لما عنده . والتَّنجُزُ لوعده . والخوف لوعيده : فانه لا يسلم الا من اتقاه ورجاه . وعمل له وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله . وبادروا آجالكم بأعمالكم . وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم . وترجلوا فقد جدَّ بكم . واستعدوا للموت فقد أظلكم . وكونوا قوماً صيخ بهم فاتبعوا . وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا : فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم

---

( ٦٠٤ ) خمصاناً ، جياًعاً .

( ٦٠٥ ) أسفوه ، اغضبوه .

( ٦٠٦ ) شرح نهج البلاغة ، ٧ ، ١٥٤ .

( ٦٠٧ ) البيان والتبيين ١ ، ٣٣١ .

يترككم سدى ... نسال الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ، ولا تقصرُ به عن طاعته غفلة ، ولا تحلُ به بعد الموت فزعة ، انه سميع الدعاء . وييده الخير . وانه فعال لما يريد « (٦٠٨)

أما الخطب الحربية أو الجهادية فكانت تأخذ طابع الاستنهاض والاستبسال وشحن الهمم وبذل النفوس ، مثل قول عبد الله بن طاهر في تحريض الجند على قتال الخوارج : « إنكم فئة الله المجاهدون عن حقّة ، الذائبون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ، الداعون الى ما أمر به ، من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاة أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ، ونظام المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوّه وأهل معصيته ، الذين أشروا وتمردوا ، وشقّوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومارقوا في الدين ، وسعوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : ( إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ) . فإنه الوزر المنيع ، الذي دلّكم الله عليه ، والخنة الحصينة التي أمركم الله بلباسها ، غصّوا أبصاركم ، واخفتوا أصواتكم في مصافكم ، وامضوا قدماً على بصائرهم ، فارغين إلى ذكر الله ، والاستعانة به ، كما أمركم الله ، فإنه يقول : « اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » (٦٠٩) . أيدكم الله بغرّ الصبر ، ووليكم بالحيطة والنصر » (٦١٠) .

وهناك خطب تعرف بالحفلية تلقى في المناسبات كاعلان البيعة للخليفة او ولي العهد ، والمآتم والأفراح والمواسم والوفود وهي في الغالب قصيرة ومؤثرة على نحو ما قالته احدى الاعرابيات وقد تعرضت للخليفة المنصور في طريق مكة بعد وفاه ابي العباس السفاح : « ياأمير المؤمنين احتسب الصبر ، وقدم الشكر ، فقد أجزل الله لك الثواب في الحالين ، وأعظم عليك المنّة في الحادتين ، سلبك خليفة الله ، وأفادك خلافة الله ، فسلم فيما سلبك ، واشكر فيما منحك ، وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وخار لك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين » (٦١١) . ولما توفي الخليفة المنصور دخل ابن عتبة مع الخطباء على الخليفة المهدي فسلم ثم قال : « أجز الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك لأمر المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فلا

( ٦٠٨ ) عيون الاخبار ، ٢ ، ٢٥٢

( ٦٠٩ ) سورة محمد ، الآية ٧ .

( ٦١٠ ) سورة الأنفال ، الآية ٤٥ .

( ٦١١ ) العقد الفريد ، ٤ ، ١٢٦ .

( ٦١٢ ) صبح الاعشى ، ٩ ، ٢٧٨ .

مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين . ولا عقبى أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين .  
فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية . واحتسب عنده أعظم الزرية « (١١٣) »

### القصص :

راجت في العصر العباسي القصص وكثر الاقبال عليها . وهي - وإن كانت في نظر بعض الباحثين وحسب معاييرهم لا تدخل في باب القصة ، لأن الخصائص المطلوبة غير متكاملة فيها - تروى للتسلية والسمر وقضاء أوقات الفراغ الى جانب ما فيها من عبر وعظات ودروس اخلاقية . ولاسيما التي تتناول البطولة والفروسية قبل الاسلام وبعده .

وكانت بعض القصص تدور على السنة الطير والحيوان . كما هو الحال في كتاب « كليله ودمنة » الذي نقله الى اللغة العربية عبدالله بن المقفع . وهو أثر نفيس يصور « البهائم والطير كائنات عاقلة مفكرة مدبرة تخضع لنوازع الفرائز وشهوات النفوس خضوعها الى الاعتبار بالاحداث والاحتكام الى الضمير والرغبة في التفلسف واستخلاص العظة أو المثل من المواقف والعلاقات » (١١٤) . ولسهل . بن هارون كتابان على شاكلة كليله ودمنة . الأول « ثعلب وغفراء » . وقد نقل الخصري القيرواني الفقرات الآتية منه : « اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم . فإن تقديم النافلة مع الابطاء عن الفريضة مظاهر عن وهن العقيدة . وتقصير الروية . ومضر بالتدبير . مخل بالاختيار . وليس في نفع محمدته عوض من فساد المروءة ولزوم النقصية » وقال معقياً ، « وكتابه هذا مملوء حكماً وعلماً » (١١٥) . والكتاب الثاني « النمر والثعلب » . وهو ممتع طريف الاسلوب . يدور على شخصيات ثلاث : الثعلب الحكيم . والذئب الجحود . والنمر الطاغى وقد وصل الينا منه نصوص كاملة . (١١٦)

وكانت مجالس الوعظ آنذاك تميل الى القصص الديني . ولاسيما في تفسير بعض آيات القرآن الحكيم . وقد شاهد الجاحظ طرفاً من هذه المجالس وذكر أسماء مجموعة من قصاص العصر العباسي الاول . قال : « ومن القصص موسى بن سيار

( ١١٣ ) البيان والتبيين ٢ ، ١٩٢ .

( ١١٤ ) الحكاية الشعبية ٥١ .

( ١١٥ ) زهر الاداب ١١ ، ٥٧٧ .

( ١١٦ ) العصر العباسي الاول ص ٥٢٠ . وينظر العدد الاول من حولية الجامعة التونسية سنة

١٩٦٤ .



الأسواري . وكان من أعاجيب الدنيا ... وعمرو بن فائد . كان حافظاً للسير ولوجوه التأويلات . فكان ربما فسر آية في عدة أسابيع ... وكان يقصّ في فنون من القصص ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك ... ثم قصّ من بعده القاسم بن يحيى . وهو أبو العباس الضرير . لم يدرك في القصص مثله « (١١٣) » وهؤلاء القصص كانوا يعنون بالأسلوب وضبط الكلام وطريقة الالتقاء كي يقبل عليهم الناس ويلتفّ حولهم وينصتوا إليهم . قال الجاحظ عن الفضل بن عيسى الرقاشي : « كان سجعاً في قصصه . وكان عمرو بن عُبيد وهشام بن حسان . وأبان بن أبي عَياش . يأتون مجلسه ... وقد كان عبد الصمد بن الفضل . وأبو العباس القاسم بن يحيى . وعامة قصص البصرة . وهم أخطب من الخطباء . يجلس إليهم عامة الفقهاء » (١١٤)

ويمكن أن نضيف الى ماسبق الحكايات التاريخية التي يندر فيها الحوار وتأخذ طابع الرد المباشر . مثل قصة انتقام قصير بن سعد اللخمي لجذيمة الأبرش الذي صرعه الزباء ملكة تدمر . « (١١٥) » وقصة معركة القادسية التي صور فيها أبو حنيفة الدينوري أحداثها تصويراً دقيقاً كما وقعت بين المسلمين والفرس من غير تعمل أو افتعال . وقد تماسكت فيها الأحداث وإن اشتملت على حكايات فرعية مثل حكاية طلحة بن خويلد الاسدي الذي بعثه سعد بن أبي وقاص ليأتيه بخبر الفرس . فذهب وتحريّ المكان المطلوب واصطدم بعدد من الخصوم وعاد ومعه احدهم اسيراً . وقصة أبي محجن الثقفي الذي خرج من سجنه للقتال بعد أن ركب فرساً بلقاء بمساعدة زوجة سعد بن أبي وقاص . وقاتل قتال الأبطال وأثنى الجراح في الأعداء وعاد ظافراً مرفوع الرأس . « (١١٦) »

وتجدر الإشارة هنا الى أن هناك حكايات لبعض الأطباء مع مرضاهم فيها نوادر طريفة وحيل طريفة . وقد نقل لنا علي بن سهل الطبري طائفة منها في كتابه فردوس الحكمة . « (١١٧) »

( ١١٧ ) البيان والتبيين ١ ، ٢٦٨ .

( ١١٨ ) البيان والتبيين ١ ، ٢٩٠ .

( ١١٩ ) الكتابة الفنية في مشرق الدولة الاسلامية ص ٢١٦ نقلاً عن كتاب ( أمثال العرب ) لابي

عبيد القاسم بن سلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٠٧٩٩ ز .

( ١٢٠ ) الأخبار الطوال ص ١١١ وما بعدها .

( ١٢١ ) طبع في برلين سنة ١٩٢٨ بتصحيح الدكتور محمد الصديقي .

وهي الهوامش أو الملاحظات التي يكتبها الخلفاء والوزراء والقواد والقضاة على الكتب الرسمية أو الشكاوى المرفوعة اليهم من افراد الشعب . وتمتاز بجمال الاسلوب والايجاز الشديد والبلاغة المتقنة . وقد وصلت اليها مجموعة كبيرة من هذه التوقيعات في الكتب الادبية والتاريخية . ولاسيما في العقد الفريد لابن عبد ربه . (١٣٢) من ذلك توقيع الخليفة السفاح في كتاب جماعة من بطائنه يشكون احتباس أرزاقهم : « مَنْ صَبَرَ فِي الشَّدَّةِ شَارَكَ فِي النِّعْمَةِ » . وتوقيع الخليفة المنصور على كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جنداً شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم : « لَوْ عَدَلْتُ لَمْ يَشْغَبُوا . وَلَوْ وَفَيْتُ لَمْ يَنْهَبُوا » . وتوقيع الخليفة المهدي على كتاب أتاه من صاحب أرمينية يشكو سوء طاعة رعاياه : « خذْ عَفْوِي وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاعْزِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » . وتوقيع الخليفة الرشيد الى عامله على خراسان : « كُلِّ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَزَلُّهُ عَنْ بَدْنِهِ » . ومما يروى عن الخليفة المأمون أن ابراهيم بن المهدي كتب اليه في كلام له : « اِنْ غَفَرْتُ فَبِفَضْلِكَ . وَإِنْ أَخَذْتُ فَبِحَقِّكَ » فوقَّع في كتابه : « الْقُدْرَةُ تَذْهَبُ الْحَفِظَةُ . وَالنَّدَمُ جَزَاءُ مِنَ التَّوْبَةِ . وَبَيْنَهُمَا عَفْوُ اللَّهِ » .

وكانت التوقيعات تشيع بين الناس . يتناقلونها ويحفظونها . وقد اشتهر جعفر بن يحيى بها . قال الجهشياري : « كَانَ جَعْفَرٌ بَلِيغاً كَاتِباً . وَكَانَ إِذَا وَقَعَ نُسِخَتْ تَوْقِيعَاتُهُ وَتَدَوَّرَتْ بِلَاغَاتُهُ » (١٣٣) . ومن توقيعاته الى احد العمال : « قَدْ كَثُرَ شَاكُوكُ . وَقُلُّ شَاكِرُوكُ . فَمَا عَدَلْتُ . وَإِنَّمَا اعْتَزَلْتُ » . (١٣٤) . وكان يقول للكتاب : « إِذَا اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُكُمْ كُلَّهُ مِثْلَ التَّوْقِيعِ فَافْعَلُوا » (١٣٥) . وكذلك اشتهر الفضل بن سهل ذو الرياستين بتوقيعاته البليغة . مثل توقيعته على كتاب مظلوم : « كَفَى بِاللَّهِ لِلْمَظْلُومِ نَاصِراً » (١٣٦) . وعرف أخوه الحسن بن سهل ايضاً بالتوقيعات الدقيقة . مثل توقيعته على كتاب لامرأة حبس زوجها : الْحَقُّ يَحْبِسُهُ . وَالْإِنصَافُ

( ٦٢٢ ) العقد الفريد ٤ : ٢١١ - ٢٢٢ .

( ٦٢٣ ) الوزراء والكتاب ص ١٥٨

( ٦٢٤ ) العقد الفريد ٤ : ٢١٩

( ٦٢٥ ) زهر الاداب ١ : ١٥٧ وينظر الوزراء والكتاب ص ١٥٥

( ٦٢٦ ) العقد الفريد ٤ : ٢٢٠

يطلقه « (١٣٧) ولطاهر بن الحسين توقعات كثيرة في كتاب بغداد لابن طيفور ،  
منها انه وقع في قصة رجل محبوس : « يخرج ولا يحوج » .. وفي قصة قاتل :  
« لا يؤخر قتله » . وفي قصة لص : « ينفذ حكم الله فيه » (١٣٨)

وقد بسط عدد قليل من الكتاب في توقعاتهم فبلغت عدة أسطر او مقدار  
الرسائل المعتدلة . من ذلك ماكتبه محمد بن عبدالله بن طاهر في رقعة اعتذر اليه  
فيها رجل من شيء بلغه عنه . فرأى خطه قبيحاً : « أردنا قبول عذرك فاقطعنا عنه  
ما قابلنا من قبيح خطك . ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك . أو  
ماعلمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة . ويمكن له ذكرك »  
البغية ٤ « (١٣٩)

### نشر المؤلفات أو المصنفات :

نشط العلماء والادباء في التأليف وتدوين العلوم والمعارف في العصر العباسي  
الأول نشاطاً كبيراً . ورفدوا المكتبة العربية بتراث جليل ونفيس أفاد جيلهم  
والأجيال اللاحقة في التعليم والتثقيف وتربية العقول . ففي مجال الادب برز عدد  
كبير من المصنفين . ومن أشهرهم الجاحظ صاحب المؤلفات الكبيرة ولاسيما البيان  
والتبيين والحيوان . وابن سلام الجمحي صاحب طبقات فحول الشعراء . والمبرد  
صاحب الكامل . وابن قتيبة صاحب الشعر والشعراء . وابن المعتز صاحب طبقات  
الشعراء ... وقد حرص هؤلاء المصنفون على تقديم موادهم بأسلوب واضح ولغة سهلة  
فصيحة يفهما القاريء بلا غناء ولا مثقفة .

وكانت الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية نشطة ايضاً . وقد برز كثير من  
العلماء في ميادينها أمثال : سيبويه . والكسائي . والفراء . وثعلب . والمبرد ...

واتجه فريق آخر من الكتاب والمؤلفين الى المغازي والسير . وصنفوا كتباً قيمة  
فيهما . ويعد محمد بن اسحاق شيخ المصنفين . فله السيرة المشهورة التي استخرجها  
الامام ابو محمد عبدالملك بن هشام وعرفت به وشاع ذكره بها . والواقدي صاحب  
المغازي . ومحمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى ... واشتهر بتاريخ العرب هشام

---

( ١٣٧ ) العقد الفرید ٤ ، ٢٢٠ .

( ١٣٨ ) كتاب بغداد ص ٧٢ .

( ١٣٩ ) جمهرة رسائل العرب ٤ ، ٤٩٢ .

بن محمد الكلبي صاحب كتاب الاصنام وجمهرة انساب العرب . ولعت أسماء بكتابة تواريخ الأمم القديمة والأديان . ولعل من أشهرهم : المدائني . واليعقوبي . والبلاذري . والطبري .

وازدهرت الكتابة الجغرافية التي تتناول البلدان والمواقع واحوال السكان وأجناسهم وطبائعهم . وقد لعت أسماء عدد كبير من الكتاب في هذا الميدان لانزال نراجع كتبهم . مثل المسالك والممالك لابن خرداذبة . والبلدان لليعقوبي . والاعلاق لابن رسته . والاكيل وصفة جريرة العرب لابن الحائك ...

وأقبل بعض العلماء على القرآن الكريم . فشرحوه . وتناولوا قراءاته . وأظهروا اعجازه وناسخه ومنسوخه . ويعد تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري من أشهر التفاسير التي ظهرت آنذاك سعةً وشمولاً ودقةً . وذهب علماء آخرون الى الاحاديث النبوية الشريفة وجمعوها وثقفوها على طريقة الاسانيد . اشتهر منهم أصحاب الصحاح الستة ، البخاري . ومسلم . وابن ماجة وابو داود والترمذي . والنسائي .

وتخصص عدد كبير من العلماء بالفقه والشرعية . وألفوا كتباً كثيرة . شرحوا فيها العبادات . والاحوال المدنية . والقوانين الجزائية . بفروعها المختلفة . ومن أبرز هؤلاء العلماء ، مالك بن أنس . وأبو حنيفة النعمان بن ثابت . وابو عبدالله محمد ابن ادريس الشافعي . واحمد بن حنبل . وجعفر بن محمد الصادق .

وكان لعلم الكلام الذي يبحث في الأنشطة العقلية والمسائل العقائدية نصيب من الكتابات آنذاك . وكان المعتزلة من أنشط الجماعات في هذا المجال . فانهم كانوا يعتمدون المنطق والفلسفة في مناقشاتهم ومحاججاتهم . وقد اشتهر منهم واصل بن عطاء وبشر بن المعتمد . وأبو هذيل العلاف . وابراهيم بن سيار النظام .

لقد انفرجت امام الكتابة في العصر العباسي الاول كما لاحظنا ميادين كثيرة رجة الجوانب . وهي في جملتها تسم بدقة الماخذ وبساطة العرض . تُمَتِّعُ النفس والعقل معاً بخلاف الاسلوب الغارق في الصنعة الذي شاع في العصور اللاحقة .

حدث امتزاج كبير بين العرب والأُمم الأُخرى بعد قيام الدولة العباسية . ووقفَ الناس آنذاك على ثقافات كثيرة وَقَدَّتْ عن طريق الترجمة . وأقبل المترجمون الذين يحسنون أكثر من لغة الى نقل كتب مفيدة في الطب والفلك والفلسفة والرياضيات والسياسة وسواها . وقد اشتهرت في ذلك الوقت مراكز لهذه الترجمة امثال حرّان والرّها ونصيبين وانطاكية والاسكندرية وجَنْدِ يسابور . وكان لتشجيع الخلفاء دور بارز واثّر كبير في نشاط الترجمة والاقبال عليها . اذ نراهم يُخصّصون الاموال الطائلة لها . ويعيّنون الرجال الماهرين بالترجمة لجلب الكتب النافعة من مواطنها . وينشؤون دوراً خاصة لها . ويُهيّؤون مستلزمات الاقامة والراحة للعاملين فيها . وكان ابو جعفر المنصور من اوائل الخلفاء المشجعين على الترجمة فان ابن المقفع ترجم له كتباً في السياسة والأداب وتديير الملك والفلسفة والمنطق بعضها في الاصل يونانية او هندية منقولة الى اللغة الفارسية وترجم له محمد بن ابراهيم الغزاري كتاب « السند هند » في علم الفلك . واستدعى جورجيس بن جبرائيل رئيس اطباء جند يسابور ونقل له مجموعة كتب في الطب وطلب من أبي يحيى البطريق ترجمة عدد من كتب ابقراط وجالينوس في الطب .

وكان هارون الرشيد من الخلفاء المتميزين في حب المعرفة وإكرام أهل العلم . وهو الذي أنشأ خزانة الحكمة ومركزاً للترجمة يضمُّ مجموعة من المترجمين باشراف يوحنا بن ماسويه . ووصلت الترجمة زمن الخليفة المأمون إلى عصرها الذهبي . إذ رعى العلماء المترجمين وقربهم إليه . وأرسل فريقاً منهم لاستقصاء الكتب النفيسة في بلاد الروم وقبرص . واهتم بدار الحكمة وخصّص لها مالاً وفيراً وضمَّ إليها نخبة من المترجمين البارزين وعهد بادارتها إلى حُنين بن اسحاق . وكانت ثمرة تلك الرعاية وذلك الاهتمام ترجمة مجموعة كتب لاقليدس وأفلاطون وأرسطو ... وبقيت حركة الترجمة نشطة بعد وفاة المأمون . وظهر علماء كبار في ميدانها . ومن أشهرهم الفيلسوف يعقوب بن أسحاق الكندي قال عنه ابن أبي أصيبعة : « كان عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق . وتألّف اللحن والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم . ولم يكن في الإسلام فيلسوف غيره . احتذى في تواليفه حذو أرسطو طاليس . وله تواليف كثيرة في فنون من العلم . وخدم الملوك فباشرهم بالأدب . وترجم من كتب أرسطو الكثير » (١٣٠)

أن من أكثر الكتب المترجمة تداولاً منذ العصر العباسي الأول . كتاب « كلیلة ودمنة » ( ١٣١ ) . وقد سبق الإشارة إليه في حديثنا عن ثقافة العصر . والملاحظ في هذا الكتاب ان المترجم سلك فيه اسلوباً لطيفاً . تتدفق المعاني بيسر وسهولة بحيث لا يجد القاريء صعوبة أو عسراً في فهمه . وليس بصحيح ما يرجحه بعض الباحثين من أن ابن المقفع أنشأه وكتبه مباشرة . فإن قدرة هذا الكاتب وتمكنه من اللغة العربية وتضلعه فيها وسعة ثقافته وفهمه للغة المترجم عنها جعلته أن يقدم مادته بصيغة مشرقة واضحة . وإليك هذا المقطع منه . « قال دمنه : زعموا انه كان في بعض المدن طبيب له رفق وعلم . وكان ذا فطنة فيما يجري على يديه من المعالجات . فكبر ذلك الطبيب وضعف بصره . وكان للملك تلك المدينة ابنة قد زوجها لابن أخ له . فعرض لها ما يعرض للحوامل من الأوجاع . فجيء بهذا الطبيب . فلما حضر سأل الجارية عن وجعها وما تجد . فأخبرته . فعرف داءها ودواءها . وقال . لو كنت أبصر لجمعت الأخلاط على معرفتي بأجناسها . ولا أثق في ذلك بأحد غيري . وكان في المدينة رجل سفيه . فبلغه الخبر . فأتاهم وادعى علم الطب . وأعلمهم انه خبير بمعرفة اخلاط الادوية والعقاقير . عارف بطبائع الادوية المركبة والفردة . فأمره الملك ان يدخل خزانة الادوية فيأخذ من اخلاط الدواء حاجته . فلما دخل السفية الخزانة . وعرضت عليه الادوية . ولا يدري ماهي ولا له بها معرفة . أخذ في جملة ماأخذ منها صرة فيها سم قاتل لوقته . وخلطه في الادوية . ولا علم له به . ولا معرفة عنده بجنسه . فلما تمت اخلاط الادوية . سقى الجارية منه . فماتت لوقتها . فلما عرف الملك ذلك . دعا بالفية . فسقاه من ذلك الدواء . فمات من ساعته » ( ١٣٢ )

( ١٣١ ) ورد اسماً كلیلة ودمنة . وهما ابنا أوى . في بايين فقط من ابواب الكتاب الاساسية . وعددها خمسة عشر باباً . احدها باب « الاسد والثور » والاخر باب « الفحص عن امر دمنه » . اما سائر ابواب الكتاب فلا علاقة لها بهذين الاسمين . وهذا يعني ان تسمية الكتاب باسمهما من قبيل اطلاق الجزء على الكل .

( ١٣٢ ) كلیلة ودمنة ص ١٧٦

## الكتاب

### عمرو بن بحر الجاحظ

١٦٠ - ٢٥٥ هـ

تميز العصر العباسي الاول بالثراء والرخاء . والانفتاح على ثقافات مختلفة . والاقبال على العلوم والآداب . والتوجه الى التأليف والتصنيف والترجمة . وقد نبغ رجال عظام في شتى المعارف . رفدوا المكتبة العربية بتراث قيم تعاقبت الاجيال على الاحتفاظ به والافادة منه . ويعد الجاحظ - وهو من رواد الاساليب الرفيعة في الكتابة - من ابرز هؤلاء الرجال العظام الذين خلدوا انفسهم بعطائهم الفكري من خلال الكنوز النافعة التي خلفوها .

#### مولده ونشأته :

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى . لقّب بالجاحظ لبحوط عينيه ولد في البصرة حوالي سنة ١٦٠ للهجرة . وتوفي أبوه وهو صغير . وفي مدينته التي كانت آنذاك محج طلاب المعرفة تعلم مبادئ القراءة والكتابة في أحد كتاتيبها . وحينما أصبح يافعاً أخذ يتردّد على حلقات العلم التي تعقد في المساجد . ويختلف الى سوق المربد . يتلقّى الفصاحة من شفاه العرب الذين يفدون الى هذه السوق قال ياقوت الحموي : « سمع من أبي عبيدة . والأصمعي . وأبي زيد الانصاري . وأخذ النحو عن الأخفش وكان صديقه . وأخذ الكلام عن النظام . وتلقّف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد » (١٣٣) . وأفاد من أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب ابى حنيفة . وصالح بن جناح اللخمي . وثمّامة بن أشرس النميري . ويزيد بن هرون . والسريّ بن عبدويه . والحجاج محمد بن حمّاد بن سلمة . وسواهم ... وكان مفرطاً في القراءة . يكتري دكاكين الوراقين . ويعتكف فيها . ليقف على ما يأتي إليها من كتب . ويستوعب معارفها . ويحفظ ما يروق له منها . ولم يخل بالمال حينما يتوفر لديه لشراء الكتب قال محمد بن سليمان الجوهري : « كنا نصحب الجاحظ على سائر احواله من جدّ وهزل . قال . فخرجنا يوماً لنزّهة . فبينما نحن على باب جامع البصرة ننظر شيئاً أردناه . اذ عارضت امرأة معها أوراق مقطعة . فعرضت علينا فلم نجد فيها طائلاً . فتركناها وانصرفنا .

وتخلّف معها الجاحظ ونحن ننتظره فأطال . ثم رأيناه قد وزن لها شيئاً ، وأخذ الأوراق وقال ، انتظروني ومضى بها الى منزله . فلما عاد اخذنا نهراً به ويقول ، فَرَزْتُ بقطعة من العلم وافرّه . وضحكنا فقال : أأنتم حمقى والله . ان فيها ما لا يوجد الا فيها . ولكنكم جهال لا تعرفون النفيس من الخسيس « ( ١٧٤ ) . وقال ابو هفان : « لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ . فإنه لم يقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كائناً ما كان » ( ١٧٥ )

والى جانب طلب العلم والمعرفة كان يلتمس اسباب العيش عن طريق العمل . وقد قيل : انه كان يبيع الخبز والسك على ضفة نهر صغير بالبصرة يُعرفُ بسيحان . ويبدو أن أمه كانت في بادي امره تتولى الانفاق عليه . وقد رُوي انها ضاقت به حين رآته منهمكاً في اقتناء الكتب والجلوس اليها ساعات طوالا . فطلب منها يوماً طعاماً . فجاءته بطبق مليء بكراديس أودعها البيت « فقال : ماهذا ؟ قالت هذا الذي تجيء به . فخرج مفتماً . وجلس في الجامع ومويس بن عمران جالس . فلما رآه مفتماً قال له : ماشأنك ؟ فحدثه الحديث . فأدخله المنزل وقرب اليه الطعام واعطاه خمسين ديناراً فدخل السوق . واشترى الدقيق وغيره . وحمله الحمالون الى داره . فأنكرت الام ذلك وقالت من اين لك هذا ؟ قال : من الكراريس التي قديمتها الهى » ( ١٧٦ ) . ولكن هذه الحالة لم تدم . اذ انهالت عليه الهدايا والعطايا بعد ان اشتهر أمره وعرف بين كتاب عصره بقلمه الرفيع وانثائه البديع . وحينما زار بغداد حضر مجلس المأمون . فنال اعجابه واثنى عليه وقربه وولاه رئاسة ديوان الرسائل . وكان هذا المنصب مهماً في الدولة لا يتولاه الا من له مقدرة كبيرة ومعرفة واسعة بشؤون الكتابة . ولكن الجاحظ لم يبق فيها اكثر من ثلاثة ايام . اذ بادى الى الاستعفاء معتذراً للخليفة . فأعفاه . وانصرف الى التأليف الذي اكسبه شهرة عظيمة وجعله ذا مقام محمود عند ارباب الدولة والمعينين بالثقافة . وكان في اثناء ذلك يتنقل بين البصرة وبغداد وسامراء . وقام برحلات الى ديار الشام وزار دمشق وانطاكية . وكان الناس يتفاخرون بصداقته ومجالسته لحسن عشرته ووافر علمه وظرافة نوادره . ويعتزون بكتبه ويفرحون حينما توشح بأسمائهم . قال : « أهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك فاعطاني خمسة آلاف دينار . واهديت كتاب

( ١٧٤ ) امراء البيان ص ٢٨٧

( ١٧٥ ) معجم الادباء ١٠٦٠١٠٦

( ١٧٦ ) طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٦٨ .



البيان والتبيين الى ابن أبي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف دينار . وأهديت كتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار . ( ١٣٧ )

اعتنق الجاحظُ مذهبَ الاعتزال ونصره في كتاباته . وخالف أستاذه ابراهيم بن سيار النظام ببعض الآراء . وأيده في هذه الآراء طائفة من المتكلمين عرفوا بالجاحظية نسبةً اليه . ( ١٣٨ )

وكان صديقاً مخلصاً للوزير محمد بن عبد الملك الزيات . وحينما نُكِبَ هذا الوزير وقُبِضَ عليه زمن المتوكل سنة ٢٣٣ هـ « هرب الجاحظ . فقيل له : لم هربت ؟ فقال : خفت أن أكون ثاني اثنين اذ هما في التنور ! يُريد : ما صنع بمحمد بن عبد الملك من ادخاله تنوراً فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه . فعذب به حتى مات » ( ١٣٩ )

استقر في البصرة . وطالت به الحياة . وأصيب بالفالج والقرس . ( ١٤٠ ) قال المبرد « دخلتُ على الجاحظ في آخر ايامه وهو عليل . فقلت له : كيف أنت ؟ فقال : كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نشر بالمناشير لما أحسنَ به . ونصفه الآخر منقرس . ولو طار الذباب بقربه لآله . والأمر في ذلك أني قد جزتُ التسعين وأنشدنا :

أترجو أن تكوني وأنت شيخٌ كما قد كنت أيام الشباب  
لقد كذبتك نفسك ليس ثوبٌ خليك كالجديد من الثياب ( ١٤١ )

وأدركه الموت سنة ٢٥٥ للهجرة . وقيل وقعت عليه كتبه وهو شيخ ضعيف قد جاوز التسعين فقضت عليه .

### أخلاقه :

كان الجاحظُ يمتلك شخصيةً قويةً واردةً فذةً . وكان متفائلاً يبدو عليه السرور . بسيطاً . متواضعاً . يخالط الناس جميعاً سواء كانوا اغنياء أم فقراء . حريصاً على مواعيده وأوقاته . وفيّاً لاصدقائه . صادقاً في أقواله . محباً للنظام .

( ١٣٧ ) معجم الادباء ٦ / ٧٦

( ١٣٨ ) ينظر الملل والنحل للهريستاني ص ٧١

( ١٣٩ ) أمالي المرتضى ١ / ١٩٥

( ١٤٠ ) الفالج ، الفلج ، القرس ، نوع من مرض المفاصل .

( ١٤١ ) نزعة الالباء ص ١٢٤ . تاريخ بغداد ١٢ / ٢١٩ .

صبراً متقناً لعمله ومتفانياً فيه . بعيداً عن الفوضى وما يُقلق الإنسان . متجنباً الحاسدين والموتورين . ولم يكن مترمناً . يقوم بما فرض عليه الاسلام من واجبات . يفرق بالضعفاء حتى يقووا وبالجهلاء حتى يتعلموا . يبذل جهده في رفع شأن المسلمين . ويحبب اليهم دينهم وديناهم ليستقيموا أمة عزيزة فاضلة ذات شأن عظيم . ( ٦١١ ) —

## تهكمه وتندرته .

عُرف الجاحظ بالظُرف والمفاكهة والمداعبة والتندر . واخباره في ذلك كثيرة نجدها مبثوثة في كتبه ورسائله . وقد استطاع أن يجعل ظُلَّة خفيفاً عند الجميع مع انه كان دميم الوجه قبيح الشكل جاحظ العينين .

لقد كان مرحاً . مقتدراً على الضحك والاضحاك . متمكناً من تلطيف النفوس وابعاد السأم والضرر عنها . وتهذيبها . والانسان يتعلم بالضحك اكثر مما يتعلم بالتجهم والعبوس . ومثال ذلك ما جاء في قصة محمد بن أبي المؤمل . قال الجاحظ . « اشترى مرة شبوطة . ( ١١٣ ) وهو ببغداد . وأخذها فائقة عظيمة . وغالى بها . وارتفع في ثمنها . وكان قد بَعَدَ عهده بأكل السمك — وهو بصري لا يصبر عنه — فكان قد اكبر أمر هذه السمكة . لكثرة ثمنها . ولسمنها وعظمها . ولشدة شهوته لها . فعين ظن عند نفسه انه قد خلا بها . وتفرد بأطاييها . وحسّر عن ذراعيه . وصمد صمدها . هجمت عليه ومعى السدري . ( ١١١ ) فلما رآه رأى الموت الأحمر . والطاعون الجارف . ورأى الحتم المقضي . ورأى قاصمة الظهر . وأيقن بالشر . وعلم أنه قد ابتلى بالتنين .... فلما أكل السدري جميع أطاييها ... ولم يبق في يده مما كان بأملة في تلك السمكة ... تولد الفيظ في جوفه ... وتم عزمه في أن لا يؤاكل رغبياً أبداً .

( ٦١٢ ) للتوسع ينظر كتاب الفكر العربي عند ابن المقفع والجاحظ وعبد الحميد الكاتب س ٢٥٢ - ٢٨٦ . وأمرام البيان س ٢٩١ - ٢٩٤ . والجاحظ في حياته وأدبه وفكره س ١٥٢ . ( ٦١٣ ) القبط . نوع من السمك . دليق الذنب . عريض الوسط . لين المس . وفي كتاب الحيوان للجاحظ شرح واف عنه .

( ٦١٤ ) السدري . محمد بن همام بن أبي خميصة . شاعر مقل . كان يصحب الجواز . وعبد الصمد بن المذل . والجاحظ وأدباء البصرة ( معجم القراء س ٣٧٥ . وينظر ذيل الأبيات للقالي س ١٢٠ ) .

ولا زهيداً ، ولا يشتري سمكةً ابداً . رخيصةً ولا غالية . وإن اهدوها اليه ان لا يقبلها . وإن وجدها مطروحة لا يمساها « (١١٠) » .

### موقفه من الشعبية :

شاعت حركةُ الشعوبيين في العصر العباسي الاول . ووقف الخلفاء منهم ولاسيما المهدي موقفاً متشدداً ، وإلى جانب الخلفاء وقف عدد من الادباء والعلماء يحاربونهم بالسنتهم ويردونهم بالحجج والبراهين . وكان الجاحظ واحداً منهم ، فهو يحب العرب ويكره من يعاديهم او يطعن فيهم ؛ لذلك نراه يهبط بما أوتي من بيان وحكمة يقاتل الشعوبيين ويستصغره ويحط من قدرهم . ومن يرجع الى كتاب البيان والتبيين وكتاب الموالي والعرب (١١١) يستجلي ذلك بوضوح . يقول مثلاً ، « واعلم انك لم ترَ قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا اعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكاً لعرضه ، ولا أطول نصباً ، ولا أقل غنماً من أهل هذه النحلة ، وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على اكبادهم ، وتوقد نار الشنان في قلوبهم ، وغليان تلك المراحل الفائرة ، وتسعرُ تلك النيران المضطربة ولو عرفوا اخلاق اهل كل ملة ، وزئى أهل كل لغةٍ وعللهم ، على اختلاف شاراتهم وآلاتهم ، وشمائلتهم وهيئاتهم ، وما عله كل شيء من ذلك ، ولم اجتلبوه ولم تكلفوه ، لأراحوا انفسهم ، ولخفت مؤونتهم على من خالطهم » (١١٢) .

### مؤلفاته :

كان الجاحظ نابغة عصره . لم يدع باباً من ابواب المعرفة الا طرقة . وأصدق مايوصف به انه موسوعة او دائرة معارف . فقد بلغت مؤلفاته مايقارب المئة والستين (١١٨) . ولعل في كلام سبط ابن الجوزي مبالغة حين قال ، ألف خمسين وثلاثمئة مؤلف بين رسالة في بضع صفحات وكتاب في بضعة مجلدات وذكر انه رآها في اول القرن السابع في مشهد ابي حنيفة في بغداد . (١١٩)

( ١١٥ ) البغلاء ص ٢٢٨ .

( ١١٦ ) ينظر كتاب ، الجاحظ حياته وآثاره ص ٢٢٢ .

( ١١٧ ) البيان والتبيين ٢ ، ٢٩ .

( ١١٨ ) ينظر ، معجم الادباء ٦ ، ٧٥ - ٧٨ .

( ١١٩ ) أمراء البيان ص ٢٨١ .

إن مؤلفات الجاحظ مفيدة ونافعة . بعضها رسائل أشبه ما نسميها اليوم بالبحوث . مثل : التربيع والتدوير . مناقب الترك . المعاش والمعاد . كتمان السر وحفظ اللسان . فخر السودان على البيضان . في الجد والهزل . في نفى التشبيه . في كتاب الفتيا . الى أبي الفرج بن نجاح الكاتب . فصل بين العداوة والحسد . صناعات القواد . في النابتة . كتاب الحجاب . مفاخرة الجواري والغلمان . ذم أخلاق الكتاب . كتاب نبذة الحنين الى الاوطان . كتاب التبصر بالتجارة كتاب البلدان . كتاب النساء . كتاب القيان . كتاب حجج النبوة . فضل هاشم على عبد شمس ... وبعضها الآخر كتب في مجلد واحد أو عدة مجلدات . مثل : الحيوان . والبيان والتبيين . والبخلاء . والعثمانية . والمحاسن والأضداد . والبرصان والعرجان والعميان والحولان ...

لقد وقعت كتبه ورسائله موقع الاستحسان والرضا عند القراء والباحثين على مر العصور السابقة . ولا تزال تُراجع وتُعتمد في الدراسات الأدبية والعلمية والسياسية والاجتماعية . لأنها رصينة وموثوقة . ومكتوبة بلغة سليمة وأسلوب واضح وممتع ولطيف .

### نشره وأسلوبه :

كان الجاحظ كاتباً بارزاً مشهوراً في جميع الأوساط في العصر العباسي . وبقيت شهرته الى يومنا هذا . له طريقة خاصة عُرف بها . امتدت أثارها الى آحاد بعيدة . يتداولها جيل بعد جيل . حتى أصبحت مدرسة من مدارس الكتابة لها خصائصها ومميزاتها . يعود اليها الباحثون في دراساتهم ينهلون منها المواد الأولى في الإنشاء العربي . ومن أبرز صفات هذه الطريقة :

- ١ - مطابقة الكلام لمقتضى الحال . فهو يقول : « ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني . ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات . فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً . ولكل حالة من ذلك مقاماً . حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني . ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات . وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات (١٠٠) » .

٢ - البيان والابتعاد عن حوشي الكلام وغريبه ووضح الدلالة . فهو يقول : « على قَدْرَ وضوح الدلالة وصواب الإشارة . وحسن الاختصار . ودقّة المدخل . يكون إظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح . وكانت الإشارة أبين وأنور . كان أنفع وأنجح . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه . ويدعو اليه . ويحث عليه ... والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى . وهتك الحجاب دون الضمير . حتى يُفْضِيَ السامع الى حقيقته . ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان . ومن أيّ جنس كان الدليل : لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع . إنما هو الفهم والإفهام : فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضح عن المعنى . فذلك هو البيان في ذلك الموضع » (٦٠١)

٣ - الاستطراد . وأراد به دفع الملل والسآمة عن القاريء . وتفكيهاً . للنفس وترويحاً لها من التعب والعناء . وتنشيطاً لمتابعة القضايا والمسائل التي يتناولها بالبحث والاستقصاء . جاء في كتاب الحيوان قوله : « قد عزمّت - والله الموفق - أنني أوشعُ هذا الكتاب وأفصلُ أبوابه بنوادر من ضروب الشعر وضروب الأحاديث ليخرج قاريء هذا الكتاب من باب الى باب ومن شكل الى شكل . فاني رأيت الأسماع تملُ الأصوات المطربة والأغاني الحسنة والأوتار الفصيحة إذا طال ذلك عليها . وما ذلك إلا في طريق الراحة التي إذا طالت أورثت الغفلة » (٦٠٢)

٤ - مزج الجد بالهزل والضحك والمرح . لتجيب القراءة والمتابعة وشحن ذهن وتجديد النشاط . قال : « وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضيات أن يحمل أصحابها على الجد الصرف . وعلى العقل المحض . وعلى الحق المرّ . وعلى المعاني الصعبة التي تستكبد النفوس وتستفرغ المجهود . وللمصبر غاية وللأحتمال نهاية . ولا بأس أن يكون الكتاب موشحاً ببعض الهزل » (٦٠٣)

٥ - العناية بالالفاظ وتركيب العبارات والجمل بلا تكلف أو تصنع . فهو يقول : « إذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليفاً . وكان صحيح الطبع . بعيداً من الاستكراه . ومنزهاً عن الاختلال . مصوناً عن التكلف . صنع في القلوب صنع

(٦٠١) البيان والتبيين ٧٥١

(٦٠٢) الحيوان ٧٠٢

(٦٠٣) رسالة في النساء . مجموعة رسائل الجاحظ ط الرحايلي - القاهرة ١٩٢٢ . ص ٣٧٥ .

الغيث في التربة الكريمة . ومتى فَصَلْتُ على هذه الشريطة . ونفذت من قائلها على هذه الصفة . أصبحها الله من التوفيق ومنحها من التأييد . ما لا يمتنع من تعظيمها صدور الجبابرة . ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة « (١٥٤) »

٦ - التلوين الصوتي أو الموسيقي الذي يعتمد على السجع . يأتي عفو الخاطر . والمزاوجة والترادف والجمال الاعتراضية مثل قوله : « لا أعلم قريباً أحسن موافاة . ولا أجعل مكافاة . ولا أضمر معونة . ولا أخف مؤونة . ولا شجرة أطول عمراً . ولا أجمع أمراً . ولا أطيب ثمرة . ولا أقرب مُجتنى . ولا أسرع ادراكاً . ولا أوجد في كلِّ إبانٍ من كتاب . ولا أعلم نتاجاً في حداثة سنه . وقرب ميلاده . ورخص ثمنه . وإمكان وجوده . بجمع من التداير العجيبة . والعلوم الغريبة . ومن آثار العقول الصحيحة . ومحمود الأذهان اللطيفة . ومن الحكم الرفيعة . والمذاهب القويمة . والتجارب الحكيمة . ومن الاخبار عن القرون الماضية . والبلاد المتنازحة . والأمثال السائرة . والأمم البائدة . ما يجمع لك الكتاب (١٥٥) »

لقد رَزَقَ أسلوبه القبول في القلوب . لصدقه وواقعيته ودقته وتوافقه بين اللفظ والمعنى . ولذلك اكتسب الخلود . واستحق أن يكون المعلم الاول في الإنشاء العربي . وخير ما نختتم هذه الدراسة الوجيزة عن سيرته وإنشائه الأبيات الآتية من نظمه : (١٥٦) .

يُطِيبُ العيشَ أَنْ تَلْقَى حَكِيماً      غداً العلمُ والظنُّ المصِيبُ  
فِيكشِفُ عَنْكَ حَيْرَةً كُلَّ جَهْلٍ      وفضلُ العلمِ يعرفهُ الأديبُ  
سقامُ الحرصِ ليس له شفاءٌ      وداءُ الجهلِ ليس له طبيبُ

( ١٥٤ ) البيان والتبيين ١ ، ٨٢

( ١٥٥ ) الحيوان ١ ، ٤٢ .

( ١٥٦ ) تاريخ بغداد ١٢ ، ٢١٥ .

## سهل بن هرون

٢ - ٢١٥ هـ

### سيرته

سهل بن هرون ، ويكنى أبا عمرو ، من كتّاب العصر العباسي الأول المشهورين ، وهو عراقي المولد والمنشأ ، ولد في ميسان (٣٧٠) بين البصرة وواسط ، وقيل ، ذستميسان (٣٨٠) بين البصرة وواسط والأهواز ، في أواخر النصف الأول من القرن الثاني للهجرة تقريباً ، ترك مسقط رأسه مع أسرته وانتقل الى البصرة مدينة العلم والمعرفة آنذاك ، وفيها درس وتثقف وظهرت مواهبه في الكتابة ونظم الشعر ، وقد أثنى عليه الجاحظ ونقل كثيراً من أخباره في كتبه ، وصفه بقوله : « كان حسن الشارة ، بعيداً عن الفدامة (٦٥٩) ، معتدلاً القامة ، مقبول الصورة ، يُقضى له بالحكمة قبل الخبرة ، وبرقة الذهن قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب قبل الإمتحان ، وبالنبل قبل الت كشف » (٦٦٠)

وكان ظريفاً محبوباً ، رُويت له طرائف ونوادر كثيرة مع رجال عصره (٦٦١) ، ونال شهرة كبيرة بأدبه وكثرة مصنفاته ، قال الجاحظ ، هو « من الخطباء الشعراء الذين قد جمعوا الشعر والخطب ، والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار والمخلدة ، والسير الحسان المدونة ، والأخبار المولدة » (٦٦٢)

جاء سهل الى بغداد حاضرة العلماء والادباء واستقر فيها وتفتحت أمامه آفاق الشهرة والمجد حيث تقرب من الخليفة الرشيد والتحق بالدواوين ، وحظي بصداقة ذي الوزارتين الفضل بن سهل وأصبح من مقربيه وهو الذي قدمه للخليفة المأمون وأعجب بذكائه وفطنته وبلاغته وجعله خازناً لكتب الفلسفة في دار الحكمة ، قال ابن نباتة المصري : « كان في أول أمره خصباً بالفضل بن سهل ، ثم قدمه الى المأمون فأعجب ببلاغته وعقله ، وجعله كاتباً على خزانة الحكمة ، وهي كتب

( ٦٥٧ ) زهر الآداب ، ١ ، ٥٧٧ .

( ٦٥٨ ) الفهرست ص ١٧٤ .

( ٦٥٩ ) الفدامة ، المصنوع .

( ٦٦٠ ) البيان والتبيين ، ١ ، ٨٩ .

( ٦٦١ ) ينظر الحيوان ، ٢ ، ٦٦٠ ، شرح الميوند ص ٢٤٢ .

( ٦٦٢ ) البيان والتبيين ، ١ ، ٥٢ .

الفلاسفة التي نُقلت للمأمون من جزيرة قبرص . وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ، أرسل إليه يطلب خزانة كتب اليونان .. فأرسلها إليه . واغبط المأمون وأمر العلماء بتعريبها ، وجعل سهل بن هارون خازناً لها . فتصفحها ونسج على منوال كتب منها « (١١٣) » . وبقي في منصبه العلمي الى أن توفي سنة ٢١٥ للهجرة . وترك مجموعة من الكتب والرسائل مثل ، ثعلة وغفراء على نسق كيلة ودمنة ألفة للمأمون . وكتاب الإخوان ، وكتاب المسائل ، وديوان رسائل . وتديير الملك والسياسة . والواقم والعذراء . والنمر والثعلب . والهذلية والمخزومي . وسحرة - أو شجرة - العقل . وسواها .

نشره وطريقته :

كان سهل بن هرون كاتباً بليغاً مشهوراً برصانة الأسلوب وجودة الديباجة . وقد سلك طريقة ابن المقفع في تأليف الكتب التي تُعنى بشؤون الحكم والسياسة وتديير الملك . وكذلك قصص الحيوان . ولعل من أطرف كتبه «النمر والثعلب» . وقد وصل إلينا قسم منه « (١١٤) » . يعتمد الحوار فيه على الثعلب الحكيم ، والذئب الجاحد . والنمر الطاغى . من ذلك أن الذئب حينما استتب أمره في السلطة وقوي شأنه تمرّد على النمر وقطع عنه المعونة . فكتب النمر رسالة إليه يهدّده فيها ويُنذره بالعقاب . فردّ الذئب بهذه الرسالة ، « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم . أما بعد . فإن كتاب الملك - أمتع الله به - وصل إليّ بما حذّرفيه وأُنذر وقُدّم وأخّر . وفهمته . وقد كان الملك - حفظه الله - أسند إليّ أمر هذا الثغر المخوف على حين انتشار من العدو به . وانقطاع من سبّله . واختلاف من الكلمة بين أهله وتفرّق من الأهواء فيه . فرأيت « (١١٥) » صدع الآفة . وجمعت شمل الطاعة . وكشفت دُخية « (١١٦) » الفتنة . وأسغت الريق بعد الشجا « (١١٧) » . وقمعت أولي العداوة والبغضاء . وأقممت حقاً كان معلّماً متروكاً . ودفعّت ضلالة كان محرّماً مسلوكاً . أتمس بذلك جزيل الثواب وكريم العآب ورضا الملك والزلفة عنده . فعاد ما عملته هباءً . ولم أجد منه شيئاً مشكوراً . وما يُقَفِّعُ لمثلي بالشَّنان « (١١٨) » . وإنّي لألوى بعيد

( ١١٢ ) ( شرح العيون ص ٢٤٢ .

( ١١٤ ) حولية الجامعة التونسية ، العدد الأول ١٩٦٤ .

( ١١٥ ) رأيت ، أصلحت .

( ١١٦ ) الدجية ، الظلمة .

( ١١٧ ) الهجا ، الفضة .

( ١١٨ ) الشنان ، الجلد اليابس . وقطع ، ضرب . وكانوا اذا ضربوا عليه نفرت (الاهل) . ويضرب



المُستمر (١٧١). فإن يستمر الملك صنيعة ويرب (١٧٠) نعمته فأنا بين العصا ولحائها (١٧١). والآ فسيجدني جذل حكاك (١٧٢). إذا نكأت (١٧٣) قُرْحَة أدميتها. أحمر (١٧٤). ضرباً بالسيف. والسلام»

فلما قرأ النمر الرسالة عرف أنه عزم على الانتقاض عليه فجمع وزراءه. وكانوا ثلاثة. فاستشارهم في أمره. فأشار الأول بالكتابة اليه في ايجاز لتبين دخيلة أمره وحقيقة موقفه إن سلماً فليسلم. وإن حرباً فحرب. وأشار الثاني بالصفح عن زلته. فإن الحرب سجال. وهي حتى على الظافر خسارة في الاموال والرجال. وأشار الثالث بمحاربته قبل استفحال أمره وحتى لا يظن غيره من الولاة أن بالنمر ضعفاً. فيحاكوه ويسقطوا عن ظهورهم فرائض السلطان وخراجه. وأخذ النمر بقول الوزير الأول. فكتب الى الذئب رسالة. نسختها: «بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم. أما بعد. فاني رأيتك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى. فإذا نظرت في كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت فإن كنت سلماً فأقبل والأ فاذن بحرب. والسلام».

إن طريقتة في الكتابة واضحة وجلية. لا تكلف فيها ولا التواء. الى جانب الفصاحة. والدقة في اختيار الألفاظ وملاءمتها في سياق العبارات. والتقطيع الصوتي الجميل الذي يبهز السامع. مثل قوله: «لو أن رجلين خطبا أو تحدثا. أو اجتبا أو وصفا. وكان احدهما جميلاً جليلاً بهياً. ولئاساً نبيلاً. وذا حسب شريفاً. وكان الآخر قليلاً قميئاً. وباء الهيئة. وخامل الذكر مجهولاً. ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة. وفي وزن واحد من الصواب. لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضي للقليل الدميم على النبيل الجسيم. وللبادئ الهيئة على ذي الهيئة. ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه به. ولصار التعجب منه سبباً للعجب به. ولصار الاكثار في شأنه علة للاكثار في مدحه. لأن النفوس كانت له أحقر. ومن بيانه أياس. ومن حسده أبعد. فإذا هجموا منه على مالم يكونوا يحتسبونه. وظهر منه خلاف ما

---

(١٦٩) الومي ، عسر ، يلتوي على خصمه ، بعيد المستمر ، قوى بها الخصومة .

(١٧٠) يرب ، ينمي ، يزيد .

(١٧١) لها العصا ، قهرها ، والكناية واضحة .

(١٧٢) الجذل ، أصل الشجرة . حكاك من الحلك وهو الدلك ، وجذل حكاك ، مثل يضرب لمن

يستشفى برأيه .

(١٧٣) نكا القرحة ، قهرها قبل أن تجرا .

(١٧٤) كنى بالحمرة على البأس الشديد .

قَدَّرُوهُ . تَضَاعَفَ حُسْنُ كَلَامِهِ فِي صَدُورِهِمْ . وَكَبُرَ فِي عَيُونِهِمْ ، لِأَنَّ الشَّيْءَ مِنْ غَيْرِ  
مَعْدَنِهِ أَغْرَبَ . وَكُلَّمَا كَانَ أَغْرَبَ كَانَ أَبْعَدَ فِي الْوَهْمِ . وَكُلَّمَا كَانَ أَبْعَدَ فِي الْوَهْمِ كَانَ  
أَطْرَفَ . وَكُلَّمَا كَانَ أَطْرَفَ كَانَ أَعْجَبَ . وَكُلَّمَا كَانَ أَعْجَبَ كَانَ أَبْدَعَ وَإِنَّمَا ذَلِكَ  
كُنُودَارُ كَلَامِ الصَّبِيَّانِ وَمُلْحَجُ الْجَانِينِ ؛ فَإِنَّ ضَرْكَ السَّامِعِينَ مِنْ ذَلِكَ أَشَدُّ . وَتَعْجِبُهُمْ  
بِهِ أَكْثَرُ . وَالنَّاسُ مُوَكَّلُونَ يَتَعْظِيمُ الْغَرِيبَ . وَاسْتَطْرَافَ الْبَعِيدَ . وَلَيْسَ لَهُمْ فِي  
الْمَوْجُودِ الرَّاهِنِ . وَفِيمَا تَحْتَ قُدْرَتِهِمْ مِنَ الرَّأْيِ وَالْهَوَى . مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ فِي الْغَرِيبِ  
الْقَلِيلِ . وَفِي النَّادِرِ الشَّاذِّ . وَكُلُّ مَا كَانَ مِلْكُ غَيْرِهِمْ . وَعَلَى ذَلِكَ زَهْدُ الْجِيرَانِ فِي  
عَالَمِهِمْ . وَالْأَصْحَابُ فِي الْفَائِدَةِ مِنْ صَاحِبِهِمْ . وَعَلَى هَذَا السَّبِيلِ يَسْتَطْرَفُونَ الْقَادِمَ  
عَلَيْهِمْ . وَيَرْحَلُونَ إِلَى النَّازِحِ عَنْهُمْ . وَيَتْرَكُونَ مَنْ هُوَ أَعْمُ نَفْعًا وَأَكْثَرُ فِي وَجْهِهِ الْعِلْمِ  
تَصَرُّفًا . وَأَخْفُ مَوْئِنًا وَأَكْثَرُ فَائِدَةً . وَلِذَلِكَ قَدَّمَ بَعْضُ النَّاسِ الْخَارِجِيَّ عَلَى الْعَرِيقِ .  
وَالطَّارِفَ عَلَى التَّلِيدِ ( ١٧٠ ) .

إِنَّ بَرَاعَةَ الْأُسْلُوبِ وَالصِّيَاغَةِ الْمَحْكَمَةِ وَالِدِيَّاجَةِ الْمَشْرُقَةِ فِي نَشْرِهِ رَفَعَتْ مِنْ شَأْنِهِ  
وَأَنْزَلَتْهُ مِنْزَلَةً رَفِيعَةً بَيْنَ أَرْبَابِ الْبَيَانِ وَالسَّيْفِ . وَسَرَتْ أَقْوَالُهُ بَيْنَ الْقُرَّاءِ كَالْحَكَمِ .  
مِثْلُ قَوْلِهِ : « الْعَقْلُ رَائِدُ الرُّوحِ . وَالْعِلْمُ رَائِدُ الْعَقْلِ . وَالْبَيَانُ تَرْجَمَانُ الْعِلْمِ » ( ١٧١ ) .  
وَقَوْلِهِ : « اللِّسَانُ الْبَلِغُ وَالشَّعْرُ الْجَيِّدُ لَا يَكَادَانِ يَجْتَمِعَانِ فِي وَاحِدٍ . وَأَعْسَرُ مِنْ ذَلِكَ  
أَنْ تَجْتَمَعَ بِلَاغَةُ الشَّعْرِ . وَبِلَاغَةُ الْقَلَمِ » ( ١٧٢ ) .

( ١٧٥ ) الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ١ : ٨٩ .

( ١٧٦ ) نَفْسُهُ ١ : ٧٧ .

( ١٧٧ ) نَفْسُهُ ١ : ٢٤٢ .

## عمرو بن مسعدة

٢ - ٢١٧ هـ

سيرته :

هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول . وكنيته أبو الفضل . وهو ابن عم ابراهيم بن العباس الصولي الشاعر الكاتب ( ت ٢٤٣ هـ ) . اعتنق جدّه الاسلام زمن بني أمية . وكان أبوه مسعدة كاتباً بليغاً يشتغل في ديوان الرسائل زمن الخليفة المنصور . وقد نقل ياقوت قطعةً ثريةً له في تعظيم الاسلام تتميزّ بالبلاغة وحسن الصياغة . وهي : « الحمد لله الذي عظم الاسلام واختاره . وأوضحه وأناره . وأعزه وأنافه وشرفه وأكمّله وتّممه وفّضله وأعزه ورفعّه . وجعله دينه الذي أحبه واجتبه . واسنخله وارتنضاه واختاره واصطفاه . وجعله الدين الذي تعتدّ به ملائكته . وأرسل بالدعاء عليه أنبياءه . وهدي له من أراد اكرامه واسعاده من خلقه . فقال جلّ من قائل ، ( انّ الدين عند الله الاسلام ) وقال جلّ وعلا : ( ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ) وقال : ( ملّة أبيكم ابراهيم هو سؤاكم المسلمين من قبل ) . فهذا الاسلام والدخول فيه والعلم به وأداء شرائعه والقيام بمفروضاته وصلت ملائكته ورسله الى رضوان الله ورحمته وجواره في جنته . وبه تحرّزوا من غضبه وعقوبته . وأمّنوا نكال عذابه وسطوته » ( ٦٧٨ )

وكان لمسعدة أربعة بنين : عمرو . ومحمد . ومسعود . ومجاشع الذي يقول فيه أبو العتاهية : ( ٦٧٩ )

عَلِمْتَ يامجاشع بن مسعدة أن الشاب والفراع والجده  
مفسدة للمرء أي مفسدة

لم يصل إلينا شيء عن مولد عمرو بن مسعدة ونشأته وأساتذته . ولا نعلم نوع الدراسة التي انصرف إليها . ولعلّ أباه وجهه منذ الصغر نحو القراءة والكتابة والدرس . وعلمه صنعة الكتابة التي كانت الطريق للمصعود الى المجد والعلى والغنى :

أقبل على أعمال الخلافة . فاشتغل كاتباً للتوقيع بين يدي جعفر بن يحيى . قال عن نفسه : « كنت أوقّع بين يدي جعفر بن يحيى . فرفع اليه غلمانة ورقة يستزيدونه في روايتهم . فرمى بها اليّ وقال : أجب عنها . فكتبت . قليل دائم خير

( ٦٧٨ ) معجم الادباء ١ : ٨٨٠

( ٦٧٩ ) معجم الادباء ١ : ٨٨٠

من كثيرٍ منقطع . فضرب بيده على ظهري وقال : أيُّ وزيرٍ في جلدك (١٣٠) . ولما شاع ذكره في صنعة الكتابة ومهارته فيها وبلغ خبرة الى المأمون قرَّبه اليه وأكرمه وأخذ معه حينما زار دمشق . واختلفت الروايات في تولُّيه الوزارة . فقال ياقوت الحموي : « قد ولي للمأمون الأعمال الجليلة . وألحق بذوي المراتب النبيلة . وسَمَّاه بعض الشعراء وزيراً لعظم منزلته لا لأنه كان وزيراً (١٣١) » . وقال المسعودي : ان المأمون استوزره (١٣٢) . ومهما كان . فالمرتبة التي وصل اليها كانت جليلة وعظيمة . حيث اشتغل في ديوان الرسائل وديوان الخاتم والتوقيع والأزمة .

كان الخليفة المأمون يُجله ويحترمه . ويسميه الرومي لبياض وجهه وجمال صورته . وقد « أقبلت عليه الدنيا اقبالاً عظيماً . فنعم ولدٌ واعتبط . وقصده القاصدون . وطابت نفسه باصطناعهم والاحسان اليهم . وعطف على العفاة والقصاد . فاستكثر من الأنصار وانبسطت نفسه ويده بالعتاء . فتعشقت نفوس الناس وأهل الدولة . والخليفة من وراء ذلك يمدد . ويطلق يده في المال والنوال (١٣٣) » .

خرج مع المأمون في غزوة في بلاد الروم وتوفي بمدينة أذنة (١٣٤) سنة ٢١٧ للهجرة . (١٣٥) « وزُفِعَتْ الى المأمون رقعةً أنه خَلَفَ ثمانين ألف ألف درهم . فوَقَّعَ في ظهرها : هذا قليلٌ لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا . فبارك الله لولده فيما خلف . وأحسن لهم النظر فيما ترك (١٣٦) » .

### نثره وأسلوبه :

كان عمرو بن مسعدة أحد البلغاء المعروفين في عصر الخليفة المأمون . قال ابن النديم : « كان بليغاً شاعراً مُترسلاً وله كتاب رسائل كبير (١٣٧) » . وقال ابن خلكان : « كان كاتباً بليغاً جَزَلَ العبارة وجيزها . سديد المقاصد والمعاني (١٣٨) » .

( ١٣٠ ) أمراء البيان ص ١٧٥ .

( ١٣١ ) معجم الادباء ٦ : ٨٨ .

( ١٣٢ ) مروج الذهب ٢ : ٤١٧ .

( ١٣٣ ) أمراء البيان ص ١٧٦ .

( ١٣٤ ) أذنة : بلدة في بلاد الروم قريبة من البحر الابيض المتوسط . لها نهر يقال له سيحان .

( ١٣٥ ) وقيل توفي سنة ٢١٥ للهجرة ( وفيات الاعيان ٢ : ٤٧٦ ) .

( ١٣٦ ) معجم الادباء ٦ : ٨٩ .

( ١٣٧ ) الفهرست ص ١٧٨ .

( ١٣٨ ) وفيات الاعيان ٢ : ٤٧٥ .

أن أسلوبه يتميز بالمتانة والوضوح والايجاز . وهو من السهل المتنع . وصفه الفضل بن سهل بقوله : « هو أبلغ الناس ، ومن بلاغته أن كلَّ أحد إذا سمع كلامه ظنَّ أنه يكتب مثله . فإذا رآه بعدُ عليه (٦٨١) » . مثل قوله في رسالة له الى الحسن بن سهل : « أما بعدُ . فإني ممن إذا غرس سقى . وإذا أشس بني ليستتم تشييد أشه . ويجتني ثمار غرسه . وثأؤك عندي قد شارف الدروس . وغرسك مشفٍ على اليبوس . فتدرك بناء ما أسست وسقي ما غرست . ان شاء الله تعالى (٦٨٠) » .

لقد كان ثره الموصوف بالإيجاز الدال على المعنى الكثير موضع إعجاب أرباب البيان . قال أحمد بن يوسف الكاتب : « دخلت على المامون . وهو يمस्क كتاباً بيده . وقد أطال النظر فيه زماناً وأنا ملتفت إليه . فقال : يا أحمد . أراك مفكراً فيما تراه مني . قلتُ : نعم . وفقى الله أمير المؤمنين من المكاره . وأعاده من المخاوف . قال : فإنه لامكروه فيه . ولكنني قرأت كلاماً وجدته نظير ماسمعتهُ من الرشيد يقوله في البلاغة . كان يقول : البلاغة التباعد عن الإطالة . والتقرُّب من معنى البغية . والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى . وما كنت أتوهم أن أحداً يقدّر على المبالغة في هذا المعنى حتى قرأت هذا الكتاب . ورمى به إليّ . وقال : هذا كتاب من عمرو بن مسعدة إليه . قال : فقرأته فإذا فيه : ( كتابي الى أمير المؤمنين ومن قبلي من قواده وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم . وانقياد كفاة تراخت (٦٨١) أعطياتهم . واختلت لذلك أحوالهم . والتأثت (٦٨٢) معه أمورهم ) فلما قرأته قال : إن استحساني إياه بعثني على أن أمرت للجنود قبله ببعطائهم لسبعة أشهر . وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعته » (٦٨٣)

وقد رأى القلقشندي أن طريقة مجموعة من كتاب العصر العباسي الأول ومنهم عمرو بن مسعدة شبيه بطريقة الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تجويد الالفاظ وصحة المعاني وتقويم المباني . فقال : « لقد كان المتقدمون لا يحتفلون بالسجع جملة . ولا يقصدونه الا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام . وانفق من غير قصد ولا اكتساب . وانما كانت كلماتهم متوازية . وألفاظهم متساوية . ومعانيهم

( ٦٨٩ ) معجم الادباء ٦ ، ٨٩ ، صبح الاعشى ٢ ، ٢٢٠ .

( ٦٩٠ ) معجم الادباء ٦ ، ٩٠ .

( ٦٩١ ) تراخت ، تقاعست وتأخرت .

( ٦٩٢ ) التأثت ، اختلطت .

( ٦٩٣ ) وفيات الاعيان ٢ ، ٤٧٨ ، وينظر المقد الفريد ٢ ، ٢٧٢ .

ناصعة . وعباراتهم رائعة . وفصولهم متقابلة . وجملُ كلامهم متماثلة . وتلك طريقة الامام علي رضي الله عنه ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام . كابن المقفع . ويزيد بن هارون . وابراهيم بن العباس . والحسن بن سهل . وعمرو بن مسعدة . وأبي عثمان الجاحظ . وغيرهم من الفصحاء البلغاء (٦٩١) . » .

- اشتهر عمرو بن مسعدة بالحكم البليغة مثل قوله :
- عليكم بالاخوان فانهم زينة في الرخاء وعدة للبلاء .
- قلة الزيارة امان من الملامة .
- أسرع الاشياء انقطاعاً مودة الأشرار .
- اخوان السوء كشجر في النار يحرق بعضه بعضاً .
- ظاهر العتاب خير من باطن الحقد .
- كمون الحقد في الفؤاد ككمون النار في الزناد .
- القريب بعيد بعداوته . والبعيد قريب بمودته .
- لا تأمن عدوك وان كان مقهوراً . واحذره وان كان مفقوداً . فان حد السيف فيه وان كان مغموراً .
- نصح الصديق تأديب . ونصح العدو تأنيب .
- الود أعطف من الرحم .
- النفس بالصديق أنس منها بالعشيق .
- من حقوق المودة عفو الاخوان . والاعفاء عن تقصير إن كان
- يبقى الود ما بقي العتاب (٦٩٢) . .

( ٦٩١ ) صبح الاعشى ٢ : ٣٣٧ .

( ٦٩٢ ) ثمة شواهد أخرى في كتاب أمراء البيان ص ١٨٠ .

## محمد بن عبد الملك الزيات

١٧٢ - ٢٢٢ هـ

سيرته :

هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة . ويكنى أبا جعفر . ويُعرف بابن الزيات . كان جدّه من قرية يقال لها الدُّشْكُرة القريبة من بغداد . يجلب الزيت من مواضعه ويبيعه في بغداد فغلب هذا التلقب على بيته .

ولد ابن الزيات في بغداد سنة ١٧٢ للهجرة من أصل عربي . ونشأ فيها . وكان أبوه من الاغنياء الموسرين في بغداد بجانب الكرخ . حثّه على التجارة والتعلق بها وملازمته . ولكنه رفضها وامتنع عنها وأقبل نحو علوم اللغة العربية وأدائها ينهل من ينابيعها حتى نبغ في الشعر والنثر على السواء . نُقل عن ابنه عمر بن محمد بن عبد الملك أنه قال : « كان جدي موسراً من تجار الكرخ . وكان يريد من أبي أن يتعلّق بالتجارة . ويتشاغل بها . فيمتنع من ذلك ويلزم الادب وطلبه . ويخالط الكتاب . ويلزم الدواوين . فقال له ذات يوم : والله ما أرى ماأنت ملازمه ينفعك . وليضرك . لأنك تدع عاجل المنفعة . وما أنت فيه مكفئ . ولك ولأبيك فيه مال وجاه . وتطلب الآجل الذي لا تدري كيف تكون فيه . فقال : والله لتعلمن أئنا ينتفع بما هو فيه . أنا أم أنت ؟ ثم شخّص الى الحسن بن سهل فقم اسلح ( ١٩١ ) . فامتدحته بقصيدة . فأعطاه عشرة آلاف درهم . فعاد بها الى أبيه . فقال له أبوه : لا ألومك بعدها على ما أنت فيه ( ١٩٢ ) »

ويبدو أن ابن الزيات لم يكن قانعاً بما حصل عليه من مال . وإنما كان طامعاً في منصب يتولاه في الدولة . فأقبل على الحسن بن سهل وأنشده ( ١٩٣ ) :

لم أمتدحك رجاء المال أطلبه لكن لتلبسني التحجيل والغفرا  
وليس ذلك إلا أنسني رَجُل لا أطلب الورْد حتى أعرف الصُدرا

---

( ١٩٦ ) قم الصلح : موضع على نهر الصلح . وهو فوق واسط . والصلح كانت دار الحسن بن سهل .

( ١٩٧ ) الاغاني ٢٢ : ٤٦ .

( ١٩٨ ) الاغاني ٢٢ : ٤٧ .

وتحقق له ما أراد . اذ غيَّنه كاتباً بالدواوين . وأخذ نجمه يعلو . واشتهر أمره بين الأدباء والعلماء . فقد ذكر الرواة « أَنَّ عثمان المازني لما قدم بغداد في أيام المعتصم . كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو . فاذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم أبو عثمان : ابعثوا الى هذا الفتى الكاتب . يعني محمد بن عبد الملك . فأسألوه واعرفوا جوابه . فيفعلون ويصدر جوابه بالصواب الذي يرتضيه أبو عثمان ويوقفهم عليه (٦٩٩) » .

بقي ابن الزيات يشتغل كاتباً في دواوين الدولة زمن الخليفة المأمون . ولما ولي المعتصم الخلافة استوزره وأصبح الرجل الأول في دولته لعلمه وذكائه وقدرته على تسيير أمور الحكم . وحظي بتقدير الناس واحترامهم . ووفد عليه كثير من العلماء والأدباء . أمثال أبي تمام والبحري والجاحظ والحسن بن وهب وحنين بن اسحاق ...

ظلَّ ابن الزيات وزيراً في خلافة الواثق . وكانت بينه وبين قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد منافسةً انقلبَت فيما بعد الى جفوة وبغضاء وعدواة وشحناء وتهاج بالشعر . « وكان الواثق قد أمر أن لا يرى أحد من الناس محمد بن عبد الملك الزيات الوزير إلا قام له . فكان ابن أبي دؤاد اذا رآه قام واستقبل القبله يصلي . فقال ابن الزيات :

صَلَّى الصُّحَى لِمَا اسْتَفَادَ عِدَوَاتِي وَأَرَاهُ يَنْسُكُ بَعْدَهَا وَيَصُومُ  
لَا تَعُدُّ مِنْ عِدَاوَةٍ مَسْمُومَةٍ تَرَكْتُكَ تَقْعُدُ تَارَةً وَتَقُومُ (٧٠٠) »

وحينما جاء المتوكل الى الخلافة . كان في نفسه شيء منه : لأن ابن الزيات حاول أن يصرف الخلافة عنه الى ابن الواثق . وقيل كان يتجهَّم للمتوكل ويغلفظ عليه القول (٧٠١) .

استوزره المتوكل أربعين يوماً . ثم قتله مخدوعاً بأقوال ابن أبي دؤاد وغيره من الحاقدين عليه بحجة أنه جمع أموالاً طائلة في أثناء توليه الوزارة .

( ٦٩٩ ) وفيات الاعيان ٢ : ٩٤ .

( ٧٠٠ ) وفيات الاعيان ١ : ٨٨ وينظر ديوان ابن الزيات ص ٦٦ .

( ٧٠١ ) ينظر الكامل لابن الاثير ٧ : ٢٦ .



قضى ابن الزيات نحبه في التنور الذي اتخذه أيام وزارته ، وكان فيه مسامير يُعذَّب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال ، وكان موته سنة ٢٣٣ للهجرة . وقد ندم المتوكل على مقتله ، وعلم أن أقوال الوشاة كانت كاذبة ومُلفَّقة . وقال لابن أبي دؤاد : أطمعني في باطل . وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضاً (٧٠٢) .

### أسلوبه في الكتابة :

كان ابن الزيات عالماً أديباً ، ترك ديوان رسائل (٧٠٣) ، وديوان شعر (٧٠٤) ، وقد أشاد به ابراهيم بن المدبر الوزير فقال : « أن محمد بن عبد الملك من ألطف الناس ذهناً ، وأرقهم طبعاً ، وأصدقهم حساً ، وأرشفهم قلماً ، وأملحهم إشارة . اذا قال أصاب . واذا كتب أبلغ . واذا شعر أحسن . واذا اختصر أغنى عن الاطالة (٧٠٥) » . ووصف أبو عبادة البحرني بلاغته في الكتابة بقوله (٧٠٦) :

لَتَفَنَّنْتَ فِي الْكِتَابَةِ حَتَّى	عَطَلَ النَّاسُ فَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ
فِي نِظَامٍ مِنَ السِّبْلَةِ مَا شَدَّ	كَأَمْرُؤُ أَنَّهُ نِظَامُ فَرِيدِ
وَبَدِيعُ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّاحِكُ	جَكَ فِي رَوْنِقِ الرَّيِّعِ الْجَدِيدِ
مَشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يَخُذُ	لَقَدْ عَوَّذَهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ
مَا أُعِيرَتْ مِنْهُ بَطُونُ الْقِرَاطِيدِ	رَ مَا حُمِلَتْ ظُهُورُ الْبَرِيدِ
مُسْتَمِيلٌ سَمِعَ الطُّرُوبَ الْمَعْنَى	عَنْ أَغَانِي مَخَارِقِ وَعَقِيدِ
حَجَجَ تُخْرَسُ الْأَلْدُ بِالْفَا	ظَ فَرَادِي كَالْجَوْهَرِ الْمُسْعَدِ
وَمَعَانٍ لَوْ فَضَّلَتْهَا الْقَوَافِي	هَجَّنَتْ شَعْرَ جُرُولٍ وَلَبِيدِ
حَزَنٌ مُسْتَعْمَلُ الْكَلَامِ اخْتِبَاراً	وَتَجَنَّبَنَ ظِلْمَةَ التَّعْقِيدِ
وَرَكْسَنُ اللَّفْظِ الْقَرِيبِ فَأَدْرَكَ	نَ بِهِ غَايَةَ الْمَرَادِ السَّبْعِيدِ
كَالْعَذَارَى غَدُونٌ فِي الْحَلْلِ الصَّفِ	رَ إِذَا رُحْنٌ فِي الْخُطُوطِ السُّودِ

(٧٠٢) امرأ البيان ص ٢٧١ .

(٧٠٣) الفهرست ص ١٧٧ .

(٧٠٤) طبع في القاهرة سنة ١٩٤٩ بتحقيق الدكتور جميل سعيد .

(٧٠٥) امرأ البيان ص ٢٥٩ .

(٧٠٦) ديوان البحرني ١ ، ٦٣٦ .

أن من أبرز سمات نثر ابن الزيات الإيجار في الألفاظ مع الاتساع في المعاني . وحسن اختيار الكلمات الفصيحة ودقّة استخدامها في الجمل والعبارات وكأنّها حبات منضّدة مُتّسِقة . مثل قوله : « أن حقّ الأولياء على السلطان تنفيذُ أمورهم . وتقويهم أودهم . ورياضةُ أخلاقهم . وأن يميز بينهم . فيقدّم مُحسنهم . ويُؤخّر مسيئهم : ليزداد هؤلاء في احسانهم . ويزدجر هؤلاء عن اساءتهم(٧٧) » .

كان ابن الزيات معجباً بالاسلوب الفصيح البليغ . فها هو ذا يطربّ لسماع قصيدة . لما تطويه من معنى . وتحويه من بلاغة . وتعلن عنه من فصاحة . لأبي تمام في مدحه . فيقول له : « يا أبا تمام ، والله أنك لتحلّي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهي الجواهر في أجياد الكواعب . وما يُدخّر لك من جزيل المكافأة ألا يُقصر عن شعرك في الموازنة(٧٨) » .

أن غزير علمه . وكثرة محقّوظاته . ووافر ثروته اللغوية . وسعة اطلاعه على ثقافة عصره . جعلت الألفاظ تنقاد له والمعاني تطاوّع بهيسر وسهولة في كلّ الموقف . فمن جميل ما وصل إلينا من نثره قوله : « الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته . منطوي القلب على مناصحته . مشحوذ السيف على عدوّه ؛ ثم وهب له الظفر . ودوّخ له البلاد . وشرّد به العدو . وخصّه بشرف الفتوح شرقاً وغرباً . وبرأ وبحراً(٧٩) » وقوله : « أن الله أوجب لخلفائه على عباده حقّ الطاعة والنصيحة . ولعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة . واحياء السنن الصالحة . فاذا أدى كلّ الى كلّ حقّه كان سبباً لتمام المعونة . واتصال الزيادة . واتساق الكلمة . ودوام الألفة(٨٠) » وقوله : « أفعال الأمير عندنا معسولة كالأماني . متصلة كالأيام . ونحن نواتر الشكر لكريم فعله . ونواصل الدعاء له مواصلة برّه ، أنه الناهض بكلّنا . والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا(٨١) » .

( ٧٧ ) العقد الفرید ٤ : ٢٤٠ .

( ٧٨ ) زهر الآداب ١١ : ٧٦ .

( ٧٩ ) العقد الفرید ٤ : ٢٤١ .

( ٨٠ ) نفسه ٤ : ٢٤٠ .

( ٨١ ) نفسه ٤ : ٢٤١ .

## ابن قتيبة

٢١٢ - ٢٧٦ هـ

بلغت الثقافة الاسلامية مرتبة رفيعة ومنزلة عالية في القرن الثالث للهجرة . وقد مثل ابن قتيبة بعد الجاحظ هذه الثقافة خير تمثيل . وورث المكتبة بثروة كبيرة تتصل باللغة والنحو والادب والتفسير والحديث والفقه والتاريخ وسواها من علوم اللغة العربية وآدابها . انتفعت منها الاجيال انتفاعاً كبيراً حتى قبل « كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لاخير فيه » (٧١٢) .

### سيرته :

هو عبد الله بن مسلم قتيبة الدينوري . يكنى ابا محمد . اختلف الدارسون في مكان ولادته . قال ابن الانباري وابن النديم وابن الاثير : انه ولد في الكوفة . وقال اخرون . منهم السمعاني والقفطي : انه ولد في بغداد سنة ٢١٣ للهجرة . اما نسبته الى مدينة دينور فلأنه ولي القضاء فيها مدة (٧١٣) .

نشأ وشب في بغداد . وكانت يؤمئذ مهد العلم . ومنتدى الادب . ومدينة الحضارة . فأكب على الدرس . وجد في التحصيل على علماء التفسير والحديث وأئمة اللغة والرواية وشيوخ الادب . امثال ابي حاتم السجستاني . واسحاق بن راهويه . وابراهيم بن سفيان الزياتي . وألهم بما ترجم عن اليونانية والهندية والفارسية . واتصل بالجاحظ وقرأ كتبه (٧١٤) . وحضر مجالس المعتزلة . ولكن سرعان قلاهم ورد عليهم وبين سقطاتهم التي هوى فيها حين غالوا في اعتماد العقل وفرطوا في التزام النص (٧١٥) .

لزم ابن قتيبة مدينة بغداد . وكانت له صلة بابي الحسن عبيدالله بن يحيى ابن خاقان وزير المتوكل وباسمه ألف كتابه « أدب الكاتب » (٧١٦) . وارتحل الى

---

(٧١٢) تفسير سورة الاخلاص لابن تيمية ص ١٢٢ .

(٧١٣) تنظر مصادر ترجمة في هامش نزهة الالباء في طبقات الادباء ص ١٤٢ . وهامش انباء

الرواة على انباء النعاة ٢ ، ١٤٣ . وابن قتيبة العالم النالذ الاديب للدكتور محمد

عبد الحميد الجندي . وابن قتيبة للدكتور محمد زغلول سلام .

(٧١٤) عيون الاخبار ٢ ، ٢٤٩ .

(٧١٥) ينظر تأويل مختلف الحديث ص ١٣ وما بعدها

(٧١٦) تنظر مقدمة ادب الكاتب ص ٨

دينور لولاية القضاء عليها . ورجع الى بغداد منصرفاً الى التأليف والتدريس . ولم يخرج منها إلا مدة يسيرة قصد فيها الى الحج . ثم عاد ليواصل التدريس الى ان توفي سنة ٢٧٦ للهجرة .

### كتبه واسلوبه :

اجمع الذين ترجموا لابن قتيبة على انه كان احد العلماء الادباء . والحفاظ الاذكياء . وان مصنفه نثيمة القدر وجليلة النفع (٧٧) . ففي الادب صنف عيون الاخبار . وادب الكاتب . والشعر والشعراء . وكتاب المعاني . والمعارف . ووصية الى ولده . وكل هذه الاثار مطبوعة . وصنف عيون الشعر . وطبقات الشعراء . والمناقضة . وديوان الكتاب . وصناعة الكتابة . والحكاية والحكي . وفرائد الدر . وحكم الامثال . واداب العشرة .

والف في اللغة والنحو كتاب الجرائيم . والوحش . وخلق الانسان . والاشتقاق . وجامع النحو .

وكتب في التفسير تأويل مشكل القرآن ، وتفسير غريب القرآن وهما مطبوعان . ومعاني القرآن . واعراب القرآن . وكتاب التفسير .

واختص الحديث بكتاب تأويل مختلف الحديث . والمسائل والاجوبة وهما منشوران . وغريب الحديث . واصلاح غلط ابي عبيد في غريب الحديث .

وافرد في الفقه كتاب الاشربة . والميسر والقдах . وكلاهما مطبوعان . وجامع الفقه . وتأويل الرؤيا . واستماع الغناء بالالحن . والتفقيه . والصيام .

وعمل في القراءة كتاب القراءات . واداب القراءة . وصنع في الكلام الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمبشاة . والرد على الشعوبية . والكتابان محققان . ودلائل النبوة من الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام . والرد على القائل بخلق القرآن .

ودون في التاريخ مناقب الخلفاء الراشدين . وسير العجم . وكتاب الوزراء . وفي الفلك كتاب الانواء وهو مطبوع . وفي الزرع كتاب النبات . وثمة اسماء اخرى لمصنفاته لا يتسع المقام لذكرها (٧٨) .

---

(٧٧) الكتابة الفنية في مشرق الدولة الاسلامية في القرن الثالث الهجري ص ١٨٢ .

(٧٨) انظر ثبناً باسماء مؤلفات ابن قتيبة في مقدمة كتاب عيون الاخبار ١١ - ٢٢ - ٤٢ .

ومقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن ص ٨ - ٢٩ .

من اميز خصائص اسلوب الكتابة عند ابن قتيبة الوضوح والسهولة والسلاسة مع العناية بجودة المعنى والاسترسال في الكلام دون التقيد باغلال الصنعة، والاستشهاد بالآيات والاحاديث والامثال والحكم والشعر. جاء في مقدمة كتابه المشهور « الشعر والعراء » قوله : « كان حق هذا الكتاب ان اودعه الاخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره ، وعمن رفعه الله بالمدح ، وعمن وضعه بالهجاء ، وعما اودعته العرب من الاخبار النافعة ، والانساب الصحاح ، والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة ، والعلوم في الخيل ، والنجوم وانوائها والاهتداء بها ، والرياح وما كان منها مبشراً او خائلاً ، والبروق وما كان منها خلباً او صادقاً ، والسحاب وما كان منها جهاماً او ماطرأ ، وعما يبعث منه البخيل على السماح ، والجبان على اللقاء ، والدنيء على السمو . غير اني رايت ماذكرت من ذلك في كتاب العرب (٧١١) كثيراً كافياً فكرهت الاطالة باعادته . فمن احب ان يعرف ذلك ليستدل به على حلو الشعر وموه ، نظر في ذلك الكتاب (٧٢٠) .

ان كتابات ابن قتيبة الى جانب الترسل وتوخي السهولة والزهد في السجع الا ماجاء عفواً ، جيدة الصياغة ، لطيفة التعبير ، مثل قوله في ابي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، « الحمد لله الذي اعاد الوزير ابا الحسن - ايده الله - من الرذيلة ، وابانه بالفضيلة ، وحباه بخيم السلف الصالح (٧١١) ، ورداه رداء الايمان ، وغشاه بنوره ، وجعله هدى من الضلالات ، ومصباحاً في الظلمات ، وعرفه ماختلف فيه المختلفون . على سنن الكتاب والسنة ، فقلوب الخيار له معتقة ، ونفوسهم اليه مائلة ، وايدئهم الى الله فيه مظان القبول ممتدة ، والسنتهم بالدعاء له شافعة ، يهجع ويستيقظون ، ويغفل ولا يغفلون ؛ وحق لمن قام لله مقامه ، وصبر على الجهاد صبره ، وتوى فيه نيته ، ان يلبسه الله لباس الضمير ، ويؤدبه رداء العمل الصالح ، ويصور اليه مختلفات القلوب (٧٢٢) ، ويسعده بلسان الصدق في الآخرين (٧٢٣) . »

( ٧١٩ ) من هذا الكتاب قطعة نشرها الاستاذ محمد كرد علي في رسائل البلفاء ص ٢٦٩ .

( ٧٢٠ ) الشعر والعراء ١١ : ١ .

( ٧٢١ ) اياه ، ميزه وفضله عن غيره ، حباه ، منحه وخصه ، البهيم ، الطبع والهيئة والسجية .

( ٧٢٢ ) ان يلبسه الله لباس الضمير ، اي يظهر الله عز وجل ضميره الجميل . يصور ، يميل .

( ٧٢٣ ) ادب الكاتب ص ٥ .

## العصر العباسي الثاني

٢٢٤ - ٦٥٦ هـ

توطئة :

ضعفت الخلافة العباسية . وذهبت هيبتها . بعد مقتل الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧ للهجرة بمؤامرة مدبرة من ابنه المنتصر مع الغلمان الأتراك (٢٢١) وأخذت الأوضاع تتدهور وتتردى . وأصبحت أمور الخلفاء بيد القواد والخدم من غير العرب . يعزلون ويولون حسب أهوائهم ورغباتهم . ففي أثناء أربعة عشر عاماً ( ٢٢٠ - ٢٢٤ هـ ) عزلوا ونصبوا خمسة خلفاء . منهم من قُتل ، ومنهم من خلع أو أهين وسُجن وسُملت عيناه .

وظهرت في هذه الحقبة إمارات ودويلات في الشرق والغرب . انسلخت من جسد الدولة العباسية . لها سلطانها ونفوذها . وقوتها وسيطرتها . وقوادها وجنودها . مثل السامانية فيما وراء النهر . والزيارية في جرجان . والغزنوية في أفغانستان والهند . والبويهية في فارس . والحمدانية في حلب والموصل . والفاطمية في مصر ...

في أثناء هذا التفكك والانحلال . وضعف مركز الخلافة . انتهز البويهيون الفرص . ووجدوها سانحة لتحقيق مآربهم والوصول إلى غاياتهم . فخرجوا من ديارهم . وزحفوا بجيوشهم على بغداد . وقد رحب بهم الخليفة المستكفي بالله ( ٢٢٣ - ٢٢٤ ) . ومنح رؤساءهم ألقاب التكريم ظناً منه انه يستعين بهم في رد مكانة الدولة العباسية وهيبتها إلى سابق عزاها بعدما أنهكتها قوى الترك الذين اعتمد عليهم المعتصم وابتنى لهم مدينة سُر من رأى . واستفحل أمرهم يوماً بعد آخر . وأصبح الحل والعقد بأيديهم . يتصرفون في شؤون الدولة كما يشاؤون . حتى أصبحوا مهيمين على واجبات الخلفاء من بعد .

دخل احمد بن بويه بغداد في الحادي عشر من جمادى الاولى سنة ٢٢٤ للهجرة . وجعله الخليفة المستكفي بالله اميراً للامراء ولقبه معز الدولة . ولقب اخاه على بن بويه الذي استقل بادارة اقليم فارس عماد الدولة . ولقب الحسن بن بويه الذي اصبح حاكماً على ولايتي الري والجليل ركن الدولة . ثم امرا ان تضرب القابهم وكُناههم على النقود الى جوار اسمه . وسرعان ما تنكر معز الدولة البويهي للخليفة المستكفي بالله بعد شهر واحد من وصوله الى بغداد . وغدر به . وسجنه . وسمل

( ٢٢٤ ) مختصر التاريخ ص ١٤٧ .

عينه . ونهب داره . وكانت هذه اقبح فعلة واشنع بداية سيئة ومنكرة اقترفها البويهيون بحق الخلافة العباسية . والذي فعله معز الدولة مع الخليفة المستكفي بالله . فعله بعد ذلك بهاء الدولة مع الخليفة الطائع لله سنة ٣٨١ للهجرة واخذ ما في قصره من ذخائر وجواهر .

ظل البويهيون ممسكين بزمام الامور اكثر من مئة عام . يرفلون مع حاشيتهم في ترف ونعيم وعيش كريم . اما عامة الناس فقد عاشوا في ظل الغلاء والخوف والرعب والمصادرة .

لقد ازدادت مكانة الخلافة تدهوراً وانحطاطاً وتوزعت الاقاليم المختلفة الى دول كبيرة والى دويلات صغيرة تركز كل منها حول مدينة كبيرة . حتى اننا نجد الجزيرة الفراتية تتوزع بين ثلاث اسر . تستقل كل منها بما تحت يدها . هي اسرة العقيليين بالموصل . واسرة المرداسيين بالرقبة . واسرة المروانيين بديار بكر . وقد حمل هذا التدهور المذل للخليفة العباسي القائم بأمر الله التطلع الى منقذ للدولة والخلافة من هذه الحالة السيئة . فكان هذا المنقذ جماعة السلاجقة الاتراك . الذين دخلوا بغداد سنة ٤٤٧ للهجرة بادئين مرحلة جديدة من مراحل تاريخها (٧٢٥) .

دخل السلاجقة بغداد بقيادة طغرل بك . واستقبله الخليفة القائم بأمر الله استقبالا حافلاً . وخاطبه بلقب ملك الشرق والغرب (٧٢٦) . وكان هذا بدءاً لما يعرف في التاريخ بعصر نفوذ السلاجقة . وامتدت سلطتهم على الاراضي التي كانت خاضعة للخلافة العباسية بقوة السلاح . وكانت سياستهم مع الخلافة اقل وطأة من البويهيين . فانهم احترموا الخلافة ووقروا الخلفاء والرؤساء الروحانيين للدولة (٧٢٧) .

شجع السلاجقة نظام الاقطاع والاتبكيات . واسندوها الى شخصيات من اسرهم . وكثيراً ما كانت تقوم بينهم منازعات وحروب يذهب ضحيتها الناس الآمنون . ومن هنا فلم يتقدم العراق عما كان عليه سابقا من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

---

( ٧٢٥ ) الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ١٧٤

( ٧٢٦ ) ينظر تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٢ . المنتظم لابن الجوزي ١٨١ - ١٨٢ . تاريخ ابن

الاثير ٩ ، ٤٣٥ . الشعر العربي في العراق وبلاد المجمع في العصر السلجوقي ٢٩٠١ - ٤٤ .

( ٧٢٧ ) الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ١٨٠ .

بدأ التفكك الداخلي في الاسرة السلجوقية. بعامل نظام الوراثة الذي اتبعوه . وبموت سلطانهم مسعود سنة ٥٤٧ هـ للهجرة انهض كيانهم ولم يستطع من جاء من بعده اعادة مكانتهم . اذ استطاع الخليفة المقتضي لامر الله ( ٥٢٠ - ٥٥٥ هـ ) وبمؤازرة وزيره يحيى بن هبيرة ان يعيد للخلافة هيبتها واستقلالها . وكذلك ابنه المستنجد بالله الذي ثبت قاعدة الاستقلال .

اعقب خروج السلاجقة من العراق صحوّة عادت فيها مكانة الخليفة الى سابق حرمتها وعزّها . ويكفي هذه الحقبة فخراً ظهور خليفتين عظمين . كان لهما دور بارز ومشرف في نهوض الامة بعد رقدها . وسيرها حثيثاً نحو الرقي والتقدم . الاول : الناصر لدين الله ( ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ ) الذي وخذ العرب وجذد نظام الفتوة . والثاني : المستنصر بالله ( ٦٢٢ - ٦٤٠ هـ ) باني اكبر مدرسة آنذاك تشع منها الثقافة وتستقطب الاساتذة والطلبة من كافة ارجاء العالم الاسلامي .

واخيراً جاء المستعصم بالله المعروف بقلّة الخبرة والدراية بأمور السياسة . وعدم تهئية جيش قوي لمحاربة القوى الزاحفة على البلاد الاسلامية . فكانت نهايته بيد التتر القادم من الشرق سنة ٦٥٦ للهجرة

ولا بدّ من الاشارة هنا أنّ التفكك والانحلال الذي اصاب الدولة العباسية بعد حكم البويهيين ثم السلاجقة وتحول البلاد الى فئات مبعثرة لا يجمع بينها اتحاد ولا يضمها سلطان قوي . جعل الغرب يضم اليه اقصيه وادانيه . ويلمّ شعثه . ويرتق فتقه . ويرأب صدعه . وينتهي للانقضاض على الشرق المتداعي . طمعاً في خيراته ووافر ثرواته

جاء الصليبيون الى الشرق في موجات متتابعة . وفي فترات متقاربة . ابتداء من سنة ٤٩٢ للهجرة . فأهلكوا الحرث والنسل . واشاعوا الخراب والدمار في القرى والامصار حتى قدّر المؤرخون عدد الذين قتلوا في مذبحة أنطاكية بعشرة الاف شخص . وفي معرة النعمان بمئة الف . وفي بيت المقدس بسبعين الف (٧٢٨) . وقال ريموند دي اكليس الذي شاهد المذبحة الاخيرة : ان الدماء قد وصلت في رواق المسجد الى الركب (٧٢٩) . فما لم يشاهده قد يربو التقدير ويفوق النعت والتعبير .



وقف المسلمون بوجه الحملات الصليبية بشجاعة وصلابة ، وكان للزنكيين دور بارز ومُشرف في محاربتهم ، فقد ظهر فيهم البطلان عماد الدين زنكي ونور الدين محمود اللذان حاربوا الأعداء بلا هوادة ، ثم جاء الأيوبيون وحملوا راية الجهاد والكفاح والنضال ، وكان للبطل الغيور صلاح الدين الأيوبي وجنوده الميامين الدور الأكبر في محاربتهم وإخراجهم من القدس وردّهم إلى نحورهم ، وقد رافقت هذه الحروب نهضة فكرية كبيرة أغنت المكتبة العربية بانتاج ضخّم في مختلف فروع المعرفة ، وكان للادب دور فعّال في هذه الحروب إلى جانب السلاح ، إذ تضافر شعراء كثيرون من الشام ومصر والعراق واليمن والمغرب على معاضدة الأبطال ، وإظهار مناقبهم ، ورسم بطولاتهم في محاربة الفرنج وجولاتهم في جلاء الغاصبين عن المواقع التي احتلوها والمدن التي استباحوها (٣٠) .

### الادب في ظل البيئات الجديدة :

بلغت الدولة العباسية أوج قوتها ، وذروة مجدها ، وغاية عظمتها ، وبالع هبتها وعزّتها ، زمن الخلفاء الأوائل ، أمثال : المنصور ، والرّشيد ، والمأمون ، والمعتمد ، ثم أخذت تضعف وتتفكك ، وبدأت القوى الطامعة أو المعادية تتحرّك وتكتلّ للانفصال عن جسد هذه الدولة وإقامة دويلات لأنفسها بعيدة عن سلطة بغداد ، وقد تمّ لها ما أرادت ؛ لأن الخلافة لم تستطع أن تقف بوجهها ، وتكسر شوكتها ، وتقضي على مآربها ، وتمنعها من انشاء حكومات لها ، وكانت هذه الدويلات بين معترفٍ - بصورة شكلية - بالخلافة أو غير معترفٍ .

تنافست الدويلات المستقلة في جذب العلماء والأدباء ، واستقطاب المفكرين ، والاستكثار منهم ، والاغداق عليهم الاموال والصلوات والهدايا ، واسناد الوظائف الهامة لهم وجعلهم موضع الثقة والاستشارة (٣١) .

وكانت غالبية ملوك الدويلات وامرائها يتقنون اللغة العربية ، ويهتمون بالمجالس العلمية والأدبية ، ويشاركون ارباب الاقلام في الكتابة ، فعضد الدولة البويهية كان مهتماً بالاداب وله مشاركة فيه ، وقد قرّب عدداً كبيراً من الشعراء

( ٣٠ ) ينظر بحثنا ، النفاط العلمي والادبي في عهد الاسرة الايوبية . مجلة اداب الرافدين

العدد ٨ لسنة ١٩٧٧ ، وشعر العرب في عصر بني ايوب . مجلة اداب الرافدين ، العدد ١٥

لسنة ١٩٨٢ ، والقدس في شعر القرن السادس للهجرة . مجلة المورد ، العدد ( ١ ) لسنة

١٩٨٢ .

( ٣١ ) ينظر ، اتجاهات الشعر في القرن الرابع الهجري

والكتاب امثال ابي اسحاق الصابي . وابي علي النحوي . وابي الطيب المتنبي . وابي الحسن محمد بن عبدالله السلامي . واعتمد ركن الدولة البويهى على كاتب كبير هو ابو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد . قال ابو منصور الثعالبي هو : « اوحذ العصر في الكتابة . وجميع ادوات الرياسة . والات الوزارة . والضارب في الآداب بالسَّهام الفائزة . والآخذ من العلوم بالاطراف القوية . يدعى الجاحظ الاخير . والاستاذ . والرئيس . يُضرب به المثل في البلاغة . وينتهي اليه في الاشارة بالفصاحة والبراعة . مع حسن الترسُّل وجزالة الالفاظ وسلاستها . الى براعة المعاني ونفاستها(٣٢٢) » . واستوزر مؤيد الدولة البويهى الاديبي الشاعر العالم صاحب بن عباد الذي « احتفَّ به من نجوم الارض . وافراد العصر . وابناء الفضل . وفرسان الشعر . مَنْ يربى عددهم على شعراء الرشيد . ولا يقصرون عنهم في الاخذ برقاب القوافي وملك رِقِّ المعاني ... مثل ابي الحسن السَّلامي . وابي بكر الخوارزمي . وابي الطيب المأموني . وابي الحسن البديهي . وابي سعيد الرستمي . وابي القاسم الزعفراني . وابي العباس الضبي . وابي الحسن بن عبدالعزيز الجرجاني . وابي القاسم بن ابي العلاء . وابي محمد الخازن . وابي هاشم العلوي . وابي الحسن الجوهرى ... وابي ذُلف الخزرجي . وابي حفص الشهرزوزي . وابي معمر الاسماعيلى وابي فياض الطبري . وغيرهم(٣٢٣) .

واشتهر عدد من وزراء السلجوقيين بحب العلماء الادباء واکرامهم والانفاق عليهم . منهم الوزير نظام الملك ابو علي الحسن بن علي . قال ابو شامة المقدسي : « كان عالماً فقيهاً ديناً خيراً متواضعاً عادلاً . يحبُّ أهل الدين ويكرمهم ويُجزل صلاتهم . وكان أقرب الناس منه وأحبهم إليه العلماء . وكان يناظرهم في المحافل و يبحث عن غوامض المسائل لأنه اشتغل بالفقه في حال حدائته مدّة . وأما صدقاته ووقوفه فلاحداً عليها ومدارسه في العالم مشهورة لم يخل بلد منها »(٣٢٤) . واشتهر في عصر السلاجقة الشاعر الكاتب أبو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي الذي وزر للسلطان مسعود ابن محمد السلجوقي في الموصل له ديوان شعر جيد . وقد اشتهرت قصيدته المعروفة بلامية العجم التي يقول في أولها(٣٢٥)

أصالة الرأي صانتني عن الخطلِ وحليّة الفضلِ زانتني لدي الغطلِ

(٣٢٢) يتيمة الدهر ١٠٢ : ١٥٨ .

(٣٢٣) يتيمة الدهر ١٠٢ : ١٩٢ .

(٣٢٤) الروضتين ١ : ٦٢ .

(٣٢٥) ديوانه ص ٢٠٦ .

ومن الامارات التي غنيت بالعلم والأدب إمارة بني ميكال في نيسابور ومن أشهر رجالها أبو محمد عبدالله بن اسماعيل الميكالي ، قال الثعالبي : « هو أشهر ، وذكره أسير ، وفضله أكثر ، من أن يُنبه عليه ، وله - مع كرم حسبه وتكامل شرفه - فضيلة علمه وأدبه ، وكان من الكتابة والبلاغة بالمحل الأعلى ، وله من سائر المحاسن القُدح المَعْلَى ، فكان يحفظ مئة ألف بيت للمتقدمين والمحدثين يهدها في محاضراته ، ويحلها في مكاتباته ، وله شعر كتابي يُشير الى شرف قائله » (٧٣١) .

وعرقت الاسرة الزيارية التي كانت تحكم جرجان وطبرستان وماحولهما برعاية العلوم والأدب ، ويُعدُّ قابوس بن وشمكير من أبرز رجالها (٧٣٢) ، اذ كان معروفاً ببيانته وفصاحته وحسن كتابته ، وقد زاره البيروني وقدم له كتابه الآثار الباقية كما قدم له الثعالبي كتابيه : المبهج ، والتمثيل والمحاضرة .

واشتهر اقليم خوارزم بكثرة مدارسه ووفرة علمائه وأدبائه (٧٣٨) ، أمثال ، الزمخشري ، والمطرزي ، والبيروني ، وابن سينا ، وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي محمد القاسم بن الحسين الخوارزمي ، وأبي محمد عبدالله بن ابراهيم الرقاشي ، السكاكي ، ورشيد الدين الطوطا .

وكانت لامارة المزيديين التي ضمت الحلة والبصرة والكوفة والبطائح وواسطاً والأنبار وحديثة وعانة ، شأن كبير في الحركة الأدبية والعلمية في القرن الخامس للهجرة ، وقد برز فيها مجموعة من الشعراء والكتاب أمثال منصور بن ديبس ، وصدقة بن منصور بن ديبس ، ومحمد بن خليفة النسبسي ، وعلى بن أفلح العبسي (٧٣٩)

وارتقى الأدب والعلم مكاناً مرموقاً في إمارة الحمدانيين ( ٣١٧ - ٣٩٤ هـ ) التي سيطرت على الموصل وديار بكر وحلب وحمص وحماة وأنطاكية ومنبج ومعرة النعمان وبعض الثغور ، وقد جمع بلاط سيف الدولة بحلب جماعة كبيرة من الشعراء والكتاب واللغويين والفلاسفة أمثال أبي الطيب المتنبي ، وأبي فراس الحمداني ، وأبي بكر الصنوبري ، وابن نباتة السعدي ، والسري الرفاء ، والوأواء

( ٧٣٦ ) يتيمة الدهر ٤ ، ٤١٧ .

( ٧٣٧ ) ينظر معجم الأدباء ٦ ، ١٤٢ ، ١٥٢ .

( ٧٣٨ ) الأدب العربي في القليم خوارزم ص ٦٢ - ٨٤ .

( ٧٣٩ ) تنظر ، العريدة ، قسم العراق ٩ / ١ ، ١٢٢ ، ١٨٢ ، أدباء حلبون ص ٩ - ٦٧ .

الدمشقي . والبغاء . والنامي . والسلامي . وكشاجم . والخالدين . وأبي علي  
النحوي . وابن جنبي . وابن خالويه . وأبي الفرج الأصبهاني . وعبدالرحيم بن  
نباته . والفارابي (٧٠٠)

وقامت في مصر والشام دولة الاخشيديين ( ٣٢٣ - ٣٥٨ ) . وظهر فيها عدد من  
الشعراء والكتاب (٧١١) . من أبرزهم أبو القاسم أحمد بن محمد بن طباطبا .  
وابراهيم بن عبدالله الجيزي اللغوي الاخباري . كاتب كاقور . وصالح بن مؤنس .  
والحسن بن علي الأسدي ...

وحكمت دولة الفاطميين مصر والشام بعد سابقتها الإخشيدية ( ٣٥٨ - ٥٦٦ )  
وحظيت العلوم والآداب في عهدها رعاية وعناية . وقد نبغ عدد من ملوكها بنظم  
الشعر والاجادة فيه . أبرزهم المعزدين الله (٧١٢) . وكان للشعراء الذين اتصلوا بهم  
ووضعوا شعرهم بين أيديهم منازل رفيعة وهبات سنية وأعطيات سخية . وقد زخرت  
كتب الأدب والتراجم والسير بأسماء كثيرة من الأدباء الذين عاصروا هذه  
الدولة (٧١٣) . أمثال : الحسن بن علي بن وكيع التنيسي . وعلى بن عباد  
الاسكندري . ومحمد بن قادوس . والجلس بن الحباب . والمهذب بن الزبير .  
والرشيد بن الزبير . وأحمد محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق . وأبو الصلت  
أمية بن عبدالعزيز . وطلائع بن رزيك ، وظافر الحداد ...

وازدهرت الحركة الفكرية في عصر الزنكيين الذين حكموا الموصل وحلب  
والاماكن التي كانت بيد الحمدانيين ( ٤٨٩ - ٥٧٠ هـ ) . فقد شجعوا أهل العلم  
والادب . ولا سيما نورالدين محمود . وهو أعظم ملوكهم . فإنه كان لا يفتأ  
يجمع العلماء في مجلسه ويستشيرهم في أمور دينه ودنياه . ويحيطهم بعنايته  
ورعايته . ويهيئ لهم المناخ الملائم لعيشهم وعملهم . ويُعد في نظر الدارسين أول  
منشئ لدار الحديث في التاريخ الحديث في التاريخ الاسلامي (٧١٤) . ومن مشاهير

( ٧٤٠ ) ينظر : سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف ودولة الأتلام ص ١٨١ - ١٩٧ . فنون  
الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ١٤٥ - ١٧٨ . الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني ص  
٢٨ - ٤٦ .  
( ٧٤١ ) ينظر : الأدب العربي في مصر من الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الأيوبي ص ١٥٩ -  
٢٠١ .

( ٧٤٢ ) طبع ديوانه بتحقيق محمد حسن الأعظمي .  
( ٧٤٣ ) ينظر : مصر الشاعرة في العصر الفاطمي ٨ - ١٧ .  
( ٧٤٤ ) الدارس في تاريخ المدارس ١١ - ٩٩ .

الشعراء الذين سجلوا بطولاته وتغنوا بفتوحاته أبو الحسن أحمد بن منير الطرابلسي (٧٠٠) ومحمد بن نصر القيسراني (٧٤٩) .

وشهد عصر الأيوبيين في مصر والشام ( ٥٦٧-٦٤٨ ) نهضة علمية وأدبية كبيرة . وكان مؤسس دولتهم صلاح الدين الأيوبي يتذوق الشعر ويهتز له . وظهرت في أسرته مجموعة من الشعراء وصلت الينا دواوينهم أمثال الملك الأحمجد مجد الدين الأيوبي (٧١٧) . والملك الناصر داود بن عيسى الأيوبي (٧٤٨) . والملك المظفر الدين عمر الأيوبي (٧٩٩) . وقد تضافر شعراء كثيرون من الشام ومصر والعراق واليمن والمغرب على معاودة صلاح الدين ورسم بطولاته في محاربة الفرنج وجولاته في جلاء الغاصبين عن المواقع التي احتلوها والمدن التي استباحوها (٧٠) . ولا عجب حين قال ابن العديم : ولم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد سيف الدولة الحمداني ما اجتمع ببابه من الشعراء - رحمه الله - وزاد على سيف الدولة في الحياء والفضل والعطاء (٧٠١)

ونشطت الحركة الأدبية في ظل الامارة البكتيكية في أربيل في نهاية القرن السادس ومطلع القرن السابع للهجرة ويُعد السلطان مظفر الدين كوكُبري من أعظم رجال هذه الامارة . فانه اهتم بالعلوم والاداب . وشجّع الدارسين . وبذل لهم بسخاء . وأنشأ لهم مدرسة . وانتجع مدينة أربيل في زمنه الكثيرون . ولكثرة من جاءها من الوافدين - طلاباً وأساتذة - ألّف شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد بن المبارك المعروف بابن المستوفي الاربلي كتاباً كبيراً بأربعة مجلدات سماه

---

( ٧٤٥ ) تنظر : مقدمة شعره ٥ - ٢٢ .

( ٧٤٦ ) ينظر : صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ص ١٠٢ - ١٢١ . ومحمد بن نصر

القيسراني ، حياته وشعره ص ١٢٤ - ١٢٧ .

( ٧٤٧ ) طبع ديوانه بتحقيقنا سنة ١٩٨٧ .

( ٧٤٨ ) كتبت دراسة مطولة عنه وحققته ديوانة الموسوم بـ ( الفوائد الجليلة في الفوائد الناصرية ) .

( ٧٤٩ ) الهريدة ، هداية شعراء الشام ، ص ٨٢ - ١١٠ .

( ٧٥٠ ) ينظر بحثنا : جهاد صلاح الدين الأيوبي ، التاريخ والشعر ( مجلة المورد ، العدد ٤ ، سنة ١٩٨٧ .

( ٧٥١ ) زبدة العلب من تاريخ حلب ٢ : ١٢٥ .

« نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل (٧٠٤) ». ويكفي هذه الامارة فخراً أن يكون ابن خلكان صاحب كتاب « وفيات الأيمان » أحد أبنائها . ومن شعرائها المشهورين مجد الدين أسعد بن ابراهيم النشابى (٧٠٣) . وعيسى بن سنجر الحاجري (٧٠٤) . وابن الظهير الإبلي (٧٠٥) . والصاحب بهاء الدين علي بن عيسى المنشيء الإبلي (٧٠٦) .

ان حكام الدويلات والامارات - كما لاحظنا - يحبون المعرفة . ويقدرّون العلماء والأدباء . ويشجعون قدامهم اليهم . ويجلّونهم ويكثرون من احترامهم . ويسطون في عطائهم واکرامهم . ولم يكن نظم الشعر مزدهراً فقط في ظلال الحكام . بل التأليف والتصنيف أيضاً . وقد لمت أسماء كثيرة . نذكر منهم على سبيل المثال ، أبا منصور الثعالبي . وأبا العلاء المعري . والخطيب البغدادي . وابن الأنباري . والباخري . وابن الجوزي . وأسامة بن منقذ وعماد الدين الأصبهاني . والقاضي الفاضل . وابن شداد . والعكبري . والخطيب التبريزي . وأبا الفضل الميداني . وأبا القاسم الزمخشري . وأبا منصور الجواليقي . وأبا السعادات ابن الشجري . وأبا محمد القاسم بن علي الحريري . وابن عساكر . وأبا طاهر السلفي . ومحبي الدين النووي . وسيف الدين الأمدي . وتاج الدين الكندي . وابن الحاجب النحوي . وأبا شامة المقدسي . وشهاب الدين السهروردي . وياقوت الحموي . وأبناء الأثير . مجد الدين وعزالدين الدين . وضياء الدين .

ومن معالم الحركة الفكرية في هذا العصر كثرة المكتبات . والتنافس في إنشائها . واقتناء الكتب الكثيرة لخزائنها مهما بلغت أثمانها وبعدت أوطانها . وتعيين الأمناء على تنسيقها وتنظيمها وحفظها . ومن هذه المكتبات المشهورة مكتبة سيف الدولة الحمداني بحلب وكان الشاعر أبو بكر الصنوبري أميناً عليها . ومكتبة أبي القاسم جعفر بن محمد بن حمدان في الموصل . قال الصفدي : « وكانت له في بلده دار علم . قد جعل فيها خزانة . فيها جميع العلوم . وقفاً على كل طالب علم . ولا يمنع

( ٧٥٢ ) وصل اليها الجزء الثاني منه فقط وطبع باسم « تاريخ اربل » في مجلدين .

( ٧٥٣ ) حقق ديوانه عبد الله ~~ص~~ طه في رسالة جامعية باشراف الدكتور عبد الوهاب الصرواني . آداب الموصل ١٩٨٥ .

( ٧٥٤ ) حقق ديوانه صاحب شئون الزيدي في رسالة جامعية باشراف الدكتور يونس السامرائي . آداب بغداد ١٩٨٨ .

( ٧٥٥ ) نشر ديوانه بتحقيقنا سنة ١٩٨٨ .

( ٧٥٦ ) من كتبه المطبوعة ، رسالة الطيف ، وكشف الغمة في معرفة الأئمة . والتذكرة الفخرية .

أحداً من دخولها اذا جاءها . وان كان معسراً أعطاه ورقاً . يفتحها كل يوم ويجلس فيها(٧٥٧) . ومكتبة علي بن سوار من حاشية عضد الدولة في مدينة رام هرمز على شاطئ الخليج العربي . ومكتبة العزيز بالله الفاطمي في القاهرة وكانت تضم آلاف الكتب في شتى العلوم والمعارف . ومكتبة المدرسة النظامية . ومكتبة مدرسة المستنصرية في بغداد . ومكتبة الملك المعظم عيسى بن أبي بكر في دمشق . وكانت تحتوي كتباً نادرة وثمينة بعضها بخط مؤلفيها . وقد شاهدها ياقوت الحموي وأطلع على نفائسها . منها صاحب الجوهري . فقال : « ووقفت على نسخة للصاحح بخط الجوهري بدمشق عند الملك المعظم بن العادل بن أيوب صاحب دمشق . وقد كتبها سنة ٤٣٣ هـ » (٧٥٨) . وقال في موضع آخر عند ترجمته لمحمد بن أحمد العميدي المتوفى سنة ٤٣٣ هـ . « وله تصانيف في الأدب منها تنقيح البلاغة في عشر مجلدات . رأيته

بدمشق في خزانة الملك المعظم - خلّد الله دولته - وعليه خطه وقد قرئ عليه في شعبان سنة ٤٣١ هـ (٧٥٩) . ومن المكتبات الكبيرة في بلاد الشام . مكتبة حماة التي أنشأها الملك المنصور محمد بن عمر . وكان فيها من الكتب مالا مزيد عليه (٧٦٠) . وبقيت هذه المكتبة عامرة تنمو وتزداد الى زمن الملك المؤيد اسماعيل بن علي المشهور بأبي الفداء . « قيل انها ما اجتمعت لغيره من سائر الفنون . فإنه اجتهد في جمعها من سائر البلاد شرقاً وغرباً (٧٦١) » .

ومن مظاهر الحركة الفكرية أيضاً كثرة المدارس التي أنشأها الخلفاء والملوك والأمراء والأثرياء . والانفاق على طلبتها وأساتذتها . منها كانت خاصة لتدريس علم واحد كالحديث أو النحو أو الفقه ... ومنها عامة لتدريس جميع علوم اللغة العربية . ولم يمنع ذلك من تدريس علوم أخرى الى جانب المواد الأصلية كالطب والصيدلة والكحالة والهندسة . والفلك والتاريخ والجغرافية .. وتعد المدرسة النظامية من أشهر المدارس آنذاك أنشأها في بغداد نظام الملك الذي سبق ذكره . ثم المدرسة المستنصرية

---

(٧٥٧) ينظر مقالنا ( ابن حمدان الموصل ٢٤٠ هـ - ٢٢٢ هـ ) مجلة الجامعة ، الموصل ، العدد ١٩٨١ سنة ١٩٨١ .

(٧٥٨) معجم الأديباء ٢ ، ٢٧ .

(٧٥٩) معجم الأديباء ٦ ، ٢٢٨ .

(٧٦٠) فوات الوفيات ٤ ، ١٢٠ .

(٧٦١) ثمرات الأوراق ص ١٢٥ .

التي شيدها الخليفة المستنصر بالله . والنورية الكبرى التي أنشأها الملك العادل نورالدين محمود بن زنكي في دمشق . وفيها قال الشاعر عرقله الدمشقي (٧٢) :

ومدرسة سيدرس كل شيء وتبقى في جمى علم ونسك  
تـَضَوُّعُ ذِكْرُهَا شَرْقاً وَغَرْباً بنورالدين محمود بن زنكي

ولنورالدين مدارس أخرى في الموصل وحلب . واشتهرت المدرسة الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي في القدس وهي غير المدرسة الصلاحية التي أنشأها في القاهرة بجوار ضريح الامام الشافعي وقد سماها السيوطي بتاج المدارس . ومن مدارس دمشق المشهورة العزيزية التي أسسها الملك الأفضل على بن صلاح الدين الأيوبي ثم أتمها أخوة الملك العزيز عثمان . ومن أشهر مدرسيها عبداللطيف البغدادي . وسيف الدين الأمدي شيخ المتكلمين في وقته . قال عنه ابن أبي أصيبعة : « وكان اذا نزل وجلس في المدرسة . وألقى الدرس والفقهاء عنده . يتعجب الناس من حسن كلامه في المناظرة والبحث . ولم يكن أحد يماثله في سائر العلوم (٧٣) » . والأشرفية التي بناها الملك الأشرف موسى بن أبي بكر العادل ومن أشهر رجالها أبو شامة المقدسي صاحب كتاب الروضتين . وفي أربيل اشتهرت المدرسة المظفرية التي أنشأها مظفر الدين كوكبري . ولم يكن حظ النساء بأقل من حظ الرجال في انشاء المدارس مثل المدرسة الخاتونية في دمشق أنشأتها عصمة الدين بنت معين الدين أنر زوجه نورالدين محمود . ومدرسة الفردوس في حلب أنشأتها مؤنسة خاتون بنت أبي بكر العادل . ورُتِبَتْ فيها خلقاً من القراء والفقهاء وكتبت على حائط فنائها بعد البسملة آيات من سورة الزخرف (٧٤) . وبُنَتْ مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر نفي الدين محمود مدرسة في حماة ووقفت عليها وقفاً جليلاً وكتباً (٧٥)

لقد كانت المدارس كثيرة لا يمكن ذكرها جميعاً (٧٦) . ويستطيع الباحث ان يقف على أسماء منشئها والعلماء والأدباء الذين درّسوا فيها في كتاب « الدارس في تاريخ المدارس » للنعماني .

( ٧٢ ) ديوان عرقله الكلبي ص ٧٠

( ٧٣ ) عيون الأنباء ٢ ، ٢٨٥ .

( ٧٤ ) خطط الشام ٩ ، ١٠٧ .

( ٧٥ ) خطط الشام ٩ ، ٨٦ .

( ٧٦ ) ينظر بحثنا [ التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية ] ، مجلة آداب الرافدين ،

العدد ١٠ سنة ١٩٧٩ .



ومن الوسائل التي يَسُرُّ نشر العلم والإقبال عليه . ازدهار صناعة الورق في العالم الاسلامي . وكانت بغداد وسمرقند ومصر من مراكز هذه الصناعة . ومن العلماء مَنْ كان ينسخ الكتب بنفسه . ومن كان ينسخها لغيره بالأجرة . فازدهرت الوراقة . وحمل تجار الكتب نتاج العلماء والأدباء إلى الأقطار . وقد أوردت المصادر أخباراً كثيرة عن الوراقين . وأشادت بأسماء لامعة تعاطوا هذه المهنة واتخذوها وسيلة للعيش والحصول على المال . نذكر منهم : أبا سعيد السيرافي ( ت ٣٦٨ هـ ) وكان « لا يأكل إلّا من كسب يده . ولا يخرج من بيته إلى مجلس الحكم . ولا إلى مجلس التدريس كل يوم إلّا بعد أن ينسخ عشر ورقات . يأخذ أجرها عشرة دراهم . تكون قدر مؤنته ثم يخرج إلى مجلسه » . ( ٧١٧ ) وأبا الفرج محمد بن اسحاق المشهور بابن النديم ( ت ٣٨٥ هـ ) وكان وراقاً يبيع الكتب ( ٧١٨ ) . وهو صاحب كتاب « الفهرست » جمع فيه أسماء الكتب التي عُرفت باللغة العربية حتى أواخر القرن الرابع للهجرة . وأبا حيان التوحيدي ( ت ٤١٤ هـ ) الذي قال عن نفسه : « لقد استولى عليّ الحرف . وتمكّن مني نكد الزمان . إلى الحدّ الذي لا استرزق مَع صحة نقلي . وتقيّد خطي . وتزويق نسخي . وسلامته من التصحيف والتحريف بمثل ما يسترزق البليد الذي يمسُخُ النسخ . ويفسُخُ الأصل والفرع » ( ٧١٩ ) . ويحيى بن محمد الأزري ( ت ٥١٥ هـ ) وكان - كما يقول ياقوت - « اماماً » في العربية . مليح الخط . سريع الكتابة . كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد . فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصح لثعلب ويبيعه « ( ٧٢٠ ) . وموهوب بن أحمد الجواليقي ( ت ٥٤٠ هـ ) وكان دقيقاً في عمله كثير الضبط . « وخطه مرغوب فيه . يتنافس الناس في تحصيله . والمغالاة له » ( ٧٢١ ) . والشيخ سعد بن علي الحظيري الوراق الملقب بدلال الكتب ( ت ٥٦٨ هـ ) . وهو عالم جليل له مصنفات كثيرة وكان له دكان خاص في سوق الوراقين ( ٧٢٢ ) . وصدقة بن الحسين ( ت ٥٧٣ هـ ) . وقد نسخ بخطه كثيراً للناس في

( ٧١٧ ) انباء الرواة ١ : ٣١٢ .

( ٧١٨ ) معجم الأدباء ٦ : ٤٠٨ .

( ٧١٩ ) معجم الادباء ٥ : ٢٨٤ .

( ٧٢٠ ) معجم الأدباء ٧ : ٢٩١ .

( ٧٢١ ) انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ . ذيل طبقات الحنابلة ١ : ٢٠٥ .

( ٧٢٢ ) الغريدة . قم العراق ٤ : ٢٨١ / ٤ .

سائر الفنون (٣٣) . وعلى بن عبد الرحيم بن الحسن المعروف بابن العصار ( ت ٥٧٦ هـ ) « وكانت طريقته في النسخ حسنة . والناس يتنافسون في خططه ويغالون به » (٣٤)

ان نسخ الكتب وبيعها شملت مختلف العلوم اللسانية والشرعية والعقلية . والفنون والصناعات والطبيعات والرياضيات والجغرافية والطب والأدوية والعقاقير والنبات والحيوان والمعارف والموسيقى والغناء والتصوير والنقش وسواها .

لقد بقي العالم الاسلامي متماسكاً من الناحية الثقافية وان كان منقسماً سياسياً في عصر البويهيين ثم السلاجقة . فاللغة العربية كانت لغة الدواوين ولغة الآداب في بلاط الامارات على مختلف لغاتها وأجناسها . وسبب ذلك أنهم لم ينظروا الى اللغة العربية على أنها لغة غزاة فاتحين تزحف تحت أعلام جيوشهم . وتنتشر بتشجيع من حكامهم . ثم تذل وتتلاشى عند ضعف نفوذهم . ولكن على أنها لغة ذلك الدين الجديد الذي ارتضته الغالبية من أهل تلك البلاد . لغة القرآن الكريم المعجز بأسلوبه ومعانيه معاً . وتلاوته والاستماع اليه . ودراسته عبادة من العبادات . ولذا نجد اللغة العربية تنتشر بين الطبقات المثقفة . وتصير لغة الكتابة . والأدب نظماً ونثراً بين جميع الأقوام (٣٥) .

---

( ٣٣ ) ذيل طبقات العنابلة ١ ، ٢٢٩ .

( ٣٤ ) إنباء الرواة ٢ ، ٢٩١ .

( ٣٥ ) ينظر تاريخ الفهر العربي للكفراوي ٢ ، ٢٢٠ .

كثُر عدد الشعراء . وَغَزَرَ نتاجهم . في العصر العباسي الثاني . وقد عاشوا في ظل الخلافة في بغداد . أو في ظل الملوك والأمراء في الممالك والدويلات التي قامت آنذاك في الشرق والغرب . وكانوا من أجناس متباينة وأقوام مختلفة تجمعهم اللغة العربية التي كتبوا ماجدات به قرائحهم شعراً ونثراً .

إنَّ الاغراض الشعرية في هذا العصر غالباً ماكانت امتداداً لما هي عليه في العصور السابقة . ومن يرجع الى الدواوين الشعرية والكتب الأدبية يجد كُفَّة المديح هي الراجحة وكميته هي الفائقة ، ولعل ذلك يعود الى كثرة المدّاحين الذين سخروا شعرهم لكسب المال والجاه ، حتى ان الكثيرين منهم في أواخر العصر العباسي اختصوا بالخلفاء عُرفوا بشعراء الديوان (٧٣) كانوا يتقاضون أجوراً شهرية من الدولة . وينالون عطايا وهدايا من الخلفاء أنفسهم في مناسبات كثيرة . ومثال على ذلك الشاعر أبو الفوارس سعد بن محمد الصيفي المعروف بـ « حيص بيص » فانه نال من المستضيء بأمر الله على أبيات مدحه بها حين تولّى الخلافة ثلاث مئة دينار وخلعة وضبعة كبيرة . منها قوله : (٧٤)

أقول وقد تولّى خـــــــبرٌ      وليُّ لم يزلْ تقِيًّا  
وقد كُشِفَ الظَّلَامُ بمستضيء      غدا بالناس كُلُّهُمُ حَفِيًّا  
وقاضِ الجودَ والمعروفَ حتى      حَسْبُتُهُمَا عُبَاباً أَوْ أَتِيًّا  
بلغنا فوق ماكنّا نَرْجِي      هنيئاً يا بني الدُّنيا هنيئاً

ولانسى في هذا المجال دور فريق من رؤساء الدويلات آنذاك في اجتذاب الشعراء وايوائهم والانفاق عليهم وتحفيزهم على نظم الشعر . مثل سيف الدولة الحمداني . فانه ضرب دنانير خاصة للصّلات ، وزن كل دينار عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته . فأمر يوماً لأبي الفرج البغاء بعشرة دنانير . فقال ارتجالاً ،

( ٧٣ ) ينظر الجامع المختصر ، ٩٩ ، ٩٨ .

( ٧٧ ) ديوانه ٢ ، ٢٧٩ ، وتنظر الحريدة ، قسم المراق ، ١٠ ، ٢٢٠ .

نَحْنُ بِجُودِ الْأَمِيرِ فِي حَرَمٍ نَرْتَعُ بَيْنَ السُّعُودِ وَالنَّعَمِ  
أَبْدَعُ مِنْ هَذِهِ الدَّنَانِيرِ لَمْ يَجِرْ قَدِيماً فِي خَاطِرِ الْكَرَمِ  
فَقَدْ غَدَتْ بِاسْمِهِ وَصُورَتِهِ فِي دَهْرِنَا عَوْدَةً مِنَ السَّعْدِ

فزاده عشرة أخرى (٧٨). وكانت للمتنبى منزلة خاصة عند هذا الأمير. فقد كان يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف ديناراً ثلاث قصائد ينشده إياها كل عام (٧٩) ودفعته هذه الشهرة أن ينشئ بديع الزمان مقامه سماها «المقامة الحمدانية». صور فيها جود سيف الدولة وصرمه لجلسائه والمقربين منه. (٨٠)

ومن الرجال البارزين المشهورين باكرام أرباب الفكر. صلاح الدين الأيوبي. فانه كان لا يرد قاصداً ولا يصدأً وأفداً. وقد تجمع حوله عدد كبير من الشعراء. يمدحونه. ويشهرون مناقبه. ويتغنون ببطولاته. حتى نعته أحدهم برب الملاحم (٨١).

رب الملاحم لم يؤرخ مثلها له علماء قديماً في قديم الأعصر  
من رام من كل الملوك مراة تخفق مساعيه ويكب وينغر  
وأشاد آخر بكرمه وكثرة عطائه. فقال: (٨٢)

مخضرة أكنافه لوفوده  
أرض بروض المكرمات أريضة  
صب بتشييد المآثر متعب  
ملكك سجايا القلوب محبة  
كسف تكف الحادثات وراحة  
بك. يصلاح الدين يوسف أكثب الـ  
وأقمت سوقاً للمدائح مربحاً  
والعام محمراً الذوائب أشهب  
وثرى بِنُوارِ الفضائل مُعشِب  
فيها ومن شاذ المآثر يتعب  
إن الكريم الى القلوب محب  
ترتاح للجدوى وقلب قلب  
نائي ورف المقشع المجدب  
فياليه أعلق الفضائل تجلب

إن الشعراء المذاحين يبالغون - في الغالب - في كرم الممدوح وعطائه. فيجعلون يده كالغيث أو البحر مثل قول الأبيوردي في الوزير نظام الملك الحسن بن عل (٨٣):

( ٧٨ ) يَتِمَّةُ الدَّهْرِ ١ ، ٢٢

( ٧٩ ) الصَّبحُ المنبئ عن حيشية المتنبى ص ٤٩ .

( ٨٠ ) تنظر مقامات بديع الزمان ص ١٥٨ .

( ٨١ ) ديوان فتيان الطاعوري ١٤١ .

( ٨٢ ) ديوان سبط ابن التتاولي ص ٣٤ .

( ٨٣ ) ديوان الأبيوردي ١ ، ٩٠ .

ويخجل من راحتيه الغمام إذا در نائلة الصَّيْب  
أتى في السُّمَاحَةِ مالم يدع لأهل الندى سيراً تُعجب  
وقد شدد أبو المعري نعيه على أولئك الذين يتخذون من صناعة الشعر مجالاً  
للتكسب. فقال: « ومن بغى أن يتكسب بهذا الفن . فقد أوع شراً في شئ (٧٨١)  
غير ثقة على الوديعه. بل هي منه في صاحب خديعة» (٧٨٠). ووقف في الأبيات الآتية  
ناقداً أولئك الشعراء المتكسبين . فقال: (٧٨٢)

لا خير في جزل العطاء أتى رجلاً بأن كلامه جزل  
يرجو فيمدح غير مرتقب رباً . وكلُّ مقالته إزل  
شهرت سيوف السقول طائفة كذب . وأفضل منهم الغزل

وشاع المديح النبوي في أواخر العصر العباسي ولعل سوء الحياة الاجتماعية  
وتدهور الأوضاع الاقتصادية وجثوم الخطر على البلاد من الأعداء الطامعين في الشرق  
والغرب كان وراء هذا الشيوع (٧٨٧). فان الشعراء اتجهوا الى الرسول طالبين منه  
العون على ما أصابهم مثل قول الشيخ الزاهد الضرير يحيى بن يوسف  
الضروري: (٧٨٨)

أشكو اليك وأنت تعلم فتنة كادت لها الصم الصلاب تصدع  
فمن أعزك واصطفاك فأجزل الـ نعمى عليك فحوض فضلك مترع  
سل جبر أمتك الكبيرة إنه لم يبق في قوس التجلد منزع

ومن الفنون التقليدية في هذا العصر الهجاء . إذ لم يسلم منه الملوك والأمراء  
والوزراء والقضاة والحجاب وكتاب الديوان ... ومصدره في الغالب البغض والكراهية  
والحد والمنافسة . وقد حاول الشعراء في هذا الفن تجريد المهجويين من الفضائل  
والمحامد . مثل قول أبي اسحاق إبراهيم بن عثمان الغزي في هجاء أحد ملوك  
بلاد فارس واتهامه باللوم والاحتيال والكذب والبخل: (٧٨٩)

(٧٨٤) الفن ، القرية البالية .

(٧٨٥) رسالة الففران ص ٤١١ .

(٧٨٦) اللزوميات ٢ ، ١٦٢ .

(٧٨٧) ينظر بحثنا ( المداخل النبوية في عصر العروب الصليبية ) مجلة آداب الرالدين ،  
العدد ١٩٨١ سنة ١٩٨١

(٧٨٨) لوات الوليات ٤ ، ٢٠٤ .

(٧٨٩) ديوان الغزي ص ٢٦ نقلاً عن الحياة الأدبية في القام ص ١٠١ .

رَأَيْتُ لَوْماً مُضَوَّراً رَجُلًا      مُهَجَّتُهُ الْاِحْتِيَالُ وَالْكَذِبُ  
 عَلَى سُرِيرٍ كَالنَّعَاشِ . لَارْهَبُ      يَعْلُوهُ مِنْ هَيْبَةٍ وَلَا رَغْبُ  
 وَهُوَ عَبُوسٌ كَالْفَهْدِ مَجْتَمِعٌ      يَكَاذُ مِنْ قَبْحِ خَلْقِهِ يَثْبُ  
 إِنْ لَمْ تَكُنْ هَمَّةٌ فَإِنَّ لَهُ      هَمَّهُمَّةٌ فِي خِلَالِهَا صَخْبُ  
 يَفْرُخُ مَا صَامَ ضَيْفُهُ وَبَشَ      مَ الْخَبِزِ . قَبْلَ الدُّوقِ . يَكْتُسُ  
 يَلْتَهَبُ الْقَلْبُ مِنْهُ بِالْجُوعِ وَالْ      يَاقُوتُ فِي التَّاجِ مِنْهُ يَلْتَهَبُ

وثمة شعراء أوغلوا في أهاجيهم في الفحش والقذف ورخيص القول وبذي  
 الكلام . ومن أكثرهم شراً وأقذرهم لساناً وأشدهم على الناس جرأة على بن محمد بن  
 نصر بن منصور بن بسام . قال المسعودي : « كان شاعراً لساناً ، مطبوعاً في الهجاء ،  
 ولم يسلم منه وزير ولا أمير ، ولا صغير ولا كبير ، وله هجاء في أبيه واخوته وسائر  
 أهل بيته . فمما قاله في أبيه :

بَنَى أَبُو جَعْفَرٍ دَاراً فَشِيدَهَا      وَمَثَلَهُ لَخِيَارِ الدُّورِ بِنَاءُ  
 فَالْجُوعُ دَاخِلُهَا . وَالذَّلُّ خَارِجُهَا      وَفِي جَوَانِبِهَا بؤْسٌ وَضُرَاءُ  
 مَا يَنْفَعُ الدَّارَ تَشْيِيدُ حَائِطُهَا      وَلَيْسَ دَاخِلُهَا خَبِرٌ وَلَا مَاءُ » (٧٠)

ومن المشهورين بالهجاء أيضاً الشاعر أبو القاسم الحسين بن الحسين المعروف  
 بالواساني . فانه كان يخلُقُ لخصومه قصصاً مليئةً بألفاظ سخيفة ومعانٍ سوقيةً  
 مردولة وهو في نظر الثعالبي « أحد الفضلاء المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه  
 كابن الرومي في أوانه » (٧١) . وقصائده في هذا الفن طويلة جداً . وقد بلغت احداها  
 مئة وأربعة وتسعين بيتاً . وكذلك اشتهر بالهجاء المقذع المليء بالشتائم أبو عبد الله  
 محمد بن بختيار المعروف بالأبلة البغدادي (٧٢) . وشرف الدين محمد بن نصر  
 المشهور بابن عُنين . فله أهاج كثيرة في اشراف الناس وسراهم (٧٣) . ولم يتورع من  
 نظم قصيدة منحطة سافلة تقبح النفس من سماع صورها سماها « مقراض  
 الاعراض » .

وتجدر الإشارة الى أنَّ هناك شعراء كباراً لم يُعطوا للهجاء اهتماماً . فالقاريء لا  
 يجد شيئاً ذا بال في ديوان الطغرثائي والارجاني والأبيوردي وظافر الحداد والبهاء

(٧٠) مروج الذهب ٢٠١٤

(٧١) يتيمة الدهر ٢٥١١

(٧٢) ينظر ديوانه ص ٧١ - ٨١ .

(٧٣) الباب السابع في ديوانه كله هجاء ص ١٧٩ - ٢٢٨ .

زهير ... ونَزَهَ آخرون دواوينهم منه أمثال علي بن مُقَرَّب العُيُوني ، والشريف أبي الحسن علي بن الحسين العُقيلي ، وأبي بكر أحمد بن سعيد العُماني المعروف الستالي ، وأسامة بن منقذ ، وابن الدهان الموصلي ، وابن النبيه المصري ...

ولسوء الأوضاع الاقتصادية وتدهور الحياة السياسية ولاسيما في القرن الرابع للهجرة ، عاش كثير من الناس في شظف العيش ، يتجرعون مرارة البؤس والحرمان وآلام الجوع والهوان ، وقد لجأت فئة منهم - تحت وطأة الفقر - الى الاستجداء والاحتيال على ابتزاز الأموال بطريقة خاصة . يدعون أهل الكدية أو الساسانيين ، وظهر فيهم شعراء مجيدون مثل أبي الحسن عقيل بن محمد الملقب بالأخنف العكبري . ومسر بن مهلهل المعروف بأبي ذُلف الخزرجي ، كانوا يُصَوِّرون في شعرهم الحالة المزرية التي هم فيها ، وتنقلهم من بلد الى آخر مشردين . يطوي بطونهم الجوع ، هائمين بلا مسكن ، بلفة تثيرُ العطف والشفقة وتستدرُّ العون والمساعدة ، مثل قول الاخنف العكبري(٣٢) :

العنكبوتُ بَنَتْ بيتاً على وَهْنٍ تأوي اليه ومالي مثله وُطْنُ  
والخناء لها مِنْ جنسِها سَكَنٌ وليس لي مثلاً الف ولا سَكَنُ(٣٠)

ويلمسُ القاريءُ في شعرهم انتقاداً ولاسيما للفئة الحاكمة التي ملأت جيوبها بالمال والجواهر وتركت الناس في فقر مدقع مثل قول العكبري(٣١) :

تري العِقيانَ كالذهبِ المَصْفَى تُرْكَبُ فوقَ أثفارِ الدوابِ(٣٧)  
وكيسي منه خَلَوْ مثل كَفَيَ أما هذا من العَجَبِ العُجَابِ ؟ !

إن الثورة على الواقع الاجتماعي في ذلك العصر دفع عدداً من الشعراء أن ينظموا قصائد ، مظهرين فيها معاناتهم في مجابهة الحالة المأساوية التي يَمُرُّون بها من فاقة وضنك . مثل محمد بن عبد العزيز السوسي الذي دَبَّحَ قصيدة طويلة تربو على أربعمئة بيت . شرح فيها الظروف العسيرة التي يتعرض لها في ظل القهر والحرمان(٣٨) .

( ٢٩٤ ) يتيمة الدهر ٢ ، ١٢٢ .

( ٢٩٥ ) سكن ، زوجة .

( ٢٩٦ ) يتيمة الدهر ٢ ، ١٢٤ .

( ٢٩٧ ) الشعر ، السير الذي في مؤخرة السرج .

( ٢٩٨ ) يتيمة الدهر ٢ ، ٤٢٧ .

وظهر الى جوار شعر الكدية ، شعر هزلي خليع ماجن (١٩١) ، نتيجة شيوع البطالة ، وفشو الفساد الاجتماعي والتردي الخلقي في جانب من المجتمع آنذاك . فلم تتورع طائفة من الشعراء من أن تخلع قناع الحشمة والوقار وتلج باب السخف والدعارة ، متخذة هذا اللون من الشعر وسيلة للارتزاق وكسب المال ، تضحك به أهل اللهو والفراغ من الرؤساء والأغنياء . ولعل طريقة هذه الطائفة امتداد لطريقة أبي دلامة زيد بن الجون الذي عُرف بنوادره ومجونه زمن السفاح والمنصور والمهدي (٨٠٠) . وقد اشتهر بها في القرن الرابع أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج البغدادي ، ومحمد بن عبد الله المعروف بابن سكرة الهاشمي ، وفي القرن الخامس الشريف أبو يعلى محمد بن صالح المعروف بابن الهبارية ، وفي القرن السادس هبة الله بن الفضل المشهور بابن القطان .. ولم يكن هؤلاء الشعراء مُقَصِّرِينَ في الموضوعات الشعرية الأخرى . ولكنهم تهافتوا على الدعابة والفكاهة والمجون ، لأنهم وجدوا فيها نفعاً ورواجاً ، وقد صرَّح بذلك ابن الحجاج ، فقال (٨٠١) :

لو جدُّ شعري رأيتَ فيه كواكبَ الليل كيف تُشْري  
وانما هزلُـهُ مُـجـوـنٌ يمشي في المعاشِ أمري

ومن مظاهر الفساد الخلقي في طرف من المجتمع ذبوع الغزل بالغللمان ، الذي عُرف من قبل على يد أبي نواس ومن سار في ركبهِ . وقد لاحظ آدم متر هذه الظاهرة فقال : « لاشك أن الغزل الذي قيل في التوجُّع من هوى الغلمان يعادل ما قيل في هوى النساء على الأقل (٨٠٢) » . ونحن لانستبعد ماذهب اليه أحد الباحثين من « أن كثيراً من الشعراء قد استعملوا ضمائر المذكر مع أنهم في الواقع كانوا يوجهون شعرهم الى معشوقات لا الى معشوقين (٨٠٣) » أو أنهم كانوا ينظمونه تظرفاً (٨٠٤) . مثل قول الشاعر صالح بن رشدين (٨٠٥) :

( ٧٩٩ ) ينظر الادب في ظل بني بويه ص ٢٤٨ - ٢٩٠ ، العصر العربي في العراق وبلاد العجم : ١٢٨ ، عصر الدول والامارات ص ٢٩٦ ، العصر العراقي في القرن السادس الهجري ص ٢٣٧ .

( ٨٠٠ ) ينظر أبو دلامة الرجل الفاجر والناقد السافر ص ٤٩ .

( ٨٠١ ) هتيمه الدهر ٢ ، ٢٢٠ .

( ٨٠٢ ) الحضارة الاسلامية ١١ ، ١٢٥ .

( ٨٠٣ ) تاريخ العصر العربي للكفراوي ٢ ، ١٣٢ .

( ٨٠٤ ) الحياة الادبية في القام ص ٩٩ .

( ٨٠٥ ) هتيمه الدهر ٢ ، ٤١٥ .



أنت أعطشتني إلى — ك وأبكيتهني دما  
 فاذا شئت أن ترى عاشقاً سيئاً ظمأ  
 فأدر فسيئ ناظري — ك تجذني توهُما

والى جانب الغزل بالذكر يجد القاريء شعراً في المونث . وقد جاء في مقطوعات وقصائد مستقلة . أو في مقدمات بعض القصائد المدحية . ومن عيون هذه المقدمات ما قاله ابن الخياط الدمشقي ( ٨٦ ) :

خذا من ضبا نجد أماناً لقلبه فقد كاذ رثاها يطير بلُبه  
 واياكما ذاك النسيم فإنه اذا هب كان الوجد أيسر خطبه  
 خليلي : لو أحببتما لعلمتما محلّ الهوى من مُغرم القلب صبه  
 تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى يتوق ومن يعلق به الحب يصبه  
 ثم يصف الحبيبة وصفاً حسياً يذكر ثناياها ورضاها وزيارتها لها ومكوته عندها بلغة رقيقة عذبة . وقد استحسّن ابن خلكان هذه القصيدة وعدّها من الغرر . ورأى أنه لو لم يكن للشاعر غيرها للكفاه ذلك ( ٨٧ )

ومن الشعراء الذين اشتهروا بالغزل الرقيق العفيف الملك الأبد مجدالدين الايوبى . اذ بلغ فيه ذروة نضجه الفني المشفوع بالذاتية والطبع السليم ( ٨٨ ) . وحسام الدين الحاجري الاربلى الذي يمثل — كما يقول الدكتور شوقي صيف — " مرحلة جديدة للغزل بالبديوات الذي قرأناه عند المتنبى والشرىف الرضى ومهيار . وكأن الحاجري استوعب غزلهم وتمثله تمثلاً نادراً ( ٨٩ ) . " مثل قوله ( ٩٠ ) :

سليمى وإن لم أقض منها مارباً أعزّ الى قلبي خليلاً وصاحباً  
 وأتق لي من بارد الماء غلّة وأغنى من الدنيا لقلبي مواهباً  
 أخاف عليها من عيوى وشاتها وأخذ عنها حين تقبل جانباً  
 ولي شغف لا يبرح الدهر قائداً زمامي اليها بالصباية جاذباً

( ٨٦ ) ديوانه ص ١٧٠ .

( ٨٧ ) وفيات الأعيان ١ : ١٤٥ .

( ٨٨ ) ينظر ديوانه بتحقيقنا ، وبحث الدكتور مصطفى جواد ( أغزل شعراء الكرد في العربية الملك الامجد ) مجله الكتاب ، العددان ٢٠١ : سنة ١٩٥٨ .

( ٨٩ ) عصر الدول والامارات ص ٢٩١ وينظر بحثنا ( حسام الدين الحاجري الاربلى . حياته وشعره ) مجلة آداب المستنصرية ، العدد ١٠ سنة ١٩٨٤ .

( ٩٠ ) ديوانه ص ١٤٨ .

أعاتب سلمي بالقطيعة والجفا أعيدك أن تهدي إليها المعاتباً  
واقسم لو أن المنايا بكفها كؤوس فأسقاها لطابت مشارباً  
أجل نظراً في وجهها تر بهجة تنسي قلوب العاشقين الحبايباً  
أطلب من سلمي بديلاً وأبتغي نلواً ألا لانت قصدي طالباً

إن شاعرية الحاجري في الغزل فياضة . ترفدها عاطفة صادقة . وخيال خصب .  
وميدان هذا الغزل في الجزء الأكبر من شعره الديار الحجازية . فنراه يذكر - على  
طريقة الشريف الرضي في حجازياته . وأبي المظفر الأبيوردي في نجدياته -  
ملاعب عالج . ورمال كاظمة . والغذيب . وحاجر . ومراع رضوى والعقيق .  
وفاتنته التي تسكن هذه المواقع أنقع من الماء القراح . وأطيب من كل لذة ومراح  
وحبه لها دائم بلا انقطاع . ووثيق بلا انفصام مهما كلفه ذلك من أذى ويح  
وسقام . لأنه ألفها كما يالف الوليد الرضاع . ويمن إليها حنين النياق إلى مراع  
حبها : ( ٨١١ )

ألفتك إلف الوليد الرضاع وقد يالفن الرضيع الفطام  
أبكبك مابكت الثالكات وهيها يبرد مني الأوام  
وأحنو إليك حنين النياق لهن بأكتاف نجد غرام

وشاع في هذا العصر لون من الشعر يُعبر عن صور المودة والمحبة والعملة المتينة  
بين الخلان والأصحاب . ينظمه الشعراء في المناسبات المفرحة والمحنة . وتغلب  
عليه المقطعات . ومثال ذلك ماكتبه أبو فراس الحمداني إلى أخيه أبي الهجاء حرب  
بن سعيد : ( ٨١٢ )

حللت من المجد أعلى مكان وبلغك الله أقصى الأمان  
فأنتك . لاعدمك الغلى . أخ لا كاخوة هذا الزمان  
صفاؤك في البعد مثل الدنو وودك في القلب مثل اللان  
كسونا أخوتنا بالصفاء كما كسيت بالكلام المعاني

واتسع نطاق شعر الشكوى الذي عبر فيه الشعراء عن مشكلاتهم الخاصة . ولاسيما  
قوة الحياة ومشقتها . ومعاناة الضنك وسوء الحالة الاقتصادية . وكان كثير منهم  
يلقي اللوم على الزمان ويسب جفقه على الدهر . مثل قول ابن نباتة السعدي ( ٨١٣ )

( ٨١١ ) ديوانه ص ٣٣١ .

( ٨١٢ ) ديوانه ص ٢٩٧ .

( ٨١٣ ) ديوانه ٢ ، ٧٥ .

هي الخرقاء تنقُضُ بعد نسج  
يؤولُ به الشبابُ الى مشيب  
وقد فُتِنَ الأنامُ بها وغرَّوا  
وتأخذ من جوانبنا الليالي  
أما في أهلها رجلٌ لبيبٌ  
أرى التشميرَ فيها كالتواني  
فما فيها لحي من فلاح  
ويسلمهُ الغدوُ الى الرواح  
كما يُفترُّ بالحدقِ الملاح  
كما أخذ الماء من الصباح  
يحسُّ فيشتكي ألم الجراح ؟  
وحرمان العطية كالنجاح

ومن لبس التراب كمن علاه  
وكيف يكذُ مهجته حريص  
فلا تفرزك انفس الرياح  
يرى الارزاق في ضرب القداح

وكذلك راج شعر الحنين الى الوطن الذي تتضح فيه العاطفة وتتجلى فيه لوعة  
الفراق . فراق الوطن والاهل والاحباب . ونجد مثل هذا الغرض عند المتفرجين من  
الشعراء مثل الامام الزمخشري الذي يحنُّ الى مسقط رأسه زمخشر . حينما كان  
بعيداً عنها في مكة مجاوراً بيت الله الحرام ( ٨١١ ) .

أفضت اليك شكاة الواجد الكمد  
حبُ الدنو من البيت الحرام رمى  
فأشك يارب صنع الواحد الصمد  
بالجمر فيها وحب البعد عن بلدي  
همن ان تكفني يارب خطبهما  
شكرتُ مادام تجري الروح في جسدي

وهام ابن سنان الخفاجي بحب الشام . وحنُّ الى موطنه حلب بعد ان طوحت  
به الغربة بعيداً عن اهله واخوانه . فقال في مستهل قصيدة ( ٨١٥ ) :

فؤاد يهيم بذكر الوطن ودمعُ بعيد رسوم الدمن  
دليل كما علم الساهرون أسير الصباح عصي الوسن

وللشاعر ابي اسحاق الغزي شعر كثير في الحنين الى الوطن . وذلك امر طبيعي  
نظراً لطول المدة التي قضاها في بلاد العجم . مثل قوله في قصيدة يذكر أيام صباه في  
غزة . مسقط هامته . ومقام هواه . ومغنى اقاربه ( ٨١٦ )

مقامُ هوى قلبي ومسقط هامتي ومعنى صباياتي ومغنى اقاربي  
ذكرت بذاك الربع عيشاً طويته على غرة والعيش كسوة سالب

( ٨١٤ ) الادب العربي في القليم خوارزم ص ١٢٢ نقلا عن ديوان الزمخشري ، ورقة ٢٦ .

( ٨١٥ ) ديوان ابن سنان ص ١١٢ .

( ٨١٦ ) الحياة الادبية في الشام ص ١٥٥ نقلا عن ديوان الغزي ص ٢٠ .

ومن الاغراض الشعرية الواسعة في هذا العصر الرثاء . ويلاحظ ان المعاني فيه لاتكاد تخرج عما درج عليه الشعراء السابقون من ذكر مآثر الفقيده وما خلف من حزن وأسى في القلوب . ويُعدُّ ابو الحسن التهامي من الشعراء المتميزين في الرثاء . فله اربع مرثيات في ابنه ابي الفضل تفيض بالصدق المزج بالالام الشديد . ولعل اكثرها شهرة قصيدته التي استهلها بقوله (٨١٧) :

حكَمُ النِيَّةِ في البريَّةِ جاري      ماهذه الدنيا بدار قرار  
طُبِعَتْ على كدرٍ وأنت تريدها      صفواً من الاقضاء والاكدار  
ومكَلَّفَ الايام ضدَّ طباعِها      متسطلِّبٌ في الماء جذوة نار  
والعيشُ نومٌ والنسيئةُ يقظةٌ      والمرءُ بينهما خيالٌ ساري  
فاقضوا ما ربكم عجالاً انما      أعمازكم سفرٌ من الأسفار  
ليس الزمانُ وإنْ خرَّضتْ مسالماً      خُلِقَ الزمانُ عداوةً الاحرار

وقد نالت هذه القصيدة استحسان ابي العلاء المعري . وكان يستنشدُها من يرد عليه . وقد استنشدُها التهامي نفسه دون ان يعرفه . فلما انشدُها عرف انه التهامي . وشهد له بانه اشعر الشام . ولعل معرفته بالتهامي بقوله : « سمعت منه القصيدة سماعاً يدل على ان صاحبها بخلاف سماعي اياها من غيره (٨١٨) » . ورأها ابن خلكان في غاية الحسن (٢١٩) .

ومن الملاحظ في هذا العصر رثاء العلماء والادباء والبكاء عليهم بقصائد تصور خسارة الامة فيهم وخلو ساحة المعرفة منهم . ومن اوضح الامثلة على ذلك ما قاله ابن ابي خصينة في رثاء ابي العلاء المعري (٨٢٠) :

العلم بعد ابي العلاء مُضَيَّعٌ      والارض خالية الجوانب بلقُع  
أودى وقد ملأ البلاد غرائبها      تسري كما تسري النجوم الطلُع  
وعجبت ان تسع المعرة قبره      ويضيق بطن الارض عنه الاوسع  
تنصرم الدنيا ويأتي بعده      أممٌ وانت بمثله لاتسمع

( ٨١٧ ) ديوانه ص ٤٧ .

( ٨١٨ ) اوج التحري ص ١٢٧ .

( ٨١٩ ) وفيات الاعيان ٢ ، ٣٧٩ .

( ٨٢٠ ) ديوان ابن ابي خصينة ١ ، ٣٧٢ .

وكان لراثاء ابطال الحروب الصليبية وتمجيد مآثرهم نصيب وافر من الشعر . ولا سيما في رثاء عماد الدين زنكي . ونور الدين محمود . صلاح الدين يوسف بن ايوب ( ٨٨١ ) . ولعل قصيدة العماد الاصبهاني التي بلغت مئتين واثنين وثلاثين بيتاً في رثاء صلاح الدين من اطول القصائد التي نظمت آنذاك . ومطلعها :

شمل الهدى والملوك عم شتاته      والدهر ساء وأقلعت حسناته

انها قصيدة جيدة في نوعها . فهي تحكي - في معرض الحزن والاسى - قصة بطل عاش حياته كلها في نضال وكفاح من أجل احقاق الحق وازهاق الباطل . ودفع الاذى عن الامنين ورفع الحيف عن المظلومين .

بعد هذه الالمامة الموجزة في فنون الشعر نقف عند الشعر القومي . ووصف الطبيعة . وشعر التصوف . وقفة طويلة كما هو منصوص عليه في مفردات خطة الكتاب .

### الشعر القومي :

وقعت الدولة العباسية بعد العز والرفعة والاباء والشم تحت نير الحكم البويهي ثم السلجوقي . واستولى الاعاجم على مقاليد السلطة . واصبح بايديهم الحل والشد . ودب الطمع بين بعض رجال العصر آنذاك . فأقططعوا لانفسهم اجزاء من جسم هذه الدولة واقاموا عليها امارات مستقلة . وتضافرت ثورات شعبية حاكمة على تقويض السلطان العربي الاسلامي . وقد هزت هذه الاحداث المريعة مشاعر الشعراء الشرفاء ودفعتهم الى نظم الشعر المعبر عن الالم الذي اصابهم من جراء ذلك .

ان بواد الشعر المعبر عن الوعي القومي ظهر في قصائد الشاعرين الطائيين ابى تمام وابى عبادة البحرى : اذ نجد في شعر الاول اسماء عدد من القادة العرب الذين سطروا اروع ملاحم البطولة والشجاعة والشهامة والفروسية . امثال الخليفة المعتمد بالله الذي لبي نداء المرأة العربية التي صرخت « وامعتصاه » . وابى ذلف العجلي ومحمد بن حميد الطائي اللذين حاربا بابك الخرمي . وابى سعيد محمد بن يوسف الثعري القائد المظفر الذي بلغ اسوار القسطنطينية . وخالد بن يزيد البطل الشهم الذي قاتل الروم ببسالة . وكذلك تتجلى في شعر البحرى الروح العربية الاصلية والدفاع عنها وعن قيمتها ومبادئها ورجالها . ونجد مثل هذا في شعر ابن

المعتز . ولا سيما ما قاله في الخليفة المعتضد . إذ « وجد فيه الشخصية المحببة اليه بما انطوى عليه من شجاعة فذة وحنكة سياسية نادرة وكسر لشوكات كثير من الثائرين والخارجين ( ٨٢٢ ) .

ان التجزئة التي اصابته الامة آنذاك . وضياح وحدتها . وتشتت شملها . وذهاب هيبتها . اثار حفيظة الشعراء الغيورين . وكان ابو الطيب المتنبي من ابرز هؤلاء الشعراء . اذ نراه يتغنى بالمجد العربي . ويتوق ان يرى العرب سادة بلادهم . وحاكمي ديارهم . وقد انشد شعرة الذي يُعبر عن هذا الاحساس من خلال شخصية سيف الدولة الحمداني الذي « رآى فيه رمز دولة العرب المفقودة ... والدرع الذي يحمي البلاد العربية ضد دولة الروم الشرقية ... ومداخحه له تُغذ في الذروة لا من شعره وحده . بل من الشعر العربي عامة . فقد صُوِّرَ فيها وقائعة وحروبه تصويراً تشيع فيه البهجة والاعتزاز بالعرب والعروبة ( ٨٢٣ ) » . مثل قوله ( ٨٢٤ )

رفعت بك العرب العماذ وصيرت قنم الملوك مواقد النيران  
أناب فخرهم اليك وانما أنساب اصلهم الى عدنان  
وقوله ( ٨٢٥ ) :

اذا العرب العرباء رازت نفوسها فأنت فتاها والمليك الحلال  
أطاعتك في أرواحها وتصرفت بأمرك والتفت عليك القبائل

وكان المتنبي يرى ان امته لن يستقيم امرها وتستعيد مجدها التليد وايام عزها وفخارها المجيد مادام حكامها من غير اهلها ( ٨٢٧ ) :

وانما الناس بالملوك وما تفلح عزب ملوكها عجم

ومن الشعراء الذين نلمس في شعرهم الغيرة على قومهم ابن نباتة السعدي . اذ نراه يتألم من سيطرة الاعاجم ولا سيما في قصيدته التي يقول في مطلعها ( ٨٢٨ ) :

( ٨٢٢ ) شعر ابن المعتز ، القسم الثاني ، ص ١٦٤

( ٨٢٣ ) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٢٠٦

( ٨٢٤ ) شرح ديوان المتنبي ٢ ، ٤٢٢

( ٨٢٥ ) شرح ديوان المتنبي ٢ ، ٩٥

( ٨٢٦ ) العرب العرباء ، القديسة العالصة ، رازت ، اختبرت وجربت . الحلال ، السيد .

( ٨٢٧ ) شرح ديوان المتنبي ٢ ، ٣٢٠

( ٨٢٨ ) ديوانه ١ ، ٢٥٥ .

أعذر قومي والرماح تسلوُم وذلك خطب في الزمان عظيم

واشتهر في هذا الميدان ايضا الامير ابو الفتيان محمد بن سلطان المشهور بابن  
حيوس . فها هو ذا ينتظر اليوم الذي تتخلص فيه الديار من الدخلاء . فيقول ( ٨٢٩ ) :

يوم لعمرك لم تزل أخبازة مسموعة من منجد او متهم  
عزت به غرب البلاد كغزها بالقادسية يوم مقتل زئيم ( ٨٣٠ )

وكان الشاعر الامير شهاب الدين ابو الفوارس سعد بن محمد المعروف بحيص  
بيص يمتلك حيا قوميا صادقا . فهو في كثير من شعره يحرض قومه ويستنهضهم  
للذود عن الحمى . ويدعوهم الى التكاتف والتعاقد لمحاربة الخصوم والتخلص منهم  
مثل قوله مخاطبا اهله بني دارم :

بني دارم ان لم تغيروا فبدلوا عمائمكم يوم الكريهة بالخمر  
فان القرى والمدن حيزت لأعبد ولا سلمت أفحوصة لفتى خرا ( ٨٣١ )  
ربطتم بأطناب البيوت جياذكم وخيل العدا في كل ملحمة تجري  
إذا ماشبتم نار حرب وقودها صدور المواضي البيض والاسل السم  
ضمنت لكم ان ترجعوها حميدة تواجف غب الروع بالنعم الحمر ( ٨٣٢ )

ودافع ابو المظفر محمد بن احمد الابيوردي الاموي عن قومه واراد لهم العز  
والرفعة . والظفر والمنعة . فقال ( ٨٣٣ ) :

سأطلب العز ولو رفرفت على حواشيه عوالي الرماح  
بضربة رغاء او طمعنة تخاوصت منها عيون الجراح  
ويصرح في ابيات اخرى بانه يدافع عن احباب قومه بشعره ( ٨٣٤ ) :

ادافع عن احبابكم بقصائد غدا المجذ في اثنائها يتصرف  
ولم اخترعها رغبة في نوالكم وان كان مشمولا به المتضيف  
ولكن غريق في من عربية يذل لنا ذو السؤدد المتغطف

( ٨٢٩ ) ديوانه ١ ، ٢ ، ٥٧٤ .

( ٨٣٠ ) ديوانه ١ ، ١٦١ .

( ٨٣١ ) حيزت ، من الحيازة ، ضمت . الافحوصة ، مجثم القطة . واراد هنا الموضع

( ٨٣٢ ) تواجف ، اي تسير الوجيف ، وهو ضرب من السير السريع ، غب الروع ، بعد الحرب

المفزعة ، النعم ، الابل

( ٨٣٣ ) ديوان الابيوردي ١ ، ٤٦٥

( ٨٣٤ ) نفسه ١ ، ٤٣٥

وبلغ الـايـوردي القـمة في الشعر القومي في قصيدته التي نظمها اثر المذبحة التي اقترفها الافرنج في القدس سنة ٤٩٣ للهجرة . ومطلعها (٨٣٥) :

مزجنا دماءً بالدموع السَّوَاجِم فلم يبقَ منا غرضةٌ للمراجِم  
اطلق الشاعر صيحته المدوية من اعماق قلبه المكتوي بنار الحزن والاسى على ما حلَّ بالقدس الشريف . وما اصاب مَنْ سَكَن في حماها . ونراه يشحذ العزائم . ويستنهض الهمم . ويشير الحفايظ . ويحذر الناس من وقائع ادهى واعظم . ومصائب انكى واجسم . انْ هم استكانوا الى الدعة والراحة . وجنحوا الى السلم . وخلدوا الى السكينة . واستظلوا بظل العيش الرغيد . دون الالتفات الى هبوات الغرب :

فأينها بني الاسلام . انْ وراءكم وقائع يُلحِقن الدُّرَا بالمناسِم (٨٣٦)  
أتهويمه في ظلِّ أَمْرٍ وغبطة وعيش كنوَار الخميَلَةِ ناعم (٨٣٧)  
وكيف تنام العينُ ملء جفونها على هبواتٍ أيقظتْ كُلَّ نائم

وكشف الشاعر صورة دامية . مؤثرة ومشيرة . لجلب انتباه الناس الى الخطر الذي ينتظرهم . والبلاء الذي سيدهمهم . والمذلة التي ستنتابهم . انْ هم لم يهبوا بعددهم وعددهم الى انقاذ القدس من الفئة الباغية . ولات ساعة مندم :

وتلك حروب مَنْ يغب عن غمارها ليسلم . يقرع بعدها سنٌ نادم

استنفار الى الجهاد . وتحريض على اقتحام غمار هذه الحروب الاجماعية . وعدم التخلف عنها طلباً للسلامة : لانْ الحرب الاجماعية تقاوم بمثلها . والاغليت الامة . ونزل البلاء في كُلِّ من نكص عن القتال .

ويطيل الشاعر من حديث الظلم . والتهيب من الظالم . والميل الى السكون . ومعبة ذلك . ويكرر دعوته الى القيام بغارة شعواء . تعاضدها العزيمة والثبات . ويساندها الايمان بالحق . وتوازرها الكرامة والعزة . غارة تعطى الاعداء درساً . وتجعلهم يعطون على اصابعهم ندماً . ويقولون ليتنا لم نأت الى هذه الديار . ولم نفعل تلك الافعال التي تأبأها الانسانية :

(٨٣٥) نفسه ٢ ، ١٥٦

(٨٣٦) ايها ، لفة في هيبات بمعنى بعد . الذرا ، المرتفعات . المناسِم ، جمع منسم وهو خف البعير .

(٨٣٧) التهوية ، هز الراس من النعاس . الفبطة ، المسرة بالنمعة وحسن الحال . النوار ، زهرة الفجر .



دعوناكم ، والحربُ ترنو ملحّةً      الينا بألحاظِ النُسورِ القشاعمِ  
تراقبُ فينا غارةً عربيةً      تُطيلُ عليها الرومُ عَضَّ الأباهمِ

وتألم ابن الخياط الدمشقي على ضياع القدس ، مهوى أفئدة المسلمين ، وقبلتهم  
الاولى ، ومصرى الرسول محمد بن عبدالله ، صلى الله عليه وسلم ، ونظم قصيدة تنم  
على تأثير عميق ، وانفعال شديد ، وهو - على ما يبدو - متأثر بقصيدة الابیوردي  
التي سبق ذكرها ، قال فيها ( ٨٢٨ ) ،

أنوماً على مثلِ هذِ الصفاة ؟      وهزلاً ، وقد أصبح الأمرُ جدّاً ؟  
وكيف تنامون عن أعين      وتترثم ، فأسهرتموهنَّ حِقداً ؟  
ومنها :

فكم من فتاة بهم أصبحت      تدقُّ من الخوفِ نحرًا وخذا  
وأُم عواتقٍ ما أن عَرَفَ      حَرًّا ولا دُقْنَ بالليلِ بردا ؟  
تكاذ عليهنَّ من خيفة      تذوبُ وتُلفَ خُزناً ووجداً  
فحاموا على دينكم والحريم      محاماةً من لا يرى الموتَ فقداً

إنه أنكر على المسلمين النوم الهانئ ، وشهاب الحرب يلمع ، والخصم لا يهجع .  
وصور الحالة النفسية آنذاك أصدق تصوير وأدقّه ، فالفتيات يلطنن خدودهنَّ على ما  
دهاغن ، ويضربن على صدورهنَّ من خوف ما سيدهمهنَّ ، والأمهات أصابهنَّ الذهول  
من الواقع الذي أصبح فيه ، فحرمن من راحة البال ، واطمئنان النفس ، لأنهنَّ  
يخشين على أولادهنَّ من السلب والتهك والهوان .

وحرض الشاعر في قصيدته على انتهوض والاستبسال لمواجهة الاعداء ، وقطف  
رؤوسهم ، وحصدها من الأراضي التي دقوا فيها أوتاد خيامهم ، وأقاموا عليها  
مستمراتهم .

فدونكم ظُفراً عاجلاً لكم جاعلاً سائر الأرض مهذا  
فقد أينعتْ رؤوسٌ للفرنَج      فلا تُغفلوها قطافاً وحصداً

وفي عصر الحروب الصليبية في مصر والشام برز مجموعة من الشعراء تغنوا  
بأمجادهم السابقة ، وأظهروا مكانة العرب الأوائل وقوتهم وشهامتهم وغيرتهم على  
شرفهم وأرضهم ( ٨٢٩ ) . منهم الوزير المصري طلائع بن زُرْ بك الذي حارب الصليبيين

( ٨٢٨ ) ديوان ابن الخياط الدمشقي ص ١٨٧

( ٨٢٩ ) لسانُ كذّابة كثيرة في بحثنا ( القدس في شعر القرن السادس للهجرة ) ، مجلة المورد ،  
العدد الأول ، سنة ١٩٨٢ .

وأوقع فيهم خسائر فادحة . وكان يتألم أن تكون ديار العرب بيد الغاصبين من الفرنج . مثل قوله ( ٨٠ ) .

وَالْعَرْبُ أَقْتُلْ دَاءَ يَهْلِكُونَ بِهِ      أَنْ تَمْلِكَ الْحَكَمَ فِي أَعْنَاقِهَا عَجَمٌ

### وصف الطبيعة :

الوصف من الموضوعات الشعرية الهامة التي عالجها الشعراء منذ عصر ما قبل الاسلام . وأخذ يتطور بمرور الزمن . حيث اتسع أفقه . وكثرت أشكاله وألوانه . وقد وصل في العصر العباسي الثاني مرحلة مزدهرة . شمل الإنسان والحيوان والنبات . وجميع مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية . وتناول الأدوات العلمية والكتابية . والآلات الحربية والقتالية ...

لقد حظيت الطبيعة بنصيب وافر من الشعر . اذ وصف الشعراء السحاب والمطر والأنهار والبرك والرياح والأزهار والأشجار والثمار والليل والأفلاك . والمآكل والمشارب . والدور والقصور . والفرش والأثاث وأدوات الزينة وسواها . وخير مثال للطبيعة الزاهية برياضها وأزهارها البهيمة وثمارها الشهية نجدها في قصيدة ابن وكيع التنبسي ( ٨١ ) .

أسفر عن بهجته الدهر الأغز	وابتسم الروض لنا عن الزهر
أبدى لنا فصل الربيع منظراً	بمثلته تفتن ألباب البشر
وشياً ولكن حاكّة صائفة	لا لابتذال اللبس لكن للنظر
عائنة طرف السماء فانشنى	عشقا له ييكى بأجفان المطر
فالارض في زي عروس فوقها	من أدمع القطر ينثر من دُرر
وشئ طواه في الثرى صوائه	حتى إذا مل من الطي نشر
أما ترى الورد كخذي كاعب	راودها - فامتعت منه - ذكر
كأنما الخمر عليه نفضت	صباغها أو هي منه تفتتصر
أخجله النرجس إذ جادلته	فاحمر من فزط حياء وخفر
قال له . العين وما الخد لها	موازنا في عظم قدر وخسطر
ماذا الذي يرجى لخد بهج	مستحسن صاحبه أعمى البصر ؟

( ٨٠ ) دهوان طلائع بن زهك ص ٧٦ .

( ٨١ ) ابن وكيع التنبسي شاعر الزهر والخمر ص ٧٥ .

فاحمر من حَجَّتِه إِذْ ظَهَرَتْ      وَالْحَقُّ لَا يَدْفَعُ يَوْمًا إِنْ ظَهَرَ  
وَانْظُرْ إِلَى النَّارِجِ فِي بَهْجَتِهِ      يَلُوحُ فِي أَفْنَانِ هَاتِيكَ الشَّجَرِ  
مِثْلَ دَنَائِيرِ نِضَارِ أَحْمَرٍ      أَوْ كَمَقِيصٍ خَرَطَتْ مِنْهُ أُكْرُ (٨١٢)  
وَانْظُرْ إِلَى الْمُنْشُورِ فِي مِيدَانِهِ      يَرْنُو إِلَى النَّاطِرِ مِنْ حَيْثُ نَظَرُ (٨١٣)  
كَجَوْهَرٍ مُخْتَلَفِ الْوَانَةِ      أَسْلَمَهُ سَلْكُ نِظَامٍ فَاَنْتَشَرَ

ويتربل الشاعر بعد هذه الأبيات في قصيدة طويلة وبلغت سهلة مأنونة يصف أنواعاً كثيرة من الأزهار والأثمار بالوانها البديعية ويقدمها للقارئ في ثوب مشرق بهي تطيب له النفس وينشرح له الصدر .

لم يترك الشعراء فاكهة الا وصفوها وصفاً دقيقاً وشبّوها تشبيهات لطيفة تليق بشكلها ولونها وطعمها كالنارنج والفسرجل والكمثرى والرمان والتفاح والغلب ... ومثال على ذلك أرجوزة أبي الحسين الممشوق في المشمش (٨١١) :

أَمَا تَرَى الْمَشْمَشَ يَاحِلُّ الْأَدَبِ      مُشْطَباً أَكْرَمَ بَهَاتِيكَ الشُّطَبِ  
مُثَقَّبَ الْهَامَاتِ مِنْ غَيْرِ ثَقْبٍ      كَأَنَّهَا بِنَادِقُ مِنَ الذَّهَبِ  
قَدْ صَاغَهَا صَائِغُهَا بَلَا ثَقْبٍ

واستحسن الشعراء منظر الأنهار والجداول والبحيرات وخرير المياه وانسابها . ووصفوها أحياناً مع ضوء القمر الجميل في الليالي الصافية . قال أبو منصور الثعالبي : « وقد أكثروا في وصف القمر على الماء ... وأحسن ما سمعت فيه - على كثرته - قول القاضي التنوخي :

أَحْسَنُ بَدِجَلَةٍ وَالذُّجَى مُتَصَوِّبُ      وَالبِدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مُغْرَبُ  
فَكَأَنَّهَا فِيهِ بِسَاطُ أَزْرَقٍ      وَكَأَنَّهُ فِيهَا طَرَازُ مَذْهَبِ (٨١٥)

وانبهر الشعراء بمنظر الثلج . وتفننوا في وصفه . وفي بيان جمال حباته الكروية البيضاء الشبيهة بالؤلؤ المنثور على بساط الأرض . منهم أبو بكر الصنوبري (٨١٦) :

( ٨١٢ ) النضار ، الذهب ، الأكر ، الكرات .

( ٨١٢ ) المنثور ، نبات جميل طيب الرائحة ، وله زهر مختلف ، بعضه ابيض وبعضه أصفر .

( ٨١٤ ) يتيمة الدهر ، ٢٠١ .

( ٨١٥ ) يتيمة الدهر ، ١٠٨ .

( ٨١٦ ) هذه الدكتور سيد نوفل أول من تفنن بالثلج . ينظر ، شعر الطبيعة في الأدب العربي

وكشاجم (٨١٧) . وأبو الفضل الميكالي (٨١٨) . وأبو الحسن علي بن أبي الطيب  
الباخرزي (٨١٩) . والصاحب بن عباد الذي أورد له الثعالبي عدة ثلجيات وعلق عليها  
بقوله : سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كل هذه الثلجيات عيال على قول  
الصنوبري .

ذَهَبٌ كَوَسْوَكَ يَا غَلَا م فَإِنَّهُ يَوْمٌ مُفْضًى  
وَالْجَوُّ يُجَلِي فِي السَّمَاءِ ضَوْءٌ فِي خُلْسَى الدُّرِّ يُعْرَضُ  
أُظْنَنْتَ ذَا ثَلْجًا وَذَا وَرْدًا مِنَ الْأَغْصَانِ يُنْفَضُ  
وَرْدُ الرَّبِيعِ مُسْلُونٌ وَالْوَرْدُ فِي كَانُونٍ أَيْضُ (٨٢٠)

وغني الشعراء بفصول السنة من شتاء وربيع وصيف وخريف . وعقدوا مقارنات .  
وأقاموا مفاضلات بينها . ويُعدُّ ابن وكيع التَّنِيسِي من كبار شعراء هذا اللون من  
النظم . إذ نجد له مزدوجة طويلة تجاوزت مئة بيت . تناول فيها سمات كل فصل  
ومزاياه وتأثيره على الناس بلغة ميسورة وأسلوب واضح وكأنه درس في الجغرافية  
والاجتماع . اليك ما قاله بعد أن استوفى حديثه الشيق عنها (٨٢١) :

دُونَكَ هَذَا صِفَةُ الزَّمَانِ مَشْرُوحَةٌ فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ  
فَأُصْغِ نَحْوَ شَرْحِهَا كَيْ تَسْمَعَ وَلَا تَكُنْ لِحَقِّهَا مُضْطَرِّعًا  
وَارْضْ بِتَقْلِيدِي فِيمَا قَلْتُ فَإِنِّي أَدْرِي بِمَا وَصَفْتُهُ  
وَلَا تَعَارِضْنِي فِي هَذَا الْعَمَلِ فَإِنِّي شَيْخُ الْمَلَاهِي وَالْفَزْلِ

والربيع سيد الفصول في الجمال واللهو والبهجة والحبور ؛ لذلك حظي بأوفر  
كمية من الشعر المنظوم في الوصف قال الصنوبري في تفضيله على سائر  
الفصول (٨٢٢) :

مَا الدَّهْرُ إِلَّا الرَّبِيعُ الْمُسْتَبِيرُ إِذَا أَتَى الرَّبِيعُ أَتَاكَ النَّوْرُ وَالنُّوْرُ  
الْأَرْضُ يَاقُوْتَةٌ وَالسَّمَاءُ جَوْ لَوْلُوَّةُ وَالنَّبْتُ فَيَرْوِجُ . وَالْمَاءُ بِلُورُ  
فِيهِ لَنَا الْوَرْدُ مَنْضُودٌ مُؤَزَّرٌ مَا بَيْنَ الْمَجَالِسِ . وَالْمَشْوَرُ مَنْشُورُ

(٨٤٧) ديوان كشاجم ص ٢١١

(٨٤٨) يتيمة الدهر ٤ ، ٣٧٣ .

(٨٤٩) ديوان الباخرزي ٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

(٨٥٠) يتيمة الدهر ٢ ، ٣٦٥ ، وينظر ديوانه ص ٢٥٥ .

(٨٥١) ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر ص ٧٤

(٨٥٢) ديوان الصنوبري ص ٤٢ ، وينظر ١ من غاب عنه المطرب ص ٢٨ .

هذا البنفسجُ ، هذا الياسمينُ ، وذا الدُ نسرينُ ، ذا سوسنَ في الحسنِ مشهورُ  
تظَلُّ تنشرُ فيه السُحبُ لؤلؤها فالأرضُ ضاحكةُ ، والطيرُ مسرورُ  
تبارك الله ما أحلى الربيعُ فلا تُغَرِّزُ فقايسةَ بالصُيفِ مغرورُ

وكان حظ الدور والقصور كثيراً في أوصاف الشعراء ، فلمهم فيه صور فنية رائعة ،  
وتشبيهات دقيقة بارعة ، تدلُّ على ذوق رفيع وخيال خصب ، وقد أورد الثعالبي بضعَ  
عشرة قصيدة (٨٥٣) سماها بـ « الداريات » تغنى فيها الشعراء بالدار الفخمة التي  
شيدها الصاحبُ بن عباد ، منهم أبو العباس الضبي ، وأبو سعيد الرستمي ، وأبو  
الحسن الجرجاني ، وأبو القاسم الزعفراني ، وأبو القاسم بن أبي العلاء ، وأبو محمد  
بن المنجم ، وأبو العلاء الأسدي ، وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن المعلى ، وأبو  
عيسى بن المنجم ، وأبو الحسن الغويري ... وعلق على الهواء المنعش والماء الجاري  
في ممرات هذه الدار والمناظر الجميلة التي ورد ذكرها في قصيدة أبي سعيد  
الرستمي بقوله : « وهو أحسن ما سمعتُ فيه على كثرته » ، منها الأبيات الآتية :

هواءُ كأيامِ الهوى فَرَطَ رَقَّةً وقد فقدَ العشاقُ فيها العواذلا  
وماءُ على الرضاضِ يجري كأنه صفائحُ تَبْرُدُ قد سَبَكْنَ جدولا  
كأنَّ بها من شدةِ الجري جَنَّةً فقد ألبستهنَّ الرياحُ سلاسلًا

وللآثار الشاخصة التي خلفتها الأمم البائدة نصيب في شعر الوصف ، ومن أجمل  
ماورد في ذلك قصيدة للأرجاني في وصف تماثيل منحوتة رآها في سفح جبل بالقرب  
من مدينة يقال لها قرميسين ، منها : (٨٥٤)

رأينا عجيباً - والزَّمانُ عجيبٌ -  
تماثيل في صخرٍ نحيبتُ كأنها  
يرينك من تحت الحوادثِ أوجهاً  
وقاموا على الأقدام لا يعترِبهم  
عليهم ثياب لسنٍ مجتَابٍ لابسٍ  
تعجبُ منها كيف جرَّ لمثلها  
وقد شخصتُ للناظرين بوادياً  
كما تصفُ الاعضاء يوماً غلائلُ

رجالاً ، ولكن مالهنَّ قلوبُ  
بنو زمنٍ لم يلف فيه أريبُ  
بها من تصاريِفِ الزمانِ شحوبُ  
مدى الدهر من طول القيام لغوبُ  
ولكن من الصخر النحيبِ مجوبُ  
ذبول لهم أم كيف زُرَّ جيوبُ  
صدورُ لهم من تحتها وجوبُ  
إذا كان فيها للرياح هبوبُ

( ٨٥٣ ) هجعة الدهر ١ : ٢٠٧ - ٢١٨ .

( ٨٥٤ ) ديوان الأرجاني ١ : ١٢٠ .

لم يترك الشعراء شيئاً وقع بصرهم عليه الا وصفوه وتعاطفوا معه وشاركوه بمشاعرهم واحاسيسهم ، مثل الشمعة التي تناولوها بشعر رقيق ينم على صدق في التعبير ، كما نرى ذلك عند السري الرفاء ، والصنوبري وأبي العلاء المعري ، والطغرائي ، والارجاني والحسن بن أسد الفارقي الذي قال فيها : ( ٨٥٥ )

ونديمي لي في الظلام وحيدة مثلي مجاهدة كمثلي جهادي  
فاللون لوني والدموع كأدمعي والقلب قلبي والسهاد سهادي  
لا فرق فيما بيننا لو لم يكن لهبي خفياً وهو منها بادي

لم يكتف الشعراء بوصف الطبيعة الساكنة بمظاهرها المختلفة ، بل التفتوا الى الطبيعة الحية ايضاً ووصفوا ماوقع بصرهم عليه من حيوانات وطيور وحشرات مثل الحصان ، والناقة ، والكلب ، والذئب ، والأسد ، والفهد ، والفيل ، والهر ، والسمك ، والديك ، والبغاء ، والصقر ، والنمل ، والنحل ، والبعوض ، والبرغوث .... ولعل أطرف ما نلاحظه في هذا اللون من الوصف « الفيليات » ، وهي قصائد اتفقت في الوزن وهو « مجزوء الكامل » والقافية وهي « الدال » ، تضافر مجموعة من الشعراء على نظمها ، ( ٨٥٦ ) منها قصيدة ابي الحسن الجوهري التي تناولت الفيل ووصفت جميع أعضاء جسمه وصفاً ظريفاً منها الآيات الآتية :

يزهى بخرطوم كمثـ	لِ الصَّوْلَجَانِ يَرُدُّ رَدًّا
مُتَمَرِّدٌ كالأَفْعَا	ن تَمُدُّهُ الرُّمَسَاءُ مَدًّا
أَوْ كُمِّ رَاقِصَةٍ تُشَيِّ	رُ إِلَى السُّنْدَمَانِ وَجَدًّا
وكَأَنَّهُ بوقٌ تُحَرِّ	كُهُ لَتَنْفِخَ فِيهِ جَدًّا
أُذْنَاهُ مَرُوحَتَانِ أَسـ	بُنْدَتَا إِلَى الْفَوْدَيْنِ عَقْدًّا
عَيْنَاهُ غَائِرَتَانِ ضَيُّـ	قَتَا لَجَمْعِ الضَّوءِ عَمْدًّا

### الشعر الصوفي :

نما التصوف وتطوّر بعد أن غرس مبادئه أئمة كبار ، مثل ذي النون المصري ( ت ٢٤٥ ) الذي فسّر اشارات المتصوفة وتحدث عن احوالهم ومقاماتهم ، وقد عدّه ابن تغري بردي رأس الطريقة الصوفية بمصر ، ( ٨٥٧ ) وهو القائل : ( ٨٥٨ )

( ٨٥٤ ) ديوان الارجاني ١٠١ : ١٢٠

( ٨٥٥ ) الحسن بن أسد الفارقي ، حياته والصبابة من شعره ص ٨١ .

( ٨٥٦ ) يتيمة الدهر ص ٢٢٢ - ٢٢٩ .

( ٨٥٧ ) النجوم الزاهرة ٢ : ٢٢٠ .

( ٨٥٨ ) حلية الاولياء ٩ : ٢٤٩ .

حُبّ المحبين في الدنيا بآن لهم مع ربهم سبباً يندني الى سبب  
 قوم جوسمهم في الأرض سارية نعم . وأرواحهم تختال في الحُب  
 لهفي على خلوة منه تسدني اذا تضرعت بالاشفاق والرغب  
 يارب يارب أنت الله معتمدي متى أراك جهاراً غير محتجب

ان سبيل الرؤيا عند ذي النون هو الخلوة والذكر الممتزج بالحُب . ورؤية الله  
 تتم بالقلب عن طريق الحُب . والرؤيا القلبية هذه لاتتعدى القرب من الله والانس  
 به ؛ لأنه تعالى عن ان يحيط به شيء او أن يحذ بأمد او مقدار . وان تراه عين او  
 يبلغه وهم . لانه تعالى عن الاشياء . ( ٨٠٩ )

ومن رواد المتصوفة في العراق الحارث بن أسد المحاسبي ( ت ٢٤٣ ) . ويعد  
 كتابه « الرعاية لحقوق الله » و « التوهم » من أهم الكتب التي تناولت الاخلاق  
 وتطهير النفس . ( ٨١٠ ) ويأتي بعد المحاسبي السري السقطي ( ن ٢٥١ ) شيخ المتصوفة  
 في بغداد وامامهم في وقته . وقد عرف بالمبالغة في رياضة النفس ومجاهدتها . وهو  
 القائل : « مَنْ خاف الله خافه كل شيء » . ( ٨١١ ) . وسئل : كيف أنت ؟ فأنشأ  
 يقول : ( ٨١٢ )

من لم يبت والحُب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الاكباد  
 واشتهر من المتصوفة يحيى بن معاذ الرازي ( ت ٢٥٨ ) وهو اول من حاض  
 الناس في التصوف . ( ٨١٣ ) ومن أقواله : « مَنْ أشخص بقلبه الى الله انفتحت ينابيع  
 الحكمة من قلبه وجرت على لسانه » ( ٨١٤ ) . وقال في الحب : ( ٨١٥ )

نفس المحب الى الحبيب تطلّع وفؤاده من حبه يتقطع  
 عز الحبيب اذا خلا في ليله بحبيبه يشكو اليه ويضرغ  
 ويقوم في المحراب يشكو بثه والقلب منه الى المحبة ينزع

( ٨٥٩ ) حلية الاولياء ، ٢٨٨ ، وينظر ، الشعر الصوفي ص ٦٦  
 ( ٨٦٠ ) طبع الأول بتحقيق عبدالحليم محمود ، وطه عبدالباقى سرور ، نشرته دار الكتب  
 الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد . وحقق الثاني آرثر اربري وطبع في القاهرة  
 سنة ١٩٣٧ .

( ٨٦١ ) طبقات الصوفية ص ٢٣

( ٨٦٢ ) حلية الاولياء ١ ، ١١٩

( ٨٦٣ ) في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٢٠

( ٨٦٤ ) حلية الاولياء ١ ، ٥٢

( ٨٦٥ ) نفسه ١ ، ٦١

وعرف أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي (ت ٢٨٩) بالتصوف. قال عنه الخطيب البغدادي : « كان أستاذ البغداديين . وأول من تكلم ببغداد في صفاء الذكر . وجمع الهممة . والمحبة . والشوق . والانس . لم يسبقه الى الكلام بهذا على رؤوس الناس ببغداد أحد » . (٨١١) وقد ظهرت البواكير الاولى للنزوع نحو الاتحاد في شعره . سئل مرة : أيفزع الحب الى شيء سوى محبوبه ؟ فقال : لا . انه بلاء دائم . وسرور منقطع . وأوجاع متصلة . لا يعرفها الا من باشرها . وأنشد

يلاقى الملقى شجوه دون غيره وكل بلاء عند لاقيه أوجع (٨١٧)

وأخذت معالم التصوف ومبادئه تتضح يوما بعد آخر . وازداد عدد المتصوفة وكثر مريدوهم . منهم : أبو الحسن لنوري ( ب ٢٩٥ ) . والجنيد البغدادي ( ت ٢٩٧ ) . وسحنون الخواص ( ت ٣٠٣ ) . وأبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج ( ت ٣٠٩ ) . وأبو علي الروذباري ( ت ٣٢٢ ) . وأبو بكر الشبلي ( ت ٣٣٤ ) ...

كان الحلاج مثالا للمتصوف المثقف الذي يرى ان درجة القداسة لا يتم احرازها الا بتجرع غصص الآلام وأن العلاقة الحقيقية بين الله والانسان هي علاقة الحب ليس غير . ومن اجل الحب خلق الله الانسان على صورته . وبناء على ذلك يمكن لهذا المخلوق ان يجد في نفسه حقيقة الصورة الالهية التي طبعها الله فيه . اذا هو نقى نفسه وطهرها . وبلغ بها أقصى درجات المعاناة من حب الله . (٨١٨) وكان يرى أن في العالم جاذبية فطرية تحرك المخلوق للمقاء الخالق . وتحرك الخالق لحب المخلوق . باعتبارها جوهر الحركة في هذا الكون . (٨١٩) وقد قتل مصلوبا بسبب آرائه التي أنكرها علماء الشريعة ولم يجيزوها ولا سيما مسألة اعتقاده في الحلول والاتحاد . (٨٢٠) . مثل قوله : (٨٢١)

أنا من أهوى . ومن أهوى أنا  
نحن . مذ كنا على عهد الهوى  
نحن روحان حللنا بدنا  
تضرب الأمثال للناس بنا  
واذا أبصرته أبصرتنا

( ٨١٦ ) تاريخ بغداد ١ ، ٢٩٢ .

( ٨١٧ ) تاريخ بغداد ١ ، ٢٩٢ .

( ٨١٨ ) الشعر الصوفي ص ٨١

( ٨١٩ ) الحلاج موضوعا ص ١٨

( ٨٢٠ ) ينظر كتابه : الطوايس ص ١٢٩ - ١٣٠ . وينظر : تاريخ متصوفة بغداد ٧٠ - ٧٩ .

( ٨٢١ ) ديوان الحلاج ص ٨٨ .



أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ قِصَّتِنَا : لو تَرَانَا لَمْ تَفْرُق بَيْنَنَا  
رُوحَهُ رُوحِي . وَرُوحِي رُوحَهُ مَنْ رَأَى رُوحِينَ حَلَّتْ بَدْنَا ؟

وكان أبو بكر الشبلي زميل العلاج وصديقه وقرينه في ميدان المجاهدة  
والرياضة والسلوك . وها هو ذا يلتقي معه في مقطوعة متنازعة بينهما . وهي : ( ٨٧٢ )

يا مَوْضِعَ النَّاظِرِ مِنْ نَاطِرِي      ويا مَكَانَ السَّائِلِ مِنْ خَاطِرِي  
يا جَمْلَةَ الْكَلِّ الَّتِي كَلَّهَا      أَحَبُّ مِنْ بَعْضِي وَمِنْ سَائِرِي  
تَرَاكَ تَرْتَبِي لِلَّذِي قَلْبُهُ      مَعْلُوقٌ فِي مَخْلَبِي طَائِرٍ ؟  
مَوْلَهُ حَيْرَانٌ مُسْتَوْحِشٌ      يَنْهَرِبُ مِنْ قَفْرِ إِلَى قَفْرِ  
يسري وما يدري وأرارة      تسري كَلِمَحِ الْبَارِقِ النَّائِرِ  
كسيرة الوهم لمن وهمة      على دَقِيقِ الْغَامِضِ السَّافِرِ  
في لَجٍّ بِحَرِّ الْفِكْرِ تَجْرِي بِهِ      لَطَائِفُ مِنْ قُدْرَةِ الْقَادِرِ

ان تشدد رجال الدين لم يقصر على الحركة الصوفية . بل بقيت رائجة عند  
طائفة من الناس . وظهرت كتب كثيرة في عقائدهم وافكارهم واخبارهم . مثل كتاب  
« اللع » للمسراج الطوسي ( ت ٣٧٨ ) . وكتاب « التعرف لمذهب اهل التصوف »  
للكلاباذي ( ت ٣٨٠ ) . وكتاب « قوت القلوب » لأبي طالب المكي ( ت ٣٨٦ ) .  
وكتاب « حلية الاولياء » لابي نعيم الاصبهاني ( ت ٤٣٠ ) ...

ان عاطفة الحب ولواعج الشوق والهيام بارزة بشكل واضح في أغلب الشعر  
الصوفي . وكانت المرأة عند المتصوفة رمزاً موحياً دالاً على الحب الالهي . ذلك الحب  
الذي انكره علماء الشريعة . لأنه في رأيهم يقتضي تشبيه الله بخلقه . وقد اشتهر به  
الكثيرون امثال ابي الحسن النوري . وأبي منصور الحلاج . وابي العباس احمد بن  
سهل بن عطاء ( ت ٣٠٩ ) . وابي علي الروذباري . واحمد بن محمد بن موسى  
المشهور بابن العريف ( ت ٥٣٧ ) . وابي علي التلمساني ( ت ٥٩٤ ) . وشهاب  
الدين يحيى بن حبش السهروردي الملقب بالشيخ المقتول ( ت ٥٨٧ ) . وقد عبر هذا  
الاخير بشعر حافل بالتلويحات والرموز الغزلية عن نظرية « الاشراق » التي تذهب  
الى « ان الله نور الأنوار . ومصدر جميع الكائنات . فمن نوره خرجت أنوار أخرى

هي عماد العالم المادي والروحي . والعقول المفارقة ليست إلا وحدات من هذه الأنوار . تحرك الأفلاك وتشرف عليها » . ( ٨٧٢ ) ولعل قصيدته الحائية التي تداولها الصوفيون في أروقتهم من أجمل شعره الذي عبر به عن شوقه وحنينه وحالات وجدّه وهوّاجس نفسه . منها قوله : ( ٨٧٤ )

أبدأ تحنُّ اليكم الأرواح      ووصالكم ربحانها والراح  
وقلوب أهلٍ وداذكُم تشتاقكُم      وإلى لذيق لِقائِكُم ترتاح  
وارحمنا للعاشقين تكلّفوا      ستر المحبة . والهوى فضّاح  
بالرُّ ان باحوا تبّاح دماؤهم      وكذا دماء العاشقين تبّاح  
وإذا هم كتموا تحدث عنهم      عند الوشاة المدمع الحاج ( ٨٧٥ )  
وبدت شواهد للسقام عليهم      فيها لمشكل أمرهم ايضاح  
خفّض الجناح لكم . وليس عليكم      للصبّ في خفض الجناح جناح ( ٨٧٦ )  
فالى لقاءكم نفسه مشتاقّة      وإلى رضاكم طرفه طماخ ( ٨٧٧ )  
عودوا بنور الوصل في غسق الجفا      فالهجر ليل والوصال صباح

وقد تطوّز شعر الحب الالهي وبلغ الذروة في النضوج والازدهار في مطلع القرن السابع للهجرة . وزعيمه في الأدب العربي أبو حفص عمر بن الفارض ( ت ٦٣٢ ) الذي سندرس شعره بالتفصيل في ترجمته . وكذلك اشتهر محيي الدين بن عربي ( ت ٦٣٨ ) بالشعر المليء بشوق المتصوفة وحنينهم وگرامهم ووجدهم . مثل قوله : ( ٨٧٨ )

سلامٌ على سلمى ومن حلّ بالجمى      وحقّ لمثلي . رقةً أن يسلماً  
وماذا عليهما ان تردّ تحيةً      علينا . ولكن لا احتكام على الدمى  
سروا وظلام الليل أرخى سدوله      فقلت لها صباً غريباً مميّناً  
احاطت به الاشواق صوناً وأرصدت      له راشقات النبل أياً يما

( ٨٧٢ ) هياكل النور ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ .

( ٨٧٤ ) معجم الادباء ٧ ، ٢٨٠ .

( ٨٧٥ ) في رواية اخرى ، السفاخ

( ٨٧٦ ) الجناح ، بضم الجيم ، الاثم

( ٨٧٧ ) في رواية اخرى ، مرتاحة بدلاً من مشتاقّة

( ٨٧٨ ) ترجمان الاشواق ص ٢٥ .

فأبدت ، ثناياها . وأومضَ بَارِقُ فلم أدر من شقَّ الحنادسَ منهما  
وقالت : أما يكفيه أنبي بقلبه يشاهدني في كلِّ وقتٍ أما أما ؟

لقد عبر المتصوفة عن مواجههم واحوالهم بشعر يفيض بالفاظ المحبين  
وتعابيرهم . وقد أشار محيي الدين بن عربي الى هذا الامر . فقال في مقدمة كتابه  
ترجمان الاشواق : « لما نزلت مكة سنة خمس مئة وثمان وتسعين ... استخرتُ الله  
تعالى تقييد هذه الاوراق . وشرحتُ ما نظمته بمكة المشرفة من الابيات الغزلية في  
حال اعتمااري في رجب وشعبان ورمضان أشير بها الى معارف ربانية . وأنوار الهية .  
وأسرار روحانية . وعلوم عقلية . وتشبيهات شرعية . وجعلت العبارة عن ذلك بلسان  
الغزل والتشبيب لتعشق النفوس بهذه العبرات فتتوفر الدواعي على الاصغاء اليها .  
وهو لسان كل اديب ظريف . وروحاني لطيف » ( ٨٧٩ )

وتجدر الإشارة الى أن الخمرة عند المتصوفة كانت من رموز الوجد الصوفي  
والحب الالهي . وقد وصلت اليها نماذج خميرية كثيرة . نقرأ منها أبيات ابي مدين  
التلمساني ( ت ٥١٤ ) من قصيدة طويلة : ( ٨٨٠ )

أدركها لنا صرفاً ودغ مزجها عنا	فحننُ أناسٍ لا نرى المزجَ مذكناً
وغنُ لنا فالوقتُ قد طاب باسمها	لأنا إليها قد رحلنا بها عنا
عرفنا بها كل الوجود ولم نزلْ	الى أن بها كل المعارف أنكرنا
هي الخمر لم تعرف بكرم يخضها	ولم يجلبها راحٌ ولم تعرف الذنا
مشعشة يكسو الوجوه جمالها	وفي كل شيء من لطافتها معنى
حضرنا فغبنا عند دور كؤوسها	وعدنا كأننا لاحضرنا ولا غبنا
وأبدت لنا في كل شيء إشارة	وما احتجبت إلا بأنفسنا عنا
ولم تطق الأفهام تعبير كنهها	ولكنها لأذت باللطافها الحسنی
نصحتك لاتقصد سوى باب حانها	فمن وجد الأعلى فلا يطلب الأدنى
موانعنا منا حظوظ نفوسنا	فإن قطعت عنا إليها توصلنا
تجلت دُنُوًا واختفت بمظاهرها	وجلّت فما أغنى ودقت فما أسنى
وما الكونُ إلا مظهرٌ لجمالها	ارتنا به في كل شيء بدا حنا

أن هذه الخمرة التي انتشى بها ليست الخمرة المعصورة من كرم العنب التي تصرع الالباب . بل هي الخمرة الالهية التي تساعده في رؤية نور الحق .

كان المتصوفة يؤثرون الإشارة على العبارة . ويعمدون الى التلميح دون التصريح . سترأ لحقائقهم . وكنماً لأسرارهم . وغيره على هذه الحقائق : ( ٨٨١ ) لذلك لا يمكن فهم الفاظهم ومصطلحاتهم التي لها مدلولات خاصة إلا بالرجوع الى كتب التصوف مثل الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن القشيري ( ت ٤٦٥ ) . واصطلاحات الصوفية لحبي الدين بن عربي . واصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق بن جمال الدين الكاشي ( ت ٧٣٠ ) ...

وأخيراً لابد من الإشارة الى أن فريقاً من المتصوفة انحرفوا عن طريق الصواب . ودخلت الاوهام والخرافات والاساطير بينهم . وقد انبرى كثير من العلماء بالرد عليهم وازهار اخطائهم وتفنيادقوالهم وبيان بدعهم . منهم الامام الغزالي ( ت ٥٠٥ ) وابو الفرج عبدالرحمن بن ابي الحسن علي المشهور بابن الجوزي ( ت ٥٩٧ ) . وكان ابو البركات عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الانباري ( ت ٥٧٧ ) يميل الى التصوف وينبذ الخرافات والشعوذات . ومن جميل شعره في هذا المجال قوله : ( ٨٨٢ )

دَعِ الْفُؤَادَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخُرْقِ      لَيْسَ التَّصَوُّفُ بِالتَّلْبِيسِ وَالْخُرْقِ  
بَلِ التَّصَوُّفُ صَفْوُ الْقَلْبِ مِنْ كَذَرٍ      وَرُؤْيَا الصُّفُو فِيهِ أَعْظَمُ الْخُرْقِ  
وَصَبْرُ نَفْسٍ عَلَى أَدْنَى مَطَامِعِهَا      وَعَنْ مَطَامِعِهَا فِي الْخُلُقِ بِالْخُلُقِ  
وَتَرْكُ دَعْوَى بِمَعْنَى فِيهِ حَقِّقَهُ      فَكَيْفَ دَعْوَى بِلَا مَعْنَى وَلَا خُلُقِ

( ٨٨١ ) ينظر : السهروردي ص ٤٩ . وبحث الدكتور محمد مصطفى حلمي ( كنوز في رموز )

المنصور في الكتاب التذكاري : محيي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده

ص ٢٧ - ٦٦ .

( ٨٨٢ ) أنباء الرؤية ٤ : ٦٧١ .

## الشعراء :

### ابو الطيب المتنبي

٢٠٢ - ٢٥٤ هـ

لم يحظ شاعر من شعراء العرب بالاهتمام والدراسة قديماً وحديثاً بقدر ما حظي به ابو الطيب المتنبي . ولعل شهرته في مملكة الشعر جاءت من جودة نظمه الذي يسحر القاريء ويجعله متقاداً له في رضى واعجاب . يُضاف الى ذلك « أنه ينطق عن خواطر الناس » كما قال القاضي الفاضل . (٨٨٢)

### سيرته :

أبو الطيب احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكندي الكوفي . أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي . (٨٨١) وجعفي الذي ينسب اليه هو جعفي بن سعد المشيرة من مُذبح من كهلان من قحطان . فهو من أصل عربي قحطاني . خالص النسب أباً وأماً .

فتح ابو الطيب عينيه على الدنيا سنة ٢٠٢ للهجرة في حي . كندة بالكوفة . وهو حينئذ نزل المهاجرون من العرب الذين نزحوا ايام الفتح الى هذه البقاع . وهم من أصل يمانى فسموا منازلهم الجديدة بأسماء منازلهم الاولى للذكرى والحنين . (٨٨٠) وظن من لا تحقيق اعنده أن المتنبي من قبيلة كندة . وفي شعره ذكريات في هذا الحي وكان مفارقاً له . قال يحن اليه :

أُتِني السُّكُونُ وَحَضْرُموتا      ووالدتي وكندة والسَّيما (٨٨١)

كان المتنبي فقير المنشأ . قيل ان أباه كان يسمى عيداناً . وكان سقاء بالكوفة يستقي على بعير له . وفقد هذا الأب المعين على بؤس الحياة . ولا نعرف شيئاً عن والدته . ولعلها ماتت في حداته . ولكن جذته لأمه وهي عربية همدانية كانت من النساء الصالحات سهرت على تربيته وتنشئته والاحتفاء به .

( ٨٨٢ ) الوهم المرقوم ص ٥٧

( ٨٨٤ ) وفيات الاعيان ١٠١

( ٨٨٥ ) المتنبي للدكتور زكي المحاسني ص ٢٢

( ٨٨٦ ) شرح ديوان المتنبي ١١ ، ١٢٢ . والاسماء المذكورة في البيت هي أماكن في الكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنونها

شارك المتنبي في الرثاء بمجموعة قصائد . ولعل من أجلها وأكثرها إثارة مرثيتين . أولاهما في جدته التي غُيت بتربيته . وأظلمته بعطفها وحنانها . بعد وفاة أمه وهو خذث صغير . والثانية في خولة المعروفة بست الناس أخت سيف الدولة لما كانت عليه من صفات حميدة . ولما لها من فضل وإحسان مع أهلها على المتنبي مدة إقامته بحلب . لقد رثاها وفاءً ، لأنها كانت تمثل الفتاة العربية الأصلية المعروفة بكرمها ونبلها وإبائها . بخلاف من ذهب الى انه كان يحبها ويعشقها . (١٣١)

كان المتنبي يحب جدته وهي تحبه . وحينما فارقها تألمت وجزعت وكادت أن تياس بعد طول الغيبة . فكتب اليها كتاباً فرحت به وأكبت على تقيله حتى أصابتها الحمى من فرط السرور فماتت . وكان لهذه العادة أثر كبير في نفسه . دفعته الى نظم قصيدة تطفح بالحزن والأسى على فقيدته . منها قوله (١٣٢) :

لك الله من مفاجئة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحفها وضما  
أحن إلى الكأس التي شربت بها وأهوى لمشاها التراب وما ضما  
بكيث عليها خيفة في حياتها وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما  
أناها كتابي بعد ياس وترجة فماتت سروراً بي فمت بها غما  
حرام على قلبي السرور فأنسى أغد الذي ماتت به بعدها سفا

أما قصيدته في خولة فهي تعبر عن عاطفة صادقة . وحزن عميق . وألم شديد . وقد استهلها بمطلع رائع وجميل هو أقرب الى المديح منه الى الرثاء (١٣٣) :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

وفي القصيدة بيتان يستشهد بهما كثيراً في مواقف الحزن حتى سارا سير الأمثال في حياة المتنبي نفسه كما يقول الدكتور طه حسين (١٣٤) .

(١٣١) انظر اسماء هؤلاء الباحثين في كتاب : الفهر في رحاب سيف الدولة الحمداني ص ٧٣ ، ٧٤ .

(١٣٢) شرح ديوان المتنبي ١٢ ، ١٣ .

(١٣٣) نفسه ١١ ، ١٢ .

(١٣٤) مع المتنبي ص ٢١٢ .

طوى الجزيرة حتى جاءني . خبرَ فزعتُ فيه بآمالي الى الكذب  
حتى إذا لم يدع لي صدقة أملأُ شرفتُ بالذم حتى كاد يشرق بي

ونراه يعزّي سيف الدولة ويسميه « فتى الفتيان » بفقيدته الغالية التي كانت فخر  
الفتيات الماجدات . فهي من اللواتي يطلبن المجد والعلى والسؤدد بخلاف اللواتي  
ينشدن اللذة واللهو واللعب .

أرى العراق طويل الليل مذ نعتُ فكيف لي ل فتى الفتيان في حلب  
يظن أن فؤادي غير ملتهب وأن دمع جفوني غير منسكب  
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقسط والأدب  
وهما في العلى والمجد ناشئة وهم أترابها في اللهو واللعب  
وإن تكن خلقت أنثى لقد خلقت كريمة غير أنثى العقل والحسب

وتجدر الإشارة الى أن المتنبي رثى أخت سيف الدولة الصغرى قبل وفاة خولة  
بثمانية أعوام بقصيدة مطلعها (١٢٥) .

إن يكن صبرُ ذي الرزية فضلا تَكُن الأفضل الأعزُّ الأجلًا  
وضمن هذه المراثية . كسائر مراثيه الأخرى . نظرات ثاقبة وخطرات قيمة مثل  
قوله .

الهُ العيشُ صحَّةٌ وشبابٌ فإذا ولّيا عن الممرِ ولّى  
أبدأ تسترُّ ما تهبُّ الدُّدُ يا . فيا ليت جودها كان بخلا

غزله :

انصرف المتنبي منذ مطلع شبابه الى طلب المجد والعلى . والانشغال بمشكلات  
قومه الذين عاشوا تحت وطأة الظلم والقهر . ولم يلتفت الى الغانيات ولم يحفل  
بمعاشرتهن والتغزل بهن . وقد وضّح السبب بنفسه فقال (١٢٦) :

( ١٢٥ ) شرح ديوان المتنبي ١٢٠٩٦ .

( ١٢٦ ) نفسه ١٠١٠٢٧ .

لولا العلى لم تجب بي ما أجوب بها وجناء خرف ولا جرداك قيدود<sup>(٩٣٧)</sup>  
 وكان أطيب من سيفي معانقة أشباه رونقه الغيد الأماليد<sup>(٩٣٨)</sup>  
 لم يترك الدهزم قلبي ولا كيدي شيئاً تميمه عين ولا جيد

ومع ذلك نجد له غزلاً رقيقاً شفافاً ، ولا سيما في مطالع قصائده . وقد ذهب بعض الباحثين - كما ذكرنا سابقاً - الى أنه كان يحب خولة أخت سيف الدولة . وهو في تقديرنا ظن لا يستند الى دليل ثابت ومقنع . ولعل قدرته الفائقة في التحدث بلغة العشق والغرام هو الذي دفع هؤلاء الباحثين الى القول بأنه كان محباً عاشقاً . مثل قوله في صباه في مطلع قصيدة يمدح بها أبا المنتصر شجاع بن محمد الأزدي<sup>(٩٣٩)</sup> :

أرق على أرق ومثلي يارق وجوى يزيد وعبرة تترقرق  
 جهد الضباية أن تكون كما أرى عين مسهدة وقلب يخفق  
 ما لاح برق أو ترئم طائر إلا انشئت ولي فؤاد شيق  
 جربت من نار الهوى ما تنطفي نار الغضى وتكل عما تحرق  
 وعذلت أهل العشق حتى ذقت فعبت كيف يموت من لا يعشق

وكان ذوق المتنبي بدوياً ، يميل الى الجمال البدوي الطبيعي البعيد عن البهرجة والافتعال والزينة المصطنعة الممقوتة . مثل قوله<sup>(٩٤٠)</sup> :

ما أوجع الخضر المستحسناً به كأوجه البدويات الرعايب<sup>(٩٤١)</sup>  
 حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب<sup>(٩٤٢)</sup>

( ٩٣٧ ) الوجناء ، الناقة الصلبة الشديدة . العرف ، الضامرة . الجرداء ، الفرس القصيرة الفهر . القيدود ، الطويلة الصنق .

( ٩٣٨ ) الفيد ، جمع غيداء ، وهي المتشنية لينا ، الأماليد ، الناعسات المستويات التامات . يقول ، لولا طلب العلى لم اختر معانقة السيف وأعدل عن النساء الحسان اللواتي يهجن رونقه في بياض البعرة .

( ٩٣٩ ) شرح ديوان المتنبي ١ ، ٤٧٧ .

( ٩٤٠ ) نفسه ١ ، ١١٦ .

( ٩٤١ ) الرعايب ، جمع رهوبة ، وهي المرأة الطويلة الممتلئة .

( ٩٤٢ ) يقول ، ان حسن أهل الحضارة متكلف مجلوب بالهيلة والعلاج ، أما حسن البدويات فهو خلقة ، لا يعرفن التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال .



لم يكن أبو الطيب المتنبي مكثراً في الوصف . وقد جاء به في مطالع القصائد أو في ثنائها ، فإنه وصف نفسه في تعاليها وشموخها وطموحها . ووصف أخلاق الناس وطبائعهم . وبعض مظاهر الطبيعة . والوقائع والحروب التي شاهدها مع سيف الدولة ...

إنَّ حظ الطبيعة قليل في شعره . مع إنه عاش في أجواء جميلة . فله أبيات في وصف بحيرة طبرية ذات الماء الهادي والغور الدافئ (١١٣) . وكذلك وصف شعب بؤان الذي يقع في أحضان الطبيعة الساحرة . فها هو ذا يصف تساقط قطرات الندى من أغصان الأشجار على أعراف الخيل وهو سائر في هذا الشعب وكأنها خَبَاتُ جمانٍ بديدة . وظلال هذه الأشجار دية حرّ الشمس ما خلا أقباس من الضياء تطالعه كالذنانير ولكنها لا تَمَسُّكَ باليد . ويُسحره منظر الثمار المتدلية الجنية وصوت المياه المناسبة على الحصى الذي يشبه صوت الحلي في معاصم الحان (١١٤) .

غدونا تنفض الأغصان فيها	على أعرافها مثل الجمان
فَسِرْتُ وقد حجبَ الشمس عني	وجئت من الضياء بما كفاني
وألقي الشرق منها في ثيابي	دنانيراً تَقَرُّ مِنَ البنان
لها ثمرٌ تُشِيرُ اليك منها	بأشربة وقفن بلا أوان
وأموءة تصلُّ بها حصاها	صليل الخلي في أيدي الغواني

ومن بارع وصفه الذي تناقلته الكتب الأدبية وصف الحمى التي شبهها بالفتاة الحناء التي لا تخلف مواعيد زيارتها في الليل (١١٥) .

وزائرتني كأنَّ بها حياة	فليس تزور إلا في السّلام
بذلت لها المطارف والحشايا	فعاقتها وباتت في عظامي
كأنَّ الصبح يطردُها فتجري	مدامفها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق	مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شرُّ	إذا ألقاك في الكرب العظيم

(١١٣) ينظر شرح ديوان المتنبي ١٢ : ٣٣٦ .

(١١٤) شرح ديوان المتنبي ١٢ : ٤٨٢ .

(١١٥) شرح ديوان المتنبي ١٢ : ٤٠٠ .

اما الوقائع والحروب فكان بارعاً في وصفها . مجيداً في تصويرها ونقلها  
للقاريء (١٩١) . مثل قوله في وصف الفرسان الشجعان الذين تراهـم قليلين في عددهـم .  
كثيرين عند لقاء الأعداء : (١٩٢) .

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثماؤمزذ  
ثقال اذا لا قوا خفاف اذا دغوا كثير اذا شدوا قليل اذا غدوا  
وانظر الى هذا الجو الرائع الذي أبدع المتنبي في تصويره في لوحة كاملة تشغل  
العين والسمع والنفـس (١٩٣) .

اتوك يجرؤون الحديد كأنهم سروا بجياذ ما لهن قوائم  
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم  
خمس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم

### فخره :

كان المتنبي معتداً بنفسه . فخوراً . لا يطأطيء رأسه لأحد مهما كانت  
منزلته . ويلاحظ القاريء بوضوح هذه الظاهرة في شعره . ولا سيما في مديحه . كي  
لا يقال انه سائل ذليل أو محروم هو أقل منهم قدراً . وقد ذهب أحد الباحثين الى  
انه « كان ناقماً على الناس : لأنه يحب نفسه . ولذا كان يصور نفسه دائماً بصورة  
المحسود المغبون . والناس من حوله حدة ظالمون . أقزام يقحمون أنفسهم في  
مواكب العمالقة (١٩٤) » . ولعل هذه النقمة - كما نرى - متأية نتيجة انتكاسه في  
الحصول على مطالبه التي كان يسعى من أجلها ولم ينلها . إضافة الى أنه كان يرى  
أناساً لا يضاھونه في شخصيته وعلمه ومؤهلاته قد أخذوا مواقع متميزة في الحياة لا  
تليق بهم .

افتخر المتنبي بنفسه كثيراً مثل قوله (١٩٥)

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي  
إن أكن معجباً فمعجب عجب لم يجذ فوق نفسه من مزيد

(١٩٦) ينظر فصل «شعر العرب عند المتنبي» في كتاب شعر العرب في ادب العرب ص ٢٦٢-٢٨٩ .

(١٩٧) شرح ديوان المتنبي ١ ، ٢٢٧ .

(١٩٨) شرح ديوان المتنبي ٢ ، ٢٧٢ .

(١٩٩) الشعر العربي بين الجمود والتطور ص ١٤٢ .

(٢٠٠) شرح ديوان المتنبي ١ ، ٢٠٨ .

وافتنخر بعلو همته ورفعته مكانته (١٠١) .

إذا غامرت في شرفٍ مَرومٍ      فلا تقنع بما دون النُجوم  
فطعم الموت في امرٍ صغيرٍ      كطعم الموت في امرٍ عظيمٍ  
وتباهي بعلمه وادبه (١٠٢) .

أنا الذي نظر الاعمى الى ادبي      واسمعت كلماتي من به صم  
أنا ملء جفوني عن شواردها      ويسهر الخلق جُراها ويختصم  
وأشاد بقوته وجلادته وكثرة صبره (١٠٣) .

أطاعنُ خيلاً من فوارسها الدُّهرُ      وحيداً وما قولِي كذا ومعِي الضُّبرُ  
وأشجعُ مني كلَّ يومٍ سلامتي      وما ثبتتُ إلا وفي نفسي أمرُ  
تمرتُ بالآفاتِ حتَّى تركُّها      تقول أمات الموتُ أم دُعرُ الدُّعرِ  
لقد كثر زهوهُ . وأسرف في التحدُّث عن نفسه . واشتد غروره وتعاليه وشعوره  
بالعظمة والقوة . حتَّى أنه قال مخاطباً سيف الدولة (١٠٤) .

وما أنا إلا سُمهرٌ حملتُهُ      فزُيِّن معروضاً وراع مُسدداً  
وما الدُّهرُ إلا من رِوَاةٍ فلاندي      إذا قلتُ شعراً أصبح الدُّهرُ مُشداً  
فأربيه من لايسير مشمراً      وغنى به من لايعني مُغرداً

أجزني إذا أنشدت شعراً فأنما      بشعري أذاك المادحون مُردداً  
ودع كلَّ صوتٍ غير صوتي فأنني      أنا الصائحُ المكحيُّ والاخرُ الصدى  
حكمه :

عاصر المتنبي فترة عصيبة من حياة امتنا في النصف الاول من القرن الرابع للهجرة . وقد اكتسب تجربة طويلة من مشاهدته للناس وتأمله في الاحداث . وكانت حصيلة تلك التجربة . الى جانب ثقافته العميقة . حكماً بليغة سارت على الالسة حتى قيل : « ما لاجتماع اثنان يتحدثان الا كان المتنبي ثالثهما » .

( ١٠١ ) شرح ديوان المتنبي ٢٧٨ ، ٢

( ١٠٢ ) نفسه ٢٦٠ ، ٢

( ١٠٣ ) نفسه ٢٥٢ ، ١

( ١٠٤ ) نفسه ١٩٢ ، ١

جاءت حكمه ضمن القصائد متلاحمة مع معانيها . لا يحسُّ القارئ بأنها غريبة  
او دخيلة . بل يراها ركائز جيدة تدعم معانيه وافكاره . واليك من ابياته التي  
اجراها مجرى الامثال في الحكم والاخلاق والتربية : (١٠٠)

أعزُّ مكانٍ في الدُّنْيِ سِرْجٌ سابعٌ وخيرٌ جليسٌ في الزَّمانِ كتابٌ  
وقوله :

وكلُّ امرئٍ يُؤلِّي الجميلَ محبَّبٌ وكلُّ مكانٍ ينبُ العِزُّ طيِّبٌ  
وقوله :

إذا أنتَ اكرمتَ الكريمَ ملكتهُ وإن أنتَ اكرمتَ اللئيمَ تمرَّدَا  
وقوله :

ومنَّيكُ ذا فمرٍّ مريضٍ يـجـدُّ مُراً بهِ الماءُ الزُّلالَا  
وقوله :

خيليكَ أنتَ لامنٌ قلتَ خلِّي وإن كثرَ التجملُ والكلامُ  
وقوله :

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الهوانُ عليه مالجرحُ بميتٍ إيلامُ  
ومن انصاف الابيات قوله (١٠١) :

مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ  
إذا عَظِمَ المطلوبُ قَلَّ المساعِدُ  
أنا الغريقُ فما خوفي من البَلِّ  
ليس التَّكْهُلُ في العَيْنِ كالكَهْلِ

وتجدر الإشارة الى ان المتنبي لم يكن فيلسوفاً . وانما له نظرات عميقة وحكيمة  
نظمها في اسلاك متينة وجذابة . اما ماذهب اليه ابو علي محمد بن الحسن  
العاتمي ان حكمه كلها مقتبسة من ارسطو . فاننا لاننكر تأثره بهذا الفيلسوف في  
حكمه التي تسربت الى اللغة العربية عن طريق الترجمة . ولكننا لانستطيع ان  
نُجَرِّدَ الحكمَ كلها منه . فهو لبیب فطن . له تجاربه الخاصة . وقد تَلَقَّيَ مجموعةً  
من هذه التجارب مع تجارب الاخرين .

( ٩٥٥ ) ينظر شرح ديوان المتنبي ١ ، ١٢٨ ، ١٢٥ ، ١٩١ ، ٢ ، ١٦٢ ، ٢٤٠ ، ٣٥٧ .

( ٩٥٦ ) ينظر شرح ديوان المتنبي ١ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ٢ ، ٩٥ ، ٧٢ .

يعدُّ أبو الطيب المتنبي من فحول الشعراء ، وفرسان البيان ، الذين انجبتهم الامة العربية . شغل الباحثين والنقاد في عصره وبعده . وصدق ابن رشيق في قوله : « ملأ الدنيا ، وشغل الناس » (١٩٧) . ولا عجب حين قال المتنبي (١٩٨) :

وتركك في الدنيا دويًّا كأنما تداول سمع المرء انملأه العُشْرُ

انه حقاً ترك دويًّا ، وخلق ضجةً ، واكبر شاهد على ذلك وفرة شروح ديوانه . وكثرة الدراسات والبحوث التي كتبت في سيرته وشعره بين مادح وقادح . وحسبنا قول ابي منصور الثعالبي : « ليس اليوم مجالس الدرس ، امر بشعر ابي الطيب من مجالس الانس ، ولا اقلام كتاب الرسائل ، اجرى به من السن الخطباء في المحافل ، ولا لحن المغنين والقوالين ، اشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد الفت الكتب في تفسيره ، وخلّ مشكلة وعويصه ، وكُتِرَت الدفاتر على ذكر جيدة وردية . وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والافصح عن ابحار كلامه وعونه (١٩٩) . وتفرقوا فرقاً في مدحه والقذح فيه والنضح (٢٠٠) عنه ، والتعصب له وعليه . وذلك اول دليل دلّ على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفردة عن اهل زمانه . بملك رقاب القوافي ، ورقّ المعاني ، فالكامل من عدت سقطاته . والسعيد من حُسيّت هفواته ، وما زالت الاملاك تهجى وتمدح (٢٠١) » .

كان المتنبي ذكياً فطناً ذا ثقافة عالية (٢٠٢) . استطاع ان يجمع في شعره بين الصنعة والطبع ، وان يوفق بين الاحساس والخيال ، وان يوائم بين العلم والتجربة ، ويلائم في اغلب شعره بين المطلع والتخلص والخاتمة . ومن اظهر مزايا شعره الشرح والتوليد . والميل الى الاسلوب الخطابي ، والمبالغة التي تخرج احياناً الى المستحيلات . قال ابن رشيق القيرواني ، « فاذا صرت الى ابي الطيب صرت الى اكثر الناس غلواً ، وابعدهن فيه همة ، حتى لو قدر ماأخلى منه بيتاً واحداً ، وحتى تبلغ به الحال الى ماهو عنه غنى ، وله في غيره مندوحة ، كقوله :

( ١٩٥٧ ) العمدة ١ ، ١٠٠

( ١٩٥٨ ) شرح ديوان المتنبي ١ ، ٢٥٢

( ١٩٥٩ ) العمون ، المتزوجات من النساء

( ١٩٦٠ ) النضح عنه ، اراد الدفاع عنه

( ١٩٦١ ) يتيمة الدهر ، ١ ، ١٢٧ .

( ١٩٦٢ ) ينظر ، ثقافة المتنبي والرها في شعره ص ٢٢٧ -

يترشّفن من فمي رشفاتٍ      هنّ فيه احلى من التوحيد

وان كان له في هذا تأويل ومخرج بجعله التوحيد غاية المثل في الحلوة بفيه .  
وقوله :

اذا قلته لم يمتنع من وصوله      جدارٌ معلّى او خباءً مطنب

فما وجه الخباء المنطب بعد الجدار المنيف ؟ بينا هو في الثريا صار في الثرى !  
وانما اراد الحاضرة والبادية (١٦٣) .

ومن مميزات شعره التماسك الشديد ، والترابط الوثيق ، وتسلسل الافكار  
وتناسقها وتأيدها بالحجج المنطقية والبراهين العقلية . مثل قوله معاتباً سيف  
الدولة : (١٦١)

يا أعدل الناس الآ في معاملتي      فيك الخصامُ وانت الخصمُ والحكمُ  
أعيذُها نظراتٍ منك صادقةً      أن تحسبَ الشحمَ فيمن شحمه وزمُ  
وما انتفاعُ اخي الدنيا بناظره      اذا استوتُ عنده الانوار والظلمُ

ويلاحظ انه كان يميل احياناً الى التعقيد . واستخدام الالفاظ الغريبة ، والتصرف  
في اللغة . واستعمال مصطلحات المنطق والفلسفة ، واخذ معاني السابقين وصياغتها  
باسلوبه الخاص (١٦٠) ، واللعب بالالفاظ مثل قوله مخاطباً كافوراً الاخشيدي : (١٦١)

جری الخُلْفُ الآ فيكَ أنكَ واحدٌ      وأنك ليكَ والملوك ذئابُ  
وأنك أن قُويست صَحْفُ قارئٍ      ذئاباً ولم يخطيُ فقال ذبابُ

اما موسيقى شعره فكانت رائعا ، وقد جاء ذلك من اختياره الجيد للاوزان  
والقوافي وملاءمتها للالفاظ والمعاني ، الى جانب استخدام بعض الالوان البديعية مثل  
التصريع والجناس وحسن التقسيم ... فمن شواهد الجناس قوله (١٦٣) :

( ١٦٣ ) الصدة ١ ، ٢ ، ٦٢

( ١٦٤ ) ينظر ديوان المتنبي ١ ، ٢ ، ٣٦٠

( ١٦٥ ) ينظر الفصل الذي طبعه الثعالبي بعنوان « صدر من سرقات المتنبي » في كتابه

يتيمة الدهر ١ ، ١٤٨ - ١٥٤ . و « سرقات المتنبي » في كتاب الواسطة للجرجاني ص

٢١٦ - ٤١١ .

( ١٦٦ ) شرح ديوان المتنبي ١ ، ١٣٩

( ١٦٧ ) شرح ديوان المتنبي ١ ، ٤١٨

مُنْعَمَةٌ مَمْنَعَةٌ رَوَّاحٌ

يُكَلِّفُ لَفْظَهَا الطَّيْرَ الْوَقُوعَا

ومن سياق العدد قوله (٩٦٨) :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرُّمْحُ والقِرْطَاسُ والقَلَمُ

## ابو فراس الحمداني

٣٢٠ - ٣٥٧ هـ

كانت مملكة الحمدانيين تمتد بين الموصل وحلب وديار بكر. ومن اقدر رجالها ابو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان المشهور بسيف الدولة. اشتهر - الى جانب انتصاراته الموسوية على الروم - بحب العلم والادب. قال الثعالبي: «لم يجتمع قط بباب احد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر (٩٩١)». وذكر الغزولي انه قد «اجتمع له مالم يجتمع لغيره من الملوك، كان خطيبه ابن نباته الفارقي، ومعلمه ابن خالويه، ومطربه الفارابي، وطباخه كشاجم، وخزان كتبه الخالديان والصنوبري، ومُذاحه المتنبي والسلامي والوواء الدمشقي والبيغاء والنامي وابن نباته السعدي والصنوبري وغير ذلك (٩٧٠)». وقد ضمت الاسرة الحمدانية مجموعة من الشعراء المجيدين، وفي مقدمتهم الامير الفارس الشاعر الحارث بن سعيد بن حمدان المعروف بأبي فراس.

### سيرته:

الحارث بن سعيد بن حمدان. غلبت عليه كُنيتُه «ابو فراس»، وهي كنية الاسد. حتى كاد لا يعرف الا بها. ولد في مدينة الموصل سنة ٣٢٠ للهجرة. ولم يحظَ برعاية ابيه، لانه قُتل سنة ٣٢٣ للهجرة وكان والياً على الموصل من قبل الخليفة المقتدر. وتربى في بلاط ابن عمه سيف الدولة امير حلب تربيةً صالحة فيها علمٌ وأدبٌ وفروسيّة. وكانت امه الى جواره تنظر اليه بعطفها وحنانها.

عاش في بلاط الامارة بحلب معزراً مكرماً، يتلمذ على خيرة الاساتذة. ويتدرب على اساليب الفروسية وفنون القتال على يد فرسان مهرة «وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس، ويميزه بالاكرام على سائر قومه، ويصطنعه لنفسه، ويطحبه في غزواته، ويستخلفه على أعماله» (٩٧١) وحينما أشتدّ ساعده وقوي عوده اتجهت نفسه وهو في السادسة عشرة من عمره الى التطلع للامارة.

(٩٩٩) يتيمة الدهر ١، ٢٧

(٩٧٠) مطالع البدور ٢، ١٧٦

(٩٧١) يتيمة الدهر ١، ٤٨



فقلده سيف الدولة . بعد أن اطمأن الى قدرته في القيادة والادارة . منبج وحران واعمالهما جميعاً . (٩٧٢) واخذ يمدح ابن عمه بعد هذا الأمر ويشيد بمآثره . مثل قوله : (٩٧٣)

وَأَتَّبِعُ فِعْلَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَأَجْعَلُ فَضْلَهُ : ابداً . اماما  
وقد أصبحت منتسباً اليه وحسبي أن أكون له غلاماً  
أراني كيف أكتسب المعالي وأعطاني . على الدهر . الذماما  
ورباني ففقت به البرايا وأنشأني فعمدت الأناما  
فعمرة الاله لنا طويلاً وزاد الله نعمته دواما

تعددت مظاهر حياة أبي فراس بعد توليه الحكم . فنراه تارة يقارع البيزنطيين ويذود الديار من هجماتهم . وتارة أخرى يلهو ويتصيد أو يجلس مع الادباء ويحاورهم ويتناشد معهم الأشعار . ويروى أنه وقع في الأسر سنة ٣٥١ للهجرة في اثناء خروجه للصيد . اذا التقى بابن أخت ملك الروم الذي خرج في ألف فارس الى نواحي منبج وكان ابو فراس مع سبعين فارساً فنشبت بينهما معركة غير متكافئة في العدد والغدد . كانت الغلبة للخصوم . بعد ان أثنى ابو فراس الجراح فيهم . ثم أسر (٩٧١) وقد أشار الى ذلك في أول قصيدة قالها في الأسر : (٩٧٠)

ولا كنت ألقى الألف زرقاً عيونها بسبعين فيهم كلُّ أشامٍ أنكد  
يقولون : جنبٌ عادةٌ ماعرفتُها شديدٌ على الانسان مالم يُعوّد  
فقلت : أما والله لا قال قائلٌ شهدت له في الحرب الأمّ مشهد  
ولكن سألقاها . فاما منيةٌ هي الظن . أو بنيانٌ عز موطد

نقل بعد أسره الى سجن في « خرشنة » . وكانت جراحه تؤذيه . فكتب الى امه . وهي ملاذه الاول . مايعاني من الام وأحزان : (٩٧١)

(٩٧٢) زبدة العلب ١١٩ ، ١

(٩٧٣) ديوانه ص ٢٦٧

(٩٧٤) ينظر نفّار المحاضرة ١١١ ، ١ . تجارب الامم ٢ : ١٩٣ . الكامل لابن الاثير ٧ : ٥ . زبدة

العلب ١٢١ ، ١ .

(٩٧٥) ديوانه ص ٨٥ .

(٩٧٦) ديوانه ص ٢٢٢ .

مصابي جليل. والعزاء جميل. وطني بأن الله سوف يُدِيلُ  
جراح. تحامها الأساة. مخوفة. وسقمان. بادٍ منهما ودخيل  
وأسر أفاقيه. وليل نجومه. أرى كل شيء. غيرهن. يزول.  
تطول بي الساعات. وهي قصيرة. وفي كـسـل دهر لاسرك طول.

ثقل عليه السجن. وبرح به الشوق. وانحل الألم. ولاسيما بعد أن وضعوه في  
مكان ضيق وألبسوه الثياب الخشنة. فكتب الى سيف الدولة قصيدة يبدو من كلماتها  
أنه يعاتبه: (١٧٣)

اين المعالي. التي عرفت بها. تقولها دائماً وتفعلها؟  
يا واسع الدار. كيف توسعها. ونحن في صخرة نزلزلها؟  
ياناعم الثوب. كيف تبدلته. ثيابنا الصوف مانبدلها؟  
ياراكب الخيل. لو بضرت بنا. نحمل أقيادنا وننقلها  
رأيت في الضر أوجهاً كرمت. فارق فيك الجمال اجملها  
قد أثر الدهر في محاسنها. تعرفها تارة وتجهلها

وتم فداؤه بعد أربعة أعوام شداد. ولا نظنّ الابطاء في فك أسره كان يعود الى  
تغير قلب سيف الدولة عليه كما ذهب بعض الباحثين. (١٧٤). بل السبب أن الروم  
كانوا يحتجزون عدداً كبيراً من اسرى المسلمين. ولم يكن بمقدور سيف الدولة أن  
يفديهم جميعاً لضيق مايبده من مال. ولم يُرد أن يفك أسرى فراس مع فئة  
قليلة دون ذلك العدد الهائل وحينما توفر لديه المال الكافي سنة ٣٥٥ للهجرة تمت  
المفاداة. (١٧٥). وكان من بين الأسرى ابو فراس. ومحمد بن ناصر الدولة.  
والقاضي ابو الهيثم عبدالرحمن بن القاضي ابي حصين.

عاد أبو فراس الى حلب ليعيش بين أهله وذويه. وقد عرف من كان معه ومن  
كان عليه. وشاءت الاقدار أن يتوفى سيف الدولة بعد سنة من هذه العودة أي في  
اوائل سنة ٣٥٦ للهجرة. فأخذ ابو فراس يطالب بالامارة. فدخل حمص وأقام بها  
يصرف امورها مما أوغر عليه صدر ابن اخته ابي المعالي بن سيف الدولة. فأوفد له  
جيشاً حاصره حتى قتل قرب حمص سنة ٣٥٧ للهجرة.

(١٧٣) ديوانه ص ٢٤٢

(١٧٤) شاعر بني حمدان ص ٧٢

(١٧٥) نهار المعاصرة ١١، ٢٨١، وينظر الشعر لرحاب سيف الدولة الحمداني ص ٨٤. واهو

فراس الحمداني للدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي ص ١١٤.

## شعره :

وصل إلينا ديوان أبي فراسٍ وشرّحه برواية معلمه أبي عبد الله الحسين بن خالويه . والقاريء في هذا الديوان يتنقّل بين الفخر والحماسة ، والمديح ، والثناء . والغزل ، والوصف ... وهو في أغلبها مُجيدٌ مبدعٌ . يجمع بين السهولة والجزالة والحلاوة .

كان لقومه مجداً عظيماً في المآثر الحميدة والسجايا النبيلة الى جانب شيم الفتوة والفروسية والنضال . وهم كما قال ( ٩٨٠ ) :

لئن خُلِقَ الأنام لحسٍ كَأَسِ ومزمارٍ وطـنـجـورٍ وعُودٍ  
فلم يُخْلَقْ بنو حِمدان إلا لمجيدٍ أو لبأسٍ أو لجودٍ

عاش في كنف ابن عمه الفارس المقدام سيف الدولة . وتعلم في شبابه فنون القتال وضروب المجادلة والمصاولة ، وقد بالغ حين جعل تماثم الاطفال في قومه من الرماح والسيوف : ( ٩٨١ )

ونحن أناسٌ . يعلم الله أننا اذا جمع الدهرُ الغشومَ شكائمه  
اذا "وَلِدَ" المولود منا فانما الـ أسنةُ والبيضُ الرِّقَاقُ تماثمه

ويكثر من الافتخار بنفسه . ومكانته بين قومه . في قرى الضيوف . ومحاربة الاعداء . ضرباً بالسيوف : ( ٩٨٢ )

سلي فتياتِ هذا الحيّ عني  
ألسنتُ أمدهم . لذوي . ظلّاً  
ألسنتُ أقرهم بالضيف عينا  
متى ما يدنّ من أجلٍ كتابي  
وموتٌ في مقام السعز أشهى  
يقلن بما رأين وما سمعن  
ألسنتُ أعدهم . للقوم . جَفَنَةً  
ألسنتُ أقرهم في الحرب لَهْنَةً ( ٩٨٣ )  
أمت بين الأعنة والأسنة  
الى الفرسان من عيشٍ بمهنة ( ٩٨٤ )

( ٩٨٠ ) ديوانه ص ٩٧

( ٩٨١ ) ديوانه ص ٢٨٦

( ٩٨٢ ) ديوانه ص ٢٩٢

( ٩٨٣ ) اللهنة : الطعام الذي يتحلل به قبل الفداء

( ٩٨٤ ) المهنة : الامتحان والذل

ان شعره أنشودة في الفتوة والفروسية والاقدام . ولا عجب حين ينعته ابن شرف القيرواني بفارس الميدان وصاحب الضرب والطعان (١٨٠) . ويسميه الدكتور زكي المحاسني شاعر الفرسان وفارس الشعراء . (١٨١)

ومما يلاحظ أن فخره في الغالب يأتي ممزوجاً بمديحه الذي خصّصه لقومه وأقاربه . ولاسيما لأميره الهمام سيف الدولة الذي فاق الناس سياسةً ورياسةً وجوداً وبطولةً وفروسيةً . مثل قوله : (١٨٢)

ولي عند العُدّة بكلّ أرضٍ      ديون في كسـفالات الرماح  
إذا التفت عليّ برأه قومي      ولاقينا الفوارس في الصُّباح  
يخفُّ بها إلى الغمّرات طود      من الأطوادي ممتنع النواحي  
أشدُّ الفارسيين وأن أبرّوا      أخفُّ الفارسيين إلى الصُّباح  
لسيف الدولة البِقْدَحُ المَعْلَى      إذا استبقى الملوك إلى القداح  
أسيف الدولة الحَكَمُ المرجى      أفى مدحي لقومي من جناح ؟

لقد اصبح الشعر عنده عنصراً من عناصر الفروسية او عنصراً مكملاً لها . فلا غرابة حين نجد لغة الحماسة تسري الى شعره في مواقف الحزن والاسى واللوعة . مثل قوله في رثاء ابن عمه أبي وائل تغلب بن داود : (١٨٣)

ما أنا أبكيه . ولكنّما      تبكيه أطراف القنا الذاهل  
دان إلى نبل الندى والغلى      ناء عن الفحشاء والباطل  
أرى المعالي . إذ قضى نجه      تبكي بكاء الواله الثاكل  
الأشد الباسل . والعارض الـ      هاطل عند الزمن الماحل  
كان ابن عمي . ان عرا حادث      كالليث أو كالطّارم الصاقل

ونجد لغة الفروسية أيضاً في غزله الذي شغل حيزاً بارزاً في ديوانه . فها هو ذا يجعل للهوى خيولاً مغيرة . وقتاً هي كتب الغرام . وسيوفاً هي رسائله ولواحظه . وسهاماً هي الفاظه . ويصور مواقع الحب كثيرة القتلى دون ان يشهر سيف أو يهتز رمح : (١٩٠)

(١٨٥) اعلام الكلام ص ٢٥

١ (٩٨٦) شعر العرب في أدب العرب ص ٢٥٠

٢ (٩٨٧) ديوانه ص ٦٨

٣ (٩٨٨) ينظر ابو فراس الحمداني للدكتور النعمان القاضي ص ١٤٩

٤ (٩٨٩) ديوانه ص ٢٠٦ .

٥ (٩٩٠) ديوانه ص ٢١٥ . وينظر ابو فراس الحمداني للدكتور النعمان القاضي ص ٢٧٢ .

كَأَنَّ ابْنَةَ الْقَيْسِ فِي أَخَوَاتِهَا      خَذُولَ تَرَاعِيهَا الظُّبَاءَ الْخَوَازِلُ (٩٩١)  
وَهَبْتُ سُلُوبِي . ثُمَّ جِئْتُ أَرُومَهُ      وَمِنْ مَدُونٍ مَارُمْتُ الْقَنَا وَالْقَنَايِلُ (٩٩٢)  
هَوَانًا غَرِيبَ شَرَبِ الْخَيْلِ وَالْقَنَا      لَنَا كُتِبَ وَالْبَاتِرَاتُ رَائِلُ  
أَغْرَنَ عَلَى قَلْبِي بِخَيْلٍ مِنَ الْهَوَى      فَطَارَدَ عَنْهُمْ الْغَزَالُ الْمَغَازِلُ  
بَأْسَهُمْ لَفِظَ . لَمْ تَرْكَبْ نَصَالَهَا      وَأَسْيَافَ لَحْظَ . مَاجَلَتَهَا الصِّيَاقِلُ  
وَقَائِعُ قَتْلَى الْحَبِّ فِيهَا كَثِيرَةٌ      وَلَمْ يَشْتَهَرْ سَيْفٌ . وَلَا هَزُّ ذَابِلُ  
أَرَامِيسِي كُلِّ السُّتْهَامِ مَصِيبَةٌ      وَأَنْتَ لِي الرَّامِي وَكُلِّي مَقَاتِلُ

ولابي فراس شعر في الوصف . وهو قليل . لم يأت فيه بشيء جديد . من ذلك قوله . وقد جلس في بستانٍ بديع بأشجاره وأزهاره . والماء صافٍ في برك جميلة تهبُّ عليه الرياح فتجعله شبيهاً بحلقات الدروع : (٩٩٣)

أَنْظُرْ إِلَى زَهْرِ الرَّبْرِيعِ      وَالْمَاءِ فِي بَرْكِ السَّبْدِيعِ  
وَإِذَا الرِّيحُ جَرَتْ عَلَيَّ      فِي الدَّهَابِ وَفِي الرَّجُوعِ  
جَرَتْ عَلَ بَيْضِ الصِّفَا      نَحْجَ بَيْنَنَا حَلَقُ الدَّرُوعِ

ولعل روميته التي نظمها حينما كان أسيراً من أوجود الشعر الذي اتحف به الأدب العربي وهي « لباب شعره . وصفوة انتاجه » (٩٩٤) حتى قال بلاشير : « وقصائد الروميات ممتازة ببساطتها . وجزالتها . وبالعاطفة الإنسانية التي تسودها . وهي التي جعلت أبا فراس سيد شعراء العاطفة الإنسانية . وليس في عصره فحسب . بل في كافة عصور الأدب العربي » (٩٩٥) وقد تنوعت ألحانه الرقيقة التي شدا بها في أسره بين الفخر والحماسة والحنين إلى الأهل والأصحاب والشكوى والرتاء والغزل والحكمة ... ولعل أجمل رومية تحمل دِفْقَ العاطفة وفيضَ الخاطر قصيدته التي يقول في مطلعها : (٩٩٦)

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شَيْمَتَكَ الصَّبْرُ      أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ

( ٩٩١ ) الخذول ، الظبية المتخلفة عن سواحبها المنفردة عن القطيع .

( ٩٩٢ ) القنابل ، الواحد القنبيل والقنبلة ، الطائفة من الناس أو الغيل .

( ٩٩٣ ) ديوانه ص ١٨٩

( ٩٩٤ ) في الادب الصباسي ص ٢٩٩ .

( ٩٩٥ ) الاديب العشر ص ٣٨٢

( ٩٩٦ ) ديوانه ص ١٥٧

ومنها :

سِذْكَرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدُّ حُدُّهُمْ      فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ يَفْتَقِدُ الْبَدْرُ  
فَإِنْ عَشْتُ فَالطَّمَعُنُ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ      وَتِلْكَ الْقَنَا وَالْبَيْضُ وَالضُّمُرُ الشُّقْرُ  
وَأَنْ مَتٌ فَالْإِنْسَانُ لَا بَدَّ مَيَّتٌ      وَأَنْ طَالَتْ الْإَيَّامُ . وَانْفَسَحَ الْعَمْرُ  
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَسَدَدْتُ اكْتَفَوْا بِهَا      وَمَا كَانَ يَغْلُو التَّبَرُّ لَوْ تَفَقَّ الصُّفْرُ  
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوَسَّطَ عِنْدَنَا      لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ  
تَهَوَّنُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفَوَّسْنَا      وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلَهَا الْمَهْرُ  
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَى      وَأَكْرَمُ مِنْ فَوْقِ التَّرَابِ وَلَا فَخْرُ

إنها صادرة عن معاناة صادقة . ترفدها تجربة شعورية مريرة . منبعثة من فؤاد  
مكلوم . ونفس هدها الحزن . وانهكها الألم . ونقر البعاذ الكرى عن عيني صاحبها .  
كما يقول في رومية أخرى (١٩٧)

أَبَيْتُ كَأَنِّي لِلصَّبَابَةِ صَاحِبٌ      وَلِلنِّوْمِ مَذْبَانُ الْخَلِيطِ مُجَانِبُ  
وَكَمْ مِنْ حَزِينٍ مِثْلِي حَزِينِي وَوَالِهِ      وَلَكِنِّي وَحْدِي الْحَزِينُ الْمَرَاقِبُ  
وَلَسْتُ مَلُومًا أَنْ بِكَيْتِكَ مِنْ دَمِي      إِذْ قَعَدْتُ عَنِّي الدُّمُوعُ السَّوَاكِبُ

لقد أحاطت بروميائه مشاعر وأحاسيس نابغة من الحالة المأساوية التي عاشها  
تحت وطأة الألم . وعذاب الأسر . ومرارة الاغتراب . في خلال الأعوام الأربعة التي  
قضاها مُصْفِداً بين جدران السجن .

إن شعر أبي فراس - على العموم - وجداني يتسم بالعدوثة واليسر وقوة التأثير  
في المتلقي . وحسبنا قول أبي منصور الثعالبي : « وشعره مشهورٌ . سائر بين الحسن  
والجودة . والسهولة والجزالة . والعدوثة والفخامة . والحلاوة والمثانة . ومعه رواء  
الطبع . وسمة الظرف . وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبدالله  
ابن المعتز ... وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز » (١٩٨) .

ونختتم هذه الترجمة الوجيزة بقول الدكتور زكي مبارك : « أبو فراس الوتر  
الحنَّان الذي خلد على الدهر مجدَّ الألم ومجد الأنين . أبو فراس الذي أبكى كلَّ  
عين . وأحزن كلَّ قلب . وشغل كلَّ بال . أبو فراس الأسد الذي استعذب الدمع بعد  
الزئير . وعلمته الليالي كيف تعصف الخطوب بأحلام الرجال » (١٩٩) .

( ١٩٧ ) دهرانه ص ٢٥

( ١٩٨ ) بقيمة الدهر ١١ : ٤٨

( ١٩٩ ) الموازنة بين الفراء ص ٢٥

## أبو بكر الصنوبري

٢٣٤ - ٩ هـ

اشتهر كثير من الشعراء في أدبنا العربي بلون من ألوان الأدب أو بشكل من أشكاله . مثل أبي نواس في خمرياته . وأبي العتاهية في زهدياته . وأبي فراس في روميته . والشريف الرضي في حجازياته . والصنوبري في روضياته ...

### سيرته :

هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي (١٠٠٠) . يكنى أبا بكر . وقد غلبت عليه نسبة « الصنوبري » . زعم هو نفسه أن جده « كان صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون فجرت له بين يديه مناظرة . فاستحسن كلامه وحدة مزاجه وقال له : « إنك لصنوبري الشكل . يريد بذلك الذكاء وحدة المزاج (١٠٠١) » . وقيل : انه لقب به اشارة الى صورته المخروطية التي تشبه ثمرة شجرة الصنوبر (١٠٠٢) . ونراه يفخر بهذا اللقب في شعره قائلاً : (١٠٠٣)

إذا غزينا الى الصنوبر لم نغز الى خامل من الخشب  
لا بل الى باسق الفروع علا مناسباً في أرومة الحسب  
أما نسبته الى قبيلة ضبة العريية المشهورة فقد افترق به فقال (١٠٠٤) :

لو لم يكن لي في ذؤابة خندف نسب سوى الآداب كنت عريقاً  
أو لست أطولها فروعاً في العلى وأمدّها في المسك كرمات عروقا  
نحن الذين بنيت لنا أبائنا مجداً يجوز بناؤه العيوقا (١٠٠٥)

---

(١٠٠٠) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١١ : ٤٥٦ ، الوافي بالوفيات ٧ : ٣٧٩ ، قوات الوفيات ١١ : ١٢٢ .

(١٠٠١) ديوان الصنوبري ص ٥ .

(١٠٠٢) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ١١ : ٣٦٤ تاريخ الأدب العربي .

العباسي الثاني ص ٢٤٧ .

(١٠٠٣) ديوان الصنوبري ٤٥٦ .

(١٠٠٤) ديوان الصنوبري ص ٩٠٤ .

(١٠٠٥) العيوق : كوكب مضى بهيال الشرا في ناحية الشمال .

نغشى البلاد بعارضٍ متراكم مُبْلِئَتْ ذُرَاهُ صَوَاعِقُاً وبروقاً  
قوم اذا دلفوا للحرب مَزَقُوا هَامَ الْعِدَا بسيوفهم تَمْزِيقاً  
فغدوا فريقاً يقتلون اذا هم راموا النزول . ويأسرون فريقاً

وُلِدَ الصنوبري في أنطاكية . ونشأ وكَبُرَ في حلب . ولم تُشر المصادر الى سنة ولادته والى طبيعة الدراسة التي تلقاها . ولكن القاري يستدلُّ من مراجعة شعره انه كان عارفاً بعلوم اللغة العربية وآدابها معرفةً جيدة ومتقنة ، وقد شهد الذين ترجموا له بتفوقه في ميدان المعرفة ، قال أحدهم : كان إماماً بارعاً في الأدب ، فصيحاً مفوها (١٠٦) .

أجاد نظم الشعر وأحسن انشاده . وأخذ يتنقل بين المدن الرئيسة مثل دمشق والموصل وحمص وطرابلس والرقّة .. ويُقدِّم شعره بين يدي أمرائها وكبار رجالها ثم يعود الى حلب . وقد تعرّف على سيف الدولة في الموصل قبل تأسيس دولته في حلب (١٠٧) ومدخه بشعره وأشاد ببطولته حينما كان يُنازل الروم مع الجيش الذي يذهب لحماية الثغور ورُدُّ كيد المعتدين على الديار الاسلامية .

وعندما تولّى سيف الدولة حلب . قَرَّبَ اليه الشعراء وأكرمهم . وكان الصنوبري واحداً منهم . اذا اتخذ نديماً من أخلص ندمائه . وجعله أميناً على مكتبته في قصره . عاش الصنوبري في يسر ونعيم في قصر منيف يحيط به بستان كبير فيه أنواع الأشجار والأزهار والرياحين . وكانت له صلات كثيرة وصدقات وثيقة مع عدد من العلماء والأدباء . مثل الشاعر كشاجم . والعالم اللغوي على بن سليمان بن الأخفش الصغير .

وتوفي سنة ٣٣٤ للهجرة وقد ناهز الستين (١٠٨) .

### شعره :

كان الصنوبري مكثراً في نظم الشعر . وقد عُني به الكثيرون وهو على قيد الحياة ورووه عنه . منهم تلميذه الشاعر أبو العباس الصُّفري وعنه رواه القاضي أبو

(١٠٦) النجوم الزاهرة ٢ ، ٢٨٧ .

(١٠٧) وصف الطبيعة في شعر الصنوبري . فواز أحمد طولان . مجلة مجمع اللغة العربية

بدمشق ، م ٤٤ / ٢ ، ٥٧٦ .

(١٠٨) العصر العباسي الثاني ص ٢٥٣ ، العصر في رحاب سيف الدولة الحمداني ص ١٠٦ .



عمر عثمان بن عبدالله الطرسوسي (١٠٠٩) . واهتم به معاصره أبو بكر الصولي فجمعه ورتبه حسب الحروف الهجائية في مئتي ورقة (١٠٠) . ولم يصل من هذا الديوان إلا جزء يشتمل على شعره من قافية الراء حتى القاف . واضاف اليه محققه تكملة للشعر الذي وجده في المصادر المخطوطة والمطبوعة . ثم قام باحثان آخران بصنع تنمة له ونشراها في كتاب مستقل (١٣١) .

اتصل الصنوبري بكثير من رجال عصره ، وخصهم بمديحه . وإمّا حاج فضلهم ونوالهم . وكان معجباً بسيف الدولة وشجاعته وشهامته وقوة ارادته وحسن بلائه في محاربة الروم مثل قوله (١٣٢) :

تركت الروم ، بعضهم قتيلاً      يمجّ دماً وبعضهم أسيراً  
ولما طار بأسك أمسي فيهم      هفوا جزعاً كما تهفو الطيور  
فقد ماتوا وما قُبروا ولكن      كأن بيوتهم لهم قبور  
لسيف الدولة السيف الذي للـ      سمنيا في غرازيه زئير

هذه الأبيات كما يلاحظ خلت من التجديد والابتكار ، وهي واضحة المعنى . سهلة الالفاظ ، تتلائم مع القافية ذات الجرس المختار . ومن الذين مدحهم بكثرة . وأسع عليهم هالة من الجلالة والعظمة أبو الحسين علي بن محمد بن حمزة الهاشمي . وكان موسراً له ضياع يتوسطها قصر جميل تحف به الرياض البديعة في مكان يسمى « فارث » . وكان الصنوبري يزوره بين حين وآخر ويجالسه ويتنعم معه بأطياب الحياة وينال رفده . ويقدم بين يديه شعره . مثل قوله من قصيدة عينية تجاوزت سبعين بيتاً (١٣٣) :

يوم بفارث حُسنه لا يدفع      يوم أغر من الزمان مُلَمّع  
جالست فيه أبا الحسين بمجلس      خلّع الربيع على رُباة تُخلع  
جلساؤه فيه هزير ضيفم      وغضنفر ضار وأغلب أروع

( ١٠٠٩ ) ينظر ديوان الصنوبري ص ١٨٧ هامش ٢

( ١٠١٠ ) الفهرست ص ٢٢٩ .

( ١٠١١ ) . حقق الديوان وصنع له تكملة الدكتور احسان عباس ( بيروت ١٩٧٠ ) ، أما التتمة فهي من صنع لطفي الصقال ودرية الخطيب ( حلب ١٩٧١ ) .

( ١٠١٢ ) ديوان الصنوبري ص ٧٤ .

( ١٠١٣ ) ديوان الصنوبري ص ٢٢٤ .

فخلعتُ فيه عِذارَ لهوٍ لم يكن في غيره من قبل ذلك يخلعُ  
وأخذ الرثاء مكاناً كبيراً في ديوانه . ولا سيما في بنته « ليلي » التي رثاها  
بقصائد ومقطوعات تطفح بالحزن والأسى وتمتليء بالبكاء والأنين . يستبكي فيها  
كُلَّ شيء حتى الطيور (١٠١١) .

سأبكي . ما بكي القمري . بنتي بحر من دموعي بل بحور  
ألسْتُ أحمقُ أن أبكي عليها إذا بكيت الطيور على الطيور

وكانت ليلي هذه ابنته الوحيدة ؛ ولذلك كان مصابه فيها كبيراً . وقد زُينَ قبةُ  
قبرها بباب قنسرين بحلب بأبيات من نظمه يتجلى فيها الألم العميق الصادق . إذ  
جعل على كل جانب من جوانب القبة الستة بيتين (١٠١٠) . من ذلك قوله :

أنسَ الله وحشتك رحِمَ الله وخذتُك  
أنسَ في صحبة ليلي أحسن الله صحبتك

وكلن مرهف الحس . بارعاً في التعبير عن خوالج نفسه . فمن جميل غزله الذي  
صوّر فيه شوقه وحنينه قوله في الأبيات الآتية . ويلاحظ القاريء فيها تفننه بالصورة  
ومزجها بألوان لطيفة في تشكيل جزئياتها (١٠١٢) :

تزايد ما ألقى . فقد جاوز الحدا وكان الهوى مزجاً فصار الهوى جدّاً  
وقد كنتُ جلدأ ثم أوهنتي الهوى وهذا الهوى مازال يستوهنُ الجلدأ  
فلا تعجبي من غلبِ ضعفك قوّتي فكم من ظباء في الهوى غلبتُ أسداً  
غلبتم على قلبي فصرتم أحقَّ بي وأملك لي مِنِّي فصرتم لكم عبداً  
جری حُبكم مجرى حياي ففقدكم . كفقد حياتي . لارأيتُ لكم فقداً

وله شعر في وصف الخمرة يقترن بالغزل . وقد مضى فيه على سنن معاصريه من  
الاكثار من التشبيهات . وذكر أوصاف السّقاء ومفاتيهم وجمال هيئاتهم وأثرهم في  
نفوس الشاربين . ويبدو أنه قد أقلع عن ذلك في وقت مبكر . وربما كان لموت ابنته  
ليلى أثر في ترك اللذة واللهو والشرب . إذ نراه يقول (١٠١٣) :

( ١٠١٤ ) ديوان الصنوبري ص ١٠٤ .

( ١٠١٥ ) ديوان الصنوبري ص ٥١٤ . وينظر تهذيب ابن عساكر ١ ، ٤٥٦ ، اعلام النبلاء بتاريخ

حلب الفهباء ٤ ، ٢٤ .

( ١٠١٦ ) ديوان الصنوبري ص ٤٧٢ .

( ١٠١٧ ) ديوان الصنوبري ص ٢٥٨ .

كُنْتُ أَحِبُّ النَّبِيذَ جِدًّا فَصَارَ حُبِّي النَّبِيذَ بُغْضًا  
فَلَسْتُ أَرْضَاهُ لِي شَرَابًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . لَسْتُ أَرْضَى

وينتقل الى نظم أشعار في الزهد ، يدعو فيها الى نبذ المعاصي والكف عن الآثام .  
ويدعو الى التوجه نحو الطريق القويم والسلوك السليم . مثل قوله : ( ١٠٨ )

فَأَكْثَرُ مَا اسْتَطَعْتُ الْحِلْمَ . أَنِي رَأَيْتُ الْحِلْمَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ  
وَلَا تَعَجَّلْ إِذَا حَاوَلْتَ أَمْرًا تَنْلُ مَا زُفْتُ مِنْ غَيْرِ امْتِنَاعِ  
وَمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ فَعَدُّ عَنْهُ وَأَوْضِعْ فِي سَبِيلِ الْمُسْتَطَاعِ  
فَرَزَقُكَ سَوْفَ تَدْرِكُهُ جَمِيعًا وَلَوْ أَضْحَى بِأَقْوَاهِ السُّبُعِ  
فَلَا تَتَّبِعْ أَخَاسِفَهُ وَذَغَّهُ وَكُنْ لِلْحَرِّ ذَهْرًا إِذَا اتَّبَعَ

أن شهرة الصنوبري ماجأت الآ من الشعر الذي خص به الطبيعة . « حتى  
ضُربَ المثل بروضيته . وحقاً كان ابن الرومي مشغولاً بالطبيعة ووصف الرياض في  
الربيع . ولكنه لم يَعشْ لهذا الموضوع معيشة الصنوبر ولا اتخذ له بستاناً يزرع فيه  
الورود والرياحين والأزهار . ويتعهدها تعهد المحب الوامق كما صنع الصنوبري . فهو  
بحق شاعر الطبيعة ، عاش يتغذى خياله وروحه منها ، واصفاً لحدائقها وبساتينها  
ورياضها . حتى ليصبح ذلك كل شغله وكل وكده من حياته » ( ١٠٩ ) ولذلك عذة آدم  
متر أول شاعر للطبيعة في الأدب العربي ( ١١٠ ) .

لقد هام بالطبيعة . وانجذب اليها . وتعاطف معها . وتجاوب معها تجاوباً  
وجدانياً . وامتزج بها حتى أصبح جزءاً متماسكاً منها . وقد لمس ذلك صديقه  
الحميم كشاجم . وقال له ( ١١١ ) :

فَأَلْهَمَتْكَ بِسَاتِنِ ذَاتِ النُّورِ وَالرُّهْرِ  
وَمَا شَيْئَتْ لَلْخُلَّةِ قُورٍ مِنْ دَارٍ وَمِنْ قُصْرِ  
وَمَا جُمِعَتْ مِنْ غَرَسٍ وَمِنْ حَرْثٍ وَمِنْ بَذْرِ  
وَنَارَنْجٍ وَرِيحَانٍ جَنِيِّ طَيِّبِ النَّشْرِ

( ١٠٨ ) ديوان الصنوبري ص ٣٢٢ .

( ١٠٩ ) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ص ٣٦٢ .

( ١٠٢٠ ) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٤٢٠ .

( ١٠٢١ ) ديوان كشاجم ص ٣٢٩ .

كان مولعاً بالربيع . ينتظره بشوق ولهفة « لأنه يُرضي حاسته البصرية المفتونة باستجلاء الألوان . النهمة الى النور والنور . كما يُرضي أذنه التي تطربها أصوات الطبيعة يغنيها القمري والفاخنة ... أكثر مما يطربها العود والطنبور . وكما يرضي أنفه الذي يمتليء بأريج الربيع فلا يجد معنىً للمسك من بعده ولا للكافور . وكما يُرضي بعد ذلك كل نفسه فتطمئن اليه » (١٢٢) . مثل قوله (١٢٣) :

ياربم قومي الآن ويحك فانظري      مالمسربى قد أظهرت إعجابها  
كانت محاسن وجهها محجوبة      فالآن قد كشف الربيع حجابها  
ورد بدا يحكي الخدود ونرجس      يحكي العيون اذ رأت أحبابها  
والزرع شبنه عساكر مصطفىة      قد فوقت عن قسيها ثنائها  
والسرو تحسبه العيون غوانياً      قد شمّت عن سوقها أثوابها  
وكان إحداهن من نفج الصبا      خوذ تلاعب مؤهناً أترابها  
والنهر قد هزته أرواح الصبا      طرباً وجرت فوقه أهدابها  
لو كنت أملك للرياض صيانة      يوماً لما وطئ اللثام ثرابها

إن لوحاته في الرياض الناضرة جميلة وبهية تستجذب الرائي وتسحره ؛ لأنها مرسومة بيد ماهرة تعرف كيف تُشكل بين الألوان وتستجليها واليك الأبيات الآتية وهي تعطيك مجموعة من الأزهار في تشكيل لطيف بين أقحوان . وسوسن . وشقيق . وبهار . وأذريون . ونرجس . وخيري . ونسرين . وورد . وياسمين . وخزامى . وقيصوم (١٢٤) :

أقحوان وسوسن وشقيق      وبهار يجنى وأذريون  
وبدا النرجس البديع كأمشا      ل عيون ترنو اليها عيون  
ماترى جانب الهني وقد اش      رق فيه الخيري والنسرين  
صاح فيه الهزار . ناخ به القمص      ري . غنى في جوّه الشفنين  
فلهذا قيصومه وخزاما      ه وذا الورد فيه والياسمين

( ١٢٢ ) شعر الطبيعة في الادب العربي ص ٢٠٦ .

( ١٢٣ ) ديوان الصنوبري ص ٤٥٤ .

( ١٢٤ ) ديوان الصنوبري ص ٤٩٥ .

وحظيت المياه . متمثلة في السحاب والأنهار والغدران والسواقي والجداول والبرك . بنصيب كبير من شعر الصنوبري . فها هو ذا يصف بركةً وصفاً جميلاً يذكرنا فيها بأبيات أبي عبادة البحتري في وصف بركة المتوكل . وقد حالفه التوفيق في عرض صورتها (١٣٠) :

سقى حلباً سافكاً دمعهُ	بطيئاً الرقوء إذا ماسفك
ميادينه بسطهْن الرِّياضُ	وساحاته بينهن البرك
تري الريح تنسج من مائه	دروعاً مضاعفة أو شبك
كان الزجاج عليها أذيب	وماء اللجين بها قد شبك
هو الجو من رقة غير أن	مكان الطيور يطير الشمك
وقد نظم الزهر نظم النجوم	فمفترق النظم أو مشبك
كما درج الماء مر الصُّبا	ودبج وجه السماء الحبك

وفتح الصنوبري الباب للشعراء في وصف الثلج والتغني بجمال منظره . ولا سيما حينما يتساقط على الأرض كاللؤلؤ المنثور أو القطن المندوف . وهذا ماأكده الدكتور سيد نوفل بقوله : « ويُعدُّ الصنوبري أول من تغنَّى بالثلج وبدائعهِ » (١٣٦) . مثل قوله (١٣٧) :

تعالى الله خالق كل شيء	بقدرته وباري كل نفس
لقد أضى جميع الأرض تجري	كواكبه بسعد لا بنحس
ألم تر كيف قد لبست رباها	من الثلج المضاعف أي لبس
ثياباً لاتزال تذوب لينا	إذا الأيدي عرض لها بلمس
كان الغيم مما بت منه	على أرجائها أنداف برس

نالت الثلجيات اعجاب شعراء العراق . وكان الوزير الحسن بن محمد المهلبى في بغداد ينشر في مجاله قصائد الصنوبري وينسج على منوالها (١٣٨) .

(١٣٥) ديوان الصنوبري ص ٤٨٤ .

(١٣٦) شعر الطبيعة في الأدب العربي ص ٢١٥ . وينظر فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٦٥٦ . اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري ص ٢٦٤ .

(١٣٧) ديوان الصنوبري ص ١٧٩ .

(١٣٨) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٤٧٣ . وتنظر أبيات المهلبى في وصف الثلج في يتيمة الدهر ٢ : ٢٢٨ .

لقد كان الصنوبري متدفقاً في عطائه الشعري بأسلوب واضح جلي . لا لبس فيه ولا غموض . وكانت الألفاظ والمعاني متناسقه عنده الى جانب توافقهما مع الموسيقى . وكثيراً ما يستعين بالتشبيهات والاستعارات في تحسين صوره وتوضيحها مع استخدام المحسنات البديعية ولا سيما الجناس .

## السري الرفاء

١ - ٢٦٢ هـ

في ظل الدولة العباسية التي بسطت نفوذها على العراق وبلاد فارس وما وراء النهر حتى حدود الصين شرقاً ، وبلاد الشام والجزيرة وجزء من شمال افريقيا غرباً . برزت مدن كثيرة لاتقل شأناً عن بغداد . واصبح لها دورٌ بارز في مجالي العمران والثقافة . يؤمها الداني والقاصي للتفيؤ في ظلالها والتزود ب زاد المعرفة من مدارسها ومن قطن فيها من العلماء والادباء . والموصل احدى هذه المدن التي انجبت نخبة طيبة من العلماء الفضلاء ، والادباء الاجلاء . منهم اديبنا السري الرفاء .

### سيرته :

هو السري بن احمد بن السري الكندي . يكنى ابا الحسن . ويعرف بالسري الرفاء . لأنه كان يرفو الثياب ويطرزها في صباه (١٢٩) . وقد اشار الى هذه المهنة في شعره . فقال : (١٣٠)

وكانت الابرة فيما مضى      سائنةً وجهي واشعاري  
فأصبح الرزق بها ضيقاً      كأنه من ثقبها جاري

وهو عربي من قبيلة كندة المشهورة . وقد افتخر بها في شعره (١٣١) . ولد في مدينة الموصل في العقد الاول من القرن الرابع للهجرة . وتعلم القراءة والكتابة في الكتاتيب . ثم درس القرآن الكريم والحديث الشريف وشيئاً من النحو واللغة والادب . وحينما اشتغل في احد دكاكين الرفائين لم ينقطع عن التعلم والتثقف وحضور مجالس العلماء والادباء والافادة منهم . وكان ينتهز الفرص لمطالعة الكتب وحفظ الشعر حتى برز شاعراً متمكناً من ناصية القريض .

وجد السري الرفاء نفسه غريباً بين الذين يزاولون مهنته . وانها لاتندرج عليه المال الكافي لعيشه . فبدأ يحتقرها . واخيراً تركها واحترف مهنة صيد السمك . وله

( ١٠٢٩ ) يعقبة الدهر ٢ ، ١١٧ ، وفيات الاعيان ٢ ، ٢٥٩

( ١٠٣٠ ) ديوانه ٢ ، ٢٨٩

( ١٠٣١ ) ينظر ديوانه ٢ ، ٣٢٤

ايات من قصيدة يشير فيها الى الشبكة التي كان يستخدمها وهي عتيقة بالية  
غبراء (١٣٢) :

وشاحِبِ اللَّبَسَةِ والاعضاءِ      أشعثُ نائِى العَهْدِ بالرَّخاءِ  
أَفْضَى بِهِ العُذْمُ الى الفِضاءِ      فوجُهُهُ لِلضَّيْحِ . والهَواءِ (١٣٣)  
أَغْبَرُ يحوي الرِّزْقُ من غبراءِ      خفيفةً . ثَقِيلَةُ الارْجاءِ  
كَأَنَّهَا هَلْهَلُ لهُ الرِّداءِ      كَلَّفَهَا لَحْظَ بِنَاتِ المَاءِ  
فَأَقْبَلْتُ تَمَلُّ عَيْنَ الرَّائِي      بَكْلُ صَافِي المَتَنِ والأَحْشاءِ  
أَيُّضُ مِثْلِ الفِضَةِ البِيضاءِ      او كذراعِ الكاعِبِ الحَسَناءِ

ويندو ان هذه المهنة ايضا لم تُجده نفعاً . فاعتزلها . وانصرف الى الشعر يمدح  
ويتكسب به . وكانت اول صلته بناصر الدولة واولاده من الامراء الحمدانيين في  
الموصل . ونال منهم العطايا والهدايا . ولكن سرعان ما حسده الشاعران الموصليان  
الاخوان ابو بكر محمد . وابو عثمان سعيد . ابنا هاشم الخالديان . واخذوا يكيدان  
له ويوغران صدور ممدوحيه . وافلحا في سعيهما المقيت . حيث قُطِعَتْ عنه المعونة  
وساءت حالته . واضطرا الى مغادرة الموصل الى حلب هرباً من شرّ هذين الخصمين . قال  
ابو منصور الثعالبي : « ولم يزل في ضنكٍ من العيش الى ان خرج الى حلب .  
واتصل بسيف الدولة . واستكثر من المدح . فطلع سَعْدُهُ بعد الأقول . وَبَعْدَ صِيته  
بعد الخمول . وخُنَّ موقع شعره عند الامراء من بني حمدان ورؤساء الشام » (١٣٤)

لم تدم ايام النعيم طويلاً في حلب . حيث تبعه الخالديان . واخذوا يُشعلان نار  
الحقد والكراهية عليه . واستطاعا بما أوتيا من لباقة وحن منادمة من تقليل شأنه  
عند سيف الدولة وابعاده عن مجلسه وحرمانه من كرمه . وقد اشار في قصيدة له الى  
ذلك . فقال : (١٣٥)

علامِ حَرَمَتَنِى انْشاذَ شعري      لَدَيْكَ وَقَدْ تَنَاشَدُ الانامُ  
وَلِيْ فَيْكَ الَّتِي تُلْغِي القوافي      اذا ذَكَرْتُ وَيُطَرِّحُ الكَلَامُ  
تَقْصُرُ عَن مَدَاهَا الرِّيحُ جَزِيًّا      وتَعْجِزُ عَن مَوَاقِعِهَا السَّهامُ

( ١٣٦ ) ديواله ١١ ٢٧٢

( ١٣٧ ) الضح : الفمس . وقيل هو ضروها .

( ١٣٨ ) يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ ٢ ١١٩

( ١٣٩ ) ديواله ٦ ٢٧٢



تَنَاهَتْ حُسْنَهَا شَادٍ وَحَادٍ      فُحِشْتُ بِهَا الْمَطَايَا وَالْمَدَامَ  
لَكَ النِّعَمُ الَّتِي جَلَّتْ وَلَكِنْ      دُنُوِي مِنْكَ وَالْقَرَبُ التَّمَامَ  
وَتَشْرِيفِي الْقِيَامَ إِزَاءَ مَلِكٍ      مَلُوكِ الْعَالَمِينَ لَهُ قِيَامَ  
وَاحْضَارِي إِذَا خَبِرْتُ مَدْحًا      لَتَسْمَعَنَّ مَا أَخْبَرُ وَالسَّلَامَ  
لم ينفع هذا العتاب على نفور الأمير منه ومنعه من انشاد شعره بين يديه .  
وبقي في حلب مجابهاً خصميه الخالدين بالهجاء . ولكن وجد نفسه في آخر الأمر  
في حرج . فخرج الى بغداد في اواخر سنة ٣٤٩ للهجرة .

اتصل في بغداد بكبار رجال الدولة مثل الوزير الحسن بن محمد المهلبى  
والكاتب ابي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي . واصبح في رغب من العيش . ولم  
يكن يعلم ما تخبئ له الايام من شرور . اذ جاءه نبأ مقدم الخالدين الى بغداد  
واتصالهما بالوزير المهلبى . وقد حَقَّقَا نواياهما . حيث نجحا في ابعاده عن هذا  
الوزير وعن كبار كتابه .

عاش بعد ذلك فقيراً بائساً لا يستطيع دفع ايجار داره (١٣٩) . والتجأ الى مهنة  
الوراقة . واخذ ينسخ الكتب ويبيعها ويقّات من ريعها الى ان ادركته المنية سنة ٣٦٢  
للهجرة (١٣٧) . وترك من بعده ديواناً شعرياً . وكتاب « المحب والمحبوب والشموم  
والمشروب » وكتاباً آخر باسم « الديرة » لم يصل الينا .

### شعره :

كان السري الرفاء شاعراً مجيداً . قال ابن النديم : « السري بن احمد الكندي  
من اهل الموصل . شاعر مطبوع ..... عمل شعره قبل موته نحو ثلاث مئة ورقة . ثم  
زاد بعد ذلك . وقد عمله بعض المحدثين الادباء على الحروف (١٣٨) » . لقد كثرت  
نسخ ديوانه بين الايدي آنذاك . لانه كان ينسخه بنفسه ويبيعه . عندما افتقر في  
ايامه الاخيرة في بغداد (١٣٩) .

( ١٣٦ ) تاريخ بغداد ٩ ، ١٩٤

( ١٣٧ ) المنتظم ٦٢ ، ١٧ ، معجم الادباء ٤ ، ٢٢٦

( ١٣٨ ) الفهرست ص ٢٤١

( ١٣٩ ) ينظر تاريخ بغداد ٩ ، ١٩٤

طرق الموضوعات الشعرية المعروفة من مديح وهجاء ورثاء وغزل ووصف وفخر وعتاب واعتذار وحكمة . وقد اجاد في جميعها ونال اعجاب الدارسين . قال ابو منصور الشعالي : « السريُّ وما ادراك من السريُّ ؟ صاحب سر الشعر ، الجامع بين نظم عقود الدر ، والنثث في عُقد السحر ، ولله درُّه مأعذب بحره ، وأصفى قطره واعجب أمره (١٠٠) » . وقال فيه ابو هلال العسكري : « وليس فيمن تأخر من الشاميين اصفى الفاظاً مع الجزالة والسهولة وألزم لعمود الشعر منه (١٠١) » .

نظم السريُّ الرِّفَاء شعراً كثيراً في المديح . وقد افرغ في كثير منه جل طاقته الفنية . كي يستطيع أن يجاري الشعراء المذاهبين الكبار امثال ابي الطيب المتنبي ، وابي العباس النامي . وابن نباتة السعدي . وابي الفرج البغواء . والوُأواء الدمشقي ... فيها هو ذا يشارك الشعراء في مدح سيف الدولة الحمداني . مظهراً دوره النضالي في حماية تربة الوطن . ومبيناً كفاحه في مواجهة الروم (١٠٢) .

يَفْشَى القِرَاعَ فَيَنْشِي سَمَانَهُ      فِي غَرْبِ مَنْزِلِهِ وَفِي جَلْبَابِهِ  
كَالْمَيْثِ أَثَارَ اللَّقَاءِ مُبِينَةً      فِي لَبْدَتَيْهِ وَفِي شَبَابِ انْيَابِهِ  
عَلِمْتُ مُلُوكَ الرُّومِ أَنَّ حَيَاتَهَا      وَمَمَاتَهَا فِي عَفْوِهِ وَعِقَابِهِ  
فِي كُلِّ عَامٍ غَزْوَةً يَقْضِي بِهَا      وَطَرّاً لَهُ وَيُنَالُ مِنْ أَرَابِهِ  
أَوْفَى فَسَدُ شَعَابَتِهِمْ بِعَرْمَرٍ      يُنْسِي الْفَضَاءَ الرَّحْبَ سَيْلَ شَعَابِهِ  
كَالطُّودِ لَا يَثْنِيهِ عَنْ مُتَمَنِّجٍ      حَتَّى يَكْفُ رِقَابَهُ بِرِقَابِهِ  
تُرْجِي الْمُنُونُ جَيَاذَهُ مُحْزَمَةً      بِالْحَزْمِ أَوْ يُحْدِي الرُّدَى بِرَكَابِهِ

بهذا الأسلوب الفخم يُعْظَمُ فارسه الشجاع . ويُعَلِي من شأنه . ويجعله كالطود الأثم في الصمود والمقاومة . ونجد في ديوانه مدائح للأمراء الحمدانيين الآخرين وكذلك لشخصيات كثيرة في حلب والموصل وبغداد . وهو في جميعها يُشيد بجودهم وكرمهم وحميد صفاتهم كي ينال رضاهم ثم عطاءهم .

وحينما شقَّ طريقة الى رحاب المجد عن طريق الشعر الجيد نافسه الكثيرون وانقلب بعضهم الى خصوم يعادونه . وينتقصون من قيمته ويفضون من قدره . مثل

( ١٠٥٠ ) هَيْجَمَةُ الدَّهْر ١٢ ، ١١٧ .

( ١٠٥١ ) دِيْوَانُ الْمَعَانِي ١٢ ، ١٧ .

( ١٠٥٢ ) دِيْوَانُهُ ١ ، ٣٧٢ .

الخالدين ، وأبى العباس النامي ، وعلي بن العصب الملحي .. واليك الابيات  
الآتية في هجاء الخالدين بعدما سمع انهما متوجهان الى بغداد ، مُحذراً إياهما من  
مغبة الرجوع الى المعادة : ( ١١٣ )

اني نذتُ على السواء إليكما      فتأهباً للفداح المنتاب  
نصبتُ مجانيقَ الهجاء وإن رأيتُ      لكما ضؤولةً منصيبٍ ونصابٍ  
فإذا أصابكما غضابُ سهامها      غبرتُ مدى الأيام غُبرَ غضابٍ  
فلتلفحنكما سائمٌ. منطقي      ولتفرقنكما سيولُ شعابي  
ولأضربنكما على ما خيلتُ      بصوارمٍ للشعر غير نوابي  
فأريكما الدنيا به مغبرةً      حتى تظنَّ اليومَ يومَ ضابٍ

وله شعر لطيف في الغزل ، صُوِّر فيه وجده وهيامه بلغة رقيقة شفافة تَهزُ السامع  
بمعانيها السامية . مثل قوله في الأبيات الآتية التي عُدّها ياقوت الحموي من غرر  
شعره الغزلي . وقد جاءت في مطلع قصيدة مدح بها أبا الهجاء خُرب بن سعيد بن  
حمدان : ( ١١٤ )

بلاني الحبُّ فيك بما بلاني      فشأنِي أن تفيضَ غروبُ شاني  
أبيتُ الليلَ مرتقباً أناجي      بصدقِ الوجدِ كاذبةَ الأمانِي  
فتشهدُ لي على الأرقِ الثريا      ويعلمُ ما أجنُ الفرقدانِ  
ومذهبةُ الخدودِ بجلَّ نارِ      مُفضضةُ الشُّغورِ بأقحوانِ  
سقانا الله مِن رِيكِ ريساً      وحيانا بأوجهكِ الحسانِ  
ستصرفُ طاعتي عمن نهاني      دموعُ فيكِ تلخى من لحاني  
ولم أجهلُ نصيحتَهُ ولكن      جنونُ الحبِّ أحلى في جناني

وشارك في شعر الرثاء . وهو لم يأت فيه بجديد . بل قلَّد القُدَامى في معانيهم  
وصورهم . ولعل أجود ما قال في هذا المجال قصيدة في رثاء قوم من بني شيبان  
ضُلبوا وكان فيهم صديق مخلص له يكتئى أبا الفضل . وكان الوقت شديد الحر فلما  
ضُربت أعناقهم حادت السماء بوابل مدرار من المطر ( ١١٥ ) .

( ١٠٤٣ ) ديوانه ١ : ٤١٦

( ١٠٤٤ ) ديوانه ٢ : ٧١١ ، معجم الأدياء ٤ : ٢٢٨ .

( ١٠٤٥ ) ديوانه ٢ : ٦٠٠ .

أبا الفضل غالتك الخطوب ولم يكن  
فأصبحت مسلوب القميص وطالما  
وحولك من بكر بن وائل فتية  
أصابهم ريسب الزمان وإنسما  
كانهم في الليل ركب تحيروا  
تلقاهم حرّ الهجير برأفة  
وأضحى الحيا في غير حين أوانه  
كان السماء استعبرت لمصاهم

وبلغ في شعر الوصف ذروة نظمه . إذ أبدع في وصف الطبيعة وما فيها من مناظر  
خلابة . وأجاد في تصوير مظاهر الحياة آنذاك . وأحسن في تناول الأطعمة والأشربة  
ووصفها . ونستطيع القول : إنه أحد المبرزين . شأنه في ذلك شأن الآخرين  
المشهورين في هذا الفن مثل الصنوبري وكشاجم . ولعل في قول أحد الباحثين  
مبالغة : « إنه أعظم وصافي القرن الرابع إن لم يكن أعظمهم (١٠٦) » .

كان معجباً بشعر أبي نواس . مفتوناً به . وقد عبّر عن ذلك في وصف الهلال  
حين بدا في كبد السماء الزرقاء . مشبهاً به طرف الطوق الجميل في عنق الفتاة  
الحسنة (١٠٧) :

ألا عذ لي بباطية وكاس ورغ همي بإبريق وطاس  
وذاكرني بشعر أبي نواس على روض كشرع أبي نواس  
وغيم مرهفات البرق فيه عوار والرياض به كواسي  
ولاح لنا الهلال كشطر طوق على لبّات زرقاء اللباس

انه كثيراً ما يُشبه مظاهر الحسن والجمال في الطبيعة بالحناءات اللواتي يبهرن  
الناظرين بمفاتهنّ وزنتهنّ . مثل قوله في تصوير لطيف لمنظر الثلج (١٠٨) :

(١٠٦) السري الرفاء . يوسف أمين قصير . ص ٤٦ .

(١٠٧) ديوانه ٢ ، ٣٢٧ .

(١٠٨) ديوانه ٣ ، ٥٨٢ .

كَأَنَّ ذُرَا الفصونِ لبسَ منه      خلى الكافورِ ربَّاتِ الحجَّالِ  
تَلَالِيتُ الرُّبَى لِبَاساً عَلَاهَا      كَأَنَّ عَلَى الرُّبَى أَثْوَابَ آلِ  
تَجُولُ الْعَيْنُ فِيهَا وَهِيَ فِيهِ      كَشَبَ الْخَيْلِ رُحْنٌ بِلَا جِلَالِ

وكان يهوى الأماكن القريبة من الأنهار . ولذلك كثر وصفه للأشياء التي تحيط بها كالأشجار والأزهار والثمار . أو التي تقوم عليها كالجسور والدواليب . أو التي تجري فيها كالسفن والقوارب . وامتاز بلون طريف آخر يتصل بالأنهار وهو وصف السمك . فانه كَانَ يُبَكِّرُ لصيده مسروراً مع طلوع الفجر . ويتمتع بمنظر الطبيعة الساحر . واليك اللوحة الآتية التي تكشف لك عن صيادٍ ماهرٍ يُلقِي شباكهُ في النهر ويستخرج سمكاً شبيهاً بالمُدَى أو بصغار الخناجر (١٠١) :

قَدْ أَغْتَدِي نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرِ الْكَرَى      أُحِبُّ بُرْدِي عَلَى بَرْدِ الثَّرَى  
وَالصَّبْحُ حَفْلٌ بَيْنَ أَحْشَاءِ الدُّجَى      وَالرَّيْحُ كَالرَّاحِ نَائٍ عَنْهَا الْقَذَى  
يَنْنُمُ رِيَاها عَلَى زَهْرِ الرُّبَى      بِذَاتِ أَحْدَاقٍ تَرَى مَا لَا يَرَى  
مَلَأَةً مَا نُسِجَتْ لِسُرْتَدَى      تُرِيكَ ضَعْفًا ظَاهِرًا وَهُوَ قَوَى  
وَجِدَةٍ تَحِبُّهَا الْعَيْنُ بِلَى      غِبرَاءِ كَالدَّرْعِ تَفْشَاهَا الصُّدَا  
تَعُومُ فِي أَبْيَضٍ كَالْأَلِ صَفَا      تَرْسُبُ فِي أَحْشَائِهِ صَفَرُ الْحِشَا  
فَتَعْتَلِي مِنْهُ بِأَحْشَاءِ مَلَا      تَضْحَكُ عَنْ مِثْلِ صَغِيرَاتِ الْمُدَى  
كَأَنَّهَا عَقْدٌ لَالٌ قَدْ وَهَى      يَوْمِضُ فِيهَا كَالْخَسَامِ الْمُنْتَضَى

وتجدر الإشارة في هذه الدراسة الموجزة الى شعره الذي نظمهُ شوقاً وحنيناً الى الموصل . فلو أمعنا النظر في القصائد التي خصصها لهذا الغرض لرأيناها تتدفق بعواطف جياشة . مما يدل على تعلقه الشديد بمسقط رأسه ومرتع صباه ومرجع شبابه . ووفائه للمدينة التي درج في أكنافها وشم عبير العطر الفواح من المروج والحدائق التي تحيط بها . ونختار للقارئ الآيات الآتية التي تعبّر بصدق وحرارة عن ألمه لفراق منزله الأول (١٠٠) :

لا أَرْجُو الدَّمْعَ إِنْ هَمَّتْ سَوَاكِبُهُ      وَالنَّفْسُ قَدْ بَعْدَتْ مِنْهَا أُمَانِيهَا  
سَقَى رَبِّي المَوْصِلَ الزَّهْرَاءَ مِنْ بَلَدٍ      جَوْدٌ مِنَ الْغَيْثِ يَحْكُمِي جَوْدُ أَهْلِيهَا  
أَلْدَبْتُ الْعَيْشَ فِيهَا أَمْ أَنْوَحُ عَلَى      أَيَّامِهَا أَمْ أَعْزِي عَنْ لِيَالِيهَا؟  
أَرْضٍ يَحْنُ إِلَيْهَا مِنْ يَفَارِقُهَا      وَيَحْمَدُ الْعَيْشَ فِيهَا مِنْ يُدَانِيهَا  
مِثْلَ طَيِّبَةِ الْأَنْفَاسِ ضَاكِكَةً      تَكَادُ تَهْتَرُ عُجْبًا مِنْ نَوَاحِيهَا<sup>(١٠٥١)</sup>  
تَشْقُ دَجْلَةً أَنْوَارَ الرِّيَاضِ بِهَا      مِثْلَ الصَّفِيحَةِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا  
لَا أَمْلِكُ الصَّبْرَ عَنْهَا إِنْ نَأَيْتُ وَلَوْ      غَوَضْتُ عَنْ ظِلِّهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

لقد جاءت قصائده في الحنين الى الموصل حزينة باكية . مصوغة بأحسن أسلوب وأجوده . وقد عذاها أحد الباحثين « صورة ناطقة بأبداع ما أنتجه الشاعر وألعم ما دبجته قريحته » (١٠٥٢) .

والى جانب ما ذكرنا من أغراض نجد له شعراً في العتاب والاعتذار والاخوانيات والحكم . وهو في جميعها لا يهبط عن المستوى الذي شاهدناه في النصوص الشعرية السابقة .

إِنَّ شَعْرَ السَّرِيِّ الرَّفَاءَ عَلَى الْعُمُومِ يَجْرِي مَعَ الطَّبْعِ ، وَيَسِيرُ فِي طَرِيقِ سَهْلِ مَنِبَسَطٍ لَا أَثَرَ لِلتَّعْقِيدِ وَالِاتِّوَاءِ فِيهِ . وَخِيَالُهُ خَصْبٌ وَوَاسِعٌ أَشْبَهَ بِكِبَارِ الشُّعْرَاءِ . وَلَا سِيَمَا فِي مِيزَانِ الْوَصْفِ ، وَلَفْتِهِ سَلِيمَةٌ وَفَصِيحَةٌ ، وَصَنَعَتُهُ الْفَنِيَّةُ مَقْبُولَةٌ تَعْجِبُ الْقَارِيءَ . وَلَعَلَّ قَوْلَهُ الْآتِي مُصَدِّقٌ لَطَبِيعَةِ شِعْرِهِ (١٠٥٣) .

فَهُوَ مِثْلُ الْمُدَامِ بَيْنَ صَفَاءٍ      وَبُهَاءٍ وَنُفْثَةٍ وَمَذَاقٍ  
مَنْطِقٌ يُخْجَلُ الرَّبِيعُ إِذَا حُلَّ      لَ عَلَيْهِ السَّحَابُ عَقْدُ النَّطَاقِ  
عَرَبِيٌّ رَوَّاحُ الشَّيْخِ وَالْقَيْدِ      صَوْمٌ مِنْهُ وَالشُّبُّ وَالطَّبَاقُ (١٠٥٤)  
سَائِلٌ مِنْ شِعَابٍ وَجَرَةٍ ثَاوٍ      بَيْنَ أَجْزَاعِهَا وَبَيْنَ الْبَرَاقِ  
فَهُوَ مَا شِئْتُ مِنْ هَدِيرٍ قُرُومٍ      وَهُوَ مَا شِئْتُ مِنْ حَنِينٍ نِيَاقِ

(١٠٥١) الميثاء ، الأرض السهلة . ولقب الراية الطبية .

(١٠٥٢) السري الرفاء ، للدكتور حبيب حسين الحسني ، ص ٢٢٥ .

(١٠٥٣) ديوانه ٢ ، ٤٩٧ .

(١٠٥٤) الشيخ والقيصوم والفث والطباق ، نباتات معروفة بناحية الحجاز

## الشريف الرضي

٢٥٩ - ٤٠٦ هـ

القرن الرابع للهجرة - على الرغم من اضطراب الأحوال السياسية فيه بعد دخول البويهيين العراق - حافل بالحركات العلمية في شتى نواحي المعرفة . زاهر بعدد كبير من العلماء والادباء والفقهاء . زاهر بالمكتبات التي تعج بالكتب في مختلف فنون العلم والأدب والتاريخ والطب والفلسفة .. حتى إن الشريف الرضي الذي سنترجم له في الصفحات الآتية كانت له دار سماها دار العلم . هيأ لها كل مستلزمات الدراسة وأسباب الراحة .

### سيرته :

هو أبو الحسن . الشريف الأجل . الملقب بالرضي . محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنه . وأمه السيدة فاطمة بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الذي يرجع سبه الى الامام علي رضي الله عنه .

ولد في بغداد بجانب الكرخ سنة ٣٥٩ للهجرة (١٠٠٠) . ونشأ في بيت عزم وشرف . وفي بيئة علمية وأدبية . وقد توجه منذ الصغر مع أخيه الشريف المرتضى نحو التعلم والتثقف . وتلمذ على أساتذة أجلاء كثيرين في مختلف العلوم (١٠٠٦) . من ابرزهم ابو سعيد السيرافي النحوي المشهور . وأبو الفتح عثمان بن جني اللغوي النحوي . وأبو علي الحسن بن أحمد النحوي . وأبو اسحاق ابراهيم بن أحمد الطبري الفقيه المالكي . ومحمد بن عمران المرزباني . والشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن المعلم . وابن نباتة الفارقي ...

شبَّ الشريف الرضي عالماً شاعراً . طموحاً الى المجد . نزاعاً الى العلى . والقاريء في شعره يلمس ذلك بوضوح . مثل قوله (١٠٥٧) :

---

( ١٠٥٥ ) المحمدون من الشعراء ص ٢٤٤ .

( ١٠٥٦ ) الفدير ١٨٢ ، ١٨٥ ، الحاشية في شعر الشريف الرضي ٨٢ - ٨٦ .

( ١٠٥٧ ) ديوانه ١ ، ٢٥٤ .

لا همُّ قلبي بركوبِ العُلَى      يوماً ولا بلَّ يَدَيَّ السُّمَاحِ  
 إن لم أنلها باشتراطٍ كما      شئتُ على بيضِ الطُّبَا واقترَاحِ  
 أفوزُ منها باللبابِ الذي      يُغني الأمانِي نيلُهُ والصُّراحِ  
 لا بدُّ أن أركبها صعبةً      وقَاحَةً تَحسَّتْ غلامٌ وقَاحِ

ولعله كان ينبغي الرئاسة لينتدأ أمته من السقوط في الهاوية ولا سيما بعد أن هان أمر الخلفاء العباسيين وأصبحوا لعبة بيد الأعاجم . ها هو ذا يصرح بملء فمه عن نيته فيقول (١٠٥٨) :

سأخطبها بحدِّ السيفِ فعلاً      إذا لم يُغنِ قولٌ أو خطابُ  
 وأخذها وإن رُغمَت أنوفُ      مُغالبةً وإن ذلَّت رقابُ  
 وإن مقامٌ مثلي في الأعادي      مقامُ البدرِ تنبُحُه الكلابُ  
 رموني بالعيوبِ مُلفقاتٍ      وقد علموا بأنِّي لا أعابُ

كان الشريف الرضي الى جانب ما يحمله من اباء وعزة وشمم . موصوفاً بالعفة والورع والتدين . ووصف أيضاً بالجد والحدب على قومه ومن اتصل به من الناس (١٠٥٩) . وسمت مكانته . وعلت منزلته عند الخاصة والعامة . وقد أمر بهاء الدولة البويهية أن تكون مخاطباته بعنوان : الشريف الأجل . ثم خلع عليه لقب الرضي . وشغل منصب نقابة الطالبين . والنظر في المظالم . وامارة الحج . والنظر في أمور المساجد بمدينة السلام .

عاصر الشريف الرضي ثلاثة خلفاء : المطيع لله . والطائع لله . والقادر بالله . قضى من عمره أربع سنوات في عهد المطيع . وثمانية عشر عاماً في ظل الطائع . وخمسة وعشرين عاماً من مدة حكم القادر . وكان في عهد المطيع طفلاً . أما في عهد الطائع (٣٦٣ - ٣٨١ هـ) فكان شاباً يافعاً . وكانت علاقته به طيبة ولا سيما بعد أن أطلق سراح والده من السجن الذي وضعه فيه عضد الدولة تنفيذاً لخطته في القضاء على مَنْ يخشى بأسهم على ملكه . وحينما جاء القادر الى الخلافة لم تنقطع صلته بدار الخلافة . بل قدّم مديحه لهذا الخليفة وكسب رضاه . وكانت له صلات ببعض الأمراء والوزراء بحكم مكانته في أسرته . فمن الأمراء شرف الدولة وبهاء الدولة البويهيين . ومن الوزراء صاحب بن عبّاد . وعبد العزيز بن يوسف .

(١٠٥٨) ديوانه ١ ، ١٢٧ .

(١٠٥٩) ينظر المنتظم ١٧ ، ٢٧٩ . شرح نهج البلاغة ١ ، ٢٢١ .

م . ١٨ / الادب العربي



وكان الشريف الرضي - على كثرة مشاغله - دؤوباً في التأليف والتصنيف . وقد ترك آثاراً جليلة وقيمة (١٨٠) . من أهمها : حقائق التأويل في متشابه التنزيل . وتلخيص البيان عن مجازات القرآن . ومجازات الآثار النبوية . وخصائص الأئمة . ونهج البلاغة . وديوان شعره .

توفي الشريف الرضي يوم الأحد السادس من شهر المحرم سنة ٤٠٦ للهجرة . ورثاه ثلاثة شعراء كبار ، الشريف المرتضى . والوزير أبو القاسم الحسين بن علي . ومهيار الديلمي .

### شعره :

كان الشريف الرضي شاعراً فصيحاً . كما كان كاتباً مترسلاً . وإماماً في النحو واللغة والتفسير . قال الشعر بعد أن جاوز العشرين من سني عمره بقليل كما ذكر الثعالبي (١٨١) . واستمر في نظمه طيلة حياته . وكانت آخر قصيدة له في رثاء صديقه أحمد بن علي البتي في شعبان سنة ٤٠٥ للهجرة . أي قبل وفاته بعدة أشهر . وقد صنع ديوانه أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم الخيري ( ت ٤٧٦ هـ ) مرتباً على الأغراض . فجعل باباً للمدح . وباباً للافتخار وشكوى الزمان . وباباً للمراثي . وباباً للنسيب . وباباً للفنون المتنوعة . ورتب القصائد في داخل كل باب على القوافي حسب حروف الهجاء . وقد عدل من جاء بعد أبي حكيم إلى ترتيب الديوان كله حسب حروف الهجاء .

أخذ المديح قطعاً وافراً من شعره . خصّصه للكثيرين من أفراد أسرته . وأصدقائه . وأرباب السلطة وأصحاب السلطان . وقد جاء بعضه خالياً من الصدق . وإن ظهر في اطار فخم مجمل بحلية الألفاظ . وقد اعترف الرضي نفسه بأنه كان يَهْدُبُ خواطره في مدح اللثام . فتأتي المعاني مغلقة بثوب الصدق . ولعله فعل ذلك دريعة من أذى المتسلطين على الحكم آنذاك : ( ١٨٢ ) .

أَهْدَبُ فِي مَدْحِ اللَّثَامِ خَوَاطِرِي      فَأَصْدَقُ فِي حُسْنِ الْمَعَانِي . وَأَكْذِبُ

( ١٨٠ ) ينظر الفدير ٤ ، ١٨٦ - ٢٠٠ ، الشريف الرضي وجهوده النحوية ٢٢ - ٢٨ .

( ١٨١ ) يتيمة الدهر ٢ ، ١٣٦ .

( ١٨٢ ) ديوانه ١ ، ١١٢ .

مدح الشريف الرضي من الخلفاء الطائعين لله والقادر بالله . ومن بني بويه شرف الدولة وبهاء الدولة . ومن الوزراء أبا منصور محمد بن الحسن بن صالح . وأبا علي الحسن بن حمد بن أبي الزمان . وأبا سعيد بن خلف . والصاحب بن عباد وسواهم . ومن أصدق مدائحه وأخلصها ما قاله في أبيه الحسين . وخاله أحمد بن الحسين وفي صديقيه الحميمين أبي اسحاق الصابي . وأبي الحسن أحمد بن علي البتي الكاتب .

إن أكبر حادثة أثرت في نفسه أبلغ الأثر سجن أبيه في بلاد فارس (٣٦٩-٣٧٥هـ) ومصادرة أملاكه . فراح يمدح هذا الأب بقصائد كثيرة . وهي تنقسم الى ثلاث طوائف : الطائفة الاولى في التوجع لأبيه وهو سجين . والطائفة الثانية في تهنئة أبيه بالخلاص ورد أملاكه اليه . وطائفة الثالثة في تهنئته بالأعياد بعد أن لآن الزمان . ولكل طائفة من هذه الاشعار خصائص . فالطائفة الاولى تصور الحزن والجزع والتفجع . والثانية يغلب عليها الإنفتاح والإنشراح . والثالثة تخلع على أبيه رداء الملوك . فهو يدخل عليه في كل عيد بقصيدة كما يصنع الشعراء في تحية الخلفاء والملوك (١٠٦٣) . وكانت أول قصيدة قالها في مدح أبيه مطلعها : (١٠٦٤)

نُصافي المعالي . والزمان معاندٌ      ونهضُ بالآمال ، والجُدُّ قاعدٌ

تقع القصيدة في ثمانية وسبعين بيتاً . وهي - وإن كان الرضي في أول نظمه للشعر - جيدة في عرض معاناة الألم والغربة بعد غياب والده . وقد تحدث في بعض أبياتها حديث الحكماء :

ينالُ الفتى من دهره قَدْرَ نفسه      وتأتي على قدرِ الرجالِ المكابِدُ  
فدئى لك يا مجدَّ المعالي وبأسها      ففعالُ جبانٍ شجعتُهُ الحقائقُ  
فما تركت منك الصوارمُ والقنا      ولا أخذتُ منك الحسانُ الخرائدُ  
عُزِّلْتُ ولكن ما عَزَلْتُ عن الندى      وجودك في جيدِ القلبي لك شاهدُ

وحينما أطلق سراحه . وبارخ السجن . ووصل الى بغداد . رآه وخفق قلبه . وانهلت مدامعه فرحاً . وقابله بقصيدة تتشع بالسرور . منها قوله : (١٠٦٥)

( ١٠٦٣ ) ينظر عبرية الشريف الرضي ١٠٦١

( ١٠٦٤ ) ديوانه ١٠٦١ . ٢٠٥

( ١٠٦٥ ) ديوانه ١٠٦١ . ٢٧١

مِازَالٌ مِنْكَ عَلَى النَّائِبَاتِ      مَقَامٌ عَظِيمٌ وَيَوْمَ عَصِيبٍ  
 فَيَوْمَ حَسَامِكَ فِيهِ الْخَطِيبُ      وَيَوْمَ لِسَانِكَ فِيهِ الْخَطِيبُ  
 طَلَبْتُ لِنَفْسِكَ . فَاطْلُبْ لَنَا      مِنْ الْعِزِّ . إِنَّ الْمَحَامِي طُلُوبُ  
 وَإِنْ كُنْتَ تَتَأَنَّفُ عَنْ حُبِّهِ      فَإِنَّ الْعِلَاءَ الَّتِي نَا حُبِّيبُ  
 وَمَا نَحْنُ أَنْتَ . وَكُلُّ إِلَى      دَعَاءِ الْعُلَى طَرِبُ مُسْتَجِيبُ

انه يريد جاه أبيه طريقاً الى « العز » . يريد نصيبه الخاص منه . لأن عز الأب ليس ملكاً للأبن . وقوله « وما نحن أنت » وهو في السابعة عشرة من عمره يدل على نحو من الشعور بالاستقلال الذاتي يحسن بنا أن لا نغفله (١٠٦٦) .

أن شخصية الرضي بارزة في مدائحه . تظهر شامخة أبيّة . تطلب العز والرفعة . مثل قوله من قصيدة في مدح صاحب بن عباد : (١٠٦٧)

فَإِنِّي رَأَيْتُ السِّيفَ أَنْصَرَ لِلْفَتَى      إِذَا قَالَ قَوْلًا مَاضِيًا أَوْ تَوَعَّدَا  
 أَرَى بَيْنَ نَيْلِ الْعِزِّ وَالذِّلِّ سَاعَةً      مِنَ الطَّعْنِ تَقْتَادُ الْوَشِيخَ الْمُقَصِّدَا  
 فَمَنْ أَخْرَجَتْهُ نَفْسُهُ مَاتَ عَاجِزًا      وَمَنْ قَدَّمَتْهُ نَفْسُهُ مَاتَ سَيِّدَا  
 إِذَا كَانَ إِقْدَامُ الْفَتَى ضَائِرًا لَهُ      فَمَا الْمَجْدُ مَطْلُوبًا وَلَا الْعِزُّ مُفْتَدَى

ان فخره بنفسه . وزهوه بمقامه وشعره وشجاعته وفروسيته ومضاء عزمه وقوة ارادته . كثير في شعره . ولعل قصيدته الحماسية الآتية خير دليل على ذلك . ومطلعها : (١٠٦٨)

نَبِهْتُمْ مِثْلَ عَوَالِي الرِّمَاحِ      إِلَى الْوَعَى قَبْلَ نُمُومِ الصُّبَاحِ  
 فَوَارِسُ نَالُوا الْمَسْنَى بِالْقَنَا      وَصَافِحُوا أَعْرَاضَهُمُ بِالصَّفَاحِ  
 وَمِنْهَا :  
 وَخُطْبَةٌ يَضْحَكُ مِنْهَا الرُّدَى      عِرَاءُ تَهْرِي الْقَوْمَ بَرِي الْقِدَاحِ  
 صَبَرْتُ نَفْسِي عِنْدَ أَهْوَالِهَا      وَقُلْتُ : مِنْ هُبُوتِهَا لَا بَرَّاحِ  
 إِمَا فَتَى نَالَ الْعُلَى فَاشْتَفَى      أَوْ بَطَلَ ذَاقَ الرُّدَى فَاسْتَرَاحِ

(١٠٦٦) ينظر الشريف الرضي للدكتور احسان عباس ص ٣٧

(١٠٦٧) ديوانه ١ ، ٢٨١

(١٠٦٨) ديوانه ١ ، ٢٥٤

وقد أحسن الدكتور زكي مبارك في قوله : « ان هذا القصيد خليق بأن يكون نشيد الفتوة العربية . وأهل لأن يحفظه جميع الشبان في سائر البلاد العربية . فهو جذوة من الفتوة . وقبَس من الرجولة . وشهاب من العزم المصمم الذي يطيح المصاعب والأهوال » (١٠٩٩)

كان الشريف الرضي يعتز بقومه ويفخر بأرومتهم ، (١١٧٠) ويريد لهم السمو والمقام الرفيع . ويسمى نفسه « الفتى العربي » ، كما ورد في المقطوعة الآتية : (١١٧١)

اني لأكرم نفسي أن يقال جنى على الفتى العربي الخردُ العُربُ  
اني على شغفي بالحب معتذر من أن يقال شجاعُ فله الوصبُ  
إنا معاشرُ لاتبلى مطارفنا إلا وهنٌ لطلاب الندى سلبُ

انه يريد من الفرد العربي أن يكون شجاعاً ماضياً مثل سيفه كي لا ينكره الاجداد الذين عرفوا بالشهامة والاقدام والنبيل والغيرة : (١١٧٢)

إذا عربي لم يكن مثل سيفه مضاءً على الاعداء أنكره الجدُّ  
وترى الشريف الرضي - وإن كان نزاعاً الى المجد - يصبو الى الجمال ، ويتغزل بالمرأة الحسنة بقلب رقيق . قال الباخريزي : « له شعر اذا افتخر به أدرك من المجد أقاصيه ، وعقد بالنجم نواصيه ، واذا نسب انتسب الرقة الى نسيبه ، وفاز بالقدح العلوى من نصيبه » (١١٧٣) .

أن غزله الجميل المتمثل بقصائده المعروفة بالحجازيات (١١٧٤) في غاية الرقة والعذوبة . « قالها في أماكن لا يحل فيها الرفث ولا الفسوق . وقالها وهو نقيب الأشراف وامام الحج ، لكنه نفَس بها عن نفثات صدر اضطربت فيه العواطف ، وجاش بها وبفورانها فما استطاع لها كتماناً . فأرسلها ترانيم تحلّت بصفاء الروح وسمو العاطفة ، فغفر له معاصروه هتافه للجمال واشادته بصوات نفسه ولوعات هواه » (١١٧٥) .

( ١٠٩٩ ) عبقرية الشريف الرضي ١ ، ١٨١

( ١٠٧٠ ) ينظر الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي ص ٧٩ - ٨٧ .

( ١٠٧١ ) ديوانه ١ ، ١٩٠

( ١٠٧٢ ) ديوانه ١ ، ٢٢٥

( ١٠٧٣ ) دمية القصر ١ ، ٢١١ .

( ١٠٧٤ ) ينظر الشريف الرضي ، دراسات في ذكراه الالفية ص ٩ - ٢٢ .  
( ١٠٧٥ ) في موكب الخالدين ص ٦٦ .

أن غزله يمتاز بسمو العاطفة . والوقار والعفة . الى جانب « جمال الانسياب . وحلاوة الموسيقى - في أغلب الأحيان - وهو من أقرب فنونه الى البساطة البدوية التي تتجلى في شعر العذريين وعشاق الاعراب . رجالاً ونساءً . وفيه نفحة من نفحاتهم في الحنين الى المراح ومعاهد الصبوات » . (١٣٦) . وقد سار غزله بين عشاق الادب وحفظوه ورددوه في محافلهم ومنتدياتهم . ومن بديع قصائده الكافية التي عارضها كثير من الشعراء (١٣٧) وهي : (١٣٨)

ياظبية البانِ ترعى في خمائله      ليس يرويك إلا مدمعي الباكِ  
الماء عندك مبدول لشاربهم      بعد الرقاد عرفناها برياكِ  
هبت لنا من رياح الغور رائحة      على الرجال . تعللنا بذكراكِ  
ثم اتشنا . اذا ما هزنا طرب      من بالعراق . لقد أبعدت مرماكِ  
سهم أصاب وراميه بذى سلم      يا قرب ما كذبت عيني عيناكِ  
وعد لعينيك عندي ما وفيت به      يوم اللقاء فكان الفضل للحاكمِ  
حكمت لحاظك ما في الريم من ملج      بما طوى عنك من أسماء قتلاكِ  
كأن طرفك يوم الجزع يُخبرنا      فما أمرُك في قلبي وأحلاكِ  
أنت النعيم لقلبي والعذاب له      لولا الرقيب لقد بلغتها فاكِ  
عندي رسائل شوق لست أذكرها      من الغمام وحياها وحياكِ  
سقى منى وليالي الخيف ما شربت      منّا . ويجتمع المشكو والشاكي  
اذ يلتقي كل ذي دين وماطلة      ما كان فيه غريم القلب الأكِ  
لما غدا السرب يعطو بين أرحلنا      من علم البين أن القلب يهواكِ  
هامت بك العين لم تتع سواكِ هوئ

وكان الشريف الرضي من الشعراء المجيدين في فن الرثاء . المحسنين في اظهار اللوعة والأس على الراحلين . قال الثعالبي : « ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه » . (١٣٩) . وسماه الدكتور محمد عبدالغنى حسن « شاعر الدموع » (١٤٠) . وعقد الدكتور احسان عباس فصلاً عن رثائه بعنوان « النائحة الثكلى » (١٤١) ومن ينظر في ديوانه يجد كمية المراثي كبيرة . وهي في رثاء أهل

(١٣٦) الشريف الرضي للدكتور احسان عباس ص ٢٢٥

(١٣٧) ينظر الوالي بالوفيات ٢ ، ٣٧٨ ، فهرس ابن خير ص ٤٢٤

(١٣٨) ديوانه ٢ ، ١٥٧

(١٣٩) هجيمة الدهر ٢ ، ١٤٩

(١٤٠) الشريف الرضي للدكتور محمد عبدالغنى حسن ، ص ٧٠

(١٤١) الشريف الرضي للدكتور احسان عباس ص ١٩٢ - ٢٢٢

بيته . وراثه الاصدقاء والرؤساء والملوك . وتعدُّ مراثيته لأمه من المراثي الحارة التي تفيض بالشعور الصادق . وتعبّر عن نفس مجروحة . وتبعث في القلب حزناً وتجعل القاريء يشاركه في مصابه الأليم . ونورد هنا الأبيات الاولى منها : ( ١٠٨٢ )

أبكيك لو نفع الغليل بكائي وأقول لو ذهب المقال بدائي  
وأعوذ بالصبر الجميل تعزياً لو كان بالصبر الجميل عزائي  
طوراً تكاثرتني الدموع وتارة أوي الى أكرومتني وحيائي  
كم عبرة موهنتها بأناملي وسترتها متجملأ بردائي  
ما كنت أذخر في فداك رغبة لو كان يرجع ميت بفدائي  
لو كان يدفع ذا الحمام بقوة لتكدت غضب وراء لوائتي

وكثيراً ما يعبر في مراثيه عن آلامه وهمومه . ويرسل في ثناياها حكماً وأمثالاً تدل على نظرات عميقة في الحياة . مثل قوله من قصيدة يعزي فيها الخليفة عن عمر ابن اسحاق بن المقتدر سنة ٣٧٧ للهجرة : ( ١٠٨٣ )

ولا ترج أن تعطى من العيش كثرة فكل مقام في الزمان قليل  
ومن نظر الدنيا بعين حقيقة درى أن ظلاً لم يزل سيزول  
إذا لم يكن عقل الفتى عون صبره فليس الى حسن العزاء سبيل  
وإن جهل الاقدار والدهر عاقل فأضغ شيء في الرجال عقول  
وموت الفتى خير له من حياته إذا جاور الأيام . وهو ذليل

وهكذا كان الشريف الرضي . متمكناً من ناصية القريض . في كل أغراضه . تراه يجيد عرض فكرته في بناء سليم . وأسلوب رشيق . وطرح شيق . ويحسن التوازن والتقابل بين الألفاظ والعبارات . كما يحسن اتيان التشبيهات والصور في مواضعها وتجلى في شعره روح البداوة ممزوجة بروح الحضارة . ولا عجب حين يضع شعره في موازاة شعر الفرزدق وجريير في قوله : ( ١٠٨٤ )

( ١٠٨٣ ) ديوانه ٢ ، ١٩١

( ١٠٨٤ ) ديوانه ١ ، ٤٣١

وقصيدة عذراء مِثْـلَ ———— لـ تـألق الـروض النـضير  
فـرحت بـمـالـك رـقـها ———— فرح الخـمـيلـة بـالـفـدير  
وكأنه في رصفها ———— جاز الـفـرزـدق أو جـرير

وتجدر الإشارة الى أنَّ شعره يتميز بضبط عروضي محكم . وهندسة موسيقية تدل  
على رهاقة حسَّه . وبراعته في السيطرة على نظام البيت الشعري وفق القواعد  
والأصول ( ١٨٨٥ ) .

## أبو العلاء المعري

٣٦٣ - ٤٤٩ هـ

### سيرته :

هو أبو العلاء أ . بن عبدالله بن سليمان ، ولد يوم الجمعة لثلاث ايام مضت من شهر ربيع الاول سنة ٣٦٣ ، الهجرة بمعرة النعمان القريبة من حلب . من اسرة عربية يرجع نسبها الى قبيلة تنوخ اليمانية . قال ابن العديم : « وتنوخ اكثر العرب مناقب وحسباً ، ومن أعظمها مفاخر وأدباً ، فيهم الخطباء العظماء ، والبلغاء الشعراء » (١٠٨٦) . وكانت أمه بنت محمد بن سبيكة من بيت مشهور من بيوتات حلب .

كانت أسرته مليئة بالأمجاد من قضاة وحكام ورجال ثروة ، فأبوه من العلماء وجده وأبو جده تولوا قضاء المعرة . وبقي القضاء في بني اخيه الى أن دخلها الفرنج سنة ٥٩٢ للهجرة . وكان له أخوان شاعران هما أبو الهيثم عبدالواحد ، وأبو المجد محمد ، وأورد ياقوت الحموي اسماء الشعراء المشهورين من أبناء أسرته مع نماذج من شعرهم (١٠٨٧) .

حُرِمَ أبو العلاء من نعمة البصر وهو في الرابعة من عمره بعد اصابته بمرض الجدري وكانت لهذه الصدمة اثر كبير في فكره وسلوكه طيلة أيام عمره . وقد أشار في احدى رسائله الى عماء . فقال : « وقد علم الله ان سمعي ثقيل ، وبصري عن الابصار قليل . قضى عليّ وأنا ابن أربع ، لا أفرق بين البازل والزعج . ثم توالّت محني . فأشبهه شخصي العود المنحني » (١٠٨٨) .

كان والده المعلم الاول له . اذ رسم له طريق الدرس وتحصيل العلم ، وأقرأه القرآن ، وعلمه النحو واللغة والأدب . ثم تتلمذ على جماعة من علماء المعرة مثل أبي بكر محمد بن مسعود النحوي ويحيى بن مسعر التنوخي ، وانتقل الى حلب وبها اخواله من آل سبيكة من أصحاب الثراء والسخاء ، فاتصل بمحمد بن عبدالله بن سعد النحوي راوية أبي الطيب المتنبي . والتقى بتلاميذ ابن خالويه وابن جني واستمع الى ماكانوا يرددون من علوم في اللغة والادب والصرف ، وكذلك اتصل

( ١٠٨٦ ) الانصاف والتحرّي ص ٤٨٩ ( ضمن كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء ) .

( ١٠٨٧ ) معجم الادباء ١ ، ١٦٣ - ١٦٩ .

( ١٠٨٨ ) معجم الادباء ١ ، ١٩٨ ، البازل ، البعير في تاسع سنه . الربيع ، الفصيل .



بتلاميذ الفارابي وتلقف منهم علوماً في الفلسفة . وبعد عشر سنوات من اقامته بحلب ينهل من موارد المعرفة انتقل الى انطاكية واتصل بعلمائها وتردد على مكباتها . ثم بارحها الى اللاذقية واستمع فيها الى الذين كانوا يتدارسون العلوم الدينية والمعارف الفلسفية . ومنها عاد الى مسقط رأسه معزة النعمان .

ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره قام برحلة الى بغداد في أواخر سنة ٣٩٨ للهجرة ودخلها في اوائل سنة ٣٩٩ للهجرة . وأقام فيها سنة وسبعة أشهر ليستزيد من طلب العلم ويستكثر من شيوخه على عادة رجال عصره ويتعد عن الحالة السياسية السيئة التي كانت عليها الشام آنذاك وبعد أن حقق غايته في مراجعة خزائن الكتب ومشافة العلماء والادباء قرّر العودة الى معزة النعمان . (١٠٨١) ولعل عسر اليد . لأنه كان أيباً لا يقبل معونة من أحد اضافة الى ما وصل اليه من خبر مرض امه . عجل في هذه العودة . أنا ما يرويه ياقوت الحموي أن لشريف المرتضى أهانه وأمر بطرده من مجلسه فلا يطئن الى صحته . (١٠٩٠) وننقل هنا مقالته المعري في رسالته الى خاله من اكرام البغداديين له وحزنهم على فراقه : « ورعاية الله شاملة لمن عرفته ببغداد . فلقد أفردوني بحسن المعاملة . وأثنوا عليّ في الغيبة . واکرموني دون النظراء والطبقة . ولما آنسوا تشميري للرحيل . وأحسوا بتأهبي للظعن أظهروا كسوف بال . وقالوا من جميل كل مقال . وتلفعوا من الأسف ببرد تشيب . وذرفت عيون اشياخ شيب » . وقال في ختام رسالة أخرى : « ويحسن الله جزاء البغداديين . فلقد وصفوني بما لا أستحق . وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم . وعرضوا عليّ أموالهم عرض الجد . فصادقوني غير جذل بالصفات . ولا هش الى معروف الأقوام . ورحلت وهم لرحيلي كارهون . وحسبي الله وعليه يتوكل المتوكلون » (١٠٩١) .

اختار بعد عودته العزلة الا عن تلاميذه وقاصديه . وسمى نفسه « رهين المجسین » . اي العمى ولزوم البيت . وقال في ذلك : (١٠٩٢)

أراني في الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن النبأ النبى (١٠٩٣)  
لفقدي ناظري . ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

( ١٠٨٩ ) ينظر : دار السلام في حياة ابي العلاء ص ٢٨

( ١٠٩٠ ) ينظر : معجم الادباء ١ ، ١٦٩

( ١٠٩١ ) رسائل ابي العلاء المعري ١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٢

( ١٠٩٢ ) اللزوميات ١ ، ٢٤٩

( ١٠٩٣ ) النبىث ، الفرير وهو ايضا من نبث التراب ، اخرجته ولبث عن السر ، بحث عنه .

وبذلك أضاف سجناً ثالثاً ، وهو الحياة ذاتها اي كون نفسه محبوسة في جسده ويبدو أن صدقه وصراحته خلقا له مشكلات واستقزا الكثيرين من حساده لرميه بالتهم وتحريض الناس عليه . لذا أثر العزلة والاعتكاف في منزله (١٩٤) .

لبث تسعاً واربعين سنة في محبسه بمعرة النعمان . لم يغادره إلا مرة واحدة لم تتكرر . حين حمله قومه على الخروج ليشفع لهم لدى أسد الدولة صالح بن مرداس صاحب حلب وكان قد خرج الى المعرة ليخمد حركة عصيان من أهلها (١٩٥) .

جلس في داره على طريقة الفلاسفة المتقشفين . منصرفاً الى التأليف والتصنيف والتدريس . قال ابن العديم : « وما زالت حرمة أبي العلاء في علاء . وبحر فضله مورداً للوزراء والامراء . وما علمت أن وزيراً مذكوراً . وفاضلاً مشهوراً . مر بمعرة النعمان في ذلك العصر والزمان . إلا وقصده واستفاد منه . أو طلب شيئاً من تصنيفه . أو كتب عنه » (١٩٦) .

وطال به العمر . وناء بأثقال الشيخوخة . ووهن جسده . وتخاذلت اعضاؤه . فما عاد يستطيع النهوض إلا بمعاونة سواه . وعجز عن القيام للصلاة فانما يصلحها قاعداً (١٩٧) . وفي شهر ربيع الاول سنة ٤٤٩ للهجرة خبث تلك الجذوة تاركاً وصيته . ان تكتب على قبره :

هذا جناة أبي علي وما جنيئ على أحد  
وشيوعه الى مثواه الأخير في حشد غفير من أهل العلم والأدب . ورثاه اربعة  
وثمانون شاعراً : (١٩٨)

### آثاره :

كان أبو العلاء عالماً جليلاً واديباً فاضلاً . ذكر ابن العديم من قرأ عليه وروى عنه من العلماء والادباء والمحدثين . وقال معقباً على اسمائهم : « هؤلاء كلهم أئمة وقضاة وعلماء اثبات . وأدباء رواة وحفاظ ثقات . رووا عن أبي العلاء وكتبوا عنه .

---

(١٩٤) ينظر : الفكر الديني عند أبي العلاء المغربي ص ٦٦

(١٩٥) كنظر التفاصيل في كتاب : مع أبي العلاء في رحلة حياته ص ١٧٥ - ١٧٩

(١٩٦) الانصاف والتحري ص ٥٥

(١٩٧) مع أبي العلاء في رحلة حياته ص ٢٧٠

(١٩٨) مجمع الأدباء ١ : ١٧١ .

واخذوا العلم واستفادوا منه . لم يذكره أحد منهم بطعن . ولم ينسب حديثه الى  
ضعف ولا وهن « (١٩٩) »

ان مصنفات ابي العلاء كثيرة ونافعة . قال ابن فضل الله العمري : « اني وقفتُ  
على جملة من مصنفات عالم معرة النعمان . ابي العلاء احمد بن عبدالله بن  
سليمان المعري . فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان . مودعة فنوناً من الفوائد  
الحسان . محتوية على أنواع الآداب . مشتملة من علوم العرب على الخالص  
واللباب . لا يجد الطامح فيها سقطاً . ولا يدرك الكاشح فيها غلطة » (١٣٠) . وقد  
أحسن أحد الباحثين المعاصرين في الامام بأسماء كتبه ورسائله (١٣١) ، واليك المطبوع  
منها : رسالة الصاهل والشاحج ، رسالة الهناء ، رسالة الغفران ، رسالة ابن القارح ،  
رسالة الاخرسين . رسالة الملائكة ، رسائل ابي العلاء المعري ، رسالة في تعزية ابي  
علي الرجال ، زجر النابج ، عبث الوليد ، الفصول والغايات ، ملقى السبيل . سقط  
الزند ، اللزوميات ، الدرعيات ، شرح ديوان ابن أبي حصينة ....

### شعره :

عرف أبو العلاء بحدة الذكاء ، وقوة الحافظة ، وتوقد الخاطر ، وكثرة الحفظ .  
وسرعة البديهة . قال ابن العديم : « كان ابو العلاء على غاية من الذكاء والحفظ  
قيل له : بم بلغت هذه الرتبة في العلم ؟ فقال : ماسمعتُ شيئاً الا وحفظته . وما  
حفظتُ شيئاً فنسيته » (١٣٢) . ويروى عن الشاعر ابي الحسن علي بن مأمون الميصبي  
انه قال : « لقيتُ بمعرة النعمان عجباً من العجب : رأيتُ أعمى شاعراً ظريفاً .  
يلعب بالشطرنج والنرد . ويدخل في كل فن من الجد والهزل . يكنى ابا  
العلاء » (١٣٣)

كان ابو العلاء موهوباً منذ الصغر . يروى انه نظم الشعر وهو في الحادية عشرة  
من عمره ونيف على الثمانين وماسلاه . وقد توزع شعره في « سقط الزند » و  
« اللزوميات » و « الدرعيات » . ويعد سقط الزند ديوان شعره . واللزوميات ديوان

( ١٩٩ ) الانصاف والتحري ص ٢٠

( ١١٠ ) مسالك الابصار [ ضمن كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء ] ص ٢١٨

( ١١١ ) كهاف مصادر دراسة ابي العلاء المعري ٢٩٧ - ٢٠٥ .

( ١١٢ ) الانصاف والتحري ص ٥١

( ١١٣ ) تلمذة يتيمة الدهر ٤١١

فلسفته وحكمته ، أما الدرعيات فهي قصائد في وصف الدرع ، ولعله رمز بها الى ماكان يترتب على قومه من وقاية انفسهم من الاعداء (١١٠١) .

ان شعره في سقط الزند يمثل نتاجه في سني شبابه وأيام قوته وفيه قصائد مما نظمها ايام اعتكافه في منزله بمعرة النعمان وأرسل به الى بعض اصدقائه ببغداد ، وقد سمّاه بسقط الزند تشبيهاً بالشر الذي يتطاير من الزند . وفي هذا الديوان اغلب موضوعات الشعر المعروفة ماعدا الهجاء والعبث والمجون والخمر والغزل بالمذكر ، وهي أغراض كانت شائعة في عصره . ولكن أخلاقه وسلوكه وتربيته منعتة من النظم فيها .

أما لزومياته فأكثرها مقطوعات نظمها بعد عودته من بغداد (١١٠٥) تناول فيها الحديث عن مشكلات الحياة وانتقاداتها ، وبث فيها آراءه الخاصة ، وانطباعاته الشخصية ، وتأملاته الذاتية ، ونظراته الفلسفية في الكون والعمران . وقد سميت باللزوميات لأنه ألزم نفسه بأربع كلف ، التزم في قوافيها حرفاً لايلزم قبل حرف الروي ، ونظم حروف المعجم كلها مرتبة ، واستوفى في كل حرف الحركات الثلاث والوقف ، ورُتب الاوزان في كل فصل من فصولها على ترتيب الدوائر والبحور عند العروضيين .

ان القاريء في ديوانه « سقط الزند » يجد شعراً في المديح ، وهو قليل لا يشكل غرضاً بارزاً ، لم يسخره للتكسب وطلب الجاه ، بل العكس من ذلك ، فانه انتقد الشعراء المتكسبين الذين يلهثون وراء المنفعة ، وعدّ مديحهم كذباً ورياءً . فقال (١١٠٦) :

لاخير في جزل العطاء ، أتى رجلاً بأن كلامه جزل  
يرجو ، فيمدح غير مرتقب رباً ، وكلّ مقاله ازل (١١٠٧)  
شهرت سيوف القول طائفة كذب ، وأفضل منهم العزل

ويحتل الرثاء مكانة بارزة في شعره ، وهو يتسم بالصدق والحزن العميق ، كما نلاحظ ذلك في رثاء والدته ، كانت توفيت قبل قدومه من العراق بمدة يسيرة ، فانه

( ١١٠٤ ) ينظر ، النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء المعري ص ١٩٨ - ٢٠٧ .

( ١١٠٥ ) ينظر ، المعري وجوانب من اللزوميات ص ٦٤ ، المعري ذلك المجهول ص ٨٩ - ١٠٤ .

( ١١٠٦ ) اللزوميات ٢ ، ٢٧٨ وينظر الى نقده للمتكسبين من الشعراء في ، رسالة الغفران ص ٤١١ .

( ١١٠٧ ) الازل ، الكذب .

يشعر بحاجة إليها . ويرى نفسه كالرضيع لم يصحبها ولم يتمتع بحياتها على الرغم من انها مضت وهو كهل . ويتمنى لقاءها . ويتساءل عن ذلك اللقاء . ومتى يتم : ( ١٣٨ )

مضت وقد اكتهلت فخلتُ أني رضيع ما بلغتُ مدى البِطام  
فياركب المنون . أما رسولُ يبلغ روحها أرج السَّلام  
سألتُ متى اللقاء ؟ فقل حتى يقوم الهامدون من الرِّجام ( ١٣٩ )  
فليت أذين يوم الحشر نادى فأجهشت الرِّمَامُ الى الرمام ( ١٤٠ )

وقد سبق لأبي العلاء أن فجع بوفاة والده . فرتاه بقصيدة تطفح بالأسى والأنين . مثل قوله . وهو يحمل الحزن في فؤاده ويطوى المسرة جانباً : ( ١٤١ )

فهل أنت . ان ناديتُ رمك سامع نداء ابنك المفجوع . بل عبدك القن ( ١٤٢ )  
سأبكي اذا غنى ابن ورقاء بهجةً وان كان ما يعنيه ضد الذي أعني  
وأحمل فيك الحزن حياً . فان أمت وألقك . لم أسلك طريقاً الى الحزن  
وبعدك لا يهوى الفؤادُ مسرةً وان خان في وصل السرور فلا يهني ( ١٤٣ )

ونجد في شعره فخراً . ولاسيما بنفسه وبمواهبه العلمية . وخير شاهد على ذلك قصيدته اللامية المشهورة التي يقول في مطلعها : ( ١٤٤ )

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل  
وفيها يقول مفاخراً متحدباً

وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم بإخفاء شمسِ ضوءها متكامل ؟  
يهمُّ اللبالي بعض ما أنا مضمّر ويثقل رضوى دون ما أنا حامل  
وأنبي . وإن كنت الأخير زمانه لآت . بما لم تستطعه الأوائل  
وأغدو . ولو أن الصباح صوارم وأسري ولو أن الظلام جحافل

( ١٤٨ ) سقط الزند ص ٢٩

( ١٤٩ ) الرجام ، القبور

( ١٥٠ ) الأذنين ، المودن ، أجهشت ، فرغت الى غيرها . أي اجتمعت العظام البالية وتلاقت

( ١٥١ ) سقط الزند ص ١٧

( ١٥٢ ) عبد القن ، العبد الخالص العبودية

( ١٥٣ ) يهني : يدعو عليه بعدم الهناء والسرور .

( ١٥٤ ) سقط الزند ص ١٩٢ .

وَأَنبَى جَوَادَ لَمْ يُحَلِّ لِحَامَهُ      وَنَضَوْ يَمَانٍ أَغْفَلَتْهُ الصِّيَاقِلُ  
وَأِنْ كَانَ فِي لَبْسِ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ      فَمَا السَّيْفُ إِلَّا غَمْدُهُ وَالْحَمَائِلُ  
وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْتُ مَنْزِلِي      عَلَى أَنْتِي بَيْنَ السَّمَائِينَ نَازِلُ  
لَدَى مُوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ      وَيَقْصُرُ عَنْ إدْرَاكِهِ الْمَتَنَاوِلُ

ولم يتخلف أبو العلاء - وإن كان ضريراً - عن الوصف فله شعر رائع يشارك فيه بأحاسيسه بعض مظاهر الطبيعة الجميلة . ويتعاطف معها بكل جوارحه . ويبرزها في صور مرئية تبهر الناظر وتعجبه . مثل قوله وهو يشدو بذكريات ليلة طريفة ( ١١١٥ )

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الصُّبْحُ فِي الْحَسَنِ      ن . وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ الطِّيلَسَانِ  
قَدْ رَكَضْنَا فِيهِ إِلَى اللَّهِوَمَا      وَقَفَ النُّجُومُ وَقَفَةَ الْحَيْرَانِ  
وَكَأَنِّي مَا قُلْتُ وَالْبَدْرُ طِفْلٌ      وَشَبَابُ الظُّلُمَاءِ فِي عَنَسْفَوَانِ  
لَيْلَتِي هَذِهِ عُرُوسٌ مِنَ الزَّوْجِ      ج عَلَيْهَا قَلَائِدُ مِنْ جُجَمَانِ  
هَرَبَ النَّوْمُ عَنْ جَفُونِي فِيهَا      هَرَبَ الْأَمْنِ عَنْ فُؤَادِ الْجَبَانِ  
وَكَأَنَّ الْهَلَالَ يَهْوِي الشُّرْبَا      فَهَمَا لِلدَّوَادِ مَعْتَنِقَانِ  
وَسَهْلٌ كَوَجْنَةُ الْحَبِّ فِي اللَّوْ      ن وَقَلْبُ الْمَحَبِّ فِي الْخَفْقَانِ  
يُسْرَعُ اللَّحْمُ فِي احْمَرَارٍ كَمَا تُسْرَعُ      رَغْ فِي اللَّحْمِ مَقْلَةُ الْغَضْبَانِ

وشارك أبو العلاء في شعر الغزل . وقد استأثر بعضه بقصائد كاملة . ولا نعلم من أخباره ما ينم عن حبه لامرأة ما . وليس في آثاره إشارة من قرب أو بعد . إلى أنه عانى التجربة حسيًا في الواقع المادي . ولعل أن يكون غزله من الشعر الرمزي الذي يخفي وراء ظاهر لفظه دلالة مستورة على آمنيات تعلق بها في شبابه الطامح . كأن تكون هذه الحبيبة رمزاً إلى الدنيا . أو إلى المجد . أو إلى نعمة البصر التي حرم منها ( ١١١٦ ) ... مثل قوله ( ١١١٧ )

حَيٍّ مِنْ أَجْلِ أَهْلَهُنَّ الدِّيَارَا      وَابِكِ هِنْدَا . لَا النُّوْيَ وَالْأَحْجَارَا  
هِيَ قَالَتْ لَمَّا رَأَتْ شَيْبَ رَأْسِي      وَأَرَادَتْ تَسْنِكُرَا وَازْوَرَارَا  
أَنَا بَدْرٌ . وَقَدْ بَدَا الصُّبْحُ فِي رَأْيِ      سِكَ . وَالصُّبْحُ يَطْرُدُ الْأَقْمَارَا  
لَسْتُ بَدْرًا . وَإِنَّمَا أَنْتِ شَمْسٌ      لَا تُرَى فِي الدُّجَى . وَتَبْدُو نَهَارَا

( ١١١٥ ) سقط الزند ص ٩٤ .

( ١١١٦ ) ينظر : مع أبي العلاء في رحلة حياته ص ٦٧ - ٧١ .

( ١١١٧ ) سقط الزند ص ٩٧ .

ولا بد من الإشارة الى ان شيخ المعرّة نظر في شؤون الناس وأمر المجتمع آنذاك . وقد أفضّ مضجعه كما أفضّ مضجع المتنبي من قبل الوضع السياسي المتدهور وغياب السلطة عن أصحابها الشرعيين . وقد ربط أحد الباحثين بين آمال المتنبي وآمال المعري في قوله : « والمتنبي كان جباراً تام الرجولة . وأبو العلاء كان كفيف البصر . فأقعدهت هذه العلة عن السير في السبيل الذي طرّقه المتنبي لبلوغ أمانيه . وإن كانت المرامي البعيدة والأوطار الكبيرة هي هي عند كليهما . وليس ذلك بغريب في عصر كان الناس فيه في حاجة إلى « رجل » . بل الأصح إلى « رجل عربي » صحيح العروبة . يدرأ عن الإسلام الفرس والروم والديلم » (١١٨) .

لقد كانت لأبي العلاء رغبة صادقة في إصلاح المجتمع وقيام حكم عادل مطهر من الظلم . والعدوان . يتصرف القائمون على شؤون الرعية بعقل راجح . وها هو ذا يتساءل (١١٩) :

متى يقوم إمام يستقيّد لنا فتعرف العدل أجيالٌ وغيطان ؟  
ويقول (١٢٠) :

يرتجي الناس أن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء (١٢١)  
كذب الظن لا إمام سوى الـ عقلٍ مشيراً في صبحه والمساء  
ويغضب من أولئك الذين يسوسون الناس بغير عقل (١٢٢) .

يسوسون الأمور بغير عقل فينفذ أمرهم ويقال : ساسة  
فلف من الحياة . وأف مني ومن ومن رئاسته خاسرة

لقد كان أبو العلاء يعتزّ بالعقل . ويحكمه في كل مشكلة . ويرجع إليه في كل معضلة . ويتمنى أن يعيش الناس سعداء بعيدين عن الأذى (١٢٣) .

ما أحسن الأرض لو كانت بغير أذى ونحن فيها . لذكر الله . سكان

( ١١٨ ) المتنبي والمعري : ابراهيم ناجي . الهلال لسنة ١٩٢٨ ، ص ٩٢٩ .

( ١١٩ ) اللزوميات ٢ ، ٥٠٢ .

( ١٢٠ ) اللزوميات ١ ، ٦٦ .

( ١٢١ ) الكتيبة الخرساء ، التي لا يسمع فيها صوت لكثرة الجلبة

( ١٢٢ ) اللزوميات ٢ ، ٢٥ .

( ١٢٣ ) اللزوميات ٢ ، ٥٠٠ .

إنه أراد لمجتمعه الخير والسعادة . والعدل والأمان . والبعد عن الجهل والضلال .  
ولذلك كثر شعره في النقد الاجتماعي الذي سبق إليه أبو الطيب المتنبي ( ١١٢١ ) .

وكلمة أخيرة نقولها ، إنَّ نظمه صورة واضحة لحياته وتأملاته . رسمها بصدق  
وأمانة وصراحة . وشعره قبل الغزلة المتمثل بسقط الزند قريب من شعر الشعراء  
السابقين المجودين في الصياغة والتنسيق والصورة الشعرية . ولا عجب حين يقول  
ابن حجر : « وأشاعره في المدح والغزل والرثاء التي في سقط الزند في نهاية الجودة .  
وأما في لزوم مالا يلزم فمتوسط » ( ١١٢٥ )

أما شعره في غزله المتمثل باللزوميات الذي تناول فيه موضوعات عامة شغلت  
عقول الناس آنذاك فيغلب عليه التصنيع ويفتقر إلى البهجة الفنية . وهو صعب  
الأسلوب . كثير الغريب والشاذ من الألفاظ . محشو بالمصطلحات العلمية والاشارة  
إلى اشخاص أو أحداث تاريخية .. وقد انتقد طريقته عبدالله بن محمد بن سعيد بن  
سنان الخفاجي . فقال : « وليس يغتفر للشاعر اذا نظم على هذا الفن لأجل ما ألزم  
نفسه ما لا يلزمه شيء من عيوب القوافي . لأنه إنما فعل ذلك طوعاً واختياراً من  
غير إكراه ولا إكراه . ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل .  
وليس بنا حاجة إلى المتكلف المطرح . وإن ادعى علينا قائله أن مشقة نالته وتعباً مرَّ  
به في نظمه » ( ١١٢٦ ) . ومن الدارسين المحدثين الذين وجهوا نقداً للزوميات الدكتور  
شوقي ضيف . اذ يقول : « إن أبا العلاء لم يكن يعني بتجويد شعره وتحبيره في  
اللزوميات . فهو لا يعطيه المهلة الكافية للصلل والانتخاب والتنقيح . ثم التآليف  
والتنسيق . فخرج شعره مهلهلاً ضعيف النسيج ليس فيه شيء من حبكة التعبير ولا  
جمال التصوير إلا في القليل الأقل . وليس هذا فقط هو كل الأسباب . فهناك سبب  
آخر ربما كان أهم من السبب السابق . وهو الطريقة التي أخرج بها أبو العلاء  
لزومياته . أو بعبارة أدق الغاية التي أرادها للزومياته . فقد كان - فيما يظهر -  
يريد ان يخرجها في شكل خطب وعظ وإرشاد : يقول في مقدمتها : « إنها تمجيد  
لله الذي شرف عن التمجيد ووضع المنن في كل جيد . وبعضها تذكير للناسين  
وتنبية للرقدة الغافلين وتحذير من الدنيا » . فهو يقصد بها إلى الوعظ . وهي لذلك  
تمتليء بما تمتليء به أساليب الوعظ من التكرار الملل . ومن أجل ذلك كنا نشعر

( ١١٢٤ ) ينظر مع أبي العلاء في سجنه ص ١٥١ .

( ١١٢٥ ) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢١٨ .

( ١١٢٦ ) سر الفصاحة ص ١٧٢ .



حين قراءتنا اللزوميات بملل وسأم شديد . لأن الشاعر يتنقل بين أفكار يبدىء فيها ويعيد . وقد أخرجها في أسلوب وإه . ليس فيه جمال فني ولا طرافة فنية إلا قليلاً « ( ١١٢٧ ) .

## بسبب ابن التعاويذي

٥١٩ - ٥٨٤ هـ

عادت للخلافة العباسية هيبتها وعزتها بعد انتهاء الحكم السلجوقي في العراق سنة ٤٤٧ للهجرة . وظهر خلفاء عظام انتعش الأدب في ظلهم وراج سوقه في عهدهم . وبرز شعراء كثيرون أجادوا في النظم . ولعل من أشهرهم أبو الفوارس سعد بن محمد المعروف بحيص بيص . و أبو عبدالله محمد بن بختيار المعروف بالأبلة البغدادي . وأبو الغنائم محمد بن علي المعروف بابن المعلم الواسطي الهري . وأبو الفتح محمد بن عبيدالله بن عبدالله المشهور بسبب ابن التعاويذي .

### سيرته

أبو الفتح . محمد بن عبيدالله بن عبدالله . عُرف بسبب ابن التعاويذي نسبة إلى جدّه لأمه أبي محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المعروف بابن التعاويذي (٣٣٨) . والتعاويذ ، الحروز . ولعل أباه كان يرقّي ويكتب التعاويذ .

ولد في بغداد يوم العاشر من رجب سنة ٥١٩ للهجرة . ونشأ في حجر جدّه المذكور وتكفّله بالرعاية والتنشئة على حبّ العلم والمعرفة . فأرسله إلى الكتاب . ولما أصبح يافعا أخذ يتردّد على علماء عصره ليتزود بعلوم اللغة العربية وآدابها . حتى استطاع أن يجمع بين الكتابة والشعر .

وصل أسبابه بالخفاء والوزراء والأكابر الأماثل . أمثال الخليفة المستنجد بالله . وابنه الخليفة المستضيء بأمر الله . وحفيده الخليفة الناصر لدين الله - ومن الوزراء الذين اتصل بهم ومدحهم . أبو المظفر عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة . وعضد الدين أبو الفرج محمد بن عبدالله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء .. وله مديح في البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبي ووزيره المشهور القاضي الفاضل .

اشتغل بسبب ابن التعاويذي كاتباً في ديوان المقاطعات في بغداد والحلّة . ويبدو أن هذه الوظيفة كانت تُرهبه وتعبه إذ نراه يتشكّى منها كما جاء في قوله (٣٣٩) :

( ١١٢٨ ) ينظر ، الخريدة ، قسم العراق ، ٢ ، ٢ ، ٧ ، وفيات الأعيان ، ٤ ، ٤٦٦ .  
( ١١٢٩ ) ديوانه ص ٢٢٢ .

كم أنفق الأيام في خدمة      أحرزت فيها صفة المخسر  
وليل حظي ما انجلي صبغة      وغرس مدحي بعد لم يُثمر  
في كل يوم سفر راتب      إلى مكان شاسع مقفر  
كأنني من حره واضع      أخمص رجلي على مجمر

ولما وجد نفسه في ظنك من العيش ، وأن مهنته لاتسُد متطلبات الحياة . اتصل  
بديوان الخلافة وأصبح أحد شعرائه الرسميين (١١٣٠) له راتب شهري حاله كحال  
مجموعة من الشعراء آنذاك عرفوا باسم « شعراء الديوان العزيز » أو شعراء « ديوان  
الخلافة » . كانوا يحضرون في الأعياد والمآتم وأيام الفتوح إلى الديوان المذكور  
فينشدون قصائدهم بحسب مراتبهم (١١٣١) . وبقي راتبه يجري عليه ثم التمس ان  
ينقل باسم أولاده . ولما وجدهم قد استأثروا به . سأل الخليفة الناصر لدين الله ان  
يحدّد له مبلغاً آخر يتقاضاه مدة حياته . وشرح الأسباب في قصيدة له . منها  
الآيات الآتية (١١٣٢)

نقلت رسمي جهلاً إلى ولد      لست بهم ماحيث أنتفع  
نظرت في نفعم وما أنا في اجت      لابنفع الأولاد مُبتدع  
وقلت هذا بعدي يكون لكم      فما أطاعوا أمري ولا سمعوا  
واختلسوه مني فما تركوا      عيني عليه ولا يدي تقع  
فبئس والله ما صنعت فأض      ررت بنفسي وبئس ما صنعوا  
فإن أردتكم أمراً يزول به      الخصام من بيننا ويرتفع  
فاستأنفوا لي رسماً أعود على      ضنك معاشي به فأتسع

استجاب الخليفة إلى طلبه ، وأنعم عليه بالمال الكافي لعيشه . وفي السنوات  
الأخيرة من حياته فقد بصره وعمى ولزم داره إلى ان أدرّكه المنيّة سنة ٥٨٤ للهجرة .  
شعره :

ترك سبط ابن التعاويذي بعد وفاته كتاباً بعنوان « الحجة والحجاب » لم  
يصل إلينا . وديواناً شعرياً جمعه بنفسه قبل أن يضر . وافتتحه بمقدمة لطيفة  
يستشف منها ألوبه في الكتابة . ورثه على أربعة أبواب . وما نظمه بعد العمى  
سماه « الزيادات » وطلب من ناسخي الديوان ان يلحقوه به . وقد حقق هذا

( ١١٣٠ ) ينظر أسماء الكثيرين منهم في « الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى

سقوط بغداد ص ٨٩ - ٩١ . وينظر : الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ص ٨٩ .

( ١١٣١ ) سبط ابن التعاويذي ( مسكوني ) ص ٥٠ .

( ١١٣٢ ) ديوانه ص ٢٧٢ .

الديوان المستشرق الانكليزي مرجليوث وطبعه عام ١٩٠٣ عن نسختين جمع بينهما . ولم يكن أميناً في عمله ، فتصرّف فيه حذفاً وتقديماً وتأخيراً ، وأغفل ذكر اختلاف الروايات ، ووقع له شيء غير قليل من التحريف والتصحيف . ( ١١٣ )

كان سبط ابن التعاويذي شاعراً مُجيداً في سبك الشعر وحبكه . وقد أقرّ له القدامى بالفضل والتقدم ( ١١٣٤ ) . قال ابن خلكان : كان شاعر وقته . لم يكن فيه مثله . جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ، ورقة المعاني ودقّتها . وهو في غاية الحسن والحلاوة . وفيما اعتقده لم يكن قبله بمثني سنة من يُضاهيه . ولا يؤاخذني من يقف على هذا الفصل . فإن ذلك يختلف بميل الطبايع . والله القائل .

وللناس فيما يعتقدون مذاهب ( ١١٣٥ )

وهذا الحكم - وإن كان فيه شيء من المبالغة - جيد . فإن سبط ابن التعاويذي شاعر متمكن من ناصية القريض . وشعره رصين الأسلوب . متين الديباجة . واضح المعنى . غير مفرط في الصنعة . قال محقق ديوانه : « والمرجو من القاريء الكريم ألا يمعن النظر في الزلات . بل يلتفت إلى ما في الشعر من السحر . وكم في هذا الديوان من مدحة رافعة للقدر . وأرجوزة شارحة للصدر . ومن أهجية جارحة للأعراض . وشكاية مصيبة للأعراض . ومرثية مبكية للعيون . وقطعة مختلفة الفنون . فإن القصائد كأنها مرايا تظهر فيها أسرار القلوب وخفايا الخطوب . وتكاد تعيد الأموات وتجعلهم ذوي حياة وتظهر من غير وسلف نصب عين من خلف حتى يشترك فيما كان يداخلهم من المقة والمقت عند قديم الوقت . ويشاهدهم في السراء والضراء عند اختلاف الشؤون ويسمع حديثهم ذا الشجون » ( ١١٣٦ ) .

طرق سبط ابن التعاويذي أغلب موضوعات الشعر المعروفة من مديح وهجاء ورتاء وغزل وشكوى ووصف واخوانيات .. وقد أخذ المديح القسط الأوفر من شعره . صب فيه جلّ اهتمامه فجاء رصيناً متيناً في الفاظه ومعانيه . وأول خليفة مدحه كان المستنجد بالله . إذ نراه يُضفي عليه هالة من العظمة والجلالة . ويبالغ في كرمه وسخائه . فيقول ( ١١٣٧ ) :

( ١١٣٢ ) تنظر ، خريدة للعراق ٢ / ٢٠٢ .

( ١١٣٤ ) مضمار الحقائق ص ٦ ، معجم الأدباء ٢٠١٧ . تاريخ دول الإسلام ٤ ، ١٢٥ . شذرات الذهب ٤ ، ٢٨١ .

( ١١٣٥ ) وفيات الأعيان ٤ ، ٤٦٦ .

( ١١٣٦ ) مقدمة الديوان ص ٤ .

( ١١٣٧ ) ديوانه ص ١٧٨ .

كريم المغارس من هاشم  
جواز إذا لم يكن يبتديك  
أمان السؤال وأحيا النوال  
هنية الموارد جم الحياض  
يجيز العبدى ويقل العثارا  
قبل السؤال رأى الجود عارا  
وراض الجماع وخاض الغمارا  
يدنو قطفوا ويحلوا ثمارا

وبعد وفاة الخليفة المستنجد بالله (ت ٥٦٦ هـ) تقرب من ابنه الخليفة المستنفي بأمر الله ووثق علاقته به . وقدم بين يديه مجموعة من القصائد أشاد فيها بشجاعته وشهامته وقدرته على ضبط الأمور . وما يسر الله في زمانه من فتوح . وعودة منصر إلى حضن الخلافة العباسية . وقد تمنى في إحدى القصائد أن تصل جيوشه إلى أقصى الشرق (١١٣٨) :

أقسم النمر لا يفارق جيشا  
ويمينا لتملكن وشيكنا  
وليوفي على أقاصي خراسا  
بجيوش تغمم مسع أهل الـ  
لهم فيه راية سوداء  
ما أظلت تحتها الخضراء  
ن غدا منك غارة شعواء  
عصين منها كتيبة خرساء

وجاء بعد المستنفي بالله (ت ٥٧٥ هـ) ابنه الناصر لدين الله . وهو أعظم خلفاء الدولة العباسية في أواخر عصورها . أعاد للخلافة مكانتها وسلطتها وجدد شباب الأمة بتجديد الفتوة (١١٣٩) . وقد خضع سبط ابن التعاويذي بأكبر عدد من غرر مدائحه وقد صرح بذلك فقال (١١٤٠) :

أصوغ له حابي المديح ولم تكن  
لتحسن إلا في غلاة جواهره

ويكثر في مديحه له من بيان حسن منطقته . ومواب رأيه . وجودة تفكيره إلى جانب صلابة عزمته . وقوة إرادته . وتمكّنه الكبير في تنظيم الجيش وتعبئته وتسييره لمقاتلة الخصوم وضرب المعافل وفتحها مثل قوله من قصيدة طويلة (١١٤١) :

( ١١٣٨ ) ديوانه ص ٤ .

( ١١٣٩ ) ينظر بحث الدكتور مصطفى جواد ( الناصر لدين الله ) في كتاب : في التراث العربي ١ .

١٥ .

( ١١٤٠ ) ديوانه ص ١٧٣ .

( ١١٤١ ) ديوانه ص ١٦٤ .

هاشمي مؤيد الرأي والبنط  
مورذ البيض والأسنة في الـ  
طاعن الفارس المدجج بالسـ  
ورأينا ما كان من جدّه المد  
من فتوح المعاقيل المشمخـ  
واقطناص الأعداء بالأعوجيا  
ق جميعاً والعزم والتفكير  
رؤع ظماء ماء الطلى والنخور  
رأي ومردى السكمي بالتدبير  
صور يروى عن جدّه المنصور  
رات بيض الطهى وسد الثغور  
ت المذاكي والمهفات الذكور

وكانت معارك النضال ضد الفرنج في عهد هذا الخليفة على أشدها في ديار الشام بقيادة المجاهد صلاح الدين الأيوبي . وكان لسبط ابن التعاويذي موقف مشرف في مؤازرة هذا البطل بقصائد حماسية يدعو فيها إلى استئصال شأفة الأعداء المارقين وطردهم من بقاع المسلمين العزيزة ولاسيما القدس الشريف . وقد تحقق في حياته فتح هذه المدينة وعودتها إلى أصحابها الشرعيين سنة ٥٨٣ للهجرة . واليك الأبيات الآتية من قصيدة له : ( ١١٢ ) :

غادرت أهل البغي بين مجذل  
أو هارب ضاقت عليه برحبها الـ  
فأصبح بلاد الروم منك بغارة  
واحسم بحذ ظباك داء حسمة  
حتى يرى للمشرقية مطعم  
لاتعفون إذا ظفرت بمجرم  
فلتشكرنك أمة تحنوا على  
لقى الحمام وخائف يترقب  
أرض الفضاء وأين منك المهرب ؟  
لنصر فيها رائد لا يكذب  
وداؤة بعد التفاقم يصعب  
بالفتك من تلك الدماء ومشرّب  
منهم قرب جريمة لاتوهب  
ضعفائها حذبا كما يحنو الأب

وكان عماد الدين الكاتب صديقا وصاحبا مخلصا لسبط ابن التعاويذي . تعرف عليه حينما كان يعمل في العراق . ولما انتقل إلى الشام واشتغل في دولة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ثم في دولة صلاح الدين الأيوبي لم ينس هذه الصداقة والعجبة . وبقي يرسله . وقيد له ترجمة في كتابه النفيس « خريدة القصر وجريدة العصر » . وعن طريقة عُرف شعره عند صلاح الدين والقاضي الفاضل . فمن مديحه للقاضي الفاضل والتنويه بقلمه الرفيع في تدبيج الكتابة قوله ( ١١٣ ) :

وَكَاتِبٍ مَا فَتَتْ كُتَيْبَةَ      طَلَانْعاً لِّلْفَتْحِ وَالنَّصْرِ  
تَسْنُونُ يَوْمَ الرُّوعِ أَقْلَامُهُ      عَنْ قُضْبِ الْهِنْدِيَةِ الْبُتْرِ  
رَسَائِلُ كَالْحُبِّ شَمٌ بَرَقَهَا الـ      سَارِي وَبَتْ مِنْهَا عَلَى ذَعْرِ  
سَوَارِباً فِي الْحَزَنِ وَالسَّهْلِ أَوْ      شَوَارِداً فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ  
يَسِيرُ فِي الْأَفَاقِ أَنْبَاؤُهَا      كَأَنَّهَا اللَّيْلُ إِذَا يَسِيرُ

إن ممدوحى سبط ابن التعاويذي كثيرون . قدّم بين أيديهم . أو بعث إليهم .  
أجود شعره . ولا يتبع المجال هنا لذكرهم جميعاً (١١١١) .

ولم يسلم لسان سبط ابن التعاويذي من الهجاء . مع إنه نشأ في بيت يهوده<sup>١</sup>  
الزهد والعبادة والتقوى . فإنه كان يكره الشعراء المتخاذلين الذين يبيعون ماء وجههم  
رخصاً في أبواب الممدوحين . ويتهم عليهم لسكوته على المفاسد والمقايح كما جاء  
في قصيدته التي يقول في أولها : (١١١٠) :

يَا قَالَةَ السُّعْرِ أَمَا      فَيَكُمُ فِتْيَ ذُو مَحْمِيَةٍ  
يَأْنَسُ أَنْ يَغْشَى مَقَا      مَاتَ السُّؤَالُ الْمَخْزِيَّةُ  
إِلَى مَتَى جَفَوْنَكُمْ      عَلَى قَذَاهَا مَغْضِيَّةُ  
وَكُمُ تَسْمُوتُونَ بِأَد      وَاءَ السُّهُومِ الْمُدْوِيَّةُ

من الشعراء الذين هجأهم . الأبله البغدادي . وابن المعلم الهرتي . ومن الوزراء  
شرف الدين أبو جعفر محمد بن أبي الفتح المعروف بابن البلدي . وهجأوه أحياناً  
يكون لاذعاً وساخراً كما نرى في هجاء رجل يدعى ابن الزُرَيْشِ ويُشَبِّهه باليهود في  
خُبثهم ولؤمهم وغدرهم : (١١١٦)

وَأَنْتَ مِثْلُ الْيَهُودِ خُبْثًا      خَلَقْتَ مِنْ رِيَّةٍ وَفَحْشٍ  
مَجْتَمَعٌ فِيكَ كُلُّ شَوْمٍ      وَكُلُّ لَوْمٍ وَكُلُّ غَشٍّ  
غَيْرُ لَبِيبٍ وَلَا أَرِيْبٍ      وَلَا مَلِيحِ الْكَلَامِ هَشٍّ  
مَافِيهِ خَيْرٌ وَلَا حَيَاءٌ      فَلَا يُغْذِي وَلَا يُعْشِي

(١١٤٤) ينظر : سبط ابن التعاويذي (مكولى) ص ٤٩ - ٨٠ . وسبط ابن التعاويذي

(الآلوسى) ص ١٤٢ - ١٤٦ .

(١١٤٥) ديوانه ص ٤٦١

(١١٤٦) ديوانه ص ٢٤٦

ولسبط ابن التعاويذي قصائد ومقطوعات في الرثاء تنم على حزن عميق ولا سيما المراثي التي قالها في اهله وذويه واقاربه . فمن مراثيه الجيدة قصيدته في رثاء جده لأمه الشيخ الزاهد أبي محمد المبارك بن المبارك . وقد افتتحها بمطلع فيه شيء من الحكمة ( ١١٧ ) :

لكلّ ماطال به الدهر أمد لا والدأ يبقى الردى ولا ولذ  
ومنها :

ان كنت في ثوب العلى فأنني بعدك في ثوب نحول وكمذ  
أوحدتني وفي الرجال كثرة ياقلّة الجار وقلّة البعد  
مالك لا ترحم ذلّ موقفي وكنت احنى والد على ولذ

ومن مراثيه التي تفيض بالحسرة والاسى قصيدته في رثاء ابن ابنه . وكان يحبه ويأنس بمداعبته . منها قوله ( ١١٨ ) :

كأنه الورذ اتى زائراً ثم انقضت أيامه عن كثر  
أشرق كالنجم فضيلاً فما ملأت عيني منه حتى غرب  
كما تجلّى البدر من دونه سحابة غراء ثم احتجب  
ويلي عليه ما بلغت المنى منه ولا قضيت منه أرب  
أبا علي كنت لى مؤنساً فخالستني فيك أيدي الريب

وتغنى سبط ابن التعاويذي بشعر رقيق للحب . اظهر لواعجه واشواقه لمن أحب من الجميلات في اشكالهن وحركاتهن . وقد جعل هذا الشعر مستقلاً قائماً بذاته . او في مقدمات القصائد . مثل قوله من ارجوزة تجاوزت ثمانين بيتاً ( ١١٩ ) :

مُشَبَّعةً الخلل والسنوار كأنها بدر السماء الساري  
جلت عن المحاق والسنار تشرق من مطالع الأزار  
علقتها في حانة الخمار خلعت في الحب بها عذاري  
مالأخي الضبوة والوقار ولم أزل منهتك الأستار

( ١١٤٧ ) ديوانه ص ١٢٥

( ١١٤٨ ) ديوانه ص ٥٨

( ١١٤٩ ) ديوانه ص ٢٢٦



وفي شعره شكوى ممزوجة بالآلام . ولا سيما بعد ان تجاوز الخمسين من العمر  
 وفقد نور عينيه ولازم داره . مثل قوله يصف حاله التي آل اليها . ويتحضر على ايام  
 شبابه التي قضاها في لهو ومرح وانشراح (١١٠٠) :

يا لك من ليل ججا	ب جنحة معتكر
ظلامه لا ينجلي	وصبحه لا يسفر
ما في حياة معه	لذي حصة وطير
غادرني كائنسي	في كسر بيت حجر
لا أهتدي لحاجتي	وفي الليالي عير
أين الشباب والمراخ	والهوى والأشهر
أخنت على أيامها	أيام دهر غدر
لم يبق لي إلا الأسى	منهن والتذكر

وكثر عنده العتاب ممتزجا بالشكوى . ولعل أثر العمى كان شديداً على مزاجه  
 وسلوكه . إذ أن « كف البصر في حد ذاته يخلق مشكله لصاحبه ترمي به في حومة  
 من ركام الفقد النفسية والحية لا يستطيع ان يتغلب عليها إلا كل مؤمن شجاع .  
 وهي عند الذين ولدوا مكفوفين اشد منها عند هؤلاء الذين ضروا وهم كبار . فهؤلاء  
 الاخيرون تكون للحياة في اذهانهم وعقولهم صوراً باقية يتحسسونها ويلتمسون منها  
 الوحي الصادق الدقيق في اكثر الاحيان . وقد عرف التاريخ عدداً من الشعراء  
 العظماء المكفوفين » (١١٠١) . وكان سبط ابن التعاويذي من الشعراء الذين حرمو البصر في  
 اخريات اعمارهم وظهر اثره في شعرهم . فها هو ذا يعاتب بشعر يسيل رقة وعذوبة  
 صديقه ابا الفتوح ابن علي القاري على التأخر عن الزيارة التي اعتاد ان يؤديها  
 بين حين وآخر (١١٠٢) :

قد فاتني منك حظ عيني	فلا تدعني في حظ سمي
كنت اذا ملني حبيب	أنجذني بالبكاء دمي
من لي بهطالة هتون	أبكي بها طاقتي ووسي
على أناس بانوا وكانوا	ذخري ليومي ضري ونفعي

( ١١٥٠ ) ديوانه ص ٤٨٢

( ١١٥١ ) الشعر والحرمان للدكتور مصطفى الحكمة ص ١٠٢ .

( ١١٥٢ ) ديوانه ص ٢٧١ .

فليت شعري بأي حكم      يالبن علي وأي شرع  
سَوَّغْتَ بعد الوصالِ هجري      عمداً وبعد العطاء منعي  
فارغ عهود الإخاء واکرم      أخاك عن جسفة وقطع  
واشف بقلبيك ما بقلبي      للشوق من حرقة ولذع  
فلما أراه يزور قبري      من لم يزر في الحياة ربعي

وظهرت في شعره مسحة من الحزن واليأس . بعد أن دب الهزال في بدنه . وسرى الضعف في أعضائه . وأخذت الأعوام تنقص من سعيه ونشاطه . وبدا ذلك جلياً في الشعر الذي نظمته في الزهد والوعظ والارشاد الذي وجهه للناس لعلمهم يتخذون العبرة والعظة قبل فوات الأوان واقتراب ساعة الرحيل من دنيا الفناء . مثل قوله ( ١١٥٢ ) :

سَلْ عن الماضين إنْ نطقَتْ      عنهم الأجداث والبرك  
أي دار للسبلى نزلوا      أو سبيل للردى سلكوا  
ملكوا الدنيا فما دفع الـ      موت ما حازوا وما ملكوا  
فتكت منهم نوائبها      برجال طالما فتكوا  
ضحكوا حيناً فعاد أسى      وبكاء ذلك الفتحك  
وبرئتها للزمان يد      ما علسيها في دم درك  
ياأخا الخمسين باهرها      وهو في دنياه منهمك  
بات مغروراً ثمم له      من حبال الـردى شبك  
لاهيـا والعمر منتهب      بيد الأيام منهتك  
قف قليلا قد بلغت مدى      للمنايا فيه مفترك

ان شعره - كما لاحظنا - قريب المأخذ . في بناء سليم مترابط . ولغة فصيحة . وموسيقى مستعارة . وقد أدرك العفدي ذلك فقال : كان شاعرا منطبقا . سهل الالفاظ . عذب الكلام . منسجم التراكيب . ولم يكن غواصا على المعاني . ( ١١٥١ )

( ١١٥٢ ) ديوانه ص ٢٢٠ .

( ١١٥٤ ) نكت الهميان ص ٢٥٩ .

## عمر بن الفارص

٥٧٦ - ٦٢٢ هـ

اندفع الفرنج نحو الشرق طمعاً في خيراته ووافر ثرواته بموجات متتابعة وفترات متقاربة منذ قرنين من الزمان ابتداءً من سنة ٤٩٢ للهجرة واحتلوا اجزاء عزيزة من الوطن الغالي . ولا سيما القدس الشريف . وفرّ الناجون الى الله من الحرب الضروس التي وقعت آنذاك . وتضرّعوا اليه أن يدفع عنهم الكروب الشديدة . ويحسر اسجافى البلايا الصفيقة . وتوزّع الشعراء الى فريقين . ذهب فريق الى الاعراب عن دخائل النفوس وكوامن الافئدة والى الافصاح عن ضراوة الاحداث وجسامة الاهوال والكوارث بقصائد عامرة . منها قصيدة الامام الغزالي ( ت ٥٠٥ هـ ) التي مطلعها (١١٥٥) :

الشدة أودت بالمهج يارب فعجل بالفرج

وقصيدة يوسف بن محمد التوزري المعروف بابن النحوي ( ت ٥١٣ هـ ) المشهورة بالانفرجة ومطلعها (١١٥٦) :

اشتدّي أزمّة تنفرجي قد أذن ليملك بالبلج

وذهب فريق اخر الى التضرّع بالرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . والتوسل لديه . والتعلق باعتابه ان يزيل عنهم الاحزان الجاثمة . ويردّ الامن والدعة الى نفوسهم الهائمة . ويلج بهم ابواب الرحمة الواسعة الى ساحات الرضا السرمدي .

وقد كانت الحالة الاقتصادية السيئة في الطبقات الدنيا من المجتمع والولايات التي رافقت الحروب الصليبية التي وقعت على ارض الشام ومصر ثم الهجمات التتيرية التي اجتاحت العراق دافعاً كبيراً لالتجاء الكثيرين الى الله والملاذبه والانضواء تحت رحمته . وذهب بعضهم الى اعتزال الحياة بما فيها من لذة ونعيم والترهّد فيما انعم الله به على عبادة .

وقويت الحركة الصوفية والدعوة اليها . وظهر فيها رجال كبار امثال الشيخ عبدالقادر الجيلاني ( ت ٥٦١ هـ ) وابي الفتوح يحيى بن حبش السهروردي ( ت ٥٨٦ هـ ) وشهاب الدين ابي حفص عمر بن محمد السهروردي ( ت ٦٣٨ هـ ) وابي الحسن

( ١١٥٥ ) الدرر القوالي من اشعار الامام الغزالي ص ٩ .

( ١١٥٦ ) مفتاح السعادة ١٣ ، ١٤٤ .

علي بن عبدالله الشاذلي ( ت ٦٥٦ هـ ) وجلال الدين محمد بن الحسين الرومي ( ت ٦٧٢ هـ ) ... وكان ابو حفص عمر بن الفارض واحداً من هؤلاء المشهورين .

## سيرته :

هو الشاعر الصوفي الشهير عمر بن علي بن مرشد . الحموي الاصل . المصري المولد والنشأة والوفاة . المشهور بابن الفارض . يكنى ابا القاسم وأبا حفص . ويلقب شرف الدين . وسلطان العاشقين . وسلطان المحبين .

ولد في القاهرة في الرابع من ذي القعدة سنة ٥٧٦ للهجرة ( ١١٨٧ ) . في بيت دين وورع وخلق وعلم . كان ابوه عالماً درس على ابن عساكر وغيره . وقدم من حماة الى القاهرة . واقام بها . وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين ايدي الحكام . ومن هنا كانت تسمية الفارض . ثم ولي نيابة الحكم للملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الايوبي . وعرض عليه منصب قاضي القضاة فامتنع . واستقال عن نيابة الحكم . وأثر العزلة والانقطاع الى العبادة في الجامع الازهر .

درس ابن الفارض علوم اللغة العربية والشريعة على ابيه وعلى العلماء الذين كانوا يعتقدون حلقات الدرس في الجامع الازهر . وكانت تغمر عصره موجة من التصوف . فتأثر بها وتزهد وسلك مسلك الصوفية في التقشف ومجاهدة النفس والخلوة للتهجد والتعبد .

زار الحجاز واتصل بمنابع الوحي والالهام . وجاور مكة زهاء خمسة عشر عاماً . تجرّد فيها للذكر والتضرع والابتهال . ثم عاد الى القاهرة . واقام بقاعة الخطابة في الجامع الازهر . وهي القاعة التي اقام فيها ابوه من قبل . وكان الجميع يقدرونه ويجلّونه حتى صاحب مصر الملك الكامل محمد بن ابي بكر العادل . اذ كان ينزل لزيارته والاستئناس بمجالسته والاستماع الى شعره . وساعده على الظفر بمحبة الناس مامنحه الله من جمال الخلقه والخلق وما سار على السنة الناس من شعره .

وعاد مرة ثانية الى الحجاز ولكنه لم يمكث فيها كثيراً . فانه ادى مناسك الحج وابتنع بالشيخ ابي حفص عمر بن محمد الشهرودي من اقطاب التصوف بالعراق في زمانه . ثم عاد الى القاهرة وجلس في مكانة بالجامع الازهر مكرماً مُعزّزاً من

الناس عامة . وكان يقصده الفقهاء والصوفيون واکابر الدولة . وبقي على هذه الحالة الى ان توفي بالجامع الازهر بقاعة الخطابة في اليوم الثاني من جمادى الاولى سنة ٦٣٢ للهجرة ودفن بالقرافة بسفح جبل المقطم (١١٠٨)

## شعره :

حظي ديوان ابن الفارض باهتمام النساخ والشرح والمفسرين والدارسين لما له من مكانة مرموقة في مجال الشعر الصوفي . ولعل من اشهر شراح هذا الديوان الشيخ حسن البوريني المتوفى سنة ١٠٢٤ للهجرة . وقد تناول في شرحه ظاهر الالفاظ وما يؤخذ منها من المعاني . والشيخ عبدالغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ للهجرة الذي شرح الديوان على ضوء المصطلحات الصوفية .

يحيي الديوان الى جانب القصائد والمقطوعات المنظومة على الاوزان العربية المعروفة واحداً وثلاثين دوبيتاً . ومواليها واحدة .

برع ابن الفارض في نظم الشعر براعة كبيرة وفائقة . جعلت الناس يطلبونه ويتهاقون عليه . ومصدر هذه البراعة والجودة شاعريته وخفة طبعه وحسن صياغته . واغلب هذا الشعر في الحب الالهي . استخدم فيه لغة العشق والغرام والهيام . « وهي لغة استمدتها من اساليب الشعر العذري الذي غني بتصوير العفة في الحب . ومعنى ذلك ان ابن الفارض عبر عن حبه الالهي بلغة الحب الانساني جارياً في ذلك على طريقة الصوفية في الاشارة الى مواجدهم والتلويح لادواقهم ومعانيهم من خلال اساليب مستعارة من الشعر الغرامي » (١١٠٩) . وتكشف هذه النزعة الغنائية الابيات الاتية التي اخذت حظاً كبيراً من الرقة والأسر (١١١٠) :

قلبي يُحدّثني بأنك مُتلفي روحى فداك عرفت ام لم تعرف  
لم أقض حقّ هواك إنّ كنت الذي لم أقض فيه أسى ومثلي من يفى (١١١١)  
مالى سوى روحى وبأذل نفسه فى حب من يهواه ليس بمصرف  
فلئن رضيت بها فقد أسعفتني ياخيبة المسعى اذا لم تسعف !  
يامانعى طيب المنام وما نحي ثوب السقام به ووجدي المتلف

( ١١٥٨ ) ينظر ، الكواكب السيرة الى ترتيب الزيارة ص ٣٠٠ ، تحفة الاحباب وبغية الطلاب ص

٣٨٢ .

( ١١٥٩ ) شعر عمر بن الفارض ، دراسة في فن الشعر الصوفي ص ١١٢

( ١١٦٠ ) ديوانه ص ١٥١

( ١١٦١ ) القضي الاولى ، الهى ، الثانية ، اموت

عطفاً على رمقي . وما أبقيت لي .  
 فالوجد باقٍ والوصال مما طلي .  
 وأسأل نجوم الليل : هل زار الكرى  
 لاغرؤ . إن شئت بغض جفونها  
 يا أهل ودي انتم املي ومن  
 عودوا لما كنتم عليه من الوفا  
 لاتحسبونني في الهوى متصنعاً  
 من جسمي المضى وقلبي المدنف  
 والصبر فإن واللقاء مسؤفي  
 جفني وكيف يزور من لم يعرف ؟  
 عيني وسحت بالدموع الدرف  
 ناداكم يا أهل ودي قد كفي  
 كرمأ فاني ذلك الخل الوفي  
 كلفي بكم خلق بغير تكلف

والقصيدة طويلة يسير فيها على هذا النهج في اظهار اللوعة والمعاناة والشوق الى الحبيب بلغة رقيقة تنساب الى القلوب بيسر وسهولة استمدتها من وحي الحب العذري .

وتحولت الخمرة في الشعر الصوفي كما تحول الغزل العذري الى رمز عرفاني على ماكان الصوفية ينازلون من وجد باطن . والخمرة في شعر ابن الفارض « رمز على المحبة الالهية بوصفها ازلية قديمة منزهة عن العلل مجردة عن حدود الزمان والمكان . وهذه المحبة في الاسرار العرفانية هي التي بواسطتها ظهرت الاشياء وتجلت الحقائق وأشرقت الاكوان . وهي الخمرة الازلية التي شربتها الارواح المجردة فانتشت واخذها السكر واستخفها الطرب قبل أن يخلق العالم » (١١٦٢) على حد قوله في ميميته (١١٦٣) .

شربنا على ذكر الحبيب مداماً  
 لها البدر كاس وهي شمس يديرها  
 ولولا شذاها ما هتديت لجانها  
 ولم يبق منها الدهر غير حشاشه  
 فان ذكرت في الحي اصبح اهله  
 سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم  
 هلال وكم يبدو اذا مزجت نجم (١١٦٤)  
 ولولا سناها ما تصوّرها الوهم (١١٦٥)  
 كأن خفاها في صدور النهى كنتم (١١٦٦)  
 نشاوى ولا عار عليهم ولا إثم

( ١١٦٢ ) الرمز الشعري عند الصوفية ص ٣٦٦ .

( ١١٦٢ ) ديوانه ص ١٤٠ .

( ١١٦٤ ) لها البدر كاس ، يريد ان اثناءها مستدير كالبدر ، وهي شمس ، اي صافية كالشمس .  
 هلال ، اي غلام كالهلال في رشاقتة . كم يبدو اذا مزجت نجم ، اي يبدو من الفقايع التي تفبه النجوم .

( ١١٦٥ ) شذاها ، طيب رائحتها . سناها ، نورها . ما تصوّرها الوهم ، ماخطرت على بال .

( ١١٦٦ ) حشاشه ، بقية روح . خفاها ، مسهل خفاها . في صدور النهى ، اي في صدور اهل العقول .

ومن بين أحشاء الذناب تصاعدت ولم يبق منها في الحقيقة الا اسم  
وان خطرته يوماً على خاطر امري اقامت به الافراح وارتحل الهم

لقد عبر عن حبه ووليه وهيامه بصور شتى من التعبيرات التي استعارها من شعراء  
الحب العذري وشعراء الخمرة المشهورين . وقد لقب بسلطان العاشقين لقوله (١١٦٧) :

يُحشِرُ العاشقون تحت لوائي وجميع الملاح تحت لواكا  
وقوله : (١١٦٨)

نسخت بحبي آية العشق من قبلي فأهل الهوى جندي وحكمي على الكل  
وكل فتى يهوى فاني امامه واني بري من فتى سامع الغذل  
ولي في الهوى علم تجل صفاته ومن لم يفقه الهوى فهو في جهل

ان حب ابن الفارض « يتخطى دائرة الحب . فهو حب صاف من قيود المادة .  
قد خلص نفسه من كل شوائبها واقبل على حبيبه الذي يحل به الجمال المطلق . في  
اسمى صورته المعنوية . ومن اخص خصائص هذا الحبيب كل ما في الكون من ايات  
الحق والخير والجمال » (١١٦٩) . والرسول محمد . صلى الله عليه وسلم . اية من ايات  
الحق والخير والجمال . يتصف بكل كمال . ويفوق العالمين بحسن خلقه وخلقه . ولذلك  
تشوق اليه ابن القارض وحن اليه وخاطبه بلغة الهائمين المولعين بمعشقاتهم . مثل  
قوله : (١١٧٠)

الا في سبيل الحب حالي وما عسى اخدمت فوادي . وهو بعضي فما الذي  
وجدت بكم وجداً . قوى كل عاشق برى اعظمي من اعظم الشوق ضعف ما  
بكم ان الاقي لو دريتم احبتي (١١٧١)  
يضركم ان تتبعوه بجملتي ؟  
لو احتملت من عبئه البعض كلت (١١٧٢)  
بجفني لنومي او بضعفي لقوتي (١١٧٣)

( ١١٦٧ ) ديوانه ص ١٥٩

( ١١٦٨ ) ديوانه ص ١٧٤ .

( ١١٦٩ ) الادب في العصر الايوبي ص ٢٤٠ .

( ١١٧٠ ) ديوانه ص ٣٦

( ١١٧١ ) يقول : لو دريتم بحالي وما عسى ان الاقي من الفقاء في حبكم لرحمتوني

( ١١٧٢ ) يقول : ان وجده . اي حبه الهديد . تكل . اي تضعف . قوى كل عاشق عن تحمل ثقل  
بعضه .

( ١١٧٣ ) يقول : ان اعظمه انحله شوق عظيم هو ضعف مالي جفنه من الشوق الى النوم وما في  
ضعفه من الاشتياق الى القوة .

وقد اتهم ابن الفارض بمشايعة مبدأ الحلول والاتحاد . او وحدة الوجود . وكلاهما شيئان متقاربان . واحتدم الجدل والنقاش بين المؤيدين له والمتعصين عليه (١٣١) . فمن اقواله التي انكروها عليه .

واذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح . ولا تجعل جوابي : لن ترى دافع البوريني عنه في هذا البيت قال : « ان في هذا البيت تلميحاً الى قصة موسى حيث طلب من ربه الرؤية . فأجيب : بلن تراني . وان مراد الشاعر الرؤية في الاخرة بدليل قوله ، واذا . فان اذا تدل على الزمان المستقبل » (١٣٠) . ومن اكثر قصائده التي دار حولها الجدل التائية الكبرى التي تعرف بـ ( نظم السلوك ) وهي في واحد وستين وسبع مئة بيت . قال احد الباحثين : « وقد تصفحت ديوان عمر بن الفارض وانعمت النظر في تائيته الكبرى على وجه الخصوص فلم اجد بيتاً يعطي معنى الحلول او الاتحاد او وحدة الوجود صراحة » (١٣١) .

ومما يشير الانتباه ان يجد القارئ في ديوانه تسعة عشر لغزاً شعرياً الى جانب شعره الصوفي ، ويبدو انه لم ينس نصيبه من التسلية البريئة والرياضة الذهنية مع جلسائه احياناً في نظم الالغاز والاحاجي . وهي - في الغالب - تعتمد على التصحيف والتحريف والتقديم والتأخير والحذف والقلب في حروف الكلمات . مثل قوله ملغزاً في صقر : (١٣٢)

ما سم طير . اذا نطقت بحرف منه . مبداء كان ماضي فعلة (١٣٣)  
واذا ما قلبته . فهو فغلي . طرباً . ان اخذت لغزي بحلة (١٣٤)  
وقوله ملغزاً في ليف : (١٣٥)

ما اسم شيء من النبات . اذا ما قلبوه وجدته حيواناً (١٣٦)  
واذا ما صُفِّت ثلثيه . حاشا بداءة . كنت واصفاً انساناً (١٣٧)

( ١٣٨ ) يظهر هذالغ الزهور في وقائع الدهور ٢ ، ١١٨ .

( ١٣٩ ) ديوانه ص ٥٨

( ١٤٠ ) الادب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري ص ١٠٥

( ١٤١ ) ديوانه ص ٢٠٢

( ١٤٢ ) اراد ان اول حرف من صقر هو الصاد ، وصاد فعل ماضٍ من الصيد

( ١٤٣ ) اي اذا قلبت صقر حصل منه رقص . وهو ما افعله حين الطرب

( ١٤٤ ) ديوانه ص ٢٠٢

( ١٤٥ ) اي اذا قلبت ليف حصل منه فيل .

( ١٤٦ ) اي جعلت ثلثيه وهما الياء والفاء باء وقافاً صار لبقاً . وهو وصف للانسان معناه حاذق



ان شعر ابن الفارض - وان لم يخل من الصنعة - محبب مستساغ في الاسماع .  
فيه نزوع الى التتميق والزينة وشغف بالصور البيانية والمحسنات البديعية ، ولا ننكر  
انه يوفق كثيراً بفضل هذه الصور والمحسنات الى سكب شعره في صيغة رشيقة  
جذابة . مثل قوله في الابيات الاتية ( ١٨٣ ) :

أدِرْ ذَكَرِي مَنْ أَهْوَى وَلَوْ بِمَلَامٍ      فَأَنْ أَحَادِيثَ الْحَبِيبِ مُدَامِي  
لِيَشْهَدْ سَمْعِي مَنْ أَحَبَّ وَإِنْ نَأَى      بِطِيفِ مَلَامٍ لَا بِطِيفِ مَنَامٍ  
بِرُوحِي مَنْ اتْلَفْتُ رُوحِي بِحَبَا      فَحَانَ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي  
أَصْلَى فَأَشْدُو حِينَ اتْلُو بِذَكَرِهَا      وَأَطْرَبُ فِي الْحَرَابِ وَهِيَ أَمَامِي  
أَرْوَحُ بِقَلْبِي بِالصُّبَايَةِ هَائِمٌ      وَأَغْدُو بِطَرْفِي بِالسَّكَايَةِ هَامٍ

وهناك وسائل أخرى يعمد اليها في سبيل ابداع شعره واخراج بصوره مثيرة ومؤثرة  
منها « حسن انتخاب الكلام الرقيق المنجم ، والجمع بين الألفاظ التي ينسرح معها  
النطق . اذ تتألف فيها أصوات مخارج الحروف ، ومنها اختيار الأوزان التي تتلاءم  
مع العواطف والمعاني . فتساب الى النفس انسياً ( ١٨٤ ) » مثل قوله ( ١٨٥ ) :

يَا أَهْلَ وَدِي هَلْ لِرَاجِي وَصْلَكُمْ      طَمَعٌ فَيَنْعَمُ بِالْأُسْتَرَاخَا ؟  
مَنْ غَبْتُمْ عَنْ نَظَرِي لِي أَنَّهُ      مَلَأَتْ نَوَاحِي أَرْضٍ مَصْرَ نَوَاحَا  
وَإِذَا ذَكَرْتَكُمْ أَمِيلُ كَأَنِّي      مِنْ طَيْبِ ذَكَرِكُمْ سَقِيتُ الرَاحَا  
وَإِذَا دَعَيْتُ إِلَى تَنَاسِي عَهْدِكُمْ      أَلْفَيْتُ أَحْشَائِي بِذَاكَ شَحَا  
سَقِيًّا لِأَيَّامٍ مَضَتْ مَعَ جَبَرَةِ      كَانَتْ لِيَالِينَا بِهِمْ أَفْرَا  
حَيْثُ الْجَمَى وَطَنِي وَسَكَّانُ الْغُضَا      سَكَنِي وَوَرْدِي الْمَاءُ فِيهِ مُبَا  
وَأَهْلُكُ أَرْبَى وَظِلُّ نَخِيلِهِ      طَرَبِي وَرَمْلَةٌ وَادِيهِ مَرَا  
وَاهَا عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطِيهِ      أَيَّامُ كُنْتُ مِنَ اللَّغُوبِ مُرَا  
قَسْماً بِمَكَّةَ وَالْمَقَامِ وَمَنْ أَتَى الـ      بَيْتَ الْحَرَامِ مُلْبِياً سُبَا  
مَارْنَحْتُ رِيحَ الصُّبَا شَيْخَ الرُّبَى      إِلَّا وَأَهْدَتْ مِنْكُمْ أَرْوَا

ولعل هذا الشعر وأمثاله في ديوانه دفع الدارسين القدامى الى نعته بسيد شعراء  
عصره . ووصف نظمه باللطافة والظرافة ( ١٨٦ ) .

( ١٨٢ ) ديوانه ص ١٦٢

( ١٨٤ ) عمر بن الفارض من خلال شعره ص ١٤١ .

( ١٨٥ ) ديوانه ص ١٢٤ .

( ١٨٦ ) ينظر : الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري ص ٩١ .

### النشر

#### تمهيد :

كانت الكتابة في العصر العباسي الأول - كما مرُّ بنا سابقاً - تتبع أسلوب الصفاء واليسر والسهولة والبعد عن الصنعة واختيار الألفاظ العذبة الموثقة كما يلاحظ في كتابات ابن المقفع . وسهل بن هارون . وعمرو بن مسعدة . وأحمد بن يوسف الكاتب . ومحمد بن عبد الملك الزيات . وإبراهيم بن العباس الوصلي وسواهم . ثم جاء أسلوب الجاحظ . وهو لطيف مُشرق . يحتفظ بجمال العبارة وبلاغتها ورصانتها . ويُعنى بتقطيع الكلام الى فقر كثيرة مرسلة أو مسجوعة . ويميل الى الاستطراد واستيفاء المعنى واستقصاء أجزائه . ومن أشياع هذه الطريقة فيما بعد أبو حيان التوحيدي . وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي . وأبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني .

ومأكد نصل الى القرن الرابع للهجرة حتى نرى ميل الكتابة عند فريق من الكتاب الى ايثار جانب اللفظ على جانب المعنى . والانحياز الى الصنعة . والرغبة في التزييق . والاستعانة بالمحسنات اللفظية والمعنوية . والاكثر من الاستشهاد بالقرآن والحديث وأطاييب الشعر ومختار الأمثال . والتوسع في الشرح والاستدلال . والاستكثار من الأخيلة والتشبيهات والاستعارات . ومن أشهر رجال هذه الطريقة : ابن العميد . والصاحب بن عباد . وأبو اسحاق الصابي . وبدیع الزمان الهمداني . وأبو بكر الخوارزمي . وقابوس بن وشمكير . وقاسم بن علي الحريري . ويحيى بن سلامة الحصكفي ...

وأخذت الكتابة في القرن الخامس ثم السادس تفرق في الصنعة . وتستكثر من التمنيق . وتستأثر بقسط أوفر من المحسنات البديعية . ولاسيما التورية والجناس . وتستوفي ما في المعجم العربي من الألفاظ الصعبة . وكان على رأس هذه الطريقة سعد ابن علي الحظيري . والقاضي الفاضل . وعماد الدين الكاتب الأصبهاني .

تطور المجتمع في العصر العباسي الثاني تطوراً كبيراً . فأخذ بأسباب الزينة والأناقة . والترف في أطر الحياة المختلفة . وقد تحدث المؤرخون عن بذخ الكثيرين آنذاك . والإقبال الشديد على التجميل . من ذلك مايرويه أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة « فريدة » المغنية عن محمد بن الحارث أنه قال حين استدعاه الخليفة الواثق الى قصره : « أفضيت الى دار مفروشة الصحن . مُلبسة الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب . ثم أفضيت الى رواق أرضه وحيطانه مُلبسةً بمثل ذلك . واذا الواثق في صدره على سرير مرصع بالجواهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب . والى جانبه فريدة جاريتة . عليها مثل ثيابه وفي حجرها (١١٨) عودٌ » ويروى أن الخليفة المقتدر بالله كان بقصره شجرة من الفضة زنتها ألف درهم . وكانت تقوم وسط بركة مدورة صافية الماء . وكان لها ثمانية عشر غصناً . على كل غصن الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة . وكان بها ورق مختلف الألوان . وكانت تتمايل في أوقات لها فيتحرك هذا الورق وتضفر الطيور وتهدر (١١٩) .

ودخل التألق والتزيّن الأدب شعراً ونثراً . فجعل الشعراء شعرهم « كبرود الغضب . وكالحلل والمعاطف . والديباج والوشى . وأشباه ذلك » (١٢٠) . . وكذلك الكتاب . ولا سيما الذين يعملون في الدواوين . فإنهم زينوا نثرهم وجملوه بحلي البديع . حتى أصبحنا لانرى منهم - إلا ماندر - من لا يتخذ السجع وسيلة في تدييج كتابته وتبهيجته .

وكان للقائمين على الإمارات والدويلات آنذاك دور فعال في تنشيط الكتابة واجتذاب كبار الكتاب الى مجالسهم ومحافلهم ودواوينهم واعطائهم سلطات واسعة . فنجد عند البويهيين ابن العميد والصاحب بن عباد . وعند السامانيين علي بن محمد الإسكافي . وعند الزياريين نجد أميراً من أمرائها وهو قابوس بن وشمكير . وعند الخوارزميين أبا بكر الخوارزمي . وعند الغزنويين أبا الفتح علي بن محمد البستي . وكان هؤلاء الكتاب يتنافسون في ابراز كتاباتهم بأجمل مظهر . وأحسن ديباجة . وأبدع صياغة . وألطف صورة موثاة بغنون البديع وضروب البيان .

( ١١٨٨ ) الأغاني ١٤ ، ١١٩ .

( ١١٨٩ ) ينظر تاريخ بغداد ١١ ، ١٠٠ .

( ١١٩٠ ) البيان والتبيين ١ ، ٢٢٢ .

وكلما يتقدّم الزمن نجد النثر يزداد ولوعاً بقيود الصنعة وأغلال التعقيد . كما نشاهد في كتابات أبي العلاء المعري . ولاسيما في رسالة الغفران وكتاب الفصول والغايات . ويزداد التعقيد على يد القاسم بن علي الحريري ( ت ٥١٦ هـ ) صاحب المقامات المشهورة التي يقول في مقدمتها : « أنشأت على مألغانيه من قريحة جامدة . وفطنة خامدة . وروية ناضبة . وهموم ناضبة . خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله . ورقيق اللفظ وجزله . وغرر البيان ودرره . وملح الأدب ونوادره . الى ما وشحتها به من الآيات . ومحاسن الكنايات . ورصعته فيها من الأمثال العربية . واللطائف الأدبية . والأحاجي النحوية . والفتاوي اللغوية ... » ( ١٣١ ) .

وبلغ التصنيع والتعقيد غايته في القرن السادس للهجرة . ولعلّ من أشهر المولغين في ذلك يحيى بن سلامة الحُصَكْفِي ( ت ٥٥١ هـ ) الذي أكثر من الجنس بأنواعه المختلفة الى جانب الصور المعقّدة . مثل قوله في التجنيس المنعكس وكل كلمة مشتقة من أختها : « النفسُ بعقود التذرُّع حالية . ولقعود التعذُّر حائلة . ومن الودائع المعجزة مالية والى الدواعي المزعجة مائلة . وفي بحار الحمد راسية . وفي رحاب المدح سائرة . تجمع الى مواصلة القمر . وتُحجم عن مصالوة القمر . لتكفّ بإظفار الأمل . وتفكّ بأظفار الألم . فهل كاملٌ يُعني . ومالكٌ يُعين . ومقتصدٌ يديني . ومتصدّقٌ يدين . فالرغبة من الشُّهْب . من الغُربة في الشُّبّه . رغبةٌ من قصد بالالهام . مواقع السُّحاب الهام . وورد شريعة الإفهام . لظما للإبهام . وتعرّض لمعانٍ دَقَّتْ عن الأفهام . ورقَّتْ فترقَّتْ عن الأوْهام » ( ١٣٢ )

وممن اهتم بالصنعة وبالع في القرن السادس للهجرة أيضاً القاضي الفاضل وعماد الدين الكاتب الأصبهاني . وكانا يتباريان في مضمار الانشاء الديواني في دولة صلاح الدين الأيوبي . وسوف نُفرد لكل واحد منهما ترجمة لسيرته وطريقة كتابته .

### اتجاه الترسل :

في الصفحات السابقة بينا طريقة الصنعة والتعقيد في الكتابة . أبعدت الإنشاء العربي عن أصلته وجماله الفني . وقد شاعت بين الكثيرين من كتاب العراق والمشرق ووصل تأثيرها الى الشام ومصر والمغرب العربي .

( ١١٩١ ) مقامات الحريري ص ١٢ .

( ١١٩٢ ) خريدة القصر وجريدة العصر . قسم شعراء الشام ، ٢ ، ٤٩٧ .

وتعدى طريقة الصنعة والتعقيد ومال عنها فريق من الكتاب. عرفت طريقتهم بالأسلوب المرسل الذي يُعنى باللفظ والمعنى على السواء ولا يُفرط بأحد الطرفين على حساب الطرف الآخر. ويأخذ ضرباً من البيان والبديع على سبيل الاتفاق لا سبيل التعمل والتكلف والتقصد. وقد أرسى قواعد هذه الطريقة وأشاعها الكاتب العربي الكبير أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. وجاء بعده كتاب آخرون ساروا على هديه. واقتدوا بآثاره. ولعل من أشهرهم. ابن قتيبة. وأبا هلال العسكري. وأبا بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلاني. وأبا حيان التوحيدي وهو أشهرهم وعبد القاهر الجرجاني.. ومن أبرز مزايا طريقة هؤلاء الكتاب وضوح الألفاظ وسهولتها. وفصاحة العبارات ورسائنها وبعدها عن الركة والابتذال. والموازنة بين الألفاظ والمعاني. وربط الأفكار وتنظيمها في سياق جميل. وديباجة مشرقة بلا حشو ولا فضول. والاستناد الى القواعد المنهجية « كصحة التقسيم. وتخير اللفظ. وترتيب النظم. وتقريب المراد. ومعرفة الوصل والفصل. وتوخي الزمان والمكان. ومجانبة العسف والاستكراه (١١٨٧) ».

## أبو الفضل بن العميد

٩ - ٣٦٠ هـ

كان القرن الرابع للهجرة - على الرغم من اضطراب الأحوال السياسية - عصراً حافلاً بالحركات العلمية في شتى نواحي المعرفة . زاهراً بطائفة كبيرة من العلماء والأدباء والفقهاء ورجال اللغة والبيان . وكان ابن العميد واحداً من مشهوري الإنشاء العربي آنذاك . وقد عُدَّ الدكتور زكي مبارك سيد كتاب اللغة العربية في القرن الرابع (١٣٣) .

### سيرته :

هو أبو الفضل . محمد بن الحسين . الملقب بابن العميد . من بيت فضل وصدارة . كان أبوه أبو عبدالله الحسين بن محمد كاتباً مشهوراً في خراسان . تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر . وكانت له رسائل « لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل » (١٣١) . ولقب بالشيخ كالعادة فيمن يلي ذلك الديوان . ولقب بالعميد على عادة أهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم .

ولد ابن العميد في أواخر القرن الثالث للهجرة . وتربى في جو علمي وأدبي . تتلمذ على الكثيرين من علماء عصره أحدهم اسمه محمد بن علي بن سعيد (١٣٥) . وقيل انه أخذ العلم في بغداد . ولذلك كان يحبها ويمعجب برجالها وحضارتها (١٣١) . وأصبح « أكتب أهل عصره . وأحفظهم للغة والغريب . وأكثرهم توسعاً في النحو والعروض واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات . وأعرفهم بشعراء الجاهلية والاسلام . وأدراهم بتأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه . وأبصرهم باختلاف فقهاء الأمصار . وأنفذهم سماً في الهندسة والمنطق وعلوم النفس والالهيات (١٣٧) » .

( ١١٩٣ ) النشر الفني في القرن الرابع ١٢ : ٢٢٥ .

( ١١٩٤ ) هزيمة الدهر ٢ : ١٥٩ .

( ١١٩٥ ) الفهرست ص ٢٠٠ .

( ١١٩٦ ) أمراء البيان ص ٥٠٢ .

( ١١٩٧ ) النشر الفني في القرن الرابع ١٢ : ٢٢٥ .

تقلد ابن العميد وزارة ركن الدولة سنة ٣٢٨ للهجرة . وكان جديراً بها اذ استطاع سياسته وكياسته أن يضبط الأعمال وينال تقدير الناس من الخاصة والعامة . وأصبح مجلسه عامراً بالقيمين والوافدين . وكان معاصروه يسمونه « الجاحظ الثاني » لسعة ثقافته وكثرة معارفه . ودعى بالأستاذ الرئيس لجمعه بين الامارة والأدب . ولقب أيضاً بلسان المشرق (١١٨) . وقد أشاد به المؤرخ المشهور أبو علي بن مسكويه وكان قيماً على خزانة كتبه ووصفه بقوله : « قليل الكلام . نزر الحديث . الا اذا سئل ووجد من يفهم عنه ، فإنه حينئذ ينشط فيجمع منه ما لا يوجد عند غيره . مع عبارة فصيحة ، وألفاظ متخيرة . ومعان دقيقة . لا يتحسب فيها ولا يتلثم ... وكان رحمه الله لحسن عشرته . وطهارة أخلاقه . ونزاهة نفسه . اذا دخل - اليه أديب أو عالم متفرد بفن سكت له وأصغى اليه . واستحسن كل ما يسمعه منه استحسان من لا يعرف منه إلا قدر ما يفهم به ما يورد عليه » (١١٩) .

وكان ابن العميد يحتفي بالشعراء ويكرمهم . وحسبه فخراً أن يكون المتنبي واحداً من هؤلاء الشعراء . يقول فيه (١٢٠) :

من مبلغ الأعراب أني بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا  
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً . متبدياً . متحضرأ  
ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا  
ومدحه الشاعر ابن نباتة السعدي بقصيدة طويلة حين ورد عليه بالري منها  
قوله : (١٢١)

خرق ضفء أخلاقه صفو السبيك من النضار  
فكأنما زفدت موا هبته بأمواج البحار  
وكان نشر حديثه نشر الخزامي والفرار  
متهللاً للزائري ن مرحباً بالمستترار

لقد كان هو والصاحب بن عباد والوزير الحسن بن محمد المهلبى يتنافسون في اجتذاب الأدباء ومنادتهم في مجالهم . ومكاتبهم في غيابهم . قال ابن خلكان عن

( ١١٨ ) امرأ البيان ص ٥٠٢ .

( ١١٩ ) تجارب الأمم ٢ ، ٢٧٧ .

( ١٢٠ ) شرح ديوان المتنبي ١ ، ٣٦٩ .

( ١٢١ ) ديوان ابن نباتة السعدي ٢ ، ٥٩٩ .

ابن العميد « وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشاسعة . ومدحوه بأحسن المدائح » ( ١٣٠ )

ضَلَّ ابن العميد وزيراً ثلاثاً وثلاثين سنة . وتوفي سنة ٣٦٠ بالري . وقيل ببغداد . « وكان يعتاده القولنج تارة والنقرس أخرى . تسلمه هذه الى هذه . وقال لسائل سأله : أيهما أصعبُ عليكُ وأشقُ ؟ قال : اذا عارضني النقرسُ فكأنني بين فكُي سبع يمضغني . واد . اني القولنج وددتُ لو استبدلتُ النقرس عنه . ويقال : انه رأى أَكْأَرًا في بستان يأكل خبزاً ببصل ولبن . وقد أمعن منه . فقال : وددتُ لو كنت كهذا الأكار . أكلُ ماأشتهي ( ١٣١ ) » .

ذكر الذين ترجموا لابن العميد من المؤلفات : ديوان رسائله . وكتاب المذهب في البلاغات . ومجموع شعره .

### فنه الإنشائي :

أشاد كل من ترجم لابن العميد ببلاغته . فمن القدامى أبو منصور الثعالبي . قال : « أوجد العصر في الكتابة ... يُضربُ به المثلُ في البلاغة . وينتهي اليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة . مع حُسْنِ الترتُّل وجزالة الألفاظ وسلاستها . الى براعة المعاني ونفاستها ( ١٣٢ ) . ومن الدارسين الحديثين الدكتور زكي مبارك . قال : « كان ابن العميد اماماً لكتاب القرن الرابع . ومانظراً أنه أدخل في فنون الكتابة ما أدخله عبدالحميد . ولكنه يمتاز بميزة عجيبة . هي اعزاز القلم ورفعته الى أشرف الدرجات . فاننا حين نقرأ نثره نجد أنفسنا أمام عظمة عقلية يخر لها الجبابرة ساجدين . وهو حين يكتب لا يظالعكُ بفنه . كما كان يفعل معاصروه . وانما يظالعك بقلبه وروحه وعقله بحيث تبدو كلُ كلمة من كلماته وكأنها قلب يخفقُ أو روح يثورُ . فليست الكتابة عند ابن العميد زخرفاً براقاً يلهو به ولا ثروة لغوية يكثر بها الكتاب . ولكن الكتابة عنده ثورة عقلية أو وجدانية يرمي بها كما يرمي البركان بأقباس الهلاك . وقد يرقُّ فتحسب نثره نجوى حبيبين في هداة الليل . وهو في رفته وجزالته . وغضبه وحنانه . عبقري لا يعبث برجع الحديث المعاد . وانما يجد بإبداع الرأي الصائب والقول الرصين » ( ١٣٠ )

( ١٣٢ ) وفيات الأعيان ١٠٤١ هـ .

( ١٣٣ ) وفيات الأعيان ١٠٩١ هـ .

( ١٣٤ ) يتيمة الدهر ١٥٨١ هـ .

( ١٣٥ ) النشر الفني في القرن الرابع ٢٤٥٠ هـ .



ان القولين السابقين لا يخلوان - كما نرى - من شيء من الاطراء والاعجاب . فالتأمل في كتابات ابن العميد التي وصلت الينا يجدها قد أخذت بقسط وافر من الصنعة التي أثقلت كاهل الانشاء العربي . يقول الدكتور شوقي ضيف : « كان ابن العميد يسجع في كتاباته . ولكن ليس هذا ما يلفتنا عنده . انما الذي يلفتنا حقاً هو أن مذهب التصنيع تماثل على يديه في الصورة التي كانت تنتظره منذ القرن الثاني . ونقصد السجع من جهة والاحتكام الى البديع فيما يُنشيء الكاتب من جهة أخرى . ومن أجل ذلك اذا قلنا ، ان ابن العميد هو أستاذ مذهب التصنيع بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لم نُبعد ، لأنه أول كاتب - فيما نعرف - احتكم الى السجع في كتابته . كما احتكم الى البديع من جناس وطباق وتصوير . وقد هيأه لذلك أنه كان ذا عين تصويرية . بل لقد كان ذا شُغف بفن التصوير نفسه » ( ١٢٠٦ ) . وخير رسالة له نستدل منها على ولعه بالسجع وعنايته بالبديع . التي كتبها الى ابن بُلُكا عند استعصائه على ركن الدولة ، « كتابي وأنا مترجِّح بين طمع فيك . وبأس منك . واقبال عليك . واعراض عنك . فانك تُبدلُ بسابق حُرمة . وتمتُّ بسالف خدمة . أيسرهما يُوجب رعاية . ويقتضي محافظةً وعنايةً . ثم تُشفِّعهما بحادث غُلُول وخيانة » ( ١٢٠٧ ) . وتتبعهما بأنفٍ خلافٍ ومعصية . وأدنى ذلك يُحبطُ أعمالك . ويمحقُ كل ما يُرعى لك . لا جرمُ أنني وقفتُ بين ميل اليك . وميلٍ عليك . أقدمُ رجلاً لصدك . وأؤخرُ أخرى عن قصدك . وأبسطُ يداً لاصطلامك » ( ١٢٠٨ ) . واجتياحك . وأنتهي ثانية لاستيفائك واستصلاحك . وأتوقفُ عن امتثال بعض المأمور فيك . ضناً بالنعمه عندك . ومنافسةً في الصنعة لديك . وتأميلاً لفيأتك وانصرافك . ورجاءً لمراجعتك وانعطافك . فقد يغرب العقلُ ثم يؤوبُ . ويعزبُ ( ١٢٠٩ ) اللبُّ ثم يثوبُ . ويذهبُ الحزمُ ثم يعودُ . ويفسدُ العزمُ ثم يصلحُ . ويضاعُ الرأيُ ثم يُستدركُ . ويسكرُ المرءُ ثم يصحو . ويكدرُ الماءُ ثم يصفو . وكلُّ ضيقةٍ الى رخاء . وكلُّ غمرةٍ فإلى انجلاء ... » ( ١٢١٠ )

( ١٢٠٦ ) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٢٠٩ .

( ١٢٠٧ ) الفلول ، الحياة في المال وغيره .

( ١٢٠٨ ) اصطلامك ، استئصالك .

( ١٢٠٩ ) ضناً ، بهلاً .

( ١٢١٠ ) الفياة ، الرجوع .

( ١٢١١ ) يغرب ، يذهب . ينأى .

( ١٢١٢ ) يعزب ، يبعد . يغيب .

( ١٢١٣ ) يتيمة الدهر ١٢٧٠ .

والرسالة تسير الى نهايتها على هذا النمط. تتحلّى بالجناس والطباق. وتتكيء على السجع في نهايات فقراتها. وتوازن بين كل لفظة وقرينتها في العبارتين المتجاورتين.

ونرى ابن العميد أحياناً معتدلاً في صناعته. يمزج السجع بغير السجع. فيأتي أسلوبه لطيفاً مقبولاً. مثل قوله في شهر رمضان: «أسأل الله أن يعرّفني بركته. ويلقيني الخير في باقي أيامه وخاتمته. وأرغب اليه في أن يقرب على الفلك ذوره. ويقصر سيره. ويخفف حركته. ويعجل نهضته. وينقص مسافة فلكه ودائره. ويزيل الطول عن ساعاته. ويُرِدُّ عليّ غُرّة شوال. فهي أسنى الفرر عندي. وأقربها ليعينم ويطلع بدرة. ويريني الأيدي مُتطلبّة هلاله بيشر. ويسمعي النعمي لشهر رمضان. ويعرض عليّ هلاله أخفى من السُخر. وأظلم من الكُفر. وأنحف من مجنون بني عامر. وأبلى من أسير الهُجر. واستغفر الله جلّ وجهه مما قلت أن كرهه. واستغفريه من توفيقى لما يذمه. وأسأله صفحاً يُفيضة. وغفواً يُوسعه. انه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» (١٣١).

ولابن العميد حكم وأمثال استخرجها العارفون من رسائله. منها: الرُكب لا يبلغ الأبتدرج وتدرّب. ولا تدرك إلا بتجشم كلفة ونصب. رأس المال خير من الربح. والأصل أولى بالعناية من الفرع. المرء أشبه شيء بزمانه. وصفة كل زمان منتخبة من سجايا سلطانه. قد يبذل المرء ماله في اصلاح أعدائه. فكيف يذهل العقول عن حفظ أوليائه؟ المزح والهزل بابان اذا فتحا لم يفلقا إلا بعد العسر. من أسر دأبه. وكنم ظمأه. بعد عليه أن ينلّ من غلله. ويُبيل من غلله. خير القول ما أغناك جذّة. وألهاك هزله. اجتنب سلطان الهوى. وشيطان الميل (١٣٢).

من كل ما سبق يتبين أن كتابات ابن العميد تقوم على أسلين كبيرين: أولهما السجع. وكان السجع معروفاً من قبله في الدواوين العباسية منذ أول القرن الرابع للهجرة. والأساس الثاني لم يكن متبعاً قبله. وهو استخدام المحسنات البديعية مع السجع. فالسجع وحده لا يكفي. بل لابد أن تُضاف اليه الاستعارة أو الجناس أو الطباق وما الى ذلك من محسنات البديع وتلاوته (١٣٣).

(١٣١) زهر الآداب ١٠١، ٥٢٨.

(١٣٢) ينظر: هتمة الدهر ١٠٢، ١٧٠. معاهد التنصيص ١٠١، ١٢٠. أمراء البيان ص ٩٢٠.

(١٣٣) ينظر: عصر الدول والإمارات ص ٦٥٦.

## أبو حيان التوحيدي

٩ - ٤١٤ هـ

نوابغ الفكر العربي كثيرون . من علماء وادباء وفلاسفة وفقهاء ومفسرين ومحدثين ... وقد كانت بغداد عاصمة الدولة العباسية من أكثر المدن الاسلامية ازدهاماً بالمفكرين والمبدعين في صنوف المعرفة المختلفة . وقد صدق آدم متر في قوله : « إن جميع الحركات الروحية في مملكة الاسلام كانت تتلاطم أمواجها في بغداد . وكان فيها لجميع المذاهب أنصار » . (١٣٣) ويعد أبو حيان التوحيدي ممثلاً جيداً لأولئك المفكرين والمبدعين الذين رفدوا المكتبة العربية بتأليف قيمة ونافعة للأجيال اللاحقة .

### سيرته :

لم يترجم القدامى لأبي حيان ترجمة وافية لسيرته . وقد أكد ذلك ياقوت الحميري فقال : « ولم أر أحداً من أهل العلم ذكره في كتاب ولا دمجته في ضمن خطاب . وهذا من العجب العجائب » ( ١٣٨ ) .

ولد على بن محمد بن العباس التوحيدي في بغداد حوالي سنة ٣١٠ أو ٣١١ للهجرة على وجه التقريب ( ١٣١ ) . ويكنى أبا حيان . ويلقب بالتوحيدي . نسبة الى نوع من التمر المعروف باسم « التوحيد » كان أبوه يبيعه ( ١٣٠ ) . وقيل التوحيدي . نسبة الى المعتزلة لأنهم يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد . ( ١٣١ )

تعلم القراءة والكتابة في صغره . ولما شب أقبل على العلم يعب منه عباً . واتصل بكبار العلماء ودرس بين أيديهم . من أشهرهم العالم الكبير والنحوي المشهور ابو سعيد السيرافي . وعلى بن عيسى الرماني . وهو من أئمة اللغة والادب . والقاضي أبو حامد أحمد بن بشر المروزي أحد أئمة الفقه آنذاك . وأبو بكر محمد بن

( ١٢١٧ ) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ١١٠١ .

( ١٢١٨ ) معجم الأدباء ٥ ، ٢٨١ .

( ١٢١٩ ) ينظر ، أبو حيان التوحيدي ادب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ص ١٦ ، أبو حيان

التوحيد للدكتور أحمد محمد الحوفي ٢٢٠١ ، أبو حيان التوحيدي للدكتور ابراهيم

الكيلاني ص ١٢ .

( ١٢٢٠ ) وفيات الأعيان ٥ ، ١١٢ ، بغية الوعاة ٢ ، ١٩٠ .

( ١٢٢١ ) لسان الميزان ١٦ ، ٣٦٠ .

علي القفال الشاشي . وهو مُحَدِّث ولغوي وشاعر . والقاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني الفقيه الأديب الشاعر . وأبو محمد جعفر الخلدي أحد رؤساء الصوفية . وأبو الحسين محمد بن أحمد بن أسماعيل المشهور بعلم الكلام والوعظ . ودرس الفلسفة والمنطق على عالمين كبيرين هما : أبو بكر يحيى بن عدي . وأبو سليمان محمد بن طاهر المنطقي السجستاني وهكذا اكتسب ثقافة موسوعية من علماء عصره المشهورين .

وكانت حرفة الوراقة التي مارسها . وهي تقوم على النسخ والنقل والتصحيح . قد غرّفته على أمهات الكتب في مختلف فنون المعرفة . ويبدو أن جدواها آنذاك كانت قليلة . ولذلك قال : « لقد استولى عليَّ الحرف . وتمكَّن منِّي نكدُ الزمان . إلى الحد الذي لا استرزقُ مع صحة تقلي . وتقيد خطي . وتزويق نسخي . وسلامته من التصحيف والتحريف . بمثل ما يسترزقُ البليدُ . الذي يمسحُ النسخَ ويفسخُ الأصلَ والفرع » (١٢٢٢)

لم يكن أبو حيان محظوظاً في صلاته مع كبار رجال عصره . ولعلَّ السبب في ذلك اعتداده بعلمه وأدبه وصراحته واختلافه معهم في العقيدة والرأي . فقد نفاه الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى من بغداد متهماً إياه بالزندقة وذهب إلى خراسان واتصل بابن العميد ولكنه لم يجد عنده ما يرضيه ويريحه . ففارقه إلى الري حيث التقى بالصاحب بن عباد . ولم ينل حظوه لديه فغادره بعد مكوث دام ثلاثة أعوام إلى بغداد . وأشار إلى ذلك بقوله : « إني فارقتُ بابَه سنة سبعين وثلاث مئة راجعاً إلى مدينة السلام بغير زاد . ولا راحلة . ولم يُعطني في مدَّة ثلاث سنين درهماً واحداً ولا ما قيمته درهم واحد » (١٢٢٣) . وعلى أثر ذلك ألف كتابه « مثالب الوزراء » . ثار فيه أعنف ثورة على ابن العميد والصاحب بن عباد .

وكان حظُّه موتياً مع أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصام الدولة بن عضد الدولة ( ت ٣٧٥ هـ ) إذ نال إكرامه وعطفه . وأطلق لسانه في مدحه والثناء عليه . وأصبح نديمه وسميره يلتقي معه في الليل فيقصُّ عليه ما يطيب له . أو يسأله الوزير عما يبدو له من فكرة فيجيبه بعلم جم غزير . فألف منها كتابه « الامتاع والمؤانسة » قال في وصفه : « قد شاهدتُ ناساً في السفر والحضر . صغاراً وكباراً وأوساطاً . فما شاهدتُ من يدين بالمجد . ويتحلَّى بالجود . ويرتدي بالعفو .

( ١٢٢٢ ) معجم الادباء : ٢٨٤ .

( ١٢٢٣ ) معجم الادباء : ٢٩٥ .

وَيَتَأَزَّرُ بِالْحِلْمِ . وَيُعْطِي بِالْخِزَافِ . وَيَفْرَحُ بِالْأُضْيَافِ . وَيَصِلُ الْإِسْعَافَ بِالْإِسْعَافِ .  
وَالْإِتْحَافَ بِالْإِتْحَافِ . غَيْرِكَ . وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَهْبُ الدَّرْهَمَ وَالْدِينَارَ . وَكَأَنَّكَ غَضْبَانَ  
عَلَيْهِمَا . وَتَطْعَمُ الصَّادِرَ وَالْوَارِدَ كَانَ اللَّهُ قَدْ اسْتَخْفَلَكَ عَلَى رِزْقِهِمَا . ثُمَّ تَتَجَاوَزُ الذَّهَبَ  
وَالْفِضَّةَ إِلَى الثِّيَابِ الْعَزِيزَةِ . وَالْخَلْعِ النَّفِيسَةِ . وَالْخَيْلِ الْعِتَاقِ . وَالْمَرَكَابِ الثَّقَالِ .  
وَالْعُلَمَاءِ وَالْجَوَارِي حَتَّى الْكُتُبِ وَالِدَفَاتِرِ وَمَا يَصْنُ بِهِ كُلُّ جَوَادٍ « (١٣٢) » . وَلَمْ تَدَمْ  
الرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ لِأَبِي حَيَّانَ فِي ظِلِّ هَذَا الْوَزِيرِ . فَإِنَّهُ قُتِلَ سَنَةَ ٣٧٥ لِلْهِجْرَةِ وَفَقَدَ  
بِذَلِكَ مَعِينًا لَهُ . وَخَشِيَ أَنْ يَلْحَقَهُ أَعْوَانُ الْوَزِيرِ الْجَدِيدِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ  
يُوسُفَ . فَاتَّرَ الْإِخْتِفَاءُ عَنِ الْأَنْظَارِ . وَهَرَبَ إِلَى شِيرَازَ حَيْثُ رَاحَ يَتَرَدَّدُ عَلَى  
الْمُتَصَوِّفَةِ وَيُعِيشُ مَعَهُمْ . وَيَبْدُو أَنَّهُ عَاشَ فِي فَقْرٍ شَدِيدٍ خَاصَّةً بَعْدَ شَيْخُوخَتِهِ بِدَلِيلِ  
قَوْلِهِ : « فَقَدْ أَمْسَيْتُ غَرِيبَ الْحَالِ . غَرِيبَ اللَّفْظِ . غَرِيبَ النَّحْلَةِ . غَرِيبَ الْخَلْقِ .  
مُسْتَأْنَسًا بِالْوَحْشَةِ . قَانِعًا بِالْوَحْدَةِ . مَعْتَادًا لِلصَّمْتِ مَلَازِمًا لِلْحَيْرَةِ . مُحْتَمَلًا لِلذِّى  
يَأْسَأُ مَنْ جَمِيعٍ مِنْ تَرَى . مُتَوَقِّعًا لِمَا لَا بَدْءَ مِنْ حُلُولِهِ . فَشَمْسُ الْعُمُرِ عَلَى شَفَا .  
وَهَاءَ الْحَيَاةِ إِلَى نَضُوبٍ . وَنَجْمُ الْعَيْشِ إِلَى أَقْوَالٍ . وَظِلُّ التَّلْبِثِ إِلَى قُلُوصٍ » « (١٣٣) » وَأَصَابَهُ  
الْيَأْسُ وَخَيَّمَ عَلَيْهِ الْقَنُوطُ فَقَالَ : « فَقَدْ كَلَّ الْبَصَرُ . وَانْعَقَدَ اللِّسَانُ . وَجَعَدَ الْخَاطِرُ .  
وَذَهَبَ الْبَيَانُ . وَمَلِكُ الْوَسْوَاسِ . وَغَلَبَ الْيَأْسُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ » « (١٣٤) »

وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ قَسْوَةُ الْحَيَاةِ . وَلَمْ تَعُدْ كُتِبَهُ التَّمَنَّى أَفْنَى الْعُمُرِ مِنْ أَجْلِهَا تَنْفَعُهُ وَتَرُدُّ  
عَنْهُ شُظْفَ الْعَيْشِ وَتَكْدُ الْأَيَّامَ . فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا فِي سُورَةِ غَضَبٍ وَمَرْقَهَا ثُمَّ أَحْرَقَهَا . وَقَدْ  
كَتَبَ إِلَيْهِ الْقَاضِي أَبُو سَهْلٍ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ رِسَالَةً يُعَاتِبُهُ عَلَى صَنِيعِهِ . وَيُعَرِّفُهُ قَبِيحَ مَا  
اعْتَمَدَ مِنَ الْفِعْلِ وَشَنِيعِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو حَيَّانَ رِسَالَةً ضَافِيَةً يَعْتَذِرُ فِيهَا عَنْ فِعْلَتِهِ  
وَيُسِرُّ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ سَبَبَ اقْدَامِهِ عَلَى إِتْلَافِ كُتُبِهِ وَحَرْقِهَا . مِنْهَا قَوْلُهُ :

« وَهَلْ بَعْدَ الْكِبَرَةِ وَالْعَجْزِ أَمَلٌ فِي حَيَاةٍ لَذِيذَةٍ . أَوْ رَجَاءٌ لِحَالٍ جَدِيدَةٍ ... عَلَى  
أَنِّي لَوْ عَلِمْتُ فِي أَيِّ حَالٍ . غَلَبَ عَلَيَّ مَا فَعَلْتُهُ . وَعِنْدَ أَيِّ مَرَضٍ . وَعَلَى أَيْةٍ عُسْرَةٍ  
وَفَاقَةٍ . لَعَرَفْتُ مِنْ عِزِّي أَضْعَافَ مَا أَبْدَيْتُهُ . وَاحْتَجَجْتُ لِي بِأَكْثَرِ مَا نَشَرْتُهُ  
وَطَوَيْتُهُ » « (١٣٥) »

١٣٢ (الامتاع والمراعاة ٢٢٢٢٠٢)

١٣٣ (الصداقة والصديق ص ٧)

١٣٤ (معجم الألفاظ ٢٩١٠٥)

١٣٥ (معجم الألفاظ ٢٨٨١ - ٢٩١)

كان التوحيدي معتزلياً يأخذ نفسه بسلوك الصوفية . والغريب أنه لم يتزوج ويكوّن أسرة لنفسه يعيش في ظلالها . فبقي وحيداً تتنازع الوحدة والغربة الى جانب البؤس والشقاء والعجز والمرض الى أن أدركته المنية سنة ٤١٤ للهجرة بشيراز (١٣٣٨) .

كتبه :

إن آثار أبي حيان كثيرة . وقد جعلها طعنة للنار في أواخر حياته . وماسلم منها كان بأيدي الناس . قال السيوطي : « فلعلّ النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كُتبت عنه في حياته . وخرجت عنه قبل حرقها » (١٣٢٩) . وكتبه نافعة ومفيدة وقد عبّر آدم متر عن اعجابه بها فقال : « لم يكتب في الشر العربي بعد أبي حيان ما هو اسهل وأقوى وأشدّ تعبيراً عن شخصية صاحبه مما كتب أبو حيان » (١٣٣٠) . واليك كتبه ورسائله المطبوعة فقط :

- ١ - الاشارات الالهية والانفاس الروحانية . وهو كتاب صوفي . يضم مجموعة من المواعظ والاوراد الصوفية .
- ٢ - بصائر القدماء وسرائر الحكماء ( البصائر والذخائر ) : وهو كتاب ضخم يحوي كثيراً من العلوم والآداب سلك فيه طريقة الجاحظ في الاستقصاء والاستطراد ومزج الجد بالهزل .
- ٣ - الامتاع والموانسة . وهو كتاب كبير يتضمن أحاديث شتى في قضايا أدبية ولغوية وفلسفية وعلمية وزّعها على أربعين ليلة .
- ٤ - ثلاث رسائل . وهي : رسالة الامامة . ورسالة الحياة . ورسالة في علم الكتابة .
- ٥ - رسالة في بيان ثمرات العلوم . وهي في سبع صفحات ملحقة بذيّل كتاب الصداقة والصديق المطبوع في القاهرة .
- ٦ - رسالة في أخبار الصوفية . ذكرها ياقوت الحموي في معجم الأدباء .
- ٧ - الصداقة والصديق . جمع فيه ما قيل شعراً ونثراً في العشرة والمواخاة والالفة وما يلحق بها . وهو كتاب لطيف يدل على اختيار موفق وذوق أدبي رائع .
- ٨ - مثالب الوزيرين ( اخلاق الوزيرين ) : أظهر فيه مثالب ومعايب الوزيرين أبي الفضل بن العميد والصاحب بن عباد . وتناول فيه أيضاً قضايا هامة

( ١٣٢٨ ) ينظر ابو حيان التوحيدي لابراهيم الكيلاني ص ٢٤ - ٣٦ .

( ١٣٢٩ ) بغية الوعاة ٢ : ١٩٠ .

( ١٣٢٠ ) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٤١٦ .

ومثيرة عن الحياة الثقافية والفكرية في القرن الرابع للهجرة .

٩ - المقابسات : يحتوي على ١٠٦ مقابسات . تبحث كل مقابسة في موضوع مستقل . وأغلبها تتصل بالفلسفة والتصوف .

١٠ - الهوامل والشوامل : ويدور في موضوعات أدبية واجتماعية وفلسفية وأخلاقية ونفسية ولغوية .

## أسلوبه في الكتابة :

أبو حيان التوحيدي كاتب كبير وموسوعي . تناول أغلب علوم عصره وآدابه . فرساً وتحليلاً وشرحاً وتقداً وتعليقاً . وهي - في عمومها - تعطي انطباعاً جيداً عن ثقافة الكاتب الحادق والأديب الألمعي . وقد لخص التوحيدي بنفسه هذه الثقافة فقال : « يجب على الكاتب أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى لينتزع من آياته . وأن يعرف كثيراً من السنة والأخبار والسير . حافظاً لكثير من الرسائل والكتب . وأن يكون متناسب الألفاظ . متشاكل المعاني . متشابه الخط . ذكياً . عارفاً بما يحتاج إليه . خبيراً بالحلي والشيآت . مضطلعاً بعبء الكتابة . له يد في السواد . وعمل العساب . وأن يكون له يد في عمل الشعر . نظيف الثوب . لطيف المركب . ظريف الغلام . لقيق الدواة . حاد السكين . صقيل الكاغد . صلب الأقلام . متودداً الى الناس مخالطهم . غير متكبر عليهم ولا منتقص منهم . دمث الأخلاق . رقيق العواشي . ترف الأطراف . عذب السجايا . حسن المحاضرة . مليح النادرة . غير قف . ولا متعجرف . ولا متكلف للألفاظ الغريبة . ولا متعسف للغة المويضة ( ١١٣ ) .

إن أهم ما يلاحظه القارئ في النص السابق أنه يريد من الكاتب أن يكون عالمه الثقافية . واسع المعرفة . حافظاً لكثير من العلوم والآداب . خبيراً بوسائل الكتابة وطرائق التعبير الجيدة والميسورة . عالماً بدقائق الأساليب الرائعة وقادراً عليها .

كان أبو حيان يخطو خطو الجاحظ في أسلوبه . ويتتلمذ على مدرسته البيانية التي أقام قواعدها في القرنين الثاني والثالث للهجرة . ولقد أطراه في مؤلفاته جميعاً . فقال عن كتبه : إنها الدر النثير . واللؤلؤ المطير . وعن رسائله : إنها الأفنان المثمرة .

والرياض الزاهرة . وعن كلامه ، انه الخمر الصرف والسكر الحلال . وعن ذاته ، إنه حبيب القلوب . ومزاج الأرواح . وشيخ الأدب . وحجة العرب . ( ١٣٣ ) .

أن أميز خصائص أسلوب أبي حيان في الكتابة ، التناسب بين الألفاظ والمعاني . وحسن الربط بين الأفكار . والبعد عن التعقيد والتصنع . وخير ما يمثل مذهبه قوله :

« علينا بالطبع اللطيف . والمأخذ القريب . والسَّمع الملائم . واللفظ المؤتق . والتأليف الخلو . والسُّبُوط الغالبة . والمواولة المقبولة في السَّمع . الخالبة للقلب . العابثة بالروح . الزائدة في العقل . المشعلة للقرينة . الموقوفة على فضل الأدب . الدالة على غزارة المفترق ( ١٣٣ ) . وقال أيضاً : « والسُّرُّ كله أن تكون ملاطفاً لطبعك الجيد . ومسترسلاً في يد العقل البارِع . ومعتمداً على رقيق الألفاظ . وشريف الأغراض مع جزولة في معرض سهولة . ورقّة في حلاوة بيان . مع مجانية المُجْتَلَب . وكراهة المستكره . وركنه الذي يُعوّل عليه . وكهفه الذي يأوي إليه أن يكون السَّجْعُ في الكلام كالمُحْضَر في الطعام . فإنه متى ظفر منه بمقدار الرُّبَّة . وحسب الكفاية . حلا منظره . وبهر بهائه . وسطح نوره . ومتى زاد على المقدار ضارِع كلام النساء والكهنة من العرب . أو كلام المستعربين من العجم ... فاقصد أيديك الله تعالى أن تكون كالصائغ الذي يصبُّ التبرَ فيسكبه . ثم يصوغه . ثم ينقشه . ثم يسوقه . ثم يزينه . ثم يعرضه » ( ١٣٤ )

لقد غني أبو حيان بالمعاني كما غني بالألفاظ ولم يفرط بالبلاغة العربية التي تتطلب جمال العبارة ووضوح الدلالة . وقد أصاب الدكتور شوقي ضيف إذ قال فيه : « وكانت المكتبة العربية قد أُلقت بكنوزها بين يديه في أثناء وراقته ونسخه . فزاعه أسلوب الجاحظ وأدبه . إذ رآه يوازن موازنة دقيقة بين الأداء الصوتي والمعاني . مستخدماً أسلوب الأزواج الذي عُرف به . وقد يتخلله في الحين البعيد بعد الحين السَّجْع . ولكن دون التزامه ودون الإكثار منه . فاستقرَّ هذا الأسلوب في نفس أبي حيان وأصبح جزءاً لا يتجزأ من أدبه وكتاباتهِ . ويبلغ فيه ذروة من الجمال الصوتي لعلها لا تقل جمالاً وروعةً عن نظيرتها عند الجاحظ . وهو يتسع اتساعاً واضحاً في أسلوبه بالترادف وما يتبعه من التقطيع الصوتي » . ( ١٣٥ ) .

( ١٣٣٦ ) ينظر ، أبو حيان التوحيد ، للدكتور عبد الرزاق محيي الدين ص ٢٤٨

( ١٣٣٧ ) الامتاع والمؤالاة ١ ، ٦٤ .

( ١٣٣٨ ) البصائر والذخائر ١ ، ٣٦٩

( ١٣٣٩ ) تاريخ الأدب العربي . عصر الدول والامارات ص ٤٦٢ .



إنَّ لأبي حيان طبعاً دافقاً وفكراً سابقاً . لم يتخذ السجع أسلوباً الا في كتاب واحد من كتبه وهو الاشارات الالهية . أما في سائر ترسله فقد لزم الأسلوب المتوازن على طريقة الجاحظ . ( ١٣٣ ) . فمن الأسلوب المسجوع إليك الفقرات الآتية من مناجاة صوفية : « يا حافظ الأسرار . يا مُسَبِّلُ الأستار . ويا واهب الأعمار . ويا منشيء الأخبار . ويا مولج الليل في النهار . ويا معافي الأخيـار . ويا منداري الأشرار . ويا منقذ الأبرار من النار والعار . عُدْ علينا بصفحك عن زلأتنا . وأنعمنا عند تتابع صرعاتنا . وخط رحالنا معك في اختلاف سكراتنا وصحواتنا وكن . لنا وإن لم نكن لأنفسنا . لأنك أولى بنا . وإذا خفنا منك . فامزج خوفنا منك برجائنا فيك . وإذا غلب علينا بأسنا منك فتلقهُ بالأمل فيك . بُشِّرْنَا عند توجهنـا نحوك بالوصول إليك . متفناً بالنظر إلى نور وجهك . أسخِّ علينا نعمتك بما وهبت لنا من توحيدك . ولا تهجرنا بعد وصلك . ولا تبعدنا بعد قُربك . ولا تَكْرِبْنَا بعد رُوحك . قد عادينا أعداءك فيك . فلا تُشْمِتْهُمْ بنا لتقصيرنا في حقك . ووالينا أضيافك لك فلا توحشنا منهم لسهونا عن واجبك ( ١٣٧ ) » .

ومن أسلوبه الذي لم يتقيد بالسجع نأخذ جزءاً من الليلة الثامنة من كتابه الإمتاع والمؤانسة : « قال ابن سعدان : فصل حديثك ... بحديث أصحابنا الشعراء . صِفْ لي جماعتهم . واذكُرْ لي بضاعتهم . وما خَصَّ كل واحد منهم .

قلتُ : لستُ من الشعر والشعراء في شيء . وأكره أن أخطو على دحض ( ١٣٨ ) واحتسي غير محض .

قال : دُعَ هذا القول . فما خُضنا في شيء الى هذا الوقت إلا على غاية ما كان في النفس . ونهاية ما أفاد من الأنس . فكان من الوصف :

أما السُّلامي ( ١٣٩ ) . فهو حلو الكلام . مُسَقِّق النظام . كأنما يَسِمُ عن ثغر الغمام . خفي السُّرقة . لطيف الأخذ . واسع المذهب . لطيف المغارس . جميل الملابس . لكلامه لَيَظَةُ ( ١٤٠ ) بالقلب . وعبثُ بالروح . وبرْدُ على الكبد .

( ١٣٦ ) ينظر : ملامح النثر العباسي ص ٢٤٢ - ٢٥٥ .

( ١٣٧ ) الاشارات الالهية ١٠١ .

( ١٣٨ ) دحض : مزلة ومزلة للالهام .

( ١٣٩ ) السلامي : أبو الحسن محمد بن عبد الله . شاعر من اهل العراق . عربي الأصل . ولد

ببغداد سنة ٢٢٦ هـ وتوفي سنة ٣٩٤ هـ .

( ١٤٠ ) لَيَظَةُ : تطلق والتصاق .

وأما الحاتمي<sup>(١٣١١)</sup> ، فغليظ اللفظ . كثير العُقد . يحب أن يكون بدوياً قحاً . وهو لم يَتَمَّ خَصْرياً ، غزيرُ المحفوظ . جامعٌ بين النظم والنثر . على تشابه بينهما في الجفوة . وقلة السَّلامة . والبعد عن المثلوك . بادي العورة فيما يقول . لكننا يُبرِّزُ ما يُخفي . ويكثُرُ ما يُصفي . له سَكْرَةٌ في القول إذا أفاق منها خُمِر<sup>(١٣١٢)</sup> . وإذا خُمِرَ سِدْر<sup>(١٣١٣)</sup> . يتطاول شاخصاً . فيتضاءل متقاعساً . إذا صدق فهو مهين . وإذا كذب فهو مشين .

وأما ابن جَلِيات<sup>(١٣١٤)</sup> ، فمجنون الشعر . متفاوت اللفظ . قليل البديع . واسع الحيلة . كثير الزُّوق<sup>(١٣١٥)</sup> . قصير الرُّشاء<sup>(١٣١٦)</sup> . كثير الغشاء . غزُهُ نفاقه<sup>(١٣١٧)</sup> . ونفقُهُ نفاقه .

وأما الخالغ<sup>(١٣١٨)</sup> . فأديب الشعر . صحيح النُحت . كثير البديع . مستوي الطريقة . متشابه الصناعة . بعيدٌ من طُفْرَةِ المتحيزِ قريبٌ من فرصة المتخير . كان ذو الكفائتين<sup>(١٣١٩)</sup> يُقدِّمه بالرُّي . ويقبله على النثر والطِّي .

وأما مسكويه<sup>(١٣٢٠)</sup> . فلطيف اللفظ . رطب الأطراف . رقيق الحواشي . سهل المأخذ . قليل السكب . بطيء السبك . مشهور المعاني . كثير التواني . شديده التوقي . ضعيف الترقى . يردُّ أكثر مما يصدر . ويتطاول جهده ثم يقصر . ويطيّر بعيداً ويقع قريباً ويسقي من قبل أن يفرس . ويمتخ من قبل أن يُميه . وله بعد ذلك مأخذ كشذو من الفلسفة . وتأيت في الخدمة . وقيام برسوم الندامة . وسنة في البخل . وغرائب من الكذب . وهو حائل العقل لشغفه بالكيمياء .

(١٢٤١) الحاتمي ، أبو علي محمد بن الحسين ، الكاتب اللغوي البغدادي المتوفى سنة ٢٨٨ هـ

(١٢٤٢) خمر ، أصيب بالحمار ، وهو ألم في الرأس وسداع يعقبان السكر ، والكلام هنا على طريق الاستعارة .

(١٢٤٣) سدر ، حير أو لم يبال ما صنع ولم يهتم .

(١٢٤٤) أبو القاسم علي بن جليات من شعراء البيتية ١٠٤ ، ١٠٦ .

(١٢٤٥) الزوق ، الزينة .

(١٢٤٦) الرشاء ، العبل الذي يصل الدلو إذ يلقى به في البئر .

(١٢٤٧) النفاق ، بفتح النون ، الرواج .

(١٢٤٨) الخالغ ، أبو علي الحسن بن علي من شعراء المشرق ، ذكره الثعالبي في بيتية الدهر

١٢٦ ، ٢ .  
(١٢٤٩) ذو الكفائتين ، أبو الفضل محمد بن الحسين . الملقب بابن العميد المتوفى سنة ٢٦٠ هـ

للهجرة . وقد سبقت ترجمته في هذا الكتاب .

(١٢٥٠) أبو علي أحمد بن محمد مسكويه . أديب ومؤرخ . كان قيساً على خزاعة كتب ابن

العميد ثم على خزاعة كتب عضد الدولة ، ثم اختص بيهاء الدولة وعظم عنده . توفي سنة ٤٢١ هـ .

وأما ابن نباتة (١٢٠١) ، فشاعر الوقت ، لا يذفع ما أقول إلا حاسد أو جاهل . أو معاند . قد لحق عصاة سيف الدولة ، وغذا معهم ووراءهم . حسن الخنو على مثال سگان البادية . لطيف الائتمام بهم ، خفي المغاص في واديهم . ظاهر الإطلال على ناديم ، هذا مع شعبة من الجنون وطائف من الوسواس .

وأما ابن الحجاج (١٢٠٢) : فليس من هذه الزمرة بشيء ، لأنه سخيئ الطريقة . بعيد من الجد . قريب في الهزل ، ليس للعقل من شعره منال ، ولا له في قرضه مثال . على أنه قويم اللفظ . سهل الكلام . وشائلة نائية بالوقار عن عادته الجارية في الخسار . وهو شريك ابن سكرة في هذه الغرامة . وإذا جد أقمى . وإذا هزل حكى الأقمى (١٢٠٣) . «

من النص السابق نستدل أن أبا حيان كان مطلعاً على الحركة الأدبية في زمانه اطلاعاً واسعاً . عارفاً باقتدار الأدباء ومنازلهم . ولذلك وضع نتاج الكثيرين منهم في ميزان نقده بلغة واضحة وأسلوب مشرق جذاب . قال حسن السندوبي في مقدمة كتاب المقابسات : « وكان من خصائصه احتذاء الجاحظ في التفنن في كل شيء . مطبوعاً على ذلك الى الحد الأقصى . غير أنه أولع بوضع الأحاديث والأسرار . ووقائع التاريخ في الصورة الروائية . فلا يكتفي بإيراد الحادث على ما عُرف وتناقله الرواة . بل يعرض له ويرسل ضيئاً مدراراً من فائض بلاغته . وذاخر بيانه . فإذا هو قصة ذات وقائع وأشخاص وأبطال . تروع اذا مثلت . وتروق اذا قرئت . وتملك المشاعر والقلوب اذا استمعت . ومع ما يدخله عليها من أصباغ . وما يطليها به من ألوان . فهو لا يعدو في النتيجة أن يمثل الحقيقة في أصدق مظاهرها . فهو الكاتب القصصي الماهر الذي أهدته الينا الأعصار الأول (١٢٠١) . »

ونختتم ترجمته بقول ياقوت الحموي : « كان متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة . وكان جاحظياً يسلك في تصانيفه مسلكه . ويشتهي أن ينتظم في سلكه . فهو شيخ في الصوفية . وفيلسوف الأدباء . وأديب الفلاسفة (١٢٠٠) . »

(١٢٠١) ابن نباتة السدي ، عبد العزيز بن محمد بن نباتة . شاعر هراي ، له مدائح في سيف الدولة الحمداني ، توفي سنة ٤٠٥ هـ وله ديوان مطبوع .

(١٢٠٢) ابن الحجاج ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، شاعر ، ماجن من شعراء بغداد في القرن الرابع للهجرة . يضرب به المثل في السفه والمداهة والأهاجي . توفي سنة ٢٩١ للهجرة .

(١٢٠٣) الامتاع والمؤانسة ١ ، ١٢٤ - ١٣٧ .

(١٢٠٤) المقابسات ص ١٧ .

(١٢٠٥) معجم الأدباء ٥ : ٢٨٠ .

## المقامات

### المعنى اللغوي والاصطلاحي :

قال ابن منظور ، المقامة . بالفتح . المجلس . والجماعة من الناس (١٣٠٦) . وكلا المعنيين نجدهما في شعر ما قبل الاسلام . اذ جاءت بمعنى المجلس في قول زهير بن ابي سلمى :

وفيهـم مقاماتـ حسانـ وجوههم  
وانديةـ ينتابها القول والفعل (١٣٠٧)

ووردت بمعنى الجماعة من الناس التي يضمها المجلس في قول لبيد :

ومقامة غلب الرقاب كأنهم  
جن لدى طرف الحـصير قيام (١٣٠٨)

والمجلس في الغالب تدور فيه احاديث للمسامرة . وقد كانت للعرب قبل الاسلام مجالس سمر يتحدثون فيها بقصص الجن والحيوان ويتحدثون بالمواعظ والامثال (١٣٠٩) . « وتتقدم في العصر الاسلامي فجد الكلمة تستعمل بمعنى المجلس يقوم فيه شخص بين يدي خليفة او غيره ويتحدث واعظاً . وبذلك يدخل في معناها الحديث الذي يصاحبها . ثم نتقدم اكثر من ذلك فنجدها تستعمل بمعنى المحاضرة (١٣١٠) » وقد عقد ابن قتيبة ( ت ٢٧٦ هـ ) فصلاً في كتابه عيون الاخبار بعنوان « مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك » اورد فيها عشر مقامات . وهي مواعظ يقف فيها الراوي امام الخليفة لنصحه وارشاده . من ابرزها مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبدالعزيز . ومقام الاوزاعي بين يدي المنصور . ومقام

( ١٢٥٩ ) لسان العرب ١٢ ، ٤٩٨ .

( ١٢٥٧ ) قال الالهـم الغنـمري ، المقامات المجالس ، سميت بذلك لان الرجل كان يقوم في المجلس ليحـض على الخير ويصلح بين الناس . واراد بالمقامات اهلها ولذلك قال « حسان وجوههم » . والاندية : جمع ندي . وهو المجلس والمتحدث . وقوله « ينتابها القول والفعل » اي : يثبت فيها الجميل من القول ويعمل به ( شعر زهير بن ابي سلمى ص ٢٨ ) .

( ١٢٥٨ ) شرح ديوان لبيد ص ٢٩٠ . الحـصير : الملك

( ١٢٥٩ ) ينظر ، فن المقامات بين المهرق والمغرب ص ٦

( ١٢٦٠ ) المقامة ، للدكتور شوقي حنيف ص ٧

صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي (١٣١). وورد ذكرها عند ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) في كتابه العقد الفريد بعنوان « مقامات العباد عند الخلفاء ». من أبرزها مقام ابن السمك عند الرشيد. (١٣٢)

نخلص مما تقدم ان المقامات كانت تُعنى - قبل ان تتخذ مدلولها الاصطلاحي - بأحاديث بالنصح والارشاد والوعظ والتقويم الخلقي ، وللاستدلال على ذلك نأخذ جزءاً صغيراً من مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور ، « بينما المنصور يطوف ليلاً اذ سمع قائلاً يقول : اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض . وما يحول بين الحق واهله من الطمع ؛ فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد . وارسل الى الرجل يدعوه . فصلى الرجل ركعتين . واستلم الركن . واقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة . فقال المنصور . ما الذي سمعتك تذكر من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعي بأمرضني (١٣٣) . قال . يا أمير المؤمنين ان اُمتنتي على نفسي انباتك بالامور من اصولها . والا احتجرت منك واقصرت على نفسي ففيها لي شاغل . فقال : انت آمن على نفسك فقل ؛ فقال : ان الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين مظهر من البغي والفساد لانت ؛ قال ؛ ويحك وكيف يدخلني الطمع . والصفراء والبيضاء في قبضتي . والحلو والحامض عندي ؛ قال ؛ وهل دخل احد من الطمع ما دخلك ؛ ان الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمين واموالهم . فأغفلت امورهم . واهتممت بجمع اموالهم . وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وابواباً من الحديد وخجبة معهم السلاخ ثم سجت نفسك فيها عنهم . وبعثت عمالك في جباية الاموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع (١٣٤) . وامرت بالآ يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم . ولم تأمر بايصال المظلوم والا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضعيف الفقير ... فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ؛ ولكن بالخلود في العذاب الاليم ... هل يغني عنك ماشحت عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب . فبكى المنصور وقال ؛ باليتني لم اخلق ... » (١٣٥) .

( ١٢٦١ ) هيون الاخبار ٢ ، ٢٢٢ - ٢٤٢ .

( ١٢٦٢ ) العقد الفريد ٢ ، ١٥٨ - ١٦٦

( ١٢٦٣ ) ارضني ، اوجمني والمني

( ١٢٦٤ ) الكراع ، الغيل

( ١٢٦٥ ) هيون الاخبار ٢ ، ٢٢٢ ، العقد الفريد ٢ ، ١٥٩

واصبحت المقامة فيما بعد مصطلحاً ادبياً تطلق على نوع من الكتابة الفنية على شكل اقصوصة منمقة في الفاظها واسلوبها . فيها شيء من الحوار . وتعتمد في الغالب على راوٍ واحد وبطل اديب متحايل . يراد بها وصف حالة نفسية . او مفارقة ادبية . او مسألة دينية . او قضية علمية .. وتنطوي على لون من ألوان النقد . او التهمك والسخرية . او التصحيح والتقويم . او الثورة ... ويعد بديع الزمان اول من اعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحي بين الادباء .

### نشأتها :

اختلف الذين أرخوا للادب من المحدثين وتضاربت آراؤهم في تعيين مبتدع المقامات إذا نجد رأياً يقول . إن أبا عثمان عمر بن بحر الجاحظ ( ت ٢٥٥ هـ ) هو المنشئ الأول للمقامات في رسالته « التربيع التدوير » أو في رسالته « صناعات القواد » . ويذهب رأي ثانٍ الى أن أبا بكر محمد بن الحسين الأزدي ( ت ٣٢١ هـ ) هو مبتكرها والسابق لها . استناداً الى نص أورده الحصري القيرواني في زهر الآداب يُشير فيه الى أن بديع الزمان عارض ابن دريد في أحاديثه الأربعين .. وثالث الآراء يقول : إن المبتكر الأول لها هو أحمد بن فارس اللغوي ( ت ٣٩٠ هـ ) أستاذ بديع الزمان . ورابع الآراء يرى أنا أبا حيان التوحيدي ( ت ٤١٤ هـ ) ابتدعها وأنشأها (٣٩١) ... وإذا احتكنا الى القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات المشهورة ( ت ٥١٦ هـ ) نجده يقول « قد جرى ببعض أندية الأدب الذي ركبت في هذا العصر ريحاً . وخبث مصايحه . ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان . وعلمة همدان . رحمه الله تعالى . فأشار من إشارته حُكم . وطاعته غُثم . الى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع . وإن لم يدرك الظالع (١٣٧) شأو الضليع (٣٩١) لبيت دعوته تلبية المطيع . وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع . وأنشأت على مألغانيه من قريحة جامدة . وفطنة خامدة . وروية ناضبة . وهوموم ناصبة . خمسين مقامة » (٣٩١) . ويقول القلقشندي : « إعلم أن أول من من فتح باب عمل المقامات .

( ١٢٦٦ ) تنظر تفاصيل هذه الآراء في بحث الدكتور محسن هياض ( مقامات بديع الزمان

الهمداني ) المنشور في مجلة الطليعة الأدبية ، العدد ٩ سنة ١٩٧٧ .

( ١٢٦٧ ) الظالع ، المائل عن الطريق القويم ، الذي يغمز في مفيت

( ١٢٦٨ ) الضليع ، السمين القوي ، والضلالة ، قول الاضلاع .

( ١٢٦٩ ) مقامات الحريري ص ١١

علامة الدهر . وإمام الأدب . البديع الهمداني . فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة إليه . وهي في غاية من البلاغة . وعلو الرتبة في الصنعة « ( ١٣٧٠ ) .

وخلاصة القول عندنا أن بديع الزمان كان أديباً عالمياً ، مثقفاً بثقافة كبيرة مستوعباً أغلب الكتابات التي أنشأها السابقون . وفكرة المقامات بصيغتها وشكلها المعروف هو صاحبها . ويعود له الفضل في إعطائها المعنى الاصطلاحي بين الفنون النثرية في الادب العربي .

### أصحاب المقامات :

انتشرت مقامات بديع الزمان انتشاراً واسعاً بين الشرق والغرب ، ( ١٣٧١ ) . وأقبل الكتاب على قراءتها . وتديب المقامات على هديها وإن اختلفت في الأساليب والمضامين . وقد أشار بلاشير الى ستة وسبعين كاتباً من كتاب المقامات . منهم سبعة ورد ذكرهم من بديع الزمان الى الحريري ( ١٣٧٢ ) . وهم :

- ١ - أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني المتوفى سنة ٣٥٨ هـ .
- ٢ - أبو الاصبع عبد العزيز بن تمام العراقي .
- ٣ - أبو نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بأبن نباتة السعدي المتوفى سنة ٤٠٥ هـ .
- ٤ - أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان المتوفى سنة ٤٦٠ هـ .
- ٥ - أبو النصر عبدالله بن محمد بن الحسين بن داود بن نافيا المتوفى سنة ٤٨٥ هـ .
- ٦ - أبو حميد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ .
- ٧ - أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ ( ١٣٧٣ ) .

- 
- ( ١٢٧٠ ) سبج الأعشى في صناعة الانفا ١٤ ، ١١٠ .
- ( ١٢٧١ ) ينظر : فن المقامات بين المشرق والمغرب ص ١٣٧ - ٢٦٦ . تاريخ الأدب الاندلسي عصر الطوائف والمربطين ص ٢٠٢ - ٢٢٦ .
- ( ١٢٧٢ ) المقامة : بلاشير - المشرق ٤٧ سنة ١٩٥٣ ، وينظر : بديعيات الزمان ص ١٢٩ - ١٣٧ . رأى في المقامات ص ٢٢ - ٢٥ .
- ( ١٢٧٣ ) ينظر الى اصحاب المقامات بعد الحريري في كتاب فن المقامات بين المشرق والمغرب ص ١٣٦ - ١٤٦ .

## موضوع المقامات :

سأت الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بعد القرن الثالث للهجرة . ولاسيما بعد ضعف مركز الخليفة . وسيطرة الأعاجم على شؤون الدولة ومراقبتها العامة . وتفشي الظلم الى جانب الفقر والعوز . وأصبح الكثيرون في المجتمع آنذاك منهم علماء وأدباء في ضيق وحرَج حتى اضطر بعضهم الى الاختيال والتحامق والاستجداء . (١٣٧١) . وقد سرَّ بديع الزمان هذا الواقع المرير والوضع المزري خير تصوير بأسلوب تطفئ عليه روح الدعابة والمرح والفكاهة والاضحاك على لسان راو اسمه عيسى بن هشام ومحتال ذكي في صورة شحاذ يدعى أبا الفتح الاسكندري .

والى جانب الموضوع الذي يصور المجتمع في فقره وبؤسه وحرمانه من الحرية والعيش العزيز الكريم . نجد موضوعات تأخذ طابعاً ثقافياً من ذلك مقامات في النقد الأدبي . (١٣٧٥) مثل : العراقية . والشعرية . والقريضية . ومنها دينية وعظمية في النصيح والإرشاد واتباع الخلق القويم والطريق المستقيم مثل : الأهوازية . والوعظية . ومنها وصفية تتناول العادات والطبائع والمآكل والمشارب (١٣٧٦) والحيوانات والمدن ...

وإذا أمعنا النظر في مقامات الحريري نجد أيضاً الكُدية تلازم بطلها أبا زيد السروجي الذي يروي اخباره الحارث بن همام . وإذا كنا قد لاحظنا أن بديع الزمان عرض أبا الفتح الاسكندري وأعطاءً وناصحاً العباد الى مافيه صلاحهم في مقامتين . فان الحريري عرض أبا زيد السروجي وأعطاءً في عشر مقامات ولعل أطرف مانراه في المقامة الثانية عشرة . الأدعية التي يرجو فيها من الله أن يرحمه وينقذه . من الباغين والطاغين والجائرين : « اللهم يامحيي الرُّفَاتِ . ويادافع الآفَاتِ . ويواوفي المخافات . وياكريم المكافاة . وياموئل الغفاة صلَّ على محمد خاتم أنبيائك . ومبلغ أنبيائك . وعلى مصابيح أسرته . ومفاتيح نصرته . وأعذني من نزعات الشياطين . ونزوات السلاطين . وأعنانِ الباغين . ومعاناة الطاغين . ومعاداة العادين . وعدوانِ المعادين . وغلب الغالبيين . وسلب السالبين . وحيل المحتالين .

( ١٣٧٤ ) ينظر بحث الدكتور صفاء خلوصي ( أدب المقامات أو الفن الألفصوي المسجع ) مجلة المعلم الجديد العدد الاول لسنة ١٩٦٢ .

( ١٣٧٥ ) ينظر بحث الدكتور محمد قاسم مصطفى ( النقد الأدبي في مقامات بديع الزمان الهمداني ) مجلة المورد العدد ٢ ، سنة ١٩٨٤ .

( ١٣٧٦ ) ينظر بحث سبيح صادق ( بغداد من خلال المقامات ) مجلة المورد ، العدد ١١ سنة ١٩٧٩ .



وغِيلِ المغتالين . وأجرني اللهم من جور المجاورين . ومجاورة الجائرين . وكفْ عني أكفُ الضائمين . وأخرجني من ظلمات الظالمين . وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ... اللهم أحرسني بعينك ، ودعوتك ، واخصني بأمنك . ومنك . وتولني باختيارك وخيرك . ولا تكن لي كلاءة غيرك (١٣٧) وهب لي عافية غير عافية (١٣٨) . وارزقني رفاهية غير واهية واكفني مخاشي الأواء (١٣٩) . واكفني بغواشي الألاء (١٤٠) . ولا تنظر بي أظفار الأعداء . إنك سميع الدعاء « (١٤١) » .

ان الطابع الديني القائم على التوجيه والارشاد واصلاح النفوس من الشرور والآثام . قد اصبح سمة بارزة عند الكثيرين الذين جاؤوا بعد الحريري . مثل الامام محمود بن عمر الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ ) . وأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ( ت ٥٩٧ هـ ) ... وتجدر الإشارة الى ان المقامات عند بعض الكتاب تغيرت طريقة التناول والعرض فيها عما وضعه السابقون . ولا سيما بديع الزمان الهمذاني والحريري اذ تخلصت من الرواية واكتفت بالحكاية وقد عبر بعض من هذه المقامات عن الاحداث الكبيرة والويلات والمصائب التي ابتليت بها الامة العربية . مثل ما فعله التتر في زحفهم على المشرق ولاسيما على العراق وديار الشام . اذ نرى الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بابن الكازروني ( ت ٦٩٧ هـ ) ينشيء مقامة طويلة بعنوان : « مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية » . (١٣٨٢) تصف بأسلوب حزين الوقائع الدامية والمجازر الرهيبة التي انتابت بغداد بعد مقتل آخر خليفة عباسي المستعصم بالله سنة ٦٥٦ للهجرة ننقل منها الفقرات الآتية : « وافيتها بلدة خالية . وأمة جالية . ودمنة حائلة . ومحنة جاثمة . وقصوراً خاوية . وعراضاً باكية . قد رحل عنها سكانها . وبان عنها قطانها . وتمزقوا في البلاد . ونزلوا بكل وإد . وقصورها المشيدة مهدومة . ونعماؤها مسلوقة معدومة . موحشة لفقد قطانها . باكية بلسان الحال على سكانها . عظام العظام بالية . تسفي

( ١٣٧٧ ) لا تكن لي الى كلاءة غيرك . لا تدعني الى حفظ غيرك

( ١٣٧٨ ) غير عافية . غير دارسة .

( ١٣٧٩ ) الأواء . الهدى والضيق .

( ١٣٨٠ ) اكفني . احفظني في كنفك . الفواشي . ما يغطي به الله مثل غاشية السرج .

الآلاء . النعم .

( ١٣٨١ ) مقامات الحريري ص ١٠٤ .

( ١٣٨٢ ) حلقها كوركيس عواد . وطبعها بمطبعة الارشاد ببغداد سنة ١٩٦١ . ثم اعاد نشرها في

مجلة المورد . العدد الرابع الخاص من بغداد سنة ١٩٧٩

عليها الرياح السافية . « فهل ترى لهم من باقية » (١٣٨٢) فوقفتُ أبكيها ، وأندب ربوعها ومن كان فيها

وأندب اطلالها تارةً      وابكي على فرقة الطاعنين  
فلو ذهبت مقلّة بالبكاء      لغرط الغرام لكنّا عمينا

وهناك شخص : بصر بحالي ، وهو يذري دمه لسماع ارتجالي . فقلت له : ماجلاؤك فقد أعجبني حالك . فقال اليك عني . واذهب لسبيلك ودعني . فاني اتمتع بالبكاء . وأسح الدمع على هذه الاصداء . واقيم ماتم العزاء . فلو رأيت من هذه البلدة مارأيت لأذريت معي الدمع . ولا سمع بكأوك الجمع . وهذه المقامة - كما لاحظنا - تتسم بوضوح القصد وصدقه وقوة التعبير وتأثيره ونجد هذا الشيء ايضاً في مقامة الشيخ جمال الدين عمر بن ابراهيم بن الحسين الرسعني التي ذكر فيها هجوم التتر المروع على مدن الشام ولاسيما حلب التي كثر فيها القتل والسلب والتخريب والنهب ( ١٢٨٤ ) .

### اسلوب المقامات :

شاعت الصنعة في الكتابة العربية في القرن الرابع للهجرة شيوعاً كبيراً ، وتسرب أثرها الى المقامات ، حيث نجد بديع الزمان ، الذي يعد الرائد في انشائها ، يأخذ نصيباً كبيراً من الاساليب البلاغية المصنعة ، ويدخلها بذكاء وقدرة فائقة في مقاماته ، ولاسيما السجع والجناس والتصوير . ونراه احياناً يكثر من الألفاظ الغريبة على نحو ما جاء في المقامة التهديدية ، ويحشد فيها الشعر الذي يطول احياناً كما في المقامة البشرية . ويقتبس من القرآن الكريم ، والامثال العربية المشهورة ، ويورد اطرافاً من معارف كثيرة في اللغة العربية وآدابها . انه يأتي بكل ذلك باحكام وتناسق وانسجام وعرض مشرق لطيف يروق السامع ويستهويه .

وإذا انتقلنا الى الحريري نجده اكثر ايفالاً في استخدام فنون البديع وامعاناً في تناول غريب اللغة . ولا عجب حين قال عنه العماد الاصبهاني : « قد اعجز الفصحاء بصناعته . وأبر على البلغاء ببراعته . وبلغ السماء ببلاغته . واوجد حلماً الزمان العاقل بجودة صياغته وقد اشتهرت له المقامات شرقاً وغرباً . وبعداً وقرباً (١٧٨٥) » .

(١٢٨٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٨ .

( ١٧٨٤ ) ينظر : قسمة المختصر في أخبار البحر ٢ : ٢٠٨

(١٢٨٥) خريدة القصر وخريدة العصور قسم العراق. ٢ / ١ : ٦٠١

لقد أقرّ الحريري في مقدمة مقاماته بقوله ، انها « تحتوي على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وحزله ، وغرر البيان ودرره ، وملح الادب ونوادره . الى ماوشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية . واللطائف الادبية . والأحاجي النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والرسائل المبتكرة . والخطب المحبّرة ، والمواعظ المبكية . والأضاحيك المللمية » ( ١٢٨٦ ) . إنّ هذه الامور ساقها في مقاماته بتمكن واقتدار وباسلوب محكم رصين ، فيه حيوية نافذة ، ومرد هذه الحيوية كما يرى الدكتور شوقي ضيف « الى هذا الثوب المتوهج من السجع ، الذي لانجد فيه نقصاً . فقد فصله وقطعه ووشاه ذوق رفيع . كان يعرف كيف يضع الكلمة بجوار الكلمة . وكيف يشدّ اللفظة الى أختها وكأنه عازف قيثارة » ( ١٢٨٧ ) .

وجاء بعد الحريري كتاب كثيرون ، دبجوا مقامات في موضوعات متنوعة دينية واجتماعية وأدبية ، وحاولوا ان يظهروا فيها براعتهم الاسلوبية والبلاغية . ولكنهم لم يلحقوا به ولا برأئده بديع الزمان الهمداني ، وبقوا في دائرة التقليد إلا ما ندر منهم ، ولذلك لم تأخذ مقاماتهم الشهرة والانتشار في الأوساط الادبية وبقيت بين مخطوطة ومطبوعة بعيدة عن ايدي الدارسين ( ١٢٨٨ ) .

---

( ١٢٨٦ ) مقامات الحريري ص ١٢

( ١٢٨٧ ) المقامة للدكتور شوقي ضيف ص ٦٩

( ١٢٨٨ ) لتنظر المقامات التي ألّفها بعد الحريري في كتاب ، فن المقامات بين المشرق والمغرب ص

## بديع الزمان الهمذاني

٢٥٨ - ٣٩٨ هـ

لم تنتكس الثقافة في القرن الرابع للهجرة بانتكاس الخلافة بمجدها وعزها وأبهتها. بل بقي بريقها وهجاً، وظلت البيئات العلمية والأدبية مزداثة بالعلماء والأدباء. حتى قال أحدهم: إن هذا العصر يستحق أن يُسمى زبدة الحقب (١٣٨١). انه حقاً عصر علم وأدب وشعر ومقامات وتآليف وفلسفة. ومن أراد التأكد من ذلك فليراجع أحد الكتب التي تناولت هذا العصر. وهو كتاب يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي/ويرى العدد الكبير من أرباب القلم. أحدهم بديع الزمان الهمذاني. رائد فن المقامات

### سيرته:

هو أبو الفضل. أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد. ويُعرف ببديع الزمان. ولا نعرف كيف نال هذا اللقب (١٣٩٠). وربما يكون من صنعه أو صنع أبي منصور الثعالبي الذي عاصره وترجم له (١٣٩١). فقال: «هو أحمد بن الحسين بديع الزمان. ومُعجزة همذان» (١٣٩٢)

ولد في همذان في الثالث عشر من جمادي الآخرة. سنة ٣٥٨ للهجرة. من أسرة يصل نسبها الى بني مضر. وقد صرح بذلك فقال: «اني عبدُ الشيخ. واسمي أحمد. وهمذان المولود. وتغلَّب المورد. ومُضِرُّ المحتد» (١٣٩٣). ولم يكتف بذكر نسبه العربي. بل انتصر للعرب في كتاباته. فقال في رسالة الى الشيخ الرئيس أبي عامر عدنان بن محمد: «نحن- أطال الله بقاء الشيخ- اذا تحدثنا في فضل العرب على العجم وعلى سائر الأمم. أردنا بالفضل ما أحاطت به الجدود. ولم ننكر أن تكون أمة أحسن من العرب ملابس. وأنعم منها مطاعم. وأكثر ذخائر. وأبسط ممالك. وأعمر مساكن. ولكننا نقول: العرب أوفى وأوفر. وأوقى وأوفر. وأنكى وأنكر. وأعلى وأعلم. وأحلى وأحلم. وأقوى وأقوم. وأبلى وأبلغ. وأشجى وأشجع. وأسمى وأسمح. وأعطى وأعطف. والطي والطف» (١٣٩٤). وأحصى وأحصف. وأنقى وأنق. ولا ينكر ذلك إلا

(١٣٨٩) بديع الزمان الهمذاني، مارون عبود، ص ١٤.

(١٣٩٠) قال الدكتور فؤاد صنيف: «ان اسمه لا يعرفه الناس، وإنما يعرفونه بلقبه الذي

أطلقه عليه معاصروه». الفن ومذاهبه في النشر العربي ص ٢٤٠.

(١٣٩١) ينظر، مقامات بديع الزمان على أحاديث ابن دريد ص ١٢.

(١٣٩٢) يتيمة الدهر ٤، ٢٥٦.

(١٣٩٣) رسالة أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني ص ٤.

(١٣٩٤) الطي، اللطاة، الجبهة، يقال يطي الله لطاقك أي جبهتك.

وَقِيحٌ وَتَحٌ (١٣٩٥) . ولا بجحدّه إلا نغلّ نغرًا (١٣٩٦) ... « (١٣٩٧) .

نشأ في همدان . وتعلّم فيها القراءة والكتابة . وكان أخوه محمد بن الحسين مفتي البلدة (١٣٩٨) . وتتلذذ على العلماء والأدباء . منهم أبو الحسين أحمد بن فارس الأديب الكبير واللغوي المشهور . صاحب المجمل في اللغة (١٣٩٩) . وأبو بكر محمد بن الحسين الفراء . وعيسى بن هشام اللغوي الاخباري . وكان بديع الزمان ذكياً . قويّ الحافظة . قال الثعالبي : « كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط - وهي أكثر من خمسين بيتاً - فيحفظها كلّها ويؤديها من أولها الى آخرها . لا يخرم حرفاً ولا يخل بمعنى . وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهدأ عن ظهر قلبه هدأً . ويسرّدها سرداً . وهذه حاله في الكتب الواردة عليه » (١٤٠٠) . ويُعلّق أحد الباحثين على هذا القول . فيقول : « انها مبالغات نسبوا مثلها الى المتنبي . والمعري . وأبي تمام . وهي عندي الى الحكايات أقرب منها الى التاريخ الرصين . فليست الأذهان دفاتر . ولا آلات تصوير شمسية . حتى تحفظ . وتلتقط آثار الأدباء كما هي » (١٤٠١) .

خرج بديع الزمان من همدان سنة ٣٨٠ للهجرة طلباً للعلم والجاه والشهرة . فقصّد صاحب بن عباد ( ت ٣٨٥ هـ ) وبقي عنده زمناً في أصبهان المشهورة بجمال طبيعتها . وكانت آنذاك تجمّع بالأدباء والعلماء من أبنائها والوافدين عليها . وقد عدّها الدكتور مصطفى جواد معقلاً للأدب العربي (١٤٠٢) . وبعد تزوده بشمار صاحب بن عباد وحسن آثاره . ارتحل الى جرجان « وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكنافهم » (١٤٠٣) . ثم تركها . وشرح سبب تركها في رسالة كتبها الى أبي نصر ابن المرزبان (١٤٠٤) . فجاء الى نيسابور سنة ٣٨٢ للهجرة . « وكان لواء الرئاسة والصدارة فيها معقوداً لأسرة بني ميكال . وهي أسرة علم وأدب وفضل .

(١٢٩٥) وقح ، حسين .

(١٢٩٦) نغر ، حنود .

(١٢٩٧) رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمداني ص ١٦٩ .

(١٢٩٨) معجم الادباء ١ ، ٩٥ .

(١٢٩٩) ينظر ، المقامات من ابن فارس الى بديع الزمان الهمداني ص ٩ .

(١٣٠٠) يتيمة الدهر ٤ ، ٢٥٦ .

(١٣٠١) بديع الزمان الهمداني . مارون عبود . ص ١٧ .

(١٣٠٢) ينظر بحث الدكتور مصطفى جواد [أصفهان معقل الادب العربي في ايران] مجلة المجمع

العلمي العراقي . المجلد العاشر . ١٩٦٢ . ص ٦٩ - ٩٤ .

(١٣٠٣) يتيمة الدهر ٤ ، ٢٥٧ .

(١٣٠٤) رسائل أبي الفضل بديع الهمداني ص ٩٢ .

وكان أفرادها يُلَقَّبون بالأمرء . وكانوا يشجعون الأدب ويصلون الشعراء (٣٠٠) .  
 وألَمَعُ . من عاش من هذه الأسرة في القرن الرابع للهجرة الأمير أحمد بن علي بن  
 ميكال والأمير أبو الفضل عبيدالله بن أحمد بن ميكال . وكان هذا الأخير كاتباً  
 شاعراً شبهه الثعالبي بابن العميد والصاحب بن عباد وأبي اسحاق الصابي وابن  
 المعتز وأبي فراس من الشعراء (٣٠١)

وكان بديع الزمان قبل وصوله الى نيسابور قد سلب قطاع الطريق من الأعراب  
 ماكان له من مال وأمتعة وأصبح مُعَدِّماً . وخاطب أبا بكر الخوارزمي ( ت ٣٨٣  
 هـ ) شيخ عصره في علوم اللغة والبلاغة وأيام العرب وأمثالها بهذه الرسالة ، أنا لقرب  
 الأستاذ أطال الله بقاءه ( كما طرب النشوان مالت به الخمر ) ومن الارتياح للقاءه  
 ( كما انتفض العصور بلكة القطر ) ومن الامتزاج بولائه ( كما التقى الصبأ والبارد  
 العذب ) ومن الابتهاج بمرآه ( كما اهتز تحت البارج الغصن الرطب ) فكيف نشاط  
 الأستاذ لصديق طوى اليه ما بين قصتي العراق وخرسان . بل ما بين عتبي  
 نيسابور وجرجان . وكيف اهتزازه لضيف في بُردة جَمال . وجلدة خَمال .

### رثُ الشمايل مُنْهَجُ الأثوابِ بكرتُ عليه مغيرةُ الأعراب

وهو أيدى الله ولي انعامه بانقاذ غلامه الى مستقري . لأفضي اليه بسرّي . ان شاء  
 الله تعالى « (٣٠٧) . ولم يحسن الخوارزمي لقاءه . وحصلت بينهما نفرة وجفوة  
 وقطيعة . تحولت فيما بعد الى عداوة . وحدث بينهما أمام جمع من الناس معركة  
 أدبية حامية . خرج منها بديع الزمان ظافراً وانحسر الخوارزمي مخذولاً (٣٠٨) .

ترك بديع الزمان نيسابور الى سجستان . وكان أميرها آنذاك الأديب خلف بن  
 أحمد . ولقى حفاوة وتقديراً منه وأهدى اليه مقاماته ومدحه بقصيدة مطلعها : (٣٠٩)

سماء الدُّجى . ماهذه الحدقُ النجلُ أصدر الدُّجى حال وجيد الضحى عطلُ ؟  
 لك الله من عزم أجوب جيو به كأنني في أجفان عين الردى كحلُ

( ٣٠٥ ) بديع الزمان الهمذاني . الدكتور مصطفى الحكمة . ص ٥٥ .

( ٣٠٦ ) تنظر : بقيمة الدهر ١ : ٢٥٤ .

( ٣٠٧ ) رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني ص ٨٢ .

( ٣٠٨ ) تنظر المناظرة في رسائل البديع ص ١٢ . ومعجم الأديباء ١ : ١٠١ .

( ٣٠٩ ) ديوان بديع الزمان ص ٦٥ .

وكان البديع يحب السفر ، ويرغب في الارتحال ، اذ نراه يذهب شرقاً الى غزنة عاصمة السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي ، الذي كان يهوى لقاء الأدباء والعلماء ، ويشجعهم على البقاء عنده وبعد اقامة قصيرة في كنف هذا السلطان توجه الى هراة وألقى فيها عصا الترحال ، وتزوج من ابنة أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي أحد فضلاء هذه المدينة ، فاطمأنت نفسه ، وحسن حاله ، وطاب له المقام وأقتنى مالا وضيعاً ، وعاش عيشة راضية ، وأنجب أولاداً ، وفي سنة ٣٩٨ للهجرة لبى نداء ربه ، وهو في الأربعين من عمره .

### آثاره :

- ١ - ديوان شعره ، وهو مطبوع ، والقاري فيه يجده لا يتخلى - كما هو الحال في نثره - عن الجناس والسجع والازدواج والمعميات والأحاجي ....
- ٢ - رسائله ، وهي مطبوعة ، تناول فيها موضوعات كثيرة من مدح ، وهجاء ، وعتاب ، واعتذار ، وعزاء وشكوى ، وتهنئة ، وصف ، واستعطاف ...
- ٣ - مقاماته ، وهي مطبوعة ، وعددها اثنتان وخمسون مقامة .

### نثره وأسلوبه :

جاء بديع الزمان ووجد أمامه الصنعة قد قطعت شوطاً كبيراً في ميدان النثر العربي ، على يد كتاب كبار أمثال ، ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وأبي بكر الخوارزمي . فسار على خطاهم وأبدى جدارة فائقة وقدرة عالية في هذه الصنعة بحيث فاقهم في الشهرة ولا سيما في مقاماته .

لقد تسربت الصنعة الى نثره ، وتجاوزت أحياناً الحد المعقول في التزام السجع ، والتشبيهات ، والاستعارات ، والكنائيات ، والمحسنات اللفظية والمعنوية ، والرمز والتلميح ، والاشارات ... والميل الى التصعيب والتعقيد ، روى الثعالبي في يتيتمته أنه « كان ربما يكتب الكتاب المقترخ عليه فيبتديء بأخر سطر منه ثم هلمَّ جرّاً الى الأول ، ويخرجه كأحسن شيء وأملح . ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من انشائه ، فيقرأ من النظم والنثر ، ويروي من النثر والنظم ، ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة . ونقترخ عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ، ونفس

لا يقطعه (٣١٠) . وقد أقرّ البديع في مناظرته مع أبي بكر الخوارزمي أنه يستطيع أن يقترح عليه أربع مئة صنف في الترسل . ثم يستطرد فيصف بعض هذه الأصناف فيقول : انه يستطيع أن يكتب كتاباً يقرأ منه جوابه . أو كتاباً يقرأ من آخره الى أوله . أو كتاباً اذا قُرئ من أوله الى آخره كان كتاباً . فإن عكست سطره مخالفة كان جواباً . أو كتاباً لا يوجد فيه حرف منفصل من راء يتقدم الكلمة أو دال ينفصل عنها . أو كتاباً خالياً من الألف واللام . أو كتاباً خالياً من الحروف العواطل . أو كتاباً أول سطره كلها ميم وآخرها جيم . أو كتاباً اذا قُرئ معرجاً وسُرد معوجاً كان شعراً . أو كتاباً اذا فُسِّر على وجه كان مدحاً واذا فُسِّر على وجه كان قدحاً (٣١١) . ومع هذا الاعتراف بالتعقيد نجد له رسائل تتسم بلغة واضحة ذات ألفاظ موسيقية عذبة لها وقع حسن في الأذن .

ومما يلاحظ في نثره كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية . والأمثال . والحكم . والأبيات الشعرية من نظمه أو من نظم شعراء آخرين . وأحياناً يمعن في هذا الاستشهاد كما نرى في رسالته الى أبي جعفر الميكالي التي ضمنها ستة وثلاثين بيتاً في الوقت الذي لم تتعد الرسالة بضعة وعشرين سطراً . وإلى جانب الشعر في هذه الرسالة نجد حكماً وأمثالاً . مثل قوله . وبذل الموجود غاية الجود . وبعض الحمية آخر المجهود . وماش خير من لاش . ووجود ماقل خير من عدم ماجل . وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب . وحمار هو خير من فرس ليس . وكوخ في العيان خير من قصر في الوهم . وزيت خير من ليت . وما كان أجود من لو كان . وقد قيل عصفور في الكف خير من كركي في الجو . ولأن تقطف خير من أن تقف . ومن لم يجد الحميم رعى الهشيم . ومن لم يحسن صهيلاً نهق . ومن لم يجد ماءً تيمم (٣١٢)

واشتهرت مقاماته أكثر من رسائله . وهي قائمة على الكدية باستثناء ثلاث عشرة مقامة تتناول أغراضاً شتى في المديح والوصف والنقد والأدب والألغاز والوعظ والحجاج في المذاهب وأحوال الزمان والفكاهة .

(١٢١٠) يتيمة الدهر ٢٥٦ : ٤ .

(١٢١١) رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمداني ص ٥٠ . وينظر الفن ومذاهبه في النثر العربي

ص ٢٤٥ .

(١٢١٢) رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمداني ص ٦٠ - ٦١ .



والمقامات أرحب من رسائله معنى . والطف مبني . وأخف صنعة . وأكثر فكاهة وأوفر مرحاً وضحاكاً . قال الدكتور زكي « مبارك : » « إن مقامات بديع الزمان تحفة من تحف النثر الفني في القرن الرابع . وقد أردنا أن نطيل بها الطواف ليتعرف إليها القاري . فقد كان مفهوماً عند كثير من الناس أنها الأعيب لفظية ليس فيها من المعاني ما يستحق الدرس . ولكننا بعد مواجهتها مرةً ومرة رأينا فيها من أمارات العقل والذكاء وخفة الروح ما يوجب الإعجاب . وكنا نحفظها في الحداثة . غير أننا لم نكن ندرك خطرها كما تمثلت لنا في هذه الأيام » ( ٣١٢ )

تقوم أحداث المقامات على كاهل رجلين ابتدعهما بديع الزمان . الأول الراوي عيسى بن هشام والثاني البطل المغامر أبو الفتح الاسكندري . وأحياناً يفغل عن هذا البطل كما هو الحال في المقامات الثلاث : البغدادية . والنهدية . والغيلانية .

إن أسلوب البديع في المقامات مسجوع مُنَمَّق . يعتمد على الصنعة . إذ نراه يتكئ على التشبيهات . والاستعارات . والكنيات . وضروب المحسنات البديعية ولا سيما الجناس والطباق . ويكثر من الجمل الاعراضية . والترادف في اللغة للمعنى الواحد . والاستشهاد بالشعر . فلا تخلو مقامة من أبيات . لاتقل عن بيتين . من نظمه أو من نظم الشعراء الأقدمين وكذلك الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف . مثال ذلك البيتان الآتيان : ( ٣١٣ )

حتى إذا جُرْتُ بلادَ العدى      إلى حمى الذين نقضت الوجيب  
فقلتُ إذ لآخَ شعارُ الهذى      (نصرُ من الله وفتح قريبُ)

ومثل قوله : « أثارتنى ورفقةً وليمةً فأجبتُ إليها للحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دُعيتُ إلى كراعٍ لأجبتُ ولو أهدى إلى ذراعٍ لقبلتُ » ( ٣١٤ ) ويلتجىء أحياناً إلى الأمثال اما مقتبسةً واما مبتكرةً مثل قوله في المقامة الجاحظية : « يا قوم لكل عمل رجال . ولكل مقام مقال . ولكل دار سكان . ولكل زمان جاحظ » ( ٣١٦ )

- 
- ( ١٢١٢ ) النثر الفني في القرن الرابع ١ : ٣٧٧ .  
( ١٢١٥ ) مقامات بديع الزمان ، المقامة القزوينية ص ٩٧ .  
( ٣١٥ ) مقامات بديع الزمان ص ٨٨ .  
( ١٢١٦ ) نفسه ص ٨٦ .

والبدیع اديبٌ ظريفٌ . وكاتبٌ طريفٌ . وفنانٌ موهوبٌ . وقصصیٌ ملهمٌ . يقدم مقاماته بأسلوب محكم تظلل روح فكهة مرحلة . وقد اخترنا للقارئ المقامة البغدادية ليقف على طبيعة هذا الأسلوب في ايراد المشاهد الغريبة وربطها ببراعة مع بعضها وصولاً الى نتيجة لطيفة ترقُّ لها القلوب : « حدثني عيسى بن هشام : قال : اشتبهتُ الأزادُ (١٣١٧) ، وأنا ببغداد . وليس معي عقدٌ . على نقدي (١٣١٨) . فخرجتُ أنتهز محالةً حتى أحلني الكرخُ . فاذا أنا بسوادي (١٣١٩) يسوقُ بالجهدِ حمازةً . ويُطرِفُ بالعقدِ ازارةً . فقلتُ : ظفرنا والله بصيدٍ . وحياكُ الله أبا زيد . من أين أقبلتُ ؟ وأين نزلتُ ؟ ومتى وافيتُ ؟ وهلُم الى البيتِ . فقال : السواديُّ . لست بأبي زيد . ولكني أبو عبيد . فقلتُ : نعم . لعن الله الشيطانَ . وأبعد النسيانَ . أنسانيك طولَ العهد . واتصالَ البعد . فكيف حالُ أبيك ؟ أشابُ كمهدي . أم شابٌ بعدي ؟ فقال : قد نبتَ الربيعُ على دمنته (١٣٢٠) . وأرجو أن يُصيرَهُ الله الى جنتِهِ . فقلتُ : إنا لله وأنا اليه راجعون . ولا حول ولا قوة الا بالله العليُّ العظيم . ومددتُ يدَ البدارِ الى الصُّدار (١٣٢١) . اريد تمزيقَهُ . فقبضَ السواديُّ على خصري بجمعه . وقال : نشدتكُ الله لامرئته . فقلتُ : هلُم الى البيتِ نُصبِ غداءً . أو الى السوقِ نشترِ شواءً . والسوقُ أقربُ . وطعامه أطيبُ . فاستغرقتُ حمةَ القرم . وعطفتُ عاطفةَ اللقم (١٣٢٢) . وطمع . ولم يعلم أنه وقع . ثم أتينا شواءً يتقاطرُ شواؤه عرقاً . وتتسائلُ جوذاياته مرعاً (١٣٢٣) فقلتُ : أفرزُ لأبي زيد من هذا الشواء . ثم زنْ له من تلك الحلواء . واختر له من تلك الاطباقِ . وانصد عليها اوراقَ الرقاقِ . ورشْ عليه شيئاً من ماء السُّماقِ . ليأكله أبو زيد هنيئاً . فانحنى الشواءُ بساطوره . على زبدة تنوره . فجعلها كالكلحلِ سحاً . وكالطحني دقاً . ثم جلس وجلستُ . ولا يئس ولا يئستُ . حتى استوفينا . وقلتُ لصاحبِ الحلوى : زنْ لأبي زيد من اللوزينج رطلين فهو أجرى في الحلوق .

( ١٣١٧ ) من اجود انواع العصر .

( ١٣١٨ ) النقد ، المسكوك من الذهب والفضة

( ١٣١٩ ) السوادي ، الرجل من رسلات العراق والراء ، نسبة الى السواد ، وسمي العراق سواداً لاكتساء ارضه بالفضرة من نبات وأهجار .

( ١٣٢٠ ) المراد بالدمنة القبر .

( ١٣٢١ ) البدار ، المبادرة والمصارعة . الصدار ، ثوب يلبس مما يلي الجسد .

( ١٣٢٢ ) استغفره ، استعوهه وحركته بقدة . الحمة للهيه شدة . يقال لسمته حمة البرد اي

شدته . والحمة في الاصل ، ابرة المقرب التي تلسع بها . القرم ، الفهرة البالغة لأكل

اللحم . اللقم ، السرعة في الاكل .

( ١٣٢٣ ) الجودايات ، جمع جودابة . وهي خبز يخبز في تنور وفوله لحم .

وامضى في العروق . وليكن ليلى العمر . يومى النثر ( ٣٣١ ) . رقيق القشر . كثيف الحشو . لؤلؤي الدهن . كوكبي اللون . يذوب كالصمغ . قبل المضغ . ليأكله أبو زيد هنيئاً . قال : فوزنهُ ثم قَعَدَ وقعدت . وجَرَدَ وجردت . حتى استوفيناه . ثم قلت : يا أبا زيد ما أحوجنا الى ماء يشمّع بالثلج ليقمع هذه الصّارة ( ٣٣٥ ) . ويفثأ ( ٣٣٦ ) هذه اللّقم الحارة . اجلس يا أبا زيد حتى نأتيك بسقاه يأتيك بشرية ماء . ثم خرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني أنظر ما يصنع . فلما أبطأت عليه . قام السوادي الى حمارة . فاعتلق الشّواء بازاره . وقال : اين ثمن ما أكلت ؟ فقال أبو زيد : أكلته ضيفاً . فلكمه لكمة . وثنى عليه بلطمة . ثم قال الشّواء : هاك . ومتى دعوناك ؟ زن يا أخا القحّة عشرين ( ٣٣٧ ) فجعل السوادي يبكي ويحلّ عُقْدَهُ بأنّانه ويقول : كم قلت لذاك القريد ( ٣٣٨ ) أنا أبو عبيد . وهو يقول : أنت أبو زيد . فأنشدت :

أعمل لرزقك كلّ آله لا تقعدن بكلّ حالة  
وانهض بكلّ عظيمة فالمرء يعجز لا محالة ( ٣٣٩ )

وتجدر الإشارة في آخر هذه الدراسة الموجزة لسيرة بدیع الزمان ونشره الى أن الباحثين جميعاً أثبتوا على المقامات واشادوا بمكائنها بين الفنون النثرية التي وصلت اليها ماعدا محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا ( ت ٧٠٩ هـ ) من القدامى . والدكتور محمد مهدي البصير من المحدثين . قال ابن الطقطقا : « المقامات لا يستفاد منها سوى التمرن على الإنشاء . والوقوف على مذاهب النظم والنثر . نعم وفيها حكمة وحيل إلا أن ذلك مما يصغر الهمة . إذ هو مبني على السؤال والاستجداء والتحيل القبيح على تحصيل النثر الطفيف . فان نفعت من جانب ضرت من جانب . وبعض الناس تنبهوا على هذا من المقامات الحريرية والبديعية » ( ٣٤٠ ) أما الدكتور محمد مهدي البصير فيقول : « أما مقامات الهمداني فانها جناية لا تغتفر على الأدب العربي : ذلك انه خلق فيها أدب الشحاذة خلقاً وأنشاء أنشاء . ولم يحل

( ١٣٣٤ ) ليلى العمر . أي قد صنع بالليل . يومى النثر . أي نثر من مصنعه بالنهار فيكون قد نضج وسرت الحلاوة في جميع اجزائه .

( ١٣٣٥ ) الصارة : المطهى

( ١٣٣٦ ) يفتأ : يسكن . وتسكين اللقم : كسر الحدة من حركاتها .

( ١٣٣٧ ) القحة : الرفاحة وسوء الادب . ومعنى زن عشرين : أعط عشرين درهماً .

( ١٣٣٨ ) القريد : تصغير قرد .

( ١٣٣٩ ) مقامات بدیع الزمان ص ٧٤ - ٧٤ .

( ١٣٤٠ ) الفغري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ص ١٥

الأدب العربي من الشحاذة لسوء الحظ على ألسن الشعراء المداحين ، ولكنها ظهرت في هذه المرة بأبشع صورها ، وأقبح اشكالها ، وأخس طرقها واساليبها سامح الله الهمداني ، فإنه أساء الى الادب بمقاماته اكثر مما احسن اليه بشعره ورسائله « ( ١٣١ ) وقد كفانا الدكتور محسن غياض بالرد على هذين القولين ، فقال : « ونحن نعتقد أن ابن الطقطقا والمرحوم البصير قد تطرّفا في مهاجمة المقامات تطرفاً لا مبرر له ، فهي دون شك صدى لظاهرة الكدية في عصرها ، ولا نرى فيها ما يصغر الهمة ويشجع على التسول ، والانسان لا يكون متسولاً اذا قرأ أدب التسول ، وانما هو أمر تضطره اليه ظروف الحياة وفقدان العدالة الاجتماعية ، ولو كان الأمر كذلك لأصبح كل من قرأ أدب المجون ماجناً وكل من قرأ شعر الزهد زاهداً ، وليس الامر كذلك يقيناً . كما أن البديع لم يخلق التسول والشحاذة ، ولم يدع اليهما ، وانما صور ظاهرة موجودة في عصره ، واستمد موضوع مقاماته من حياة طبقة بائسة من طبقات المجتمع آنذاك ، وتلك في نظرنا ميزة يحمّد عليها ، فقد كان الادباء قبله يستمدون موضوعاتهم من حياة الطبقة الغنية ، فكثرت قصصهم واحاديثهم عن الخلفاء والامراء والوزراء والمشهورين من العشاق والمغنيات والظرفاء ثم جاء البديع فخالف ذلك واستمد موضوعاته من حياة الفقراء من الناس الذين اضطرهم فساد النظام السياسي والاجتماعي الى الاستجداء والاحتياج في طلب الرزق ، والبديع بهذا يقدم لنا وثيقة اداة لفساد النظام السياسي عندما تغلبت العناصر الاعجمية ومزقت الدولة الواحدة وعالت بها فساداً ( ١٣٢ ) » .

( ١٣١ ) في الادب العباسي ص ٩٨

( ١٣٢ ) مقامات بديع الزمان الهمداني ، المنشور في مجلة الطليعة الادبية ، العدد ٦ سنة ١٩٧٧ .

## القاضي الفاضل

٥٢٩ - ٥٩٦ هـ

### سيرته :

هو عبدالرحيم بن علي بن الحسن ، يكنى ابا علي . ويعرف بالقاضي الفاضل . ينحدر من قبيلة عربية هي قبيلة لخم . ولد في الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٢٩ للهجرة ، ( ٣٣ ) بمدينة عسقلان ، وهي إحدى مدن فلسطين . وكان والده ويدعى القاضي الأشرف قاضياً فيها . وانتقل في طفولته الى مدينة يئسان وهي مدينة بالاردن فنسب اليها .

أخذ علوم اللغة العربية في مدينة يئسان . ولما شب ظهر فيه الميل الى الادب . فرأى والده ان يلحقه بديوان المكاتبات ليتخرج على كبار المنشئين . فأرسله الى القاهرة سنة ٥٤٣ للهجرة وهو في الخامسة عشرة من العمر . وقد روى ابن الأثير قصة قدومه الى القاهرة فقال ، « حدثني عبدالرحيم بن علي البيساني . رحمه الله . بمدينة دمشق في سنة ٥٨٥ . وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية . فقال : ... فأرسلني والذي ... وأمرني بالمصير الى ديوان المكاتبات . وكان الذي يرأس به في تلك الايام رجل يقال له ، ابن الخلال . فلما حضرت الديوان . ومثلت بين يديه . وعرفته من أنا . وما طلبتي . رحب بي وسهل . ثم قال ، مالذي اعددت لفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت ليس عندي شيء سوى أنني أحفظ القرآن وكتاب الحماسة . فقال ، في هذا بلاغ . ثم أمرني بملازمته . فلما ترددت اليه . وتدربت بين يديه . أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة . فحللته من اوله الى آخره . ثم أمرني بأن أحله مرة ثانية . فحللته » ( ٣٣١ )

ولم يقف في الدراسة عند حد الموفق يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال ( ت ٥٦٦ هـ ) بل تتلمذ على غيره من الكتاب المشهورين . منهم ، ابو الفتح محمود بن اسماعيل بن قادوس ( ت ٥٥١ هـ ) . وهو من مشهوري شعراء مصر آنذاك ( ٣٣٥ ) .

( ١٢٢٢ ) وفيات الأعيان ١٠٣ ، ١٥٨ .

( ١٢٢٤ ) الوشي المرقوم ص ٥٤ .

( ١٢٢٥ ) الروضتين ١٠٢ ، ١ . النكت المصرية ص ٢٥ .

وبعد وقوفه على طرق الكتابة ، والتدرب عليها ، واجادتها ، ذهب الى الاسكندرية وقصد ابن حديد قاضيا والناظر فيها ، ولما عرف فضله ونبوغه ، استكتبه ، وقرر له مرتباً يتقاضاه . وظل في الاسكندرية زهاء ثمانى سنوات برزت فيها مواهبه . وعندما سمع به الوزير العادل رزّيك بن الصالح طلائع بعث الى والى الاسكندرية ان يرسله اليه ، وولاه رئاسة ديوان الجيش ، ( ٣٣١ ) وتوثقت صلته بهذا الوزير ، ويحتفظ ديوانه بشعر كثير في مدحه ، منه قوله من قصيدة طويلة : ( ٣٣٧ )

ففي قلبه للناس ودٌ ورحمةٌ وفي قلوبهم منه المهابةُ والحبُّ  
فعال اذا مارمت احصاء مجدها فحسبك قولى ، لا يحيط به الحسبُ

وبقى القاضي الفاضل يعمل في الدولة كاتباً معتمداً ، وحينما قامت الدولة الايوبية في مصر والشام لم يستغن صلاح الدين الايوبي عنه ، بل قرّبه ، وفوّض اليه الوزارة وديوان الانشاء ، ( ٣٣٨ ) ، وأصبح كاتبه البليغ ومراسله الامين الى الخلفاء والملوك والامراء والقواد ، وصار أعزّ عنده من اهله واولاده ، ( ٣٣٩ ) . يعظمه ويرجع الى قوله ، ويذوره مستشيراً اذا أراد السفر لملاقة الاعداد من الفرنج ، وقد وصل احترامه وتقديره الى درجة القول فيه ، « لاتظنوا ملكت البلاد بسيفكم بل بقلم الفاضل » ( ٣٤٠ ) وقد سجل مؤرخوه له هذه المكانة السامية في الدولة الايوبية ، قال المقرئى ، « كان لا يصدر أمراً الا عن مشورته ، ولا ينفذ شيئاً الا عن رأيه ، ولا يحكم في قضية الا بتدبيره » ( ٣٤١ )

وظل القاضي الفاضل مخلصاً للدولة الايوبية ، يشرف على الادارة المالية ، ويعمل على تجهيز الجيش والاسطول ، وفي ايام صلاح الدين الاخيرة صاحبه الى دمشق ، وظلّ بالقرب منه حتى مرضه الاخير ، وشاهد وفاة هذا القائد المجاهد في السابع والعشرين من صفر سنة ٥٨٩ للهجرة ، ورأى ان يدفن معه سيفه الذي كان يرافقه في جهاده وحروبه التضالية . ( ٣٤٢ ) وكتب رسالة الى ابنه الملك الظاهر غازي صاحب حلب يعزّيه فيها ويدعوه الى جمع الشمل ووحدّة الكلمة : « لقد كان لكم

( ١٣٣٦ ) القاضي الفاضل ، دراسة ودراسات ، ص ١٥ .

( ١٣٣٧ ) ديوان القاضي الفاضل ١٠١ ، ص ١٥٦ .

( ١٣٣٨ ) صبح الأعشى ١٠١ ، ص ٩٧ .

( ١٣٣٩ ) البداية والنهاية ١٢ ، ص ٢٤٠ .

( ١٣٤٠ ) مرآة الزمان ٨ ، ص ٢٠٤ ، وينظر فترات الذهب ٤ ، ص ٣٢٤ .

( ١٣٤١ ) خطط المقرئى ٤ ، ص ١٩٨ .

( ١٣٤٢ ) الروضتين ٢ ، ص ٢١٤ .

في رسول الله أسوة حسنة. (١٣٤٣) أن زلزلة الساعة شيء عظيم. (١٣٤٤) كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر، أحسن الله عزاءه وجبر مصابه؛ وجعل فيه الخلف لمالك المرحوم وأصحابه. وقد زلزل المسلمون زلزلاً شديداً؛ وقد حفرت الدموغ المحاجر، وبلغت القلوب الحناجر. وقد ودعت أباك ومخدومي وداعاً لا تلاقي بعده. وقد قبلت وجهه عني وعنك، وأسلمته إلى الله تعالى مغلوب الحيلة، ضعيف القوة، راضياً عن الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبالباب من الجنود المجندة، والأسلحة المغنمة؛ ما لا يدفع البلاء، ولا يرد القضاء، وتدمع العين ويخشع القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب. وأنا عليك يا يوسف لمحزونون وأما الوصايا فما يحتاج إليها، والآراء فقد شغلني المصاب عنها، وأما لأنج الأمر فإنه ان وقع اتفاق فما عدتم إلا شخصه الكريم، وإن كان غير ذلك فالمصائب المستقبلية أهونها موته، وهو الهول العظيم، والسلام. (١٣٤٥)

وبقي القاضي الفاضل على صلة بالأسرة الأيوبية، وفياً لأبنائها، لإعجاب به شجاعتهم ونبيلهم وكرمهم، وقد مدحهم بقوله: (١٣٤٦)

قالوا: رأينا الأسود الصبر عادتهم فقلت: أبناء أيوب ولا عجب  
الشاربون كؤوس الموت مسترعة وللأسنة في حافاتها حبيب  
والضرمون لئار الحرب ليس لها إلا الرماح واضلاع العدا حطب  
أطلب على كل حال منهم، وإذا كانوا غضاباً فلا يشي الندى الغضب  
لا تشغل الوقت في تسبب مسألة فليس كل عطاياهم لها سبب  
القوم هم واصلو الأرحام دهرهم وبين أموالهم والمعنف سبب

وبعد زمن قصير من وزارته للملك الأفضل علي بن صلاح الدين صاحب دمشق، استعفى، وعاد إلى القاهرة، فخرج ملك مصر العزيز عثمان بن صلاح الدين إلى لقائه. (١٣٤٧) ويبدو أنه تعب من العمل السياسي فأثر الراحة عاكفاً على الأدب والعلم، وبقي محتفظاً بمكاتبه ومنزلته عند بني أيوب، وأنشأ لنفسه مدرسة

(١٣٤٢) سورة الأحزاب، الآية ٢١

(١٣٤٤) سورة الحج، الآية ١.

(١٣٤٥) مرآة الزمان ٨، ٤٢٢، وفيات الأعيان ٧، ٢٠٤، فناء القلوب في مناقب بني أيوب

ص ١٨٥، النجوم الزاهرة ٦، ٣٣، تكملة المختصر في أخبار البشر ٢، ١٦١.

(١٣٤٦) ديوان القاضي الفاضل ١، ١٦٢

(١٣٤٧) السلوك ١، ١١٥.

سميت باسمه . وضم إليها مكتبة كبيرة . فيها جملة عظيمة من الكتب ( ١٣١٨ ) . وجعل فيها قاعة للآقراء . والى جانبها كُتاباً برسم الايتام ( ١٣١٩ ) .

وظل يجمع حوله تلاميذه ومريديه من الاءباء والعلماء الى ان توفي بداره في القاهرة يوم الثلاثاء ساءس ربيع الآخر سنة ٥٩٦ للهجرة ( ١٣٥٠ ) .

### آثاره :

١ - ديوان شعره . وهو محقق ومطبوع بجزأين . تغلب عليه الصناعة اللفظية . فهو لا يكاد يتركها اذا تأتى له استخداما . ولهذه الناحية من خصائص شعره أعجب رجال الصناعة به . ومثلوا لكثير من الوانها بشعره . مسجلين له أعظم تقدير واجاب . اما أولئك الذين لاتعنيهم هذه الصناعة فلا يرتفعون في تقدير شعره الى هذا المستوى من التقدير ( ١٣٥١ ) .

٢ - رسائله . ترك القاضي بعده رسائل كثيرة . قيل : انها في عشرة مجلدات ( ١٣٥٢ ) . وقد انتقى منها محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر ( ت ٦٩٢ هـ ) مجموعة سماها « الدر التنظيم من ترسل عبدالرحيم » ( ١٣٥٣ ) . وكذلك فعل مثل ذلك جمال الدين بن نباتة المصري ( ت ٧٦٨ هـ ) وسَمى مجموعته « الفاضل من كلام الفاضل » ( ١٣٥١ ) .

٣ - المتجددات . وهي مذكرات يروي فيها حوادث زمنه في ايام صلاح الدين الايوبي وبعده مؤرخة . وقد نقل منها المقررني كثيراً في كتابه ( ١٣٥٥ ) .

---

( ١٣٤٨ ) قال ابن الساهي : كان له خزانة تحتوي على ثلاثين الف مجلد ( الجامع المختصر ص ٢٨ ) وقال ابو قامة المقدسي : وأكثر اهل مصر يذكرون ان كتبه التي جميعها مقدار مئة الف مجلد ( الروشتين ٢ : ٢٤٤ )

( ١٣٤٩ ) خطط المقرئزي ١٩٧ : ٤

( ١٣٥٠ ) الروشتين ٢ : ٢٤١

( ١٣٥١ ) تنظر مقدمة ديوانه المطبوع

( ١٣٥٢ ) مرآة الزمان ٨ : ٤٧٢

( ١٣٥٣ ) توجد نسخة مخطوطة منها في مكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٢٤٣٧ . ومصورة بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٩٤ أدب .

( ١٣٥٤ ) مخطوطته في مكتبة الازهر رقم ٤٦٩ أباهة - ٧٠٦٥ - أدب . ودار الكتب المصرية رقم ٢٨٨٢ أدب

( ١٣٥٥ ) تجد نماذجها في خطط المقرئزي ١١ : ٩٧ . ١٣٩ . ١٦١ . ١٦٩ . ١٧٣ . و ٢ : ٢٢ . ٢٥١ .

٢٩٤ . ٢٩٥ و ٢ : ٦ . ٣٧ . ١٧٤ . ٢٠١ . ٣٢١ .



بلغ التصنيع ، والتأنيق البياني ، والصنع البديعي ، مبلغاً عظيماً في القرن السادس للهجرة . وقد ظهر تأثير ذلك في كل العصور التالية . ومما لا ريب فيه انه كان للقاضي الفاضل يد طول في هذه الحركة حتى عُدَّ شيخ الصناعة الكتابية . وحتى صاروا يقولون الطريقة الفاضلية . (٣٥١) قال ابن حجة الحموي : « ولعمري أنَّ الانشاء الذي صدر في الايام الاموية والايام العباسية نُسِيَ وألغِيَ بانشاء الفاضل . وما اخترعه من النكت الادبية . والمعاني المخترعة . والأنواع البديعية . والذي يؤيد قولِي قول العماد الكاتب في الخريدة ، انه في صناعة الانشاء كالشريعة المحمدية نسخت الشرائع » . (٣٥٧) وكان التويري معجباً بطريقته في الكتابة ايما اعجاب . اذ قال فيه : « اليه انتهت صناعة الانشاء ووقفت . وبفضله أقرت ابناء البيان واعترفنَّ . ومن بحر علمه رويث ذوو الفضائل واغترفنَّ . وأمام فضله ألفت البلاغة عصاها . وبين يديه استقرت بها نواها . فهو كاتب الشرق والغرب في زمانه وعصره . وناشر ألوية الفضل في مصره وغير مصره . ورافع علم البيان لا محالة . والفاضل بغير اطالة » (٣٥٨) وقد بالغ السبكي حين رفعه الى درجة عالية جداً في قوله : « أجمع اهل الادب على ان الله تعالى لم يخلق في صناعة الترسل من بعده مثله . ولا من قبله بأكثر من مئتي عام . وربما زادوا . وهو بينهم كالشافعي وابي حنيفة بين الفقهاء . بل هم له أخضع . لأن اصحاب الامامين قد يتنازعون في الأرجحية . فكل يدعي أرجحية امامه . واما هذا فلا تنازع بين اهل صناعته فيه » . (٣٥٩) وقد ذهب الزيئات عكس ماذهب اليه القدامى . فقال : « استحدث طريقة جديدة بناها على اصول طريقة ابن العميد . ومازاها بالاغراق في التورية والجناس . حتى اصبحت الكتابة في عهده طلاء خداعاً من زخرف اللفظ . على هيكل بال من المعنى السقيم . ثم بهرت هذه الطريقة العقيمة العيون الكليلة . والقرائح الناضبة . فاقتنفها عبَاد الصنعة من أشباه الكتاب . وورطوا أنفسهم فيما لاغناء فيه ولا رجوع منه » (٣٦٠) لقد كان الذوق العام في العصر العباسي الأخير وما تلاه يقوم - في الغالب - على الاجادة في استخدام الوان البديع وقد بلغ فيها القاضي

( ١٢٥٦ ) ينظر ، تطور الاساليب النثرية في الادب العربي ص ٢٩٢ .

( ١٢٥٧ ) ثمرات الاورال ص ١٣٢ ، وننظر ، الخريدة ، لم مصر ، ١ : ٢٥ .

( ١٢٥٨ ) نهاية الأدب ١ : ٨ .

( ١٢٥٩ ) طبقات الفاهمية ٧ ، ١٦٧ .

( ١٣٦٠ ) تاريخ الادب العربي ص ١٩٢ .

الفاضل الذروة . ولا غرو اذا تحدث الشعراء بهذه الاجادة . منهم سبط ابن التعاويذي . يقول في وصف رسائله : ( ٣١ )

يسيرُ في الآفاقِ بناؤها كأنها الليلُ اذا يسري  
تزهو على الاصداف ادراجها لأنسها اوعى الدُر  
قارئها ينظر في روضة موشية الاقطار بالزهر  
كانه فضّ وقد فضّها لطائم العطر على العطر  
تحدث في أعطافه نشوة كأنها جاءت على خمر

أسس القاضي الفاضل طريقته على طريقة ابن العميد . التي تلتزم السجع والطباق . وتتوسع في المعاني الخيالية . ألا أن سجمه يمتاز بالطول . ويزيد على ذلك انه يكثر من استعمال فنون البديع الاخرى المستعملة في الشعر : من تورية . ( ١٣٢ ) وجناس . وتلميح . واستخدام . وتوجيه . ومراعاة نظير . واقتباس آيات من القرآن . وكثيراً ما استعان بآيات من الكتاب في كثير من رسائله . ( ١٣٣ ) وضمنها الأمثال . ومأثور الاقوال . ومصطلحات العلوم . وحل ابيات الحكمة . وبالح في صنع الوان البيان . حتى ازدحمت رسائله بأفانين البلاغة . ( ١٣٤ ) ومما يدل على طول باع الفاضل وغزارة مادته انه لم يكن يكرر في رسائله ماسبق ان استعمله . فما « كرر دعاء ذكره في مكاتبتة . ولا ردّد لفظاً في مخاطبته . بل تأتي فصوله مبتكرة مبتدعة » ( ١٣٥ ) وللوقوف على طبيعة كتابته نأخذ جزءاً من رسالة كتبها عن السلطان صلاح الدين الى الخليفة المستضيء بأمر الله ببغداد يبشره فيها بفتح بلد من بلاد النوبة والنصرة عليها : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي

( ١٣٦ ) ديوان سبط ابن التعاويذي ص ١٩٤ .

( ١٣٧ ) قال ابن حجة . ان الفاضل هو الذي عصر سلالة التورية لأهل عصره . وتقدم على المتقدمين بما أودع منها في نظمه ونثره . فانه رحمه الله تعالى كلف بعد طول التعجب ستر حجابها . والنزل الناس بعد تمهيدها بمساحاتها ورحابها ( خزنة الآداب ص ٢٤١ ) .

( ١٣٨ ) ينظر . مرآة الزمان ٨ ، ٤٧٢ . أدب الحروب الصليبية ص ١٨٥ .

( ١٣٩ ) ينظر . الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والهام ص ٢٥٩ .

( ١٤٠ ) الروشتين ٢ : ٢٤٢ .

الصالحون. (١٣٦١) سلامٌ قولاً من ربِّ رحيم. (١٣٦٧) فروحٌ وريحانٌ وجنةٌ نعيم. (١٣٦٨)  
 وصلاةٌ يتبعها تسليم. وكأسٌ يمزجها تسنيم. وذكرٌ من الله سبحانه في الملأ الاعلى.  
 ورحمةُ الله وبركاته معلومةٌ من النشأة الاولى على مولانا الامام المستضيء بالله.  
 المستضاء بأنواره. المستضاف بداره. الداعي الى الحق والى طريق مستقيم. الراعى  
 للخلق كما يرعى النسيم النسيم. التأم عدله. المطروق مورّد فثائه. المصدق في مورد  
 ثنائه. المحقوق من كل ولي بولائه. ابن السادة الغر. والقادة الزهر. والذادة  
 الحمس. والشادة للحق على الاس. سقاة الكوثر وزمزم والسحاب. وولاة الموسم  
 والموقف والكتاب. والموصول الانساب يوم اذا نفخ في الصور فلا أنساب. والصابرون  
 على حساب انفسهم فهم الذين يؤتون اجرهم بغير حساب. (١٣٦٩)

ومن رسائله الاخوانية قوله من رسالة الى صديق يتشوق اليه: « نسال الله أن  
 يمن بقربه ورحاب الآمال فرائح. وركاب الهموم طلائح. والزمن المناظر بالقرب  
 سامح. هنالك تطلق أعنة الآمال الحوابس. ويهتز مخضراً من السعود عود  
 يابس»

وما أنا من أن يجمع الله شملنا بأحسن ما كنا عليه بآيس  
 وقد كان الواجب تقديم عتبه. على تأخير كتبه. ولكنه يخاف ان يجني ذنباً  
 عظيماً. ويؤلم قلباً كريماً.

ولست براض من خليل بنائلي قليل. ولا راض له بقليل  
 وحاشا جلاله من الاخلال بعهود الوفاء. ومن انحلال عقود الصفاء. وما عهدت  
 عزمة القوي في حلبة الشوق الا من الضعفاء. وحاشية خلقه الأرق من مدام غرماء  
 الجفاء.

( ١٣٧٠ )

من لم يبت والبين يصدع قلبه لم يدر كيف تقلقل الاحشاة

( ١٣٦٦ ) سورة الانبياء . الآية ١٠٥ .

( ١٣٦٧ ) سورة يس . الآية ٥٨ .

( ١٣٦٨ ) سورة الواقعة . الآية ٨٩ .

( ١٣٦٩ ) صبح الاعشى ١٦ : ٥٠٦ .

( ١٣٧٠ ) القاضي الفاضل ، دراسة ونماذج ص ١٢٨ .

## عماد الدين الاصبهاني الكاتب

٥١١ - ٥٩٧ هـ

شهدت مصر والشام في القرن السادس للهجرة صراعاً دامياً مع عدو غاشم استأثر باجزاء عزيزة من ديار المسلمين ولا سيما القدس الشريف . وقد هب الله لمقاتلة هذا العدو اللدود ابطالاً مناضلين عظام . ورجالاً مجاهدين كرام . من ابرزهم نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبي « وكان هذان المنقذان العظيمان عنوانين لذلك العصر في العلم والتقوى والسياسة العادلة وتديرير الملك والجهاد في سبيل الله والسعي في تحرير الوطن من المغيرين . ومن كان مثلهما في سمو الذات وجلال الصفات . كان خليقاً بان يختار رجاله من طراز ( العماد ) في الكفايات . ومقياس عقول الرجال والدول اختيارها اعوانها » ( ٣٣ ) .

لقد كان عماد الدين . الكاتب الامين للدولتين النورية والصلاحية . وسنين دوره في ظل هاتين الدولتين . وطبيعة كتاباته في تسجيل الاحداث الكبيرة في رسائل وكتب تعد من اصدق الوثائق عن الحروب مع الفرنج .

### سيرته :

هو ابو عبدالله محمد بن صفى الدين ابي الفرج محمد بن نفيس الدين ابي الرجاء حامد . المشهور بالعماد الاصبهاني ( ٣٣ ) . ولد باصبهان سنة ٥١٩ للهجرة . ونشأ بها . وتعلم مبادئ اللغة العربية وآدابها . وقدم بغداد مع ابيه . ثم دخل المدرسة « النظامية » . وانتظم في سلك تلامذتها . ليفترق من مناهل اساتذتها . وحينما تفتحت اكام غرسه . وتوسعت دائرة معارفه . بدأ في ارتياد المحافل العلمية . والمجالس الادبية . ومواجهة ارباب السيف والقلم . واول محفل حضره . وجاذب الحديث فيه . كان في مدينة الموصل . حين زارها - وهو في ايهاب الشباب - ومدح وزيرها بالكرم والسخاء جمال الدين ابا جعفر محمد بن علي الاصبهاني . وصرح

( ١٣٧١ ) كاتب الدولتين النورية والصلاحية ص ٢٤ | بحث للاستاذ محمد بهية الاثرى . مجلة

المجمع العلمي العراقي . الجزء الاول - المجلد الرابع لسنة ١٩٥٦ )

( ١١٧٢ ) معجم الادباء ١٧ ، ٨١ . الجامع المختصر ص ٩١ . وفيات الاعيان ٥ ، ٤٧ . الوافي

بالوفيات ١٠١ ، طبقات القافعية للسبكي ٩٧ ، ٢ .

بذلك : فقال : « وكنت انا في ذلك العهد ببغداد متفقها . واتفق حضوري بالموصل سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة . فحضرت عند جمال الدين بالجامع في جمعيتين . وتكلمت عنده مع الفقهاء في مسألتين . ومما مدحته به قصيدة . وذلك من اول نظمي - أولها :

أظنهم ، وقد عزموا ارتحالا      ثنوا عنا جمالاً لا جمالا ( ١٣٣ )

ثم عاد الى بغداد . ومنها الى أصبهان . قال : « ودخلت أصبهان في سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة في زي العلماء . وحضرت المحافل في مناظرة الفضلاء . ومناظرة الكبراء . ولقيت بها مشايخ اترعت حوض النجر من الفهم من بحرهم . واستسقيت روض الفضل من قطرهم » ( ١٣٤ )

وبعد مكوثه مدة قصيرة سافر الى الحجاز . وادى مناسك الحج . وعاد الى أصبهان فاخذ يستكمل مسيرته العلمية . وفي سنة ٥٤٩ للهجرة غادرها الى غير رجعة . واستقر في بغداد . وبدأ صعوده في سلم المجد والرفعة شاعراً وكاتباً له مكانته السامية ومنزلته العالية .

تولّى نيابة واسط والبصرة في وزارة عون الدين يحيى بن محمد بن هُبيرة . ولكنه هوى من منصبه اثر وفاة الوزير المذكور . وصدرت اوامر الخليفة المستنجد بالله باعتقاله . فبعث من سجنه الى عماد الدين بن الوزير عضد الدين محمد . وكان حينئذ أستاذ الدار - ( ١٣٧٠ ) قصيدة طويلة ( ٣٧١ ) يطلب فيها ان يشفع له عند الخليفة في فك وثاقه واطلاق سراحه . وتحقق ماأراد . فاقام في بغداد مدة - كما يقول ابن خلكان - في عيش منكدر . وجفن مُسهد ( ٣٧٧ ) . ولما ضاقت به الحال . وخشي ان يقع في مذلة السؤال . قرّر ان يشد الرحال صوب دمشق .

وصل العماد الى دمشق في شعبان سنة ٥٦٢ للهجرة . وسلطان الشام يومئذ الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي . فانزله قاضيه كمال الدين ابو الفضل محمد بن عبدالله الشهرزوري بالمدسة « النورية » التي سميت فيما بعد

( ١٣٧٢ ) تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٩٤ . وينظر ديوان عماد الدين الاصبهاني ص ٢٢٢

( ١٣٧٤ ) الخريدة ، المص المصم ، ص ٢٥٨

( ١٣٧٤ ) استاذ الدار ، هو متولي الاخذ ولقبه المال ( صبح الاعشى ، ص ٤٥٧ ) .

( ١٣٧٦ ) ينظر ديوان عماد الدين الاصبهاني ص ٦٦

( ١٣٧٧ ) وليات الاميان ، ص ١٤٨

بالمدرسة « العمادية » نسبة اليه . وقربه من نور الدين ، وعرفه به . وسمع  
قصيدته المدحية التي يقول في مطلعها : ( ١٣٧٨ )

لو حفظت يوم النوى عهدوها مامطلت بوصلكم وعودها

ونال اكرام نور الدين . وعين في دولته منشئاً الى جانب التدريس بالمدرسة التي  
نزل فيها . ثم اصبح مشرفاً على ديوان الانشاء مضافاً الى كتابة الانشاء .

عاش العماد في سعة من العيش ورغده . ولما توفي نور الدين سنة ٥٦٩ للهجرة .  
خبا نجمه . وبدأ حساده يضايقونه . قال : « ولما توفي نور الدين ، اختل امري ،  
واعتل سري . وفاض دمعى ، وغاض بحري . وعلت حسادي . وبلغ مرادهم  
اضدادي ( ١٣٧٩ ) »

واثر العماد السلامة . فقرر مبارحة دمشق الى بغداد . فأغذ السير . وحينما بلغ  
الموصل داهمه المرض . فاضطر ان يمكث فيها ثلاثة اشهر . قال : « اقمنا بالموصل  
ثلاثة اشهر ملازماً البيت . انتظر فرجاً . وأرتقب لقصد العرق منهجا » ( ١٣٨٠ ) . وفي  
ثناء ذلك جاءه البشير بسيطرة صلاح الدين على مقاليد الحكم . وكان قد تعرف  
عليه حينما كان يعمل في الدولة النورية . كما له سابق معرفة بابيه نجم الدين  
ايوب من تكريت . ففكر راجعاً الى الشام . والامل يحده في ان ينال مقاماً محموداً  
عنده . ويغبط حاسديه الذين حاربوه ونفصوا حياته .

لقد تحقق حلمه . ونال مبتغاه . اذ استطاع ان يلتقي بالسلطان صلاح الدين في  
مدينة حمص . وان ينشده قصيدته التي يقول في اولها : ( ١٣٨١ )

أجيران « جيرون » مالي مجيرُ سوى عطفكم . فاعدلوا او فجوروا

واصبح في الدولة الايوبية كاتباً للسر . ومسؤولاً عن ديوان الاستيفاء . وصحب  
صلاح الدين . وشهد اغلب الوقائع الحربية معه . وكتب كثيراً من الرسائل على  
لسانه . وتغنّى شعراً بمناقبه وبطولاته .

---

( ١٣٧٨ ) ديوان عماد الدين الاصبهاني ص ١٤٢

( ١٣٧٩ ) سنا البرق القاسمي ١٠٩٠١

( ١٣٨٠ ) الغريدة ، بداية شعراء القام . ص ٧٢

( ١٣٨١ ) الديوان ص ١٨٨

وبعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ للهجرة ضعفت مكانة العماد . وقلّت هيئته بين العباد . قال ابن خلكان ، « لم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة منزلته . الى ان توفي السلطان صلاح الدين . رحمه الله . فاختلت احواله . وتعطلت اوصاله . ولم يجد في وجهه بابا مفتوحاً . فلزم بيته . واقبل على الاشتغال بالتصانيف » ( ١٣٨٢ )

واشتغل العماد بالكتابة في دولة الملك الافضل علي بن صلاح الدين . ولكن سرعان ما طلب الاستعفاء . وانصرف الى التصنيف والتدريس والافادة حتى وافته منيته بدمشق يوم الاثنين مستهل شهر رمضان سنة ٥٩٧ للهجرة وهو في الثامنة والسبعين من العمر .

### مصنفاته :

كان العماد طالب علم ومعرفه طوال حياته . يقرأ . ويدرس . ويؤلف . الى جانب اشتغاله في مراكز الدولة المهمة . وكانت له قدرة كبيرة على الحفظ . قيل « انه كان يحفظ شعر البحري . ودواوين العرب المشهورة » ( ١٣٨٣ ) . ومصنفاته كثيرة وسأذكر ما وصل الينا منها . وهي :

١ - خريدة القصر وجريدة العصر ( ١٣٨١ )

٢ - الفتح القسي في الفتح القدسي ( ١٣٨٥ )

٣ - نصره الفترة وعصرة القطرة ( ١٣٨٦ ) :

٤ - البرق الشامي ( ١٣٨٧ )

---

( ١٣٨٢ ) وفيات الاعيان ، ١٥٢ ، ٨

( ١٣٨٢ ) مرآة الزمان ، ٨ ، ٥٥

( ١٣٨٤ ) وصل الينا هذا الكتاب كاملاً ، وهو القام . طبع منه قسم شمراء مصر ، وشمراء

القام . وشمراء العراق . وشمراء المغرب .

( ١٣٨٥ ) طبع مرات في اوربا والبلاد العربية .

( ١٣٨٦ ) منه نسخة في مكتبة بودليان باكسفورد رقم ٦٦٢ واخرى في المكتبة الوطنية ببهاريس

رقم ٢١٤٥ . لخصه الفتح بن علي البنداري سنة ٦٢٢ هـ ووصل الينا ، وله عدة طبعات

في اوربا والقاهرة وبيروت بعنوان « زبدة النصره ونخبة العصرة » او بعنوان

« تاريخ دولة ال سلجوقي » .

( ١٣٨٧ ) وهو في سبعة مجلدات . وصل الينا منه الجزءان الثالث والخامس . وهما في مكتبة

بودليان باكسفورد رقم ١١ ، ٤٢٥ ( في مكتبتني نسخة مصورة منها )

٥ - البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (١٣٨٨)

٦ - ديوان شعره (١٣٨٩)

٧ - رسائل متناثرة في الكتب التاريخية مثل البرق الشامي . والفتح القسي .  
والروضتين ، ومفرج الكروب في اخبار بني أيوب ...

### فنه الكتابي :

عاش العماد مع القرطاس والقلم . مُغرماً بهما ، وفيأ لهما . الى أن ادركته  
النية . وترك تراثاً ضخماً تجاوز خمسة وأربعين مجلداً (٣٠) . وقد بدا لنا من  
قراءة آثاره الباقية أنه كان ميالاً الى الاطالة والاستقصاء . والشرح والتفصيل .  
وتقليب المعنى على أوجهه المختلفة . واستدعت هذه الاطالة الى ايراد أكبر عدد  
من الألفاظ في الموضوع الواحد . وهي لاتتأني إلا لمن عرك اللغة . وسبر  
أغوارها . وخبر أسرارها . ودفعه الافراط في الاسترسال والتوسع الى الحشو  
والتكرار . واثيان المترادفات . والمشتقات ذات الأصل الواحد . والألفاظ النادرة .  
« فأثقل على قرائه . وشق عليهم في متابعة كلامه المطب الذي يوجب عليه أن  
يقتصد في الكلام على حسب ماتقتضيه طبيعة الحوادث والأخبار ليكون أقرب  
الى التاريخ منه الى الانشاء » (١٣٩١) .

ان كتاباته قائمة على السجع . والمجانسة . والمشاكلة . والتطبيق . والترصيع .  
والموازنة . والتعقيد ... وقلما نجد في اللغة العربية كتاباً في التاريخ يعتمد على  
المحسنات اللفظية والعنوية مثل كتاب العماد « الفتح القسي في الفتح القدسي » أو  
كتابه « البرق الشامي » أو مقدمات تراجمه للشعراء والكتاب في كتابه « خريدة  
القصر وجريدة العصر » .

كان العماد معجباً ايما إعجاب بالقاضي الفاضل زعيم الصنعة في القرن السادس  
للهجرة . اسمع مايقوله في رسالة بعث بها اليه يشكره فيها على اهدائه له سبع  
مجلدات من أشعار أهل المغرب ، « وأنا مورد رسالة جامعة مانعة . قد وقَّيتها حقها

---

( ١٣٨٨ ) نسخة منه في مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم ٢٩٥٩

( ١٣٨٩ ) اصل الديوان مفقود ، والمطبوع من صمني . جمعت مادته من كتب كثيرة مخطوطة  
ومطبوعة .

( ١٣٩٠ ) مقدمة كتاب سنا البرق الشامي ١٥٠١

( ١٣٩١ ) الأدب في ظل الدولة الزنكية ص ٢٥٥ .



من التجنيس . والتطبيق . والترصيع . والمقابلة . والموازنة . والتوشيع « (١٣٢) . وانظر الى ولعه بالصنعة في الأبيات الإتيية قالها حينما كان مع القاضي الفاضل في موكب السلطان صلاح الدين الأيوبي . وقد انتشر القبار بكثرة من سنانك خيول الفرسان : (١٣٢)

أما الفـقـبـارُ فأنـة      مما اثارته السـنـابـك  
والجـؤ منه مـظـلـم      لكن أنار به السـنـابـك  
يادهر لى عبد الرحىـ      سم فلست أخشى من نـابـك

إن الصنعة التي تكد الذهن وتتمب الفكر قد سادت في أسلوب العماد . مثل قوله في الرسالة الاتية التي كتبها الى القاضي الفاضل عندما حج سنة ٥٧٤ للهجرة : « طوبى للججر والخبجون من ذي الحجر والحجا . منيل الجدا . ومنير الدجى . ولندي الكعبة من كعبة الندى . وللهدايا المشعرات من مشعر الهدى وللمقام الكريم من مقام الكريم . ومن حاطم قفار القفز للخطيم . ومتى رؤي هرم في الحرم . وحاتم ماتح زمزم ؟ ومتى ركب البحر البحر . وسلك البر البر ؟ لقد عاد قس الى عكاظه . وعاد قيس لحفاظه . ويا عجباً لكعبة يقصدها كعبة الفضل والافضال . ولقبلة يستقبلها قبله القبول والاقبال والسلام » (١٣١) . إن هذا الاغراق في الصنعة كان محبباً عند العماد . ولاعجب حين يقول مُعقِباً على أبيات فيها جناس : « وأنا استحلي هذا النوع من التجنيس . واستعذبه . ويحسبه زلال الماء قلبي في الرقة والصفاء فيشربة ويشربة » (١٣٠) . ولكي يكون القاري على بينة أكثر من إنشاء العماد ، نأخذ جزءاً من الخطاب الذي كتبه عن صلاح الدين الى الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ينبئه بفتح القدس سنة ٥٨٣ للهجرة . ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ) (١٣١) الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد . على نصرته لهذا الذين الحنيف من قبل ومن بعد . وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على شبهها كرام الصحائف . ولم يجادل على مثلها في المواقف . في الايام الامامية الناصرية زادها الله غرراً وأوضاحاً . ووالى البشائر فيها بالفتوح غدواً ورواحاً . ومكن

( ١٢٩٢ ) الغريدة . قسم مصر . ١٠١ . ٤٤ .

( ١٢٩٢ ) ديوان حماد الدين الاصمعيلى ص ٣١ .

( ١٢٩٤ ) وفيات الأعيان ١٠٥ . ١٥١ .

( ١٢٩٥ ) الغريدة . قسم العراق . ١٠١ . ١٢٦ .

( ١٢٩٦ ) سورة الانبياء الآية ١٠٥ .

سَيُوفُهَا فِي كُلِّ مَازِقٍ، مِنْ كُلِّ كَافِرٍ وَمَارِقٍ، وَلَا أَخْلَاهَا مِنْ سِيرَةٍ سَرِيَّةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ مَصْلَحَةِ مَخْلُوقٍ وَطَاعَةِ خَالِقٍ، وَأَطَالَ أَيْدِي أَوْلِيَائِهَا لِتَحْمِي بِالْحَقِيقَةِ جَمِيعِ الْحَقَائِقِ، وَأَنْبَجَزَهَا الْحَقَّ وَقَدَفَ بِهِ عَلَى الْبَاطِلِ الزَّاهِقِ، وَمَلَكَهَا هَوَادِي الْمَغَارِبِ وَمِرَامِي الْمَشَارِقِ، وَلَا زَالَتْ آوَاؤُهَا فِي الظُّلُمَاتِ مَصَابِحَ وَسُيُوفُهَا لِلْبِلَادِ مِفَاتِحَ، وَأَطْرَافَ أَسْتَنْهَا لِدِمَاءِ الْإِعْدَاءِ نَوَازِحَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَصَرَ سُلْطَانَ الدِّيَّانِ الْعَزِيزِ وَأَيَّدَهُ، وَأَطْفَرَ جُنْدَهُ الْغَالِبِ وَأَنْجَدَهُ، وَجَلَا بِهِ جَلَالِيْبِ الظُّلُمَاءِ، وَجَدَّدَ جُدُّهُ وَجَعَلَ بَعْدَ غُسْرِ يُسْرَا، وَقَدْ أَحْدَثَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، وَهَوْنُ الْأَمْرِ الَّذِي مَا كَانَ الْإِسْلَامُ يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ صَبْرًا، وَخُوطِبَ الدِّينُ بِقَوْلِهِ، (وَلَقَدْ مَنَّنَا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى) (٣٧٧)

Y

فَالْأَوَّلَى عَصْرُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالصَّحَابَةُ، وَالْآخِرَى هَذِهِ الَّتِي عَتَقَ فِيهَا مِنْ رَقِّ الْكَأَبَةِ، فَهُوَ قَدْ أَصْبَحَ حُرًّا فَالزَّمَانُ كَهَيْئَتِهِ اسْتَدَارَ، وَالْحَقُّ بِمَهْجَتِهِ قَدْ اسْتَنَارَ، وَالْكَفَرُ قَدْ رُدَّ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْتَعَارِ، وَغَسَلَ ثَوْبُ اللَّيْلِ بِمَا فَجَّرَ الْفَجْرُ مِنْ أَنْهَارِ النَّهَارِ، وَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَ الْكُفْرِ مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَشَفَى غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ بِرِقَاقِ مَاءِ الْمَوْرِدَاتِ الْبَوَارِدِ، أَنْزَلَ مَلَائِكَةً لَمْ تَظْهَرِ لِلْعَيُونِ الْلَا حِظَّةَ، وَلَمْ تَخَفْ عَنِ الْقُلُوبِ الْحَافِظَةِ، غَزَتْ سِيْمَا الْإِسْلَامِ بِمَسْوَمِهَا، وَتَرَادَفَ نَصْرُهُ بِمَرْذَفِهَا، وَأَخَذَتْ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَتَرَى مَتَرَفِيهَا كَأَنَّ لَمْ تَتَوَفَّ فِيهَا، فَكَمْ أَقْدَمَ بِهَا حَيَزُومَ، وَرَكُضَ فَاتْبَعَهُ سَحَابٌ عَجَاجٍ مَرْكُومَ، وَضَرَبَ فَازَا ضَرْبُهُ كِتَابُ جِرَاحٍ مَرْقُومَ ... وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَادَ الْإِسْلَامَ جَدِيدًا ثَوْبَةً، بَعْدَ أَنْ كَانَ جَدِيدًا خَبْلَةً (٣٧٨)، مَبِيضًا نَصْرُهُ، مَخْضَرًا نَصْلُهُ، مَتَسَعًا فَضْلُهُ، مُجْتَمِعًا شَمْلُهُ، وَالْخَادِمُ يَشْرَحُ مِنْ نَبَأِ هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ، وَالنَّصْرِ الْكَرِيمِ، مَا يَشْرَحُ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَمْنَحُ الْحَبُورَ لِكَافَةِ الْمُسْلِمِينَ» (٣٧٩)

(١٣٩٦) سُورَةُ الْاَنْبِيَاءِ، آيَةُ ١٠٥.

(١٣٩٧) سُورَةُ طه آيَةُ ٣٧.

(١٣٩٨) جَدِيدًا، مَقْطُوعًا، قَالِ الْفَاهَرِ.

أَبَى حَبِي سَلَمَى أَنْ يَهْبِثَا وَأَمْسَى حَبْلُهَا خُلُقًا جَدِيدًا

(١٣٩٩) صَبَحَ الْأَعْمَى ٦، ٥١٧ - ٥٢٠.

هذه الرسالة تُظهر بوضوح طريقة العماد في الكتابة الفنية ، وقد لاحظنا استعانتها الكبيرة بالسجع والجناس وبالقرآن الكريم ، ولا يكاد يتخلص من هذه الطريقة في جميع كتاباته ، سواء كانت كتباً أم رسائل .

## الخاتمة

تحدثنا في هذا الكتاب عن الأدب - شعراً ونثراً - ابتداءً من قيام دولة بني العباس سنة ١٣٢ للهجرة الى زمن زوالها سنة ٦٥٦ للهجرة . ذلك الأدب الذي نما وتطور وارتقى وبلغ الغاية العظمى في عصر اختلطت فيه الثقافة العربية الأصلية بالثقافات الوافدة ، وامتزجت فيه العادات والتقاليد والقيم الموروثة بما عند الشعوب الاخرى .

لقد ارتقت الحياة العقلية والادبية في العصر العباسي ، وسمت جوانبها ، وأثمرت شجرة غرسها نتاجاً جنياً طيباً كثيراً ، أغنت المكتبة العربية بتراث قيم وثروة نفيسة من الكتب والمصنفات في مختلف جوانب المعرفة لانتزال الى وقتنا الحاضر تعدد المصادر الرئيسة للباحثين والدارسين ، تلك الثروة الغالية التي حمل لواءها وتضافر على نمائها أعلام نابهون ومفكرون نابغون من نحاة ، ولغويين وعروضيين ومحدثين ومفسرين ، ومقرئين ، ومتكلمين ورجال أدب ، وبلاغة وتاريخ وجغرافية ، وفلسفة ومنطق ، وطب ، وفلك ، ورياضة ، وموسيقى ... وقد سلطنا الضوء في هذا الكتاب على فريق من هؤلاء الرواد في مجالي الشعر والنثر ، وأظهرنا مكانتهم في مسيرة الحركة الفكرية المتوهجة ، ومنزلتهم في الابداع والتوليد في ميدان الرقي الحضاري .

وتجدر الإشارة الى أن العلم والأدب - كما لاحظنا - بقيا في تألقهما في العصر العباسي الثاني حينما تحولت الديار الاسلامية خارج حكم الخلفاء العباسيين الى امارات تتنازعها ملوك وأمراء من عرب وأعاجم ، ونستطيع القول إن المدارس والمجالس الأدبية والعلمية كثرت وتوسعت في ظل هذه الامارات وأصبحت تزدهو بالرواد من أرباب القلم . وحسب القاريء الأسفار الكثيرة التي تناولت تراجم النابهين من الشعراء والكتاب آنذاك ، مثل يتيمة الدهر للثعالبي ، ودمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي ، وخريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الاصبهاني الكاتب وعقود الجمان لابن الشعار الموصلي ...

إن العصر العباسي سيبقى في الذاكرة بأنه من أزهى العصور التي مضت في المدينة والتقدم الفكري ، والصفحات الماضية ماهي الا ومضات عن هذا العصر الطويل الذي لا يدرك القاريء ساحله في عجالة ووقت قصير ، ولعله يستكمل معرفته عنه بالعودة الى المصادر والمراجع التي ألفت عنه ، والله الموفق ، والهادي الى سواء السبيل .



## المصادر والمراجع

- ١ - ابن الرومي ، حياته من شعره ، عباس محمود العقاد . دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٨ .
- ٢ - ابن الرومي ، حياته وشعره ، روفون جست . ترجمة الدكتور حسين نصار دار الثقافة - بيروت .
- ٣ - ابن الرومي في الصورة والوجود ، د . علي شلق . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٢ .
- ٤ - ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، د . سعد شلبي ، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٧٧ .
- ٥ - ابن وكيع التنسي ، شاعر الزهر والخمر ، د . حسين نصار . دار مصر للطباعة - القاهرة ١٩٥٣ .
- ٦ - أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله ، د . عمر فروخ . المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت ١٩٦٤ .
- ٧ - أبو حيان التوحيدي ، د . ابراهيم الكيلاني . مط دار المعارف - القاهرة د . ت .
- ٨ - أبو حيان التوحيدي ، د . أحمد محمد الحوفي . مط الرسالة - القاهرة ١٩٥٧ .
- ٩ - أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ، د . زكريا ابراهيم . الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة د . ت .
- ١٠ - أبو حيان التوحيدي ، سيرته وآثاره ، د . عبد الرزاق محيي الدين . المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٧٩ .
- ١١ - أبو دلالة الرجل الشاعر والناقد الساخر ، علي عبد عيدان الخزاعي . مط الآداب - النجف ١٩٦٥ .
- ١٢ - أبو الطيب ماله وما عليه ، أبو منصور الثعالبي . تح ، محمد محيي الدين عبد الحميد . مط حجازي القاهرة د . ت .
- ١٣ - أبو الطيب المتنبي ، محمد كمال حلمي . مط الشباب ١٩٣١ .
- ١٤ - أبو العتاهية ، محمد أحمد برانق . ط القاهرة ١٩٤٧ .
- ١٥ - أبو العتاهية حياته وشعره ، د . محمد محمود الدش . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٨ .
- ١٦ - أبو فراس الحمداني ، حياته وشعره ، د . عبد الجليل حسن عبد المهدي . مكتبة الأقصى - عمان ١٩٧١ .

- ١٧ - أبو فراس الحمداني ، الموقف والتشكيل والجمال : د . النعمان القاضي . دار التوفيق النموذجية للطباعة - القاهرة ١٩٨٢ .
- ١٨ - أبو نواس زعيم شعراء الخمرة : جورج غريب . دار الاندلس - بيروت ١٩٦١ .
- ١٩ - أبو نواس في تاريخه وشعره ومبازله وعبثه ومجونته : ابن منظور . قدم له عمر أبو النصر . مكتب التأليف والترجمة والنشر - بيروت ١٩٦٩ .
- ٢٠ - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري . د . نبيل خليل أبو حاتم . دار الثقافة بيروت ١٩٨٥ .
- ٢١ - اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري : يوسف حسين بكار . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ .
- ٢٢ - احياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي . ط مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة .
- ٢٣ - أخبار أبي تمام : أبو بكر الصولي . ط لجنة التأليف والترجمة - القاهرة ١٩٣٧ .
- ٢٤ - أخبار الدولة العباسية : لمؤلف مجهول . تح : د . عبد العزيز الدوري . د . عبد الجبار المطلبي دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧١ .
- ٢٥ - أخبار الرازي بالله والمتقي لله ( كتاب الأوراق ) : أبو بكر الصولي . دار المسيرة - بيروت ١٩٧٩ .
- ٢٦ - أخبار الشعراء المحدثين ( كتاب الاوراق ) : أبو بكر الصولي . دار المسيرة بيروت ١٩٧٩ .
- ٢٧ - الأخبار الطوال : أبو حنيفة الدينوري . تح : عبد المنعم عامر . القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢٨ - الأخطل الكبير ، حياته وشخصيته وقيمه الفنية : د . فخر الدين قباوة . دار الافاق الجديدة - بيروت ١٩٧٦ .
- ٢٩ - أدباء حليون : د . جواد علوش . دار منشورات عويدات - بيروت ١٩٧٨ .
- ٣٠ - الأدباء العشر : أسعد طلس ، ابراهيم الكيلاني . مط الشباب - دمشق ١٩٤٠ .
- ٣١ - أدب الحروب الصليبية : د . عبد اللطيف حمزة . دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٤٩ .
- ٣٢ - الادب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري : د . على صافي حسين . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ .
- ٣٣ - الأدب العربي في اقليم خوارزم : هند حسين طه . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦ .

- ٣٤ - الأدب العربي في مصر من الفتح الى نهاية العصر الايوبي . محمود مصطفى . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ .
- ٣٥ - الأدب في ظل بني بويه ، د . محمود غناوي الزهيرى . مط الأمانة - القاهرة ١٩٤٩ .
- ٣٦ - الأدب في ظل الدولة الزنكية ، عبد الوهاب محمد على العدوانى . رسالة ماجستير مكتومة على آلة الرونيو بغداد ١٩٦٧ .
- ٣٧ - الأدب في العصر الايوبي ، د . محمد زغلول سلام . مط دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ .
- ٣٨ - أدب الكاتب ، ابن قتيبة تح محمد محيى الدين عبد الحميد . مط السعادة - القاهرة ١٩٦٣ .
- ٣٩ - أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين ، د . محمد محمد حسنى مط دار المعارف الاسكندرية ١٩٦٠ .
- ٤٠ - أسطورة الزهد عند أبى العتاهية ، د . محمد عبد العزيز الكفراوي . دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة ١٩٧٢ .
- ٤١ - الاشارات الالهية ، أبو حيان التوحيدي . ت : عبد الرحمن بدوي . مط جامعة فؤاد الأول . القاهرة ١٩٥٠ .
- ٤٢ - أشجع السلمي ، حياته وشعره ، د . خليل بنيان الحسون . دار المسيرة - بيروت ١٩٨١ .
- ٤٣ - أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ( كتاب الاوراق ) ، أبو بكر الصولى . دار المسيرة - بيروت ١٩٧٩ .
- ٤٤ - أعلام الكلام ، ابن شرف القيروانى . مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٢٦ .
- ٤٥ - اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، محمد بن راغب الطباخ . المط العلمية - حلب ١٩٢٤ .
- ٤٦ - اعيان الشيعة ، محسن الأمين . مط الترقى - دمشق ١٩٤٦ .
- ٤٧ - الأغاني ، أبو الفرج الأصبهاني . مط دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٧ .
- ٤٨ - الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضى ، عزيز السيد جاسم . مط دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٧ .
- ٤٩ - أمالى المرتضى : تح : محمد أبو الفضل ابراهيم . دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ .
- ٥٠ - الامتاع والمؤانسة ، ابو حيان التوحيدي . تح : أحمد أمين ، وأحمد الزيني . مط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٣٩ .



- ٥١ - أمراء البيان ، محمد كرد علي . مطابع دار الكتب - بيروت ١٩٦٩ .
- ٥٢ - إنباء الرواة ، علي بن يوسف القفطى . تج : محمد أبو الفضل إبراهيم . مط  
دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥٥ .
- ٥٣ - الأندية الأدبية في العصر العباسي ، علي محمد هاشم . دار الآفاق الجديدة -  
بيروت ١٩٧٨ .
- ٥٤ - الانصاف والتحري ، ابن العديم . ضمن كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء .  
الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٥٥ - أوج التحري عن حيثة أبي العلاء المعري ، يوسف البديمي . د : إبراهيم  
الكيلاني . مط الترقى - دمشق ١٩٤٤ .
- ٥٦ - البحري بين نقاد عصره ، صالح حسن اليزبي . دار الأندلس - بيروت  
١٩٨٢ .
- ٥٧ - البحري في سامراء ، يونس أحمد السامرائي . مط الارشاد - بغداد ١٩٧٠ .
- ٥٨ - البخلاء ، الجاحظ / مط فتي العرب - دمشق ١٩٦٣ .
- ٥٩ - بدائع الزهور في وقائع الدهور ، محمد بن أحمد بن إياس . المط الكبرى  
الأميرية - القاهرة ١٣١١ هـ .
- ٦٠ - بديع الزمان الهمداني ، مارون عبود . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣ .
- ٦١ - بديع الزمان الهمداني ، د . مصطفى الشكعة . دار الرائد العربي - بيروت  
١٩٧١ .
- ٦٢ - بديعيات الزمان ، فكتور الكك . المط الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠ .
- ٦٣ - البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي - دمشق ١٩٦٤ - ١٩٦٦ .
- ٦٤ - بغداد مدينة السلام ، ابن الفقيه الهمداني . دار الطليعة للطباعة والنشر .  
باريس ١٩٧٧ .
- ٦٥ - بغية الوعاة ، جلال الدين السيوطي . تج : محمد أبو الفضل إبراهيم . مط  
عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٤ .
- ٦٦ - البيان والتبيين ، الجاحظ ، تج : عبد السلام هرون . مط لجنة التأليف  
والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٦٧ - تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان . دار الهلال - القاهرة د . ت .
- ٦٨ - تاريخ الأدب الأندلسي . عصر الطوائف والمراطين ، د احسان عباس . مط دار  
الثقافة - بيروت ١٩٧١ .
- ٦٩ - تاريخ الأدب العربي ، د . شوقي ضيف العصر العباسي الأول ١٩٦٦ . العصر  
العباسي الثاني ١٩٧٥ . عصر الدول والامارات ١٩٨٠ . مطابع دار المعارف  
بمصر .

- ٧٠ - تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان . ترجمة د . رمضان عبد التواب . ج ٥ . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٥ .
- ٧١ - تاريخ اربل ، ابن المستوفي . تح : سامي الصقار . المركز العربي للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٠
- ٧٢ - تاريخ بغداد ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي . مط السعادة - القاهرة ١٩٣١ .
- ٧٣ - تاريخ الخلفاء ، أبو ال الدين السيوطي . تح : محمد محيي الدين عبد الحميد . مط منير - بغداد ١٩٨٣ .
- ٧٤ - تاريخ دول الاسلام ، الذهبي . ط حيدر اباد ١٣٣٣ هـ .
- ٧٥ - تاريخ دولة آل سلجوق ، الفتح بن علي البنداري . دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٨٠ .
- ٧٦ - تاريخ الرسل والملوك ، الطبري . تح : محمد أبو الفضل ابراهيم . مط دار المعارف - القاهرة .
- ٧٧ - تاريخ الشعر العربي ، د . محمد عبد العزيز الكفراوي . مط نهضة مصر - القاهرة ١٩٦٧ .
- ٧٨ - تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، نجيب محمد البهيتي . مط السنة المحمدية - القاهرة ١٩٦١ .
- ٧٩ - تاريخ متصوفة بغداد ، جميل ابراهيم حبيب . مط أسعد - بغداد ١٩٨٨ .
- ٨٠ - تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة . مط كردستان العلمية - القاهرة ١٣٢٦ هـ .
- ٨١ - تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة . تح : سيد صقر . دار التراث ١٩٧٣ .
- ٨٢ - تنمة المختصر في اخبار البشر ، زين الدين عمر بن الوردي . مط دار المعرفة - بيروت ١٩٧٠
- ٨٣ - تنمة . يتيمة الدهر ، أبو منصور الثعالبي . نشر عباس إقبال - طهران ١٣٥٣ هـ .
- ٨٤ - تجارب الأمم ، أبو علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه . مط شركة التمدن الصناعية - القاهرة ١٩١٤ .
- ٨٥ - تحفة الألباب وبغية الطلاب ، محمد بن أبي بكر عثمان المعروف بالسخاوي المصري . ط القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- ٨٦ - ترجمان الأشواق ، محيي الدين بن عربي . مط دار صادر - بيروت ١٩٦٦ .

- ٨٧ - تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي : أنيس المقدسي . دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٤ .
- ٨٨ - تطور الخمریات في الشعر العربي من الجاهلية الى أبي نواس : د . جميل سعيد . مط الاعتماد - القاهرة ١٩٤٥ .
- ٨٩ - التطور والتجديد في الشعر الأموي : د . شوقي ضيف . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٩٠ - تعريف القدماء بأبي العلاء : الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٩١ - تفسير سورة الاخلاص : ابن تيمية . المط النيرية - القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- ٩٢ - تهذيب التاريخ الكبير : ابن عساكر ، تصحيح عبدالقادر بدران . مط روضة الشام ١٣٣٠ هـ .
- ٩٣ - التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الأول : د . مجاهد مصطفى بهجت . منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بغداد ١٩٨٢ .
- ٩٤ - ثمرات الأوراق : ابن حجة الحموي . تح : محمد أبو الفضل ابراهيم . مط السنة المحمدية - القاهرة ١٩٧١ .
- ٩٥ - الجاحظ ، حياته وآثاره : د . طه الحاجري . مط دار المطارف - القاهرة ١٩٦٣ .
- ٩٦ - الجاحظ في حياته وأدبه وفكره ، جميل جبر - بيروت ١٩٥٩ .
- ٩٧ - الجامع الكبير ، ضياء الدين ابن الأثير . تح : د . مصطفى جواد ، د . جميل سعيد . مط المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٥٦ .
- ٩٨ - الجامع المختصر ، ابن الساعي . تح : د . مصطفى جواد . المط السريانية الكاثوليكية - بغداد ١٩٣٤ .
- ٩٩ - جحظة البرمكي الأديب الشاعر : د . مزهر السوداني . مط النعمان - النجف ١٩٧٧ .
- ١٠٠ - جمع الجواهر ، أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري . تح : علي محمد البجاوي . دار احياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٣ .
- ١٠١ - جهرة رسائل العرب : أحمد زكي صفوت . مط مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٣٧ .
- ١٠٢ - الجواري والشعر في العصر العباسي الأول : د . سهام عبدالوهاب فريح . شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٨١ .
- ١٠٣ - حديث الأربعاء : د . طه حسين . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٠ .

- ١٠٤ - الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام : د . محمود الربدادي . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت د . ت .
- ١٠٥ - الحسن بن أسد الفارقي في حياته والصباة من شعره : جمع وتحقيق هلال ناجي . مطابع اليمامة - الرياض ١٦٧٨ .
- ١٠٦ - حسن المحاضرة : جلال الدين السيوطي ، مط عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٨ .
- ١٠٧ - الحسين بن الضحاك ، حياته وشعره : د . شوقي رياض أحمد . الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة ١٩٧٢ .
- ١٠٨ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، آدم متز . ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة . مط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٧ .
- ١٠٩ - الحكاية الشعبية : د . عبد الحميد يونس . دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد د . ت .
- ١١٠ - العلاج موضوعاً ، د . كامل مصطفى الشبيبي . مط المعارف - بغداد ١٩٧٦ .
- ١١١ - حلية الأولياء ، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله . مط السعادة - مصر ١٣٥١ هـ .
- ١١٢ - الحماسة في شعر الشريف الرضي : محمد جميل شلش . مط وأفست الشرق - بغداد ١٩٧٤ .
- ١١٣ - الحياة الأدبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، د . أحمد كمال زكي . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ .
- ١١٤ - الحياة الأدبية في الشام : د . عبد الجليل حسن عبد المهدي . مكتبة الأتقي - عمان ١٩٧٧ .
- ١١٥ - الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، د . أحمد أحمد بدوي . مط نهضة مصر ١٩٥٤ .
- ١١٦ - حياة البحري وفنه : د . أحمد أحمد بدوي . مط لجنة البيان العربي - القاهرة ١٩٥٥ .
- ١١٧ - حياة الحيوان الكبرى : أبو البقاء محمد بن موسى الدمي . مط حجازي - القاهرة .
- ١١٨ - حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني الهجري : د . يوسف خليف . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٨ .
- ١١٩ - الحيوان : الجاحظ . تح : عبدالسلام هارون . مط مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر ١٩٣٨ .

- ١٢٠ - خاص الخاص ، أبو منصور الثعالبي . قدم له حسن الأمير . منشورات دار مكتبة الحياة د . ت .
- ١٢١ - خريدة القصر وجريدة العصر ، عماد الدين الأصبهاني . شعراء الشام . تح : د . شكري فيصل . المط الهاشمية - دمشق ١٩٥٥ - ١٩٦٧ . شعراء مصر . تح : أحمد أمين . وشوقي ضيف . واحسان عباس . مط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥١ . شعراء العراق : تح : محمد بهجة الأثري . ج ١ ، ٢ مط المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥ . ١٩٦٤ . ج ٣ ، ٤ مط الحكومة - بغداد ١٩٧٣ - ١٩٧٦ .
- ١٢٢ - خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي المط الخيرية - القاهرة ١٣٠٤ هـ .
- ١٢٣ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبدالقادر بن عمر البغدادي . مط بولاق - مصر ١٢٩٩ هـ .
- ١٢٤ - الخطط المقرزية ، أحمد بن علي المعروف بالمقرزي . مط النيل - مصر ١٣٢٤ هـ .
- ١٢٥ - الخلافة والدولة في العصر العباسي ، د . محمد حلمي محمد أحمد . مط الرسالة - القاهرة ١٩٥٩ .
- ١٢٦ - دائرة المعارف الاسلامية : ترجمة محمد ثابت الفندي ، وأحمد الشنتاوي ، وابراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس - القاهرة ١٩٣٧ - ١٩٦٧ .
- ١٢٧ - دار السلام في حياة أبي العلاء ، د . عائشة عبدالرحمن . دار الجمهورية للطباعة - بغداد ١٩٦٤ .
- ١٢٨ - الدارس في تاريخ المدارس ، عبدالقادر بن محمد النعمي . تح : جعفر الحسني . مط الترقى - دمشق ١٩٤٨ .
- ١٢٩ - دراسات في الأدب الاسلامي ، محمد خلف الله . لجنة التأليف والترجمة - القاهرة ١٩٤٧ .
- ١٣٠ - دراسات في الأدب العربي ، انعام الجندي . دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٧ .
- ١٣١ - دراسات في الأدب العربي ، العصر العباسي ، محمد زغلول سلام . مط التقدم - الاسكندرية د . ت .
- ١٣٢ - دراسات في النص الشعري ، العصر العباسي ، د . عبده بدوي . مط قاصد خير - القاهرة ١٩٧٧ .

- ١٣٣ - الدرر الغوالي من أشعار الامام الغزالي : جمع جميل ابراهيم حبيب . مط  
عصام - بغداد ١٩٨٥ .
- ١٣٤ - دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى نهاية مملكة غرناطة ، محمد عبدالله  
عنان . مط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٣ .
- ١٣٥ - الديارات ، أبو الحسن الشابستي . تح ، كوركيس عواد . مط المعارف -  
بغداد ١٩٦٦ .
- ١٣٦ - ديوان ابن أبي حصينة : شرح أبي العلاء المعري . تح ، د . محمد سعد  
طلس . المط الهاشمية - دمشق ١٩٥٧ .
- ١٣٧ - ديوان ابن حيوس ، تح ، خليل مردم . مط دار صادر - بيروت ١٩٨٤ .
- ١٣٨ - ديوان ابن الغياط ، تح ، خليل مردم . المط الهاشمية - دمشق ١٩٥٨ .
- ١٣٩ - ديوان ابن الرومي ، تح ، د . حسين نصار مط دار الكتب - القاهرة ١٩٧٣ -  
١٩٨١
- ١٤٠ - ديوان ابن سنان الخفاجي ، المط الاندلسية بيروت ١٣٠٨ هـ .
- ١٤١ - ديوان ابن الظهير الاربلي ، تح ، د . ناظم رشيد . مط جامعة الموصل ١٩٨٨
- ١٤٢ - ديوان ابن عنين ، تح ، خليل مردم . مط دمشق ١٩٤٦ .
- ١٤٣ - ديوان ابن الفارض ، مط دار صادر - بيروت ١٩٦٢ .
- ١٤٤ - ديوان ابن بُبَاة السعدي ، تح ، عبدالأمير مهدي حبيب الطائي . دار  
الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٧ .
- ١٤٥ - ديوان أبي بكر الشبلي ، تح ، د . كامل مصطفى الشبيبي . مط دار  
التضامن - بغداد ١٩٦٧ .
- ١٤٦ - ديوان أبي تمام ، تح . محمد عبده عزام . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ .
- ١٤٧ - ديوان أبي الحسن التهامي ، منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ١٩٦٤ .
- ١٤٨ - ديوان أبي العتاهية ، مط دار صادر - بيروت د . ت .
- ١٤٩ - ديوان أبي فراس الحمداني ، مط دار صادر . بيروت د . ت .
- ١٥٠ - ديوان أبي نواس ، تح ، أحمد عبدالمجيد الغزالي . مط مصر - القاهرة ١٩٥٣ .
- ١٥١ - ديوان أبي الهندي ، تح ، عبدالله الجبوري . مط النعمان ١٩٧٠ .
- ١٥٢ - ديوان ابراهيم بن هرمة ، تح ، محمد جبار المعيد . مط الآداب - النجف  
١٩٦٩
- ١٥٣ - ديوان الأبله البغدادي ، تح ، سعاد جاسم محمد ، رسالة ماجستير . كلية  
الآداب - جامعة الموصل ١٩٨٥ .

- ١٥٤ - ديوان الأبيوردي : تح : د . عمر الأسعد . ج ٢ . مط زيد بن ثابت - دمشق ١٩٧٥ .
- ١٥٥ - ديوان الأرجاني : تح : د . محمد قاسم مصطفى . مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٩ - ١٩٨١ .
- ١٥٦ - ديوان اسحاق الموصلي : تح : ماجد أحمد العزي . مط الايمان - بغداد ١٩٧٠ .
- ١٥٧ - ديوان الأعشى الكبير : تح : محمد حسين . المط النموزجية - القاهرة ١٩٥٠ .
- ١٥٨ - ديوان الباخرزي : أبي الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب . تح : محمد قاسم مصطفى . رسالة ماجستير . كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٠ .
- ١٥٩ - ديوان البهتري : تح : حسن كامل الصيرفي - مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣ .
- ١٦٠ - ديوان بديع الزمان الهمداني : نشره محمد شكري المكي - مصر ١٩٠٣ .
- ١٦١ - ديوان بشار بن برد : تح : الطاهر بن عاشور - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥٤ .
- ١٦٢ - ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : تح : محمد حسن الأعظمي . دار الثقافة - بيروت ١٩٧٠ .
- ١٦٣ - ديوان جميل بثينة : تح : فوزي عطوي . الشركة اللبنانية للكتاب - بيروت <sup>استرد</sup> ١٩٦٠ .
- ١٦٤ - ديوان الحاجري : حسام الدين عيسى بن سنجر . تح : صاحب شنون ياسين الزيدي . رسالة ماجستير - جامعة بغداد ، كلية الآداب ١٩٨٨ .
- ١٦٥ - ديوان العلاج : الحسين بن منصور . تح : د . كامل مصطفى الشبيبي . مط المعارف - بغداد ١٩٧٤ .
- ١٦٦ - ديوان حيص بيص : شهاب الدين سعد بن محمد . تح : مكّي السيد جاسم وشاكر هادي شكر - دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٤ .
- ١٦٧ - ديوان خالد الكاتب : تح : د . يونس أحمد السامرائي . مط الرسالة - بغداد ١٩٨١ .
- ١٦٨ - ديوان الخريمي : أبو يعقوب اسحاق بن حسان . تح : د . علي جواد الطاهر . ومحمد جبار المعيد . مط دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧١ .
- ١٦٩ - ديوان دعل بن علي الخزاعي : تح : د . محمد يوسف نجم . دار الثقافة - بيروت ١٩٦٢ .

- ١٧٠ - ديوان ديك الجن ، تح ، د . أحمد مطلوب . وعبدالله الجبوري . دار الثقافة - بيروت ١٩٦٤ .
- ١٧١ - ديوان سبط ابن التعاويذي ، تح ، مرجليوث . مط المقتطف - مصر ١٩٠٣ .
- ١٧٢ - ديوان الشريف الرضي مط دار صادر - بيروت ١٩٦١ .
- ١٧٣ - ديوان الصنوبري ، تح ، د . احسان عباس دار الثقافة - بيروت ١٩٧٠ .
- ١٧٤ - ديوان الطغرائي ، تح ، د . علي جواد الطاهر . د . يحيى الجبوري . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦ .
- ١٧٥ - ديوان طلائع بن رزيك ، تح ، محمد هادي الأميني . مط النعمان - النجف ١٩٦٤ .
- ١٧٦ - ديوان العباس بن الأحنف ، مط دار صادر - بيروت ١٩٦٥ .
- ١٧٧ - ديوان عرقلة الكلبي ، تح ، أحمد الجندي . مط دار الحياة - دمشق ١٩٧٠ .
- ١٧٨ - ديوان علي بن الجهم ، تح ، خليل مردم . لجنة التراث العربي - بيروت د . ت .
- ١٧٩ - ديوان عماد الدين الأصبهاني ، تح ، د . ناظم رشيد . مط جامعة الموصل ١٩٨٣ .
- ١٨٠ - ديوان فتيان الشاغوري ، تح ، أحمد الجندي . المط الهاشمية - دمشق ١٩٦٧ .
- ١٨١ - ديوان القاضي الفاضل ، تح ، د . أحمد أحمد بدوي . وابراهيم الأبياري . مط دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٦١ .
- ١٨٢ - ديوان القطامي ، تح ، د . ابراهيم السامرائي ود . أحمد مطلوب . ط بيروت ١٩٦٠ .
- ١٨٣ - ديوان كشاجم ، أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم . تح ، خيرية محمد محفوظ - مط الجمهورية - بغداد ١٩٧٠ .
- ١٨٤ - ديوان لقيط بن يعمر الايادي ، تح ، خليل ابراهيم العطية . مط الجمهورية بغداد ١٩٧٠ .
- ١٨٥ - ديوان محمود الوراق ، تح ، راغب العبيدي . ط دار البصري - بغداد ١٩٦٩ .
- ١٨٦ - ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري . مط القدس - القاهرة ١٣٥٢ هـ .
- ١٨٧ - ديوان الملك الأمجد ، مجد الدين الأيوبي . تح ، د . ناظم رشيد . مط وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بغداد ١٩٨٣ .



- ١٨٨ - ديوان النابغة الذبياني ، صنعة ابن السكيك . تح : د . شكري فيصل . دار الفكر - بيروت ١٩٦٨ .
- ١٨٩ - ديوان النشابي : مجدالدين أسعد ابراهيم الاربلي . تح : عبدالله محمود طه رسالة ماجستير . جامعة الموصل - كلية الاداب ١٩٨٥ .
- ١٩٠ - ديوان الوزير محمد بن عبدالملك الزيات : تح : د . جميل سعيد . مط نهضة مصر - القاهرة ١٩٤٩ .
- ١٩١ - ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ، د . عبدالوهاب عزام . مط الجزيرة - بغداد ١٩٣٦ .
- ١٩٢ - ذيل طبقات الحنابلة : ابن رجب . مط السنة المحمدية - مصر ١٩٥٢ .
- ١٩٣ - رأي في المقامة : عبدالرحمن ياغي . مط قدموس الجديدة - بيروت ١٩٦٩ .
- ١٩٤ - الرثاء : د . شوقي ضيف . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٥٥ .
- ١٩٥ - رسائل البلغاء ، محمد كرد علي . ط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٦ .
- ١٩٦ - رسائل الجاحظ : تح : عبدالسلام محمد هارون . مط السنة المحمدية - القاهرة ١٩٦٤ .
- ١٩٧ - رسائل أبي العلاء المعري : تح : عبدالكريم خليفة . منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر - عمان ١٩٧٦ .
- ١٩٨ - رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمداني : مط هندية - مصر ١٨٩٨ .
- ١٩٩ - رسالة الصداقة والصديق : أبو حيان التوحيدي . تح : د . ابراهيم الكيلاني . دار الفكر - دمشق ١٩٦٤ .
- ٢٠٠ - رسالة الغفران ، أبو العلاء المعري : تح : د . عائشة عبدالرحمن . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ .
- ٢٠١ - الرمز عند الصوفية : د . عاطف جودة نصر . دار الاندلس - بيروت ١٩٧٨ .
- ٢٠٢ - الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، أبو شامة المقدسي . مط وادي النيل - القاهرة ١٢٨٨ هـ .
- ٢٠٣ - زبدة الحلب من تاريخ حلب : ابن العديم . تح : د . ساهي الدهان . المط الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٨ .
- ٢٠٤ - زهر الآداب ، أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري . تح : علي محمد البجاوي . مط عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٣ .

- ٢٠٥ - سبط ابن التعاويذي : نوري شاعر الآلوسي . مط الأزهر - بغداد ١٩٧٥ .
- ٢٠٦ - سبط ابن التعاويذي : يوسف يعقوب مسكوني . مط شفيق - بغداد ١٩٥٩ .
- ٢٠٧ - سرح الميرون في شرح رسالة ابن زيدون : ابن نباتة المصري . تح : محمد أبو الفضل ابراهيم . مط المدني - القاهرة ١٩٦٤ .
- ٢٠٨ - سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي . مط محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة ١٩٦٩ .
- ٢٠٩ - السري الرفاء : د . حبيب حسين الحسني . مط دار السلام - بغداد ١٩٧٧ .
- ٢١٠ - السري الرفاء : يوسف أمين قصير . مط الشباب - بغداد ١٩٥٦ .
- ٢١١ - سقط الزند : أبو العلاء المعري - مط دار صادر - بيروت ١٩٦٣ .
- ٢١٢ - السمو الروحي في الادب الصوفي : احمد عبد المنعم الحلواني . مط مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٤٩ .
- ٢١٣ - سنا البرق الشامي : الفتح بن علي البنداري . تح : د . رمضان ششن . مط دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧١ .
- ٢١٤ - السهروردي : سامي الكيالي . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٦ .
- ٢١٥ - سيف الدولة الحمداني او مملكة السيف ودولة الاقلام : د . مصطفى الشكعة . عالم الكتب - بيروت ١٩٧٧ .
- ٢١٦ - شاعر بني حمدان : د . احمد احمد بدوي . مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٥٢ .
- ٢١٧ - شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلي . نشر مكتبة القدسي - القاهرة ١٣٥١ هـ .
- ٢١٨ - شرح ديوان الحماسة : المرزوقي تح : أحمد أمين . وعبدالسلام هارون . مط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ .
- ٢١٩ - شرح ديوان صريع الغواني : تح : د . سامي الدهان . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٠ .
- ٢٢٠ - شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري : تح : د . احسان عباس . مط حكومة الكويت ١٩٦٢ .
- ٢٢١ - شرح ديوان المتنبي : عبدالرحمن البرقوقي . المط الرحمانية - مصر ١٩٣٠ .
- ٢٢٢ - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد . تح : محمد أبو الفضل ابراهيم . مط مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٠ .

- ٢٢٣ - الشريف الرضي ، د . احسان عباس . مط دار صادر - بيروت ١٩٥٩ .
- ٢٢٤ - الشريف الرضي ، وجهوده النحوية ، د . حازم سليمان الحلبي . دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٦ .
- ٢٢٥ - الشريف الرضي ، محمد عبدالغني حسن . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٠ .
- ٢٢٦ - الشريف الرضي . دراسات في ذاكره الالفية ، تأليف مجموعة اساتذة دار آفاق عربية للصحافة والنشر - بغداد ١٩٨٥ .
- ٢٢٧ - شعراء عباسيون ، غوستاف فون غريثاوم ، ترجمة د . محمد يوسف نجم . دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٥٩ .
- ٢٢٨ - الشعراء من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ، د . حسين عطوان . دار الجبل - بيروت ١٩٧٤ .
- ٢٢٩ - شعراء النصرانية بعد الاسلام ، يوسف شيخو اليسوعي . المط الكاثوليكية - بيروت ١٩٧٦ .
- ٢٣٠ - شعر الحرب في ادب العرب ، د . زكي المحاسني . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦١ .
- ٢٣١ - شعر الحسين بن مطير الأسدي ، تح : د . محسن غياض . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧١ .
- ٢٣٢ - شعر ربيعة الرقي تح : د . يوسف حسين بكار . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٨٠ .
- ٢٣٣ - شعر زهير بن أبي سلمى ، صناعة الأعلام الشتيمري ، تح : د . فخرالدين قباوة . المط العربية - حلب ١٩٧٠ .
- ٢٣٤ - شعر الشافعي ، تح : د . مجاهد مصطفى بهجت . دار الكتب للطباعة والنشر - الموصل ١٩٨٦ .
- ٢٣٥ - الشعر والشعراء ، ابن قتيبة . مط دار الثقافة - بيروت ١٩٦٩ .
- ٢٣٦ - الشعر والشعراء في العصر العباسي ، د . مصطفى الشكعة . دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٥ .
- ٢٣٧ - الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد و ظهور الغزالي ، عدنان حسين العوادي . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٩ .
- ٢٣٨ - شعر الطبيعة في الأدب العربي ، د . سيد نوفل . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٨ .
- ٢٣٩ - الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، د . شوقي ضيف . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ .

- ٢٤٠ - شعر عبدالصمد بن المفضل ، تحد ، زهير غازي زاهد . مط النعمان - النجف ١٩٧٠ .
- ٢٤١ - الشعر العراقي في القرن السادس الهجري ، د . مزهر السوداني . دار الرشيد للنشر - بغداد ١٩٨٠ .
- ٢٤٢ - الشعر العربي بين الجمود والتطور ، د . محمد عبدالعزيز الكفراوي . دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة ١٩٦٩ .
- ٢٤٣ - الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ، د . علي جواد الطاهر . ج ١ مط المعارف - بغداد ١٩٥٨ ، ج ٢ . مط البعاني - بغداد ١٩٦١ .
- ٢٤٤ - الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ، عبدالكريم توفيق العبود . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦ .
- ٢٤٥ - شعر ابن العلاف ، تحد صبيح رديف . مط الجامعة - بغداد ١٩٧٤ .
- ٢٤٦ - شعر علي بن جبلة الملقب بالعكوك ، تحد ، د . حسين عطوان . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ .
- ٢٤٧ - شعر عمر بن الفارض في فن الشعر الصوفي ، د . عاطف جودة نصر . دار الأندلس - بيروت ١٩٨٢ .
- ٢٤٨ - شعر مروان بن أبي حفصة ، تحد ، د . حسين عطوان . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٣ .
- ٢٤٩ - شعر ابن المعتز ، تحد ، د . يونس أحمد السامرائي . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٧ .
- ٢٥٠ - شعر ابن منير الطرابلسي ، تحد ، د . سعود محمود عبدالجابر . دار القلم - الكويت ١٩٨٢ .
- ٢٥١ - الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني ، د . سعود محمود عبد الجابر . مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨١ .
- ٢٥٢ - شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، أحمد بن ابراهيم الحنبلي . تحد ، ناظم رشيد . مط دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٩ .
- ٢٥٣ - صبح الأعشى في صناعة الانشا ، أحمد بن علي القلقشندي . المط الأميرية . القاهرة ١٩١٣ - ١٩٢٠ .
- ٢٥٤ - الصبح المنبى عن حيثية المتنبي ، يوسف البديعي . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ .

- ٢٥٥ - صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني : د. محمود ابراهيم . مط دار القلم - بيروت ١٩٧١ .
- ٢٥٦ - الصراع الأدبي بين العرب والعجم ، د. محمد نبيه حجاب . مط دار القلم - القاهرة ١٩٦٣ .
- ٢٥٧ - الصورة الفنية في شعر أبي تمام : د. عبد القادر الرباعي . جامعة اليرموك - الأردن ١٩٨٠ .
- ٢٥٨ - صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي : ميخائيل عواد . دار الطليعة للطباعة والنشر - بغداد ١٩٨١ .
- ٢٥٩ - ضحى الاسلام ، أحمد أمين . مكتبة النهضة العربية - القاهرة .
- ٢٦٠ - طبقات الأمم ، صاعد بن أحمد الأندلسي . المط الحيدرية - النجف ١٩٦٧ .
- ٢٦١ - طبقات الشافعية الكبرى ، عبد الوهاب بن علي السبكي . تح : محمود محمد الطناحي . مط عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٧٠ .
- ٢٦٢ - طبقات الشعراء ، ابن المعتز . تح : عبد الستار أحمد فراج . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٥٦ .
- ٢٦٣ - طبقات الصوفية ، أبو عبد الرحمن السلمي . تح : نور الدين شريعة . ط دار التأليف - القاهرة ١٩٦٩ .
- ٢٦٤ - طبقات المعتزلة ، أحمد بن يحيى بن المرتضى . المط الكاثوليكية - بيروت ١٩٦١ .
- ٢٦٥ - طبيعة الدعوة العباسية ، د. فاروق عمر . دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٠ .
- ٢٦٦ - الطواسين ، الحسين بن منصور الحلاج . تح : ماسنيون . ط باريس ١٩١٣ .
- ٢٦٧ - طيف الخيال ، الشريف المرتضى . تح : د. صلاح خالص . مط دار المعرفة - بغداد ١٩٥٧ .
- ٢٦٨ - العباس بن الأحنف ، د. عاتكة الخزرجي . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٧ .
- ٢٦٩ - عبقرية الشريف الرضي : د. زكي مبارك . مط حجازي - القاهرة ١٩٥٢ .
- ٢٧٠ - العصر العباسي الأول : د. عبد العزيز الدوري . مط التفيض - بغداد ١٩٤٥ .
- ٢٧١ - عصر المأمون : د. أحمد فريد رفاعي . مط دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٨ .

- ٢٧٢ - العقد الفريد : ابن عبد ربه . تح : أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الاياري . مط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٢٧٣ - عقلاء المجانين : الحسن بن محمد النيسابوري . قدمه وعلق عليه محمد بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية - النجف ١٩٦٨ .
- ٢٧٤ - العقيدة والشرعية : كولذ زيهز ، ترجمة يوسف موسى وجماعته - مصر ١٩٥٩ .
- ٢٧٥ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه : أبو علي الحسن بن علي بن رشيقي القيرواني . تح : محمد محيي الدين عبدالحميد . مط السعادة - مصر ١٩٥٥ .
- ٢٧٦ - عمر بن الفارض من خلال شعره ، ميشال فريد غريب . دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٥ .
- ٢٧٧ - عيون الاخبار ، ابن قتيبة . مط دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤٣ هـ .
- ٢٧٨ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي أصيبعة . دار الفكر - بيروت ١٩٥٦ .
- ٢٧٩ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، عبدالحسين أحمد الأميني النجفي . دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ .
- ٢٨٠ - الفخري في الآداب السلطانية ، ابن الطقطقا . مط دار صادر - بيروت ١٩٧٣ .
- ٢٨١ - الفصول والغايات ، أبو العلاء المعري . مط حجازي - القاهرة ١٩٣٨ .
- ٢٨٢ - فصول في الشعر ونقده : د . شوقي ضيف . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ .
- ٢٨٣ - الفكر التربوي عند ابن المقفع والجاحظ وعبدالحميد الكاتب : د . عبدالأمير شمس الدين . دار اقرأ - بيروت ١٩٦٩ .
- ٢٨٤ - الفكر الديني عند أبي العلاء المعري ، عطا بكري . دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٨٠ .
- ٢٨٥ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي : د . شوقي ضيف . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ .
- ٢٨٦ - الفن ومذاهبه في النثر العربي : د . شوقي ضيف . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢٨٧ - فن المقامات بين المشرق والمغرب : د . يوسف عوض . دار القلم - بيروت ١٩٧٩ .
- ٢٨٨ - فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين : د . مصطفى الشكعة . عالم الكتب - بيروت ١٩٨١ .

- ٢٨٩ - فهرست ، ابن النديم . المط الرحمانية - القاهرة ١٣٤٨ .
- ٢٩٠ - فهرست مارواه عن شيوخته ، ابن خير الاشيلي - بيروت ١٩٦٢ .
- ٢٩١ - فوات الوفيات ، ابن شاکر الحنبي ، تح: د. احسان عباس . مط دار صادر - بيروت ١٩٧٣ .
- ٢٩٢ - في الادب العباسي ، د. عز الدين اسماعيل ، دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٥ .
- ٢٩٣ - في الأدب العباسي ، د. علي الزبيدي . دار المعرفة - القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢٩٤ - في الأدب العباسي ، د. محمد مهدي البصير . مط النعمان - النجف ١٩٧٠ .
- ٢٩٥ - في التصوف الاسلامي وتاريخه ، نكلسون . ترجمة أبي العلا عفيفي . مط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢٩٦ - في موكب الخالدين ، عبد السمیع المصري . مط دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢٩٧ - القاضي الفاضل ، دراسة ونماذج ، د. أحمد أحمد بدوي . مط الرسالة - القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢٩٨ - قوت القلوب ، أبو طالب المكي - القاهرة ١٩٣٢ .
- ٢٩٩ - كافوريات أبي الطيب ، د. النعمان القاضي . شركة كتب الشرق الأوسط - القاهرة ١٩٧٥ .
- ٣٠٠ - الكامل ، أبو العباس المبرد . تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ، والسيد شحاتة - مط نهضة مصر - القاهرة ١٩٥٦ .
- ٣٠١ - الكامل في التاريخ ، ابن الأثير . مط دار صادر - بيروت ١٩٦٥ .
- ٣٠٢ - كتاب بغداد ، أحمد بن طيفور . تح: محمد زاهد الكوثري . ط عزت العطار الحسيني - القاهرة ١٩٤٩ .
- ٣٠٣ - الكتابة الفنية في مشرق الدولة الاسلامية في القرن الثالث الهجري ، د. حسني ناعسة . مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٨ .
- ٣٠٤ - الكشف ، جار الله الزمخشري . مط مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٨ .
- ٣٠٥ - كشف مصادر دراسة أبي العلاء المعري ، مصطفى صالح . مط العلم - دمشق ١٩٧٨ .
- ٣٠٦ - الكشف عن مساويء شعر المتنبي ، صاحب بن عباد . تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين . مط المعارف - بغداد ١٩٦٥ .

- ٣٠٧ - الكشكول ، بهاء الدين العاملي . تح : الطاهر أحمد الزاوي . مط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة د . ت .
- ٣٠٨ - كيلة ودمنة ، بيدبا الفيلسوف الهندي . ترجمة عبدالله بن المقفع . المط الفخرية .
- ٣٠٩ - الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ، محمد بن ناصر الدين المعروف بابن الزيات . طبع القاهرة ١٣٢٥ هـ .
- ٣١٠ - لزوم ما لا يلزم ، أبو العلاء المعري - مط دار صادر . بيروت ١٩٦٦ .
- ٣١١ - لسان العرب ، ابن منظور . مط دار صادر . بيروت ١٩٦٨ .
- ٣١٢ - لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني - حيدر آباد ١٣٣١ هـ .
- ٣١٣ - المتنبي ، د . زكي المحاسني . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ .
- ٣١٤ - المثل السائر ، ضياء الدين ابن الأثير . تح : د . أحمد الحوفي ، د . بدوي طبانة . دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٣١٥ - المحدثون من الشعراء ، علي بن يوسف القفطى . تح : حسن معمري . مط المتنبي - بيروت ١٩٧٠ .
- ٣١٦ - محيي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده ، مجموعة أساتذة . الهيئة العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٦٨ .
- ٣١٧ - مرآة الزمان ، سبط ابن الجوزي . مط مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند ١٩٥١ .
- ٣١٨ - المرأة في أدب العصر العباسي ، د . واجدة مجيد الاطرقي . دار الرشيد للنشر - بغداد ١٩٨١ .
- ٣١٩ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي . دار الأندلس للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٦ ، وطبعة باريس باعتناء دي مينار ١٨٦١ - ١٨٧٧ .
- ٣٢٠ - المستطرف في كل فن مستظرف ، الأبهسي ، مط حجازي - القاهرة ١٩٥٣ .
- ٣٢١ - مصر الشاعرة في العصر الفاطمي ، محمد عبد الغني حسن . مطابع الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة ١٩٨٣ .
- ٣٢٢ - مضمار الحقائق وسر الخلائق ، محمد بن عمر الأيوبي . تح : د . حسن حبشي . دار الهنا للطباعة - القاهرة ١٩٦٨ .
- ٣٢٣ - معالم الشعر وأعلامه في العصر العباسي الأول ، د . محمد نبيه حجاب . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ .
- ٣٢٤ - معاهد التنصيص ، عبد الرحيم بن أحمد العباسي . تح : محمد محيي الدين عبد الحميد - مط السعادة - مصر ١٩٤٧ .
- ٣٢٥ - مع أبي العلاء في رحلة حياته ، د . عائشة عبد الرحمن . دار الكتاب



- العربي - بيروت ١٩٧٢ .
- ٣٢٦ - مع أبي العلاء في سجنه : د . طه حسين . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٥٦ .
- ٣٢٧ - معجم الأدباء : ياقوت الحموي . تح : مرجليوث . المط الهندية - مصر ١٩٢٣ .
- ٣٢٨ - معجم البلدان : ياقوت الحموي . مط دار صادر - بيروت ١٩٥٥ .
- ٣٢٩ - معجم الشعراء : المرزباني . دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٦٠ .
- ٣٣٠ - المعري ذلك المجهول : عبد الله العلايلي . الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٨١ .
- ٣٣١ - المعري وجوانب من اللزوميات : محمد الحبيب حمادي . الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ .
- ٣٣٢ - مع المتنبي : د . طه حسين . مط دار المعارف - القاهرة .
- ٣٣٣ - المغرب في حلى المغرب : قسم مصر : ابن سعيد الأندلسي . مط جامعة فؤاد الأول - القاهرة ١٩٥٣ .
- ٣٣٤ - المقابسات : أبو حيان التوحيدي . تح : حسن السندوبي . المط الرحمانية - القاهرة ١٩٤٩ .
- ٣٣٥ - مقامات بديع الزمان الهمداني : دار التراث - بيروت ١٩٦٨ .
- ٣٣٦ - مقامات بديع الزمان على أحاديث ابن دريد : الدكتورة إكرام فاعور . دار إقرأ - بيروت ١٩٨٣ .
- ٣٣٧ - مقامات الحريري : مط دار صادر - بيروت ١٩٦٥ .
- ٣٣٨ - المقامات من ابن فارس إلى بديع الزمان الهمداني : د . هادي حسن حمودي . دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٨٥ .
- ٣٣٩ - مقدمة ابن خلدون . مط الكشف - بيروت د . ت .
- ٣٤٠ - مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول : د . حسين عطوان . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٤ .
- ٣٤١ - الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة : أحمد محمد الشحاذ . دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٦ .
- ٣٤٢ - الملل والنحل : الشهرستاني . تخريج محمد فتح الله بدران - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٦ .
- ٣٤٣ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : أبو الفرج ابن الجوزي . ط حيدر آباد - الهند ١٣٥٧ .
- ٣٤٤ - من حديث الشعر والنثر : د . طه حسين . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧٥ .

- ٣٤٥ - من غاب عنه المطرب ، أبو منصور الثعالبي . مط المدني - القاهرة ١٩٨٤ .
- ٣٤٦ - من النقد والأدب ( المجموعة الرابعة ) ، د . أحمد أحمد بدوي . مط الرسالة - القاهرة د . ت .
- ٣٤٧ - الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري ، الأمدى ، تح . محمد محيي الدين عبد الحميد . دار المسيرة - بيروت د . ت .
- ٣٤٨ - الموازنة بين الشعراء ، د . زكي مبارك . مط مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٣٦ .
- ٣٤٩ - موسيقى الشعر ، د . إبراهيم أنيس . مط الأمانة - القاهرة ١٩٧٨ .
- ٣٥٠ - الموشح . مأخذ العلماء على الشعراء ، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني . تح . علي محمد الجاوي . مط دار النهضة - مصر ١٩٦٥ .
- ٣٥١ - الموشى أو الظرف والظرفاء ، أبو الطيب الوشاء . تح . كمال مصطفى . مط الاعتماد - مصر ١٩٥٣ .
- ٣٥٢ - النشر الفني وأثر الجاحظ فيه ، د . عبد الحكيم بلع . مط الاستقلال - القاهرة ١٩٧٥ .
- ٣٥٣ - النشر الفني في القرن الرابع ، د . زكي مبارك . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة .
- ٣٥٤ - النجوم الزاهرة ، ابن تغري بردي . مط دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٦ .
- ٣٥٥ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري . تح . د . إبراهيم السامرائي . مط المعارف - بغداد ١٩٥٩ .
- ٣٥٦ - نزهة الأنام في محاسن الشام ، أبو البقاء عبد الله بن محمد البدرى . المط السلفية - مصر ١٣٤٤ هـ .
- ٣٥٧ - نشوار المحاضرة ، المحسن بن علي التنوحي . تح . عبود الشالجي . مط دار صادر - بيروت ١٩٧١ - ١٩٧٣ .
- ٣٥٨ - نفسية أبي نواس ، د . محمد النويهي . مط الدجوي - القاهرة ١٩٧٠ .
- ٣٥٩ - النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء المعري ، د . يسري سلامة . مط دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ .
- ٣٦٠ - النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، عمارة اليمني . تح . هر تويغ درنبرغ . طبع مدينة شالون ١٨٩٧ .
- ٣٦١ - نكت الهميان في نكت العميان ، خليل بن أيبك الصفدي . المط الجمالية - القاهرة ١٩١١ .

- ٣٦٢ - نهاية الأرب : النويري . مط دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٥ .
- ٣٦٣ - هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام : يوسف البديعي . نشر محمود مصطفى - القاهرة ١٩٣٤ .
- ٣٦٤ - الهجاء والهجائون في الجاهلية ، د . محمد محمد حسين . نشر مكتبة الآداب بالجواميز ١٩٤٧ .
- ٣٦٥ - هياكل النور ، شهاب الدين السهروردي . المكتبة التجارية - القاهرة ١٩٥٧ .
- ٣٦٦ - الواضح في مشكلات شعر المتنبي : أبو القاسم عبد الله الأصفهاني . تح : محمد الطاهر بن العشور . الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ .
- ٣٦٧ - الوافي بالوفيات ، خليل بن أبيك الصفدي . نشر المستشرقين الألمان باستانبول ١٩٣١ .
- ٣٦٨ - الورقة : محمد بن داود بن الجراح . تح : د . عبد الوهاب عزام . وعبد الستار أحمد فراج . مط دار المعارف - القاهرة د . ت .
- ٣٦٩ - الوزراء والكتاب ، الجهشيارى . مط عبد الحميد أحمد حنفي - مصر ١٩٣٨ .
- ٣٧٠ - الوساطة بين المتنبي وخصومه : علي بن عبد العزيز الجرجاني . تح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي . دار القلم - بيروت د . ت .
- ٣٧١ - الوشي المرقوم في حل المنظوم : ضياء الدين بن الأثير . تح : د . جميل سعيد . مط المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٨٩ .
- ٣٧٢ - وفيات الأعيان ، ابن خلكان . تح : د . إحسان عباس . مط دار صادر - بيروت ١٩٧٢ .
- ٣٧٣ - يتيمة الدهر : أبو منصور الثعالبي . تح : محمد محيي الدين عبد الحميد . مط السعادة - القاهرة ١٩٥٦ .

### البحوث والمقالات

- ٣٧٤ - ابن حمدان الموصلی ، د . ناظم رشيد . مجلة الجامعة - الموصل ، العدد ٣ سنة ١٩٨١ .
- ٣٧٥ - أدب المقامات أو الفن الأقصوصي المسجع ، د . صفاء خلوصي . مجلة المعلم الجديد ، العدد الأول . المجلد الخامس والعشرون . كانون ثاني - شباط ١٩٦٢ .
- ٣٧٦ - أصفهان معقل الأدب العربي ، د . مصطفى جواد . مجلة المجمع العلمي العراقي . المجلد العاشر ١٩٦٣ .

- ٣٧٧ - أغزل شعراء الكرد في العربية الملك الأمجد : د. مصطفى جواد . مجلة الكتاب . العددان ١ ، ٢ سنة ١٩٥٨ .
- ٣٧٨ - بغداد من خلال المقامات : صبيح صادق . مجلة المورد . العدد ١١ سنة ١٩٧٩ .
- ٣٧٩ - التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية : د. ناظم رشيد . مجلة آداب الرافدين العدد ١٠ سنة ١٩٧٩ .
- ٣٨٠ - جهاد صلاح الدين الأيوبي ، التاريخ والشعر : د. ناظم رشيد . مجلة المورد . العدد ٤ سنة ١٩٨٧ .
- ٣٨١ - حسام الدين الحاجري . حياته وشعره : د. ناظم رشيد . مجلة آداب المستنصرية - العدد ١٠ سنة ١٩٨٤ .
- ٣٨٢ - شعر الحرب في عصر بني أيوب : د. ناظم رشيد . مجلة آداب الرافدين . العدد ١٥ سنة ١٩٨٢ .
- ٣٨٣ - القدس في شعر القرن السادس للهجرة : د. ناظم رشيد . مجلة المورد . العدد ١ سنة ١٩٨٢ .
- ٣٨٤ - كاتب الدولتين النورية والصلاحية : محمد بهجة الأثري . مجلة المجمع العلمي العراقي . الجزء الأول . المجلد الرابع . سنة ١٩٥٦ .
- ٣٨٥ - كنور في رموز : د. محمد مصطفى حلمي . ضمن الكتاب التذكاري : 'محيي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٦٦ .
- ٣٨٦ - المتنبي والمعري : ابراهيم ناجي . مجلة الهلال ١٩٣٨ .
- ٣٨٧ - محمد بن كنانة الأسدي . حياته وشعره ونصوص باقية من كتابه الأنواء : محمد قاسم مصطفى . مجلة آداب الرافدين . العدد ٦ سنة ١٩٧٥ .
- ٣٨٨ - المدائح النبوية في عصر الحروب الصليبية : د. ناظم رشيد . مجلة آداب الرافدين العدد ١٣ سنة ١٩٨١ .
- ٣٨٩ - مقامات بديع الزمان الهمداني : د. محسن غياض . مجلة الطليعة الأدبية . العدد ٦ سنة ١٩٧٧ .
- ٣٩٠ - المقامة ، بلاشير . مجلة المشرق . العدد ٤٧ سنة ١٩٥٣ .
- ٣٩١ - مقتطفات من كتاب النمر والثعلب : سهل بن هارون . تح : عبد القادر المهيري . حويلات الجامعة التونسية . العدد الأول سنة ١٩٦٥ .
- ٣٩٢ - ملامح من رثاء الحيوان في الشعر العباسي : طه محسن . مجلة آداب الرافدين . العدد ٧ سنة ١٩٧٦ .

- ٣٩٣ - الناصر لدين الله : د . مصطفى جواد . مجلة العربي ( الكويتية ) . العدد ١٢٤ سنة ١٩٦٩ .
- ٣٩٤ - النشاط العلمي والأدبي في عهد الأسرة الأيوبية : ناظم رشيد . مجلة آداب الرافدين . العدد ٨ سنة ١٩٧٧ .
- ٣٩٥ - نظرة في حماسة أبي تمام : د . ناظم رشيد . مجلة بين النهرين . العدد ٢٧ سنة ١٩٧٩ .
- ٣٩٦ - النقد الأدبي في مقامات بديع الزمان الهمداني : د . محمد قاسم مصطفى . مجلة المورد . العدد ٣ سنة ١٩٨٤ .
- ٣٩٧ - وصف الطبيعة في شعر الصنوبري : فواز أحمد طوقان . مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق . الجزء الثالث . المجلد الرابع والأربعون . تموز ١٩٦٩ .

٢٢  
١- الألفية في المعاني والألفاظ

١- الألفية في الرضوخات القديرة  
٢- الألفية في المعاني والألفاظ  
٣- الألفية في المعاني والألفاظ  
٤- الألفية في المعاني والألفاظ  
٥- الألفية في المعاني والألفاظ  
٦- الألفية في المعاني والألفاظ  
٧- الألفية في المعاني والألفاظ  
٨- الألفية في المعاني والألفاظ  
٩- الألفية في المعاني والألفاظ  
١٠- الألفية في المعاني والألفاظ

## المحتوى

٦-٥	..... المقدمة
١١-٧	..... قيام الدولة العباسية
١٢-١١	..... نظام الادارة
١٥-١٢	..... بناء بغداد
١٨-١٥	..... ثقافة العصر
٢٠-١٨	..... عوامل ازدهار الشعر
	..... العصر العباسي الاول
	..... الموضوعات
٢٩-٢١	..... المديح
٣٤-٢٩	..... الهجاء
٤١-٣٤	..... الرثاء
٤٧-٤١	..... الغزل
٥١-٤٧	..... الوصف
٥٥-٥٢	..... الزهد والتصرف
٥٨-٥٥	..... المجون
٦٢-٥٨	..... الشعوية والزندقة
٦٦-٦٢	..... الخمریات
٦٩-٦٦	..... الشعر الفكاهي
٧٢-٦٩	..... الشعر التعليمي
٧٨-٧٢	..... التجديد في المعاني والأفكار
٨٢-٧٨	..... الألفاظ والأساليب
٨٧-٨٢	..... الاوزان والقوافي
	..... الشعراء
١٠٠-٨٨	..... هـ أبو العتاهية
١٠٥-١٠١	..... مسلم بن الوليد
١٢٠-١٠٦	..... أبو تمام الطائي
١٣٠-١٢١	..... أبو عبادة البحرني
١٣٩-١٣١	..... ابن الرومي

١٤٩-١٤٠	عبدالله بن المعتز
	النشر
١٥٢-١٥٠	المقدمة : عوامل تطور النشر
	الفنون الشعرية
١٥٤-١٥٣	الرسائل
١٥٧-١٥٤	الخطابة
١٥٨-١٥٧	القصص
١٦٠-١٥٩	التوقيعات
١٦١-١٦٠	نشر المؤلفات أو المصنفات
١٦٣-١٦٢	النشر المترجم
	الكتاب
١٧١-١٦٤	عمرو بن بحر الجاحظ
١٧٥-١٧٣	سهل بن هارون
١٧٩-١٧٦	عمرو بن مسعدة
١٨٣-١٨٠	محمد بن عبد الملك الزيات
١٨٦-١٨٤	ابن قتيبة
	العصر العباسي الثاني
١٩٠-١٨٧	توطئة
١٩٩-١٩٠	الادب في ظل البيئات الجديدة
	القسم الاول : الشعر
٢١٠-٢٠٠	الموضوعات
٢١٥-٢١٠	الشعر القومي
٢١٩-٢١٥	وصف الطبيعة
٢٢٥-٢١٩	الشعر الصوفي
	الشعراء
٢٤٨-٢٣٦	أبو الطيب المتنبي
٢٥٥-٢٤٩	أبو فراس الحمداني
٢٦٣-٢٥٦	أبو بكر الصنوبري
٢٧١-٢٦٤	السري الرفاء



مطبعة العلم العالم في الموحل